المجمع العلمي العراقي

المعجمية العربية

ابحاث الندوة التي عقدها المجمع العلمي العراقي

١٥ ـ ١٦ شعبان ١٤١٢ هـ

١٨ ـ ١٩ شباط ١٩٩٢ م

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م

المجمع العلمي العراقي

المعجمية العربية

ابحاث الندوة التي عقدها المجمع العلمي العراقي

١٥ ـ ١٦ شعبان ١٤١٢ هـ

١٨ ـ ١٩ شباط ١٩٩٢ م

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م

تمهيـد

يضم هذا الكتاب مجموعة الابحاث والتعقيبات التي القيت ونوقشت في الندوة المعجمية التي عقدها المجمع العلمي العراقي يومي الثلاثاء والاربعاء ١٥ ــ ١٦ شـــعبان ١٤١٢ هـ ــ ١٨ ــ ١٩ شـــباط ســـنة ١٩٩٢م • وقد رتبت الابحاث تبعاً لميادين اهتمامها ، فقدمت الابحاث التي فيها نظرات عامة شاملة ، ثم تلتها ابحاث في موضوعات يوضح كل منها احد المعاجـــم التراثية المتميزة ، ثم ابحاث عن معاجم مختصة وعن بعض المعاجم البارزة في اللغتين الانكليزية والسريانية •

وختمت الندوة بجلسة مفتوحة عرض فيها بعض المشاركين آراءهـــم وملاحظاتهم بشأن بحوث الندوة •

والله من وراء القصد

تقـــديم

الدكتور صالح احمد العلي

رئيس المجمع العلمي العراقي

اللغة العربية من ابرز وارسخ ما تميز به العرب ، وقد اشار القرآن الكريم الى انها لغته «قرآناً عربياً غير ذي عوج» وانه «نزل بلسان عربي مبين» ؛ وهي منذ العهود الموغلة في القدم قبل الاسلام الرابط الذي يجمع العرب والجامع الذي يوحدهم ، فبها يتكلمون ويخطبون وينظمون الشعر ويصيغون الحكم ويتعاملون في مختلف جوانب حياتهم وتنوع نظمهم واساليب معيشتهم من بدو رعاة ، وزراع فلاحين ، وصناع ورجال اعمال وتجار ورجال ادارة وسياسة وحكم وفكر . وقد اسبغ القرآن الكريم عليها بنزوله فيها صفة قدسية وكان عاملا اساسياً في توطدها ومدها لتشمل الناس كافة الناس من العرب والمسلمين فتزداد معرفتهم بمفرداتها ومعانيها ، وتستقر في اذهانهم .

تميزت اللغة العربية بكثرة ما فيها من مفردات اغنتها دقة ملاحظة العرب وحسهم الفطري وفطنتهم النفاذة ، فاعتزوا بها ؛ وكان لما اختصت به من غنى في المفردات ومن قابلية على النمو بالاشتقاق الاثر الفعال في احتفاظها بكيانها وسماتها المميزة ، وفي صيانة سماتها الاصلية من تشويه المؤثرات الاجنبية .

وحّدت الدولة الاسلامية بعد تكونها العرب سياسيا وثبتت فيهم جذوة التوحيد العقائدي وما يتصل به من اراء وافكار ، وتلاحمت العروبة بالاسلام، وانضاف بقيامها الى العربية عامل اساسي في تعزيز مكانتها ونموها وتوسيع انتشارها ، فصارت لغة الحكم والسياسة ، ثم الادارة والمعاملات ، وسرعان ما صارت للفكر والعلم والحياة اللغة العالمية الجديرة بالتقدير ، ولم ينكر اشد من ناصب العرب العداء فضل ميزاتها ومكانتها وجدارتها بالتقدير •

التفت العرب بعد ان كوّنوا دولتهم الى الفكر يعنون به ويعملون على توضيحه وانمائه بمختلف صوره ؛ وكان لدراسةاللغة العربية منذلك النصيب الاوفى ، فقد ظهر منذ زمن مبكر في الاسلام عدد غير قليل ، ومنهم لامعون وافذاذ ، يدرسون لغة القرآن الكريم والشعر والحياة ، ويتتبعون خصائصها ومفرداتها فيرصدونها ويدونونها في كتب بعضها في « نوادر » و « امالي » متفرقة ، وكثير منها كتب منظمة مادتها في مواضيع محددة ، ورافق ذلك وتلاه ظهور من جمع مفردات شاملة في معاجم عامة ضخمة بدأت بـ « العين » للخليل بن احمد ، واعقبها غريب المصنف لابي عبيدة • ثم تتابعت المعاجم الضخمة وكان من ابرزها لسان العرب لابن منظور ، والقاموس المحيط للفيروزبادي وتاج العروس للزبيدي •

ولم تعدم فروع المعرفة المختصة من معاجم ترصد مفرداتها ، وتحدد بالشرح كلماتها ، فظهرت معاجم اختصت بمفردات متداولة عند رجال الادارة وكتاب الدواوين ، وعند اهل الطب والادوية وعدد غير قليل من فروع المعرفة في العلوم الانسانية والتطبيقية والصرفة ، وكان العرب سباقين في المعجمات فابدعوها وانموها واكثروا التأليف فيها بما يستجيب لحاجاتهم• والواقع ان اسهاماتهم توضح مدى تقدمهم الفكري كما تكشف اساليب كثيرة منها جدير بالتقدير والاتباع •

وفي هذا الزمن المعاصر الذي يعيش فيه العرب في غمرة انفجار حضاري وفكري واسع في شموله وقوته ، كان للغة العربية ومفرداتها نصيب واف من الاهتمام ، فقد يسرت الطباعة تداول كثير من المعاجم التراثية . وكشفت العناية بجمع المخطوطات وفهرستها وجود عدد لما يطبع منها ؛ وانمت جهود الباحثين من الافراد والمؤسسات هذه الدراسات . واظهر تنامي الاخذ بالعلوم المعاصرة تزايد الحاجة الى المعاجم ، وقدمت التطورات الحديثة في اعداد المعاجم الاعجمية اساليب جديرة بالاطلاع للاخذ بما يلائم طبيعة اللغة العربية وحاجات الناس .

اسهم في دراسة المعاجم التراثية وفي اعداد الجديد منها عدد كبير من الباحثين في مختلف اقطار الوطن العربي ، وكان الباحثون في العراق من اوائل من عنى بدراسة مفردات اللغة العربية واعداد المعاجم لها . وعنيت المؤسسات العلمية وفي طليعتها المجامع العربية دراسة اللغة العربية ومفرداتها .

وقد اولى المجمع العلمي العراقي دراسة اللغة العربية اهتماما متميزا فاختصت لجنتان من لجانه بدراسة المفردات العربية وقواعدها ؛ وتابعت لجان متعددة اعداد معاجم في العلوم الصرفة والتطبيقية ، بالاضافة الى دراسات معجمية لكل من اللغتين الكردية والسريانية ؛ وكان الموجه الرئيس في هذه اللجان اعضاء المجمع ، الا انه انفتح على ذوي الخبرة والاهتمام فاشرك عددا كبيرا منهم في عمل لجانه ، وكان لهم اسهام يستحق التقدير والثناء .

ان المجمع العلمي العراقي يقدّر ما للغة العربية من مكانة لا تبارى في كيان الامة الفكري والحضاري ، ويدرك اهمية دراسة مفرداتها في اجلاء معالم تراثنا واغناء حاضرنا وتوجيه مستقبلنا ، وهو يعقد هذه الندوة ليحضرها جلّة من المعنيين بالموضوع ، فيتوثق تعرفهم بالمهتمين به ، ويتركز

تفكيرهم فيه ، وليسمحوا ويناقشوا ابحاث نخبة من الباحثين قدموا مشكورين بعض ثمار ابحاثهم التي تعبر عن اهتمامهم بهذا الميدان ودراساتهم في تفاصيله واستعدادهم لعرضها وتدوينها ليعم نفعها ويخلد ذكرها ويقدم معلومات وافكار مضيئة وموجهة للعاملين في اعداد المعجمات العربية والطامحين الى ايصالها حد الكمال .

والله من وراء القصد .

★ ★ ★

أصالة المعجمية العربية

محمد بهجة الأثري
(عضو المجمع)

بِسْمِ (الله) خير الأسماء ، الذي علَّمَ (آدمَ) الأسماءَ كُلَّها وما لا يَعْلَمُهُ ، نستفتح القولَ ونتوَخَّى السَّداد فيه ، وبعون منه جلّ اسمه وتعالى وتقدَّسَ يعقِد (المجمع العلمي العراقي) هذه الندوةَ المباركة (ندوة المعجمية العربية) لأول مرّة في تاريخ العراق الحديث ، ليستشرف منها ــ ومعه هذه النخبة الخيِّرَة من حماة العربية وناشري ألويتها ــ طبيعةَ « ظاهرة » نشوء (المعجم اللغوي العربي) عند العرب : كيف بدأت ، وكيف تطورت وتنوعت مسالكَ وأساليبَ ، حتى استقرّت على النظام السهل الميسر الذي نعرفه . ثم مــا الذي علينا أن نصنعه اليوم من التجديد المطلوب في صنع المعجم العام في كلا نوعيه : (معجم الألفاظ) ، و (معجم المعاني) ، وفي (المعاجم المتخصصة) ، وقــد اشتدت الحاجــة الى هــذا التجديد والتنويع والافتنان في جوانب شتى من ذالك ، إذِ العمران الحضاري يتنامَى صُعُداً ويتنوّع ، وإذِ الحياة العلمية والصناعية تسير سيراً حثيثاً من يوم الى آخرَ الى رحابٍ شواسعَ وفِساحٍ في ضروب وأفانين من العلوم الصرفة والتطبيقية ، والعــلوم الإنسانية ، والصناعات المتطورة ، وهــي تستحدث ولاءً ، وتفيض ينابيعها فيضاً ثرّاً غزيــراً مُتدارِكاً يقتضينا مواكبتَه واستيعاب مَدِّهِ المتدفق ، ويفرض جمع مفردات كل ضرب منه في معاجم فنيــة ميسَّرة ، تضبطها ضبطاً محكماً ، وتعرّفها تعريفاتٍ دقيقةً وجامعةً مانعةً ، وتحدّد معانيَها ودلالاتها بوضوح وانكشاف ، مع التزامٍ صارم للصدق

والأمانة ، ومبالغة في تحرّي الصّحّة ، واحترام لضوابط اللغة وأصالة نظامها المتوارث من غير إخلال بشيء مّا من ذالك كلّه . .

ومما نعلمه يقيناً أنّ (المعجم اللّغوي) هـو ظاهرة حضارية ، باللغة القيمة . يبرز في المجتمعات التي تحقّق لنفسها وجوداً قوياً مُحَصَّناً بالعلم واصطناع القيم الرفيعة في الحياة . ويعكس صورتها الفكرية والاجتماعية ، ويمثّل ما ألمّت به من صنوف المعارف . أو لابسته من أشياء مادّية وأخرى معنوية ، فيكون معجم كل أمة مرآة لجُمَل مداركها الحيوية ، ويجيء على قدر استيعابها لأفانين شؤون المعايش لاجرَم .

هذا إلى جانب مـا يكون عندها من مّعاجم سيَر أعلامها العباقرة والنبغاء . ومبدعاتهم في العلوم والفنـون والآداب والاختراع والاكتشاف . ونحو ذالك مما تؤلّف جُمْلَتُه عامّة شؤونها .

ومما نعرفه جميعاً معرفة مشتركة لا يرقى إليها خلاف أنّ هذه (الأمّة العربيّة) ، منذ أشرق عليها من (حِراء) ضياء الإسلام ، فأنار (جزيرة العرب) ، وامتدّ فأنار الشرق والغرب معاً ، قد حازت قصب السبق في ذالك كلّه ، في أشواطها التي امتدت وتواصلت أربعة عشر قرناً الى يوم النّاس هذا . على ما مُنِيَتْ به من ضرّاء الشعوب الهمجية والعنصرية من الشرق ومن الغرب ، وأنّها كانت وَحْدَها الى زمن غير بعيـد – بهذا الإسلام الإنساني النزيـه المبادئ والغايات وبعبقريات حَمَلَتِه الى الآفاق الدانية والقاصية من الأرض – هي الأمّة السبّاقة والشامخة في ابتكار مختلف العلوم والفنون والآداب ، وفي دأبها المتّصل المتتابع على التّوَغُّل والتغلغُل والاسـتبحار في التنويـع والإضافة شيئاً بعـد شيء ، فكان لها في كل علم وكل فنّ مؤلّفون ، ومؤلّفات تُعَدّ بالمئات والألوف ، وتملأ خزائن البلاد ، بلغت أكثر من ثلاث مئة نوع ،

منها – عدا مؤلفات علوم العربية والعلوم الشرعية – العلومُ المتعلّقة بالأعيان ، وتدخُلُ فيها الطبيعيات والرياضيات ، والفلك ، والطب ، والتاريخ الطبيعي ، والفِراسة ، وجملتُها اثنان وعشرون علماً ومئة علم ، ومنها فروع لم يصل الى مثلها أهل التمدن الحديث إلا بعد أن نضج تمدنهم في المئة الماضية ، وقد عَرَفها العرب ، وألّفوا فيها منذ ألف عام أو نحوها ، ومنها : تدبير المنزل ، وعلم الاقتصاد السياسي ، وعلم الاجتماع ، ويعدّها ناس من أهل زماننا من محدثات أهل هذا التمدن الحديث ، الى غير ذالك من مبدعات يغزُرُ فيها الكلام ، ويتشعب ، ويطول .

ويقتضينا المقام أن نقف منها عند موضوع (المعجم اللغوي العربي) وحده من هــذه المبتكرات المبدعات ، التي تَفَتَّقَتْ عنها أذهان عباقرة العرب في الإسلام ، لأوّل استبحارهم في الحضارة ومستلزماتها ومقوّماتها من أسباب الازدهار والرسوخ .

وقد استحدثوا هذا الفن وأبدعوه لأوّل مرّة في أواسط المئة الثانية الهجرية على أديم (العِراق) في حضن أوّل حاضرة عربيــة إسلامية اختطّها العرب المسلمون الفاتحون المعمّرون ، وبَنَوْها قريباً من حَدِّ جزيرتهم الشمالي الشرقي ، على عهد (عُمَرَ العظيم) رضي الله عنه ، لأوّل أيام الفتح الإسلامي وتطهير الأرض المباركة من أرجاس البُغاة المتخلّفين . ومَنْ ، مِنْ ذوي العلم لايعلم أن هذه الحاضرة العربية الإسلامية الجديدة ، هي (البصرة) ؟

وكما وُلِدَ هذا (المعجم اللغوي العربــي) في (البصرة) ، ولد فيها كذالك علم النحو العظيم ، ووضع في هذا العلم أجلّ مصنّفاته الأصول الكبار ، وهو الكتاب المسمى (الكتاب) ، وولد فيها كذالك (علم العروض) أو (علم ميزان الشعر العربي) ، وكان المبدعَ المخترعَ لهذه الروائع في صيَغها النهائية هذا

الإمامُ العبقري العربي الرائد (الخليلُ بن أحمد الفَراهِيدِيّ الأَزْدِيّ اليحمديّ ، أبو عبدالرحمن) « ١٠٠ – ١١٧٠ م » .

ومؤلَّفه المبتكر في صِناعة ما نسميه (المعجم اللغوي) ، الفريد في نظامه وترتيبه الصوتي ، الذي سماه (كتاب العين) ، هو أول مـا يجب أن يدور على مِحْوَرِه البحث والتحليل في هذه الندوة ، في تبسط زائد يكشف القناع عن العبقرية التي اخترعت نظامه ، واهتدى ذوقها وحسها الفطري الى أسلوب بنائه .

يقول تلميذه (الليث بن المظفر) :

« لما أراد (الخليل بن أحمد) الابتداء في (كتاب العين) ، أعمل فكره فيه ، فلم يمكنه أن يبتديْ بأوّل حروف المعجم ، لِأنّ الألف حرف معتلّ . فلمّا فاته أوّل الحروف ، كرِه أن يجعل الثانيَ أوّلاً ، وهو الباء ، إلّا بحجة ، وبعد استقصاء ، فصيّر أُولاها ، في الابتداء ، أدخلها في الحَلْق . وكان إذا أراد أن يذوق الحرف ، فتح فاه بألف ، ثم أظهر الحرف . وكان ذَواقه إيّاها أنه كان يفتح فاه بالألف ، ثم يقول : أبْ – أتْ – أَحْ – أَعْ ، فوجد (العين) أقصاها في الحلق ، وأدخلها ، فجعلها أوّل الكتاب . ثم ماقَرُبَ مخرجه منها بعد العين الأرفع فالأرفع ، حتى أتى على آخر الحروف ، فقلب الحروف عن مواضعها ، ووضعها على قدر مخرجها من الحلق » .

إنّ نصّ (الليث) هذا يشير الى نظامين ابتكرهما الإمام الخليل : نظام السلم الصوتي ، ونظام تقليب الكلمات ، فرتب موادّ كتابه على الحروف بحسب مخارجها الصوتية ، وقسمه أربعة أبواب بحسب الأبنية ، وحصر بالتقليب هذه الأبنية حصراً علمياً دقيقاً مَبْنِيّاً على علم الحساب ، « فذكر مثلاً أن عدد أبنية الثنائي ٧٥٦ ناتجة من أن عدد الحروف الهجائية ٢٨ تضرب في ٢٧ ، وهي الكلمات التي تتركب مع الحرف الذي تبتدئ به الكلمة ، بعد أن يسقط هو نفسه في التركيب مع جنسه ، فحرف الهمزة مع الباء فالتاء فالثاء حتى الياء

يكوّن سبعاً وعشرين كلمة ، فيضرب هذا العدد في عدد الحروف ينتج منها ٧٥٦ ، منها المهمل ، ومنها المستعمل . وهكذا صنع في أبنية الثلاثي فالرباعي فالخماسي ، فحصل له من هذه الطريقة أن عدد أبنية كلام العرب ، المستعمل والمهمل – على مراتبها الأربع هذه اثنا عشر مليون كلمة . ولكن هذا الرقم الذي ذكره ليس هو المستعمل ، بل فيه المهمل وهو كثير ، ولعلّه أكثر من المستعمل » .

الى أمور أُخَرَ دلّت جملتها على ثقوب ذهنه ، وذكاء فطنتِه ، وقدراته في التصوّر والاختراع . فكان فيما شرعه في كتابه من النظام والمنهج والاستنباط والترتيب ، مبتكر هذا الفنّ في تاريخ العرب العلمي . . هدته عبقريته اليه ، فصنعه ابتداءً على غير مثال بين عينيه يحتذيـــه ، ويقتبس طريقته ومنهجه وترتيبه . ويستحيل على من يحاول أن ينفي عنه هذه الصفة ويتهمه بالتقليد والاقتباس ، أن يأتيَ بالبرهان القاطع الذي يثبت دعواه .

ولقد شاء هذا بعض كتّاب « دائرة المعارف الإسلامية » من الأوربيين ، لحاجة في أنفسهم يحاولون قضاءها في مناهج لهم ، في جملة ما يكتبونه في قضايا العرب والعربية والإسلام ، يتبعونها دواماً .

فذهبوا في إرادة نَفْيِهم صفة ابتكار العرب نظام (المعجم اللغوي العربي) يعقدون الصِّلات بين (كتاب العين) والمعجم الهندي السنسكريتي الهندي تارةً ، وبينه وبين المعجم اليوناني تارة ، ليشككوا في عبقرية العرب ومبتكراتهم ، ويُزِنُّوا العقل العربي بالعقم والقصور عن الابتكار .

فزعم واحـــد منهم ، بأسلوب القطع والتأكيد ، أن الخليل بن أحمد ، الإمام العربي العبقري ، قد أخذ من نحاة الهنود السنسكريتيين نظام كتابه .

وزعم آخر ، ولكن في تحفظ شديد مغلّف بصيغة متشككة مبتسرة ، أنه « ربما كان (اليونان) هم الذين أعطوا (العرب) فكرة المعجم » !

ولم أجد في كِلا هذين الزعمين بيّنة ثبوتيةً واحدة من المقارنة والتمثيل والمطابقة والتنصيص على نظام المعجم الهندي أو المعجم اليوناني ، ومعارضة ذالك بنظام (كتاب العين) ، وشرح ما بين هذه اللغات الثلاث من الفروق في أنواع حروفها ومخارجها ، وهيآت ألفاظها ، وتراكيبها . .

وأَدَعُ هذا الى كثير مما يمكن أن يُتساءَلَ عنه في هذا الصَّدَد ، وتطلب الإجابة عنه وتوثيقه تاريخياً ، فأسأل : أنَّى تَسَنَّى للامام الخليل بن أحمد ، المقيم في البصرة الساكن في كوخ ، أن يتصل بالهنود ــ زماناً ومكاناً ؟ أيرونه سافر الى أقاليمهم وتوطن واحداً منها يتعلم فيه لغة من لغات الهنود وهي شتى ليثقفها ويتوغّل في حفظ مفرداتها ويتَعَرَّفَ نحوها وصرفها واشتقاقاتها ، ثم يسمو الى معجمها فيتدارس نظامه ومنهجه وطريقة ترتيب موادّه ، ليحتذي مثالَهُ فيما عزم تأليفه لأمته العربية من بابته ونوعه ؟

أم جاءه إلى (البصرة) مِنْ بعض أجناس الهنود مَنْ علَّمَهُ لغة من هذه اللغـــات الهنديـــة الكثيرة ، وأطلعه على معجمها السنسكريتي المزءـــوم ، فوعى عنه تلك اللغة ، وفقهها من نحو وتصريف واشتقاق وتراكيب وأساليب ، حتى هيمن عليها ، وسما الى معجمها هذا ، فعكف عليه يتدارس مادته ، ومنهجه ، وطريقته . ؟

الى أسئلة أخرى تشرئبّ النفوس الى أجوبتها ، لتتعَرَّفَ منها حقائقَ الأشياء عدلاً وصدقاً لاتشوبه أكدار الأكاذيب وتمحُّلات الدعاوى الباطلة . .

وأمثالها كذالك تُوَجَّهُ إلى من زعم أنه « ربما كان (اليونان) هم الذين أعطوا (العرب) فكرة المعجم » ، ومن زعم أن الإمام الخليل بن أحمد كان يعرف اللغة اليونانية ، ليقول : إن معرفته بهذه اللغة ومعجمها ، هدته إلى اتّباع منهجه في (كتاب العين) ، فكان مقلّداً ، لا مبتكراً مبدعاً .

وحكاية أن الإمام الخليل بن أحمد كان يعرف (اليونانية) ، كحكاية أنه كان يعرف لغة هندية هي السنسكريتية من اللغات الهندية الكثيرات ، وكلتا الحكايتين من السمادير وأضغاث الأحلام .

وحكاية أنه كان يعرف اللغة اليونانية نشأت من خبرين وهميين ، ذكرهما موفق الدين الخزرجي الدمشقي المعروف بابن أبـي أصيبعة المُتَوَفَّى سـنة ٦٦٨ هـ ، في ترجمة الطبيب حُنَيْن بن إسحاق العبادي ، في كتابه (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) .

فأمّا الحكاية الأولى ، فهي : « أن الشـيخ شهاب الدين عبدالحق الصقليّ النحوي حدثه : أن حنين بن إسحاق كان يشتغل في العربية مع سيبويه وغيره ممن كانوا يشتغلون على الخليل بن أحمد » ، وقال مُعَقّباً : « وهذا لا يبعُدُ ، فانهما كانا في وقت واحد على زمان المأمون » .

وأمّا الحكاية الأخرى ، فهي : أن سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل ، قال : « إن (حُنَيْناً) نهض من بغداد الى أرض فارس ، وكان (الخليل بن أحمد النحوي) بأرض فارس ، فلزمه (حُنَيْنٌ) حتى بَرَع في لسان العرب ، وأدخل (كتابَ العين) بغدادَ » .

فاسْتُنْبِطَ من هاتين الحكايتين ، وحشوُهما تخليطٌ وأوهام ، أنَّ (حنيناً) كان يعرف اللغة اليونانية ونقل منها الى العربية ما ترجم من كتب ورسائـل ومقالات في الطب ، والمنطق ، والنحو ، وتشريح آلات الغذاء ، والأدوية وغيرها من العلوم ، إذَنْ فلا بُدَّ من قيام هذه الصلة بينهما أن يتعلّم الأستاذ من تلميذه هذه اليونانية !

وواقع الأمر أن هذا اللقاء بين الرجلين لم يحدث قَـطُّ ، لأنَّ الإمام (الخليل بن أحمد) توفاه الله سنة ١٧٠ هـ ، وقيل : سنة ١٧٥ هـ ، و (حنين بن

اسحاق) كان مولده ، بشهادة ابن أبي أصيبعة نفسه ، في سنة ١٩٤ (أربع وتسعين ومئة للهجرة) ، وتوفي في زمان المعتمد على الله لست خلون من صفر سنة أربع وستين ومئتين للهجرة .

وأدع (كتاب العين) ومنهجه العربي المبتكر ، مفترضاً جدلاً وتنازلاً أن الإمام (الخليل بن أحمد) كان في وضعه كتابه هذا ، مقلداً لا مبتكراً مبدعاً ، ولأمعن في المجاراة فأنكر معهم ابتكاره (علم العروض) أو (علم ميزان الشعر العربي) ، وأسأل القوم ليُجيبُوا : هل وقف علماء اللغة العرب عند نظام (كتاب العين) وطريقته ومنهجه ، لم يجاوزوه ، ويلتمسوا نظاماً آخر غيره فيما أقبلوا عليه من صنع (معاجم اللغة) على تلاحق الأزمان ؟

لا مَناصَ لهم من أن يردّوا إيجاباً بـ « نعم » إن علماء اللغة العرب قد وضعوا بعد (كتاب العين) هذا معاجم كثيرة اصطنعوا فيها مناهج غير منهجه . . لايملكون الا أن يقرّوا هذه الحقيقة .

فنسألهم حينئذ :

هل اقتبس هؤلاء العلماء نظم معاجمهم هذه من الهنود ، أو من اليونان ، أو من الصينيين ، أو من الأشوريين ؟

فإن أجابوا إيجاباً : بـ « نعم » ، طالبناهم بعرض ما عندهم من براهين ، بل برهان واحد ثبوتي قطعي في أضعف الإيمان والقدرة ، وهيهات أن يكون عندهم أثارة من برهان ، ودون إتيانهم به خَرْطُ القَتاد ، ولا ريب !

وحينئذٍ تتجلّى الحقيقة كفلق الصباح ، ويثبت للملأ أنّ هذه المعاجم اللغوية العربية على اختلاف مناهجها وتعددها وتنوع مسالكها ، مُنْذُ ابتكر الإمام الخليل بن أحمد (كتاب العين) ، إنّما هي من مبدعات العقل العربي ، لا شيءَ في واحد منها من اقتباس ، أو تقليد .

وكما ابتكر العقل العربي (معاجم الألفاظ) ابتكر كذالك (معاجم المعاني) ، وهنا تبدو لنا « ظاهرة » غريبة حقاً ، أرى أن أنبّه عليها . .

وهي أن ما نطلقه على هذا النوع من دواوين اللغة ، في كلا نوعيها ، من اسم (المعجم) و (المعاجم) ، لم يُطْلقه عليها صُنّاعُها قَطُّ ، وإنّما ذهب كل واحد منهم يسمّي مؤلّفه باسم خاصّ ، ولم يظهر معها عندهم مصطلح (المعجم) هذا ، منذ وضع الإمام الخليل بن أحمد كتابه الى أوائل زماننا هذا . فقالوا : كتاب العين ، وكتاب الجيم ، والجمهرة ، وتهذيب اللغة ، وديوان الأدب ، والمحيط ، والمحكم ، والبارع ، والجامع ، والصحاح ، والنواقيت ، والمجرّد ، والمقصد ، والعباب ، والمجمل ، والمقاييس ، والفائق ، وأساس البلاغة ، والنهاية ، ولسان العرب وتهذيب الصحاح ، ومختار الصحاح ، والمصباح المنير ، وتاج الأسماء ، ومرقاة اللغة ، والمنتهى ، والقاموس المحيط ، والغريب المُصنّف ، وطراز اللغة ، وفقه اللغة ، والمخصص . . الى غيرها من تسميات ، لم يذكر مع واحد منها مصطلح (المعجم) .

ثم في أوائل هذا العصر الحديث ظهر لفظ (القاموس) وجمعه (القواميس) عَلَماً جديداً يندرج تحته هذا النوع من مصنفات دواوين اللغة ، فصار الناس يقولون : قاموس العين ، وقاموس الصحاح ، وقاموس لسان العرب ، وقاموس تاج العروس . . بل سَمَّوْا به الجديد مما يُصَنِّفُون من ذالك ، فقالوا : القاموس العصري ، وقاموس الجيب ، و . . و . .

وقد بدأ هذا في الظهور بعد طبع (القاموس المحيط) تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب البكري الصديقي المشهور بـ « الفيروز أبادي » المتوفى سنة ٨١٧ هـ ، في الهند ، ثم في مصر سنة ١٢٧٢ هـ ، فظن الناس اسْمَهُ (القامُوسَ) عَلَماً لكل مُصَنَّفٍ من بابته وطريقته .

ومع هذا ظلّ أرباب اللغة المؤلفون على نهج الأولين يطلقون على مصنفاتهم تسميات خاصّةً ، فسمّوْا : محيط المحيط ، والبستان ، وأقرب الموارد ، والمساعد ، والمنجد ، والمورِد « وهذا أحدثها » .

ثم في العقود الوُسْطَى من هذا القرن بدؤوا يطلقون على ما يصنفون من هذا النوع مصطلح (المعجم) ، فسمى الشيخ أحمد رضا اللبناني من الأعضاء المراسلين في المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية ـ الآن) مصنفه (معجم متن اللغة) ، والتزم مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذا المصطلح فيما صنف من ذالك فأطلق عليها : (معجم ألفاظ القرآن الكريـم) ، و (المعجم الكبير) ، و (المعجم الوسيط) ، و (المعجم الوجيز) ، ودرج أفراد الباحثين والكتاب على اصطناعه واستعماله ، ونَدَر جداً مَنْ يقول أو يكتب (القاموس) و (القواميس) .

وأعجب العجب أن أغفل هذا المصطلحَ (المعجم) جميعُ اللغويين حتى هـذا الزمن القريب ، وهو من صميم العربية جذراً واشـتقاقاً ، فلم يصطنعوه ويتخذوه عَلَماً لدواوين اللغة تُعْرَف به . . واصطنعه غيرهم من المصنفين في عدد من العلوم والفنون ، فخصّوا به الكتب التي ألفوها ورتبوها على نَسَق الحروف ، وقرنوه ظاهراً بموضوعاتهم ، فسمّى أبو يعلى أحمد بن علي التميمي الموصلي الحافظ المُتَوَفّى سنة ٣٠٧ هـ مؤلّفاً له : (معجم الصحابة) .

ولعلّ هذا الكتاب كان أوّل كتاب أُطلق عليه اسم (المعجم) في موضوعه . ثمّ رَدِفَهُ أبو القاسم عبدالله بن محمد البَغَوِي المُتَوَفّى سنة ٣١٥ هـ ، فسمّى كتابيه اللذين ألّفهما في أسماء الصحابة : (المعجم الكبير) ، (والمعجم الصغير) . وأبو بكر الإسماعيلي المتوفى سنة ٣٥١ هـ وله المعجم في الأسامي ، وتلاه المحدث ابن جُمَيْع الغسّاني المتوفى سنة ٤٠٢ هـ ، فوضع (المعجم) في تراجم شيوخه الذين أجازوه ، أو أخذ عنهم . وألف الحافظ أبو طاهر السِّلَفِيُّ المتوفىّ سنة

٥٧٦ هـ (معجم شيوخ بغداد) ، و (معجم مشيخة أصبهان) ، و (معجم السفر) .

وفي الحديث النبوي ألف المحدث أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني (من أهل طَبَرِية الشام) المتوفى سنة ٣٦٠ هـ ، (المعجم الكبير) ، و (المعجم الصغير) . .

وظهر مصطلح (المعجم) هذا ، وكذلك في أسماء علوم وفنون أُخَرَ ، فسموا (معجم الشعراء) ، و (معجم الأدباء) ، و (معجم الألقاب) في فن سِيَر الأعلام .

و (معجم ما استعجم) ، و (معجم البلدان) ، في الجغرافيا البلدانية . . وهكذا لا يستعصي علينا أن نجد هـذا المصطلح قد استعمل في كل ما رُتِّب نظامه من التأليف على تَسَنّق الحروف ، إلا دواوين اللغة المنسوقة على الحروف كما أسلفت ! !

هذا ، وقد أورد حاجي خليفة في مقدمة « كشف الظنون » حديثاً شريفاً ، وردت فيه كلمة (المعجم) ، نسب روايته إلى أبي ذَرّ ، رضي الله عنه ، قال :

« وفي حديث أبي ذَرّ ، رضي الله عنه ، قال : يا رسول الله ، أي كتاب أنزله الله على آدم عليه السلام ؟ قال : كتاب (المعجم) . قلت : أي كتاب المعجم ؟ قال : أ . ب . ت . ث . ج . قلت : يا رسول الله ، كم حرفاً ؟ قال : تسعة وعشرون حرفاً » .

وقد سبقني الى الوقوف على هذا الحديث في « كشف الظنون » مَنْ تَوَقَّفَ عنده غير مطمئن إلى صحته ، فذهب يبحث عنه في مرويات أبي ذَرّ في دواوين الحديث ، فلم يجده بينها . وأزيد على ما قاله أن ما ذُكر في سياق النَّصّ من لفظ (المعجم) ، وهو حادثٌ ، ومن ذكر الحروف بمعناهـا الاصطلاحي ، وعِدَّتِها ، يستوجب التوقف في قبوله ولا ريب .

وهنا ، ونحن في (ندوة المعجمية العربية) ، لا بُدّ لنا من أن نقدّم بين يدي بحوثها شيئاً في تأصيل مادتها ، وما اشتق منها ، ودلالتها المستحدثة .

وأبدأ بجذر الكلمة (ع / ج / م) ، ثم أعقب عليه بما تفرع منها من اصطلاح ، فأقول :

إن مادة (ع / ج / م) وقعت في لغة العرب للإبهام والإخفاء ، وضدّ البيان ، كما قرر فيلسوف العربية (أبو الفتح عثمان بن جنّي) في مقدمة (سرّ الصناعة) .

فالعُجْمُ ، بالضم وبالتحريك ، خلاف العرب . والعُجْمَةُ : الحُبْسَةُ في اللسان . والأعجم : مَن يفصح ولا يبين كلامه وإن كان من العرب . ومَنْ في لسانه عجمة وإن أفصح بالعربية كالأعجمي . ورجل عجمي : اذا كان من الأعاجم فصيحاً كان بلسان قومه أو غيرهم . وأفصح الأعجمي : تكلم بالعربية بعد أن كان أعجمياً ، ولا يقال : رجل أعجمي ، فيُنْسَب الى نفسه ، إلا أن يكون أعجمَ . و ــ الأعجم ، أيضاً : الأخرس ، والعجماء : الخرساء ، و ــ البهيمة أيضاً ؛ لأنها لا تتكلم . والمستعجم : كل بهيمة . واستعجمت الدار أو الطَّلَل عن جواب السائل : سكتت . وأعجم الرجل كلامه : ذهب به الى العُجْمة . وكل من لم يفصح بشيء فقد أعجمه ، ومنه قول الراجز رُؤْبَة ، وقيل : الحُطَيْئة :

والشِّعْرُ لا يَسْطِيعُهُ مَنْ يُظْلِمُهْ
يُرِيدُ أنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهْ

أي : يأتي به أعجمياً ، يعني يلحن فيه ، كما يقول الجوهري ، وقيل : أن يبيّنه ، فيجعله مُشكلاً لا بيان له ، كعَجَمَهُ عَجْماً ، وعَجَّمَهُ تعجيماً .

هذا ما وقع في لغة العرب من معاني هذه المادّة . على أنني أذكر أنني قد وجدت الى جانبها في صيغة هذا الفعل الرباعي ، مهموزه ومضعّفه ، استعمالاً

مُضاداً ، وذالك في مثل قول بعض علماء اللغة ، وشيوع استعماله : « معجم الخط » وتفسيره بأنه ما أعجمه كاتبه بالنُقَط ، وقولهم : أَعْجَمْتُ الكتابَ أُعْجِمُه إعجاماً ، اذا أزلت إعجامه أو استعجامه ، يعنون إزالة إبهامه بالنُقَط ، فجاؤوا بهذا وذاك على الضدّ من قول قدامى العرب : « يُريد أن يُعْرِبَه فيُعجِمُهْ » .

فكيف وقع هذا ؟ ومتى وقع ؟ أفي قديم اللغة ، أم في حديثها أيام التدوين والتوليد الذي دفع اليه التوسع في اصطناع الجديد مَقِيساً على الأصول ؟

يبدو لي أن هذا الاستعمال المضادّ هو من جديد اللغة ، الذي انبثق من دواعي الحاجة الى التوليد . وقد علله بعضهم كابن سِيدَه الأندلسيّ بأنه جاء على السَّلْب ، وألحقه بالأضداد . قال : « ذالك لِأنّ « أَفْعَلْتُ » ، وإن كان أصلها الإثبات ، فقد تجيْ للسلب » ، وقاسه على : أشكيت ، ونظائره في كلام العرب من الأضداد . فقد قالوا : أشكيتُ فُلاناً ، إذا فعلتَ به فِعلاً أحوجه إلى أن يشكُوَكَ ، وأشكيْتُه أيضاً : إذا أعتبتَهُ من شكواه وأرضيتَهُ ، وغيره كثير .

ثم إن تفسيره ، أعني الإعجام ، بازالة إبهامه بالنقط ، واستعماله بهذا المعنى المضادّ ، يفيد حدوث استعماله ؛ لِأنّ « الخط العربي القديم » الذي يقال إن العرب اقتبسوه من السريان والأنباط ، كان خالياً من النقط ، ولا تزال الخطوط السريانية بغير نقط الى اليوم ، فاستحدث المسلمون فيه الحركات أوّلاً للضبط ، ثم النقط ثانياً للتمييز بين الأحرف المتشابهة في شكلها ، لإزالة الالتباس في الكتابة والقراءة . وقد انتبه لذالك الحجاج بن يوسف أمير العراق في خلافة عبدالملك بن مروان ، فأشار على كتّابه أن يَضَعُوا لهذه الأحرف المختلفة علامات تميّزها بعضها من بعض ، فاضطلع نصر بن عاصم بذلك ، فوضع

النقط أفراداً وأزواجاً . فدلّ هـذا على أنّ اطلاق الإعجام بهذا المعنى لجملة معاني مادته ودلالاتها المخصوصة بالإبهام والغموض وضّد البيان ، هو حادث ، استعمله اللغويون على سبيل القياس على هذا الضرب من أضداد الكلم العربي .

وحين سَمّوْا الحروف (حروف المعجم) ، أي الحروف التي أزيلت عجمتها ، أي : إبهامها بالنقط ، وقالوا في تفسير ذالك : « أي التي من شأنها أن تعجم » ، وَرَدَ عليهم اعتراض بأن « جميع الحروف ليس معجماً ، إنّما المعجم بعضها ، ألا تَرى أن الألف والحاء والدال ونحوهـا ليس معجماً ، أي ليس منقوطاً ، فكيف استجازُوا تسمية جميعها (حروف المعجم) ؟ » .

فجاء الرَّدّ : « إنّها إنما سُمّيت بذالك ، لأن الشكل الواحد إذا اختلفت أصواته ، فأعجمتَ بعضها وتركتَ بعضها ، فقد عُلِمَ أنّ هذا المتروك بغير إعجام ، هو غير ذالك الّذي من عادته أن يُعْجَمَ ، فقد ارتفع أيضاً بما فعلوا الإشكالُ والالتباس عنهما جميعاً ، ولافرقَ بين أن يزول الاستبهام عن الحرف بإعجام عليه ، أويقوم مقام الإعجام في الإيضاح والبيان . ألا ترى أنك إذا أعجمت الجيم بنقطة واحدة من أسفل ، والخاء بواحدة من فوق ، وتركتَ الحاء غُفْلاً ، فقد عُلِمَ بإغفالها أنها ليست بواحدة من الحرفين الآخَرَيْن ، أي الجيم والخاء ؟ وكذالك الدال والذال ، والصاد والضاد ، وسائر الحروف . فلما استمرّ البيان في جميعها ، جازت تسميتها (حروف المعجم) . » .

وأنتقل من هذا الإيضاح والبسـط لمادة (ع /ج /م) وما طرأ عليها من بعض التطور في حدود القياس الصحيح من أصول العربية ـ الى جمع هذا اللفظ في العربية ، فأجده قد جُمِـعَ جَمْعَ مؤنث سالماً تارةً (معجمات) ، وجُمِـعَ جَمْعَ تكسير تارة (مَعاجِم) ، وكلاهما قياس في العربية غير مردود . لكن جُعِل لكل واحد منهما موضع يستعمل فيه . .

وقد لاحظت على كتابات أهل عصرنا بأخَرَة أنّ منهم مَنْ يستعملون هذين الجمعين معاً فيخصونها بشيءٍ واحد ، ولا يلحظون فيهما هذا التنويع والتخصيص فيقولون : « معاجم اللغة » تارةً ، و « معجمات اللغة » تارةً أخرى ، ومنهم من يجمع بين هذين الجمعين في وقت واحد ، وبحث واحد بعينه يزاوجونهما فيه ، وقد تجِد هذا التزاوج يرد في كلامهم في سطر واحد : يذكرون « المعجمات» في أوّله ، و « المعاجم » في آخره ، وليس بينهما غير بضعة أَلْيَفاظ !

ويبدو لي من هذا التفريق بين الجمعين ، في هذه العربية الفصحى الفارهة العجيبة الافتنان ، أَنّ (المعجمات) إنما تصحّ فيها وصفاً للألفاظ ، و (المعاجِم) لغيرها من هذه الكتب التي تحصي مفردات اللغة وتضبطها وتذكر معانيها وترتبها على نسق الحروف ، والكتب التي تصنف في الموضوعات وترتب موادهـا على نَسَق الحروف كذالك كما هو بَيّن .

فيقال في النوع الأول : « الأحرف المعجمات » ، أي المنقوطات ، مثلاً . وواضح أنه لا يمكن أن يقال في وصفها « الأحرف المعاجم » .

ويقال في النوع الثاني : (معاجم اللغة) ، و (معاجم الصحابة) ، و(معاجم الأدباء) ، و (معاجم البلدان) . . هكذا تخصيصاً ، قياساً على المصاحف ، جمع المُصْحَف ، والمساند [1] : جمع المُسْنَد للحديث الشريف المتصل سنده الى رسول الله ، صَلَّى الله عليه وسَلَّم ، من غير انقطاع . ومن هذا الباب : المطارف ، جمع المُطْرَف من الثياب ، والمجاسد ــ جمع المُجْسَد من الثياب كذلك ، فلا يعرف في أمثالها جمعها جمع في مؤنث سالماً .

---

(١) قال العلامة المحقــق الزبيدي في تاج العروس : مساند ، على القياس ، ومسانيد ، بزيادة الياء إشباعاً ، وقد قيل : إنه لغة .

وعلى هذا درج أئمة اللغة وصُنّاع مَعاجمها ، فأطلق الإمامُ (الصَّغانيّ) على (طبقات الشعراء) لدِعْبِل ، و (المؤتلف والمختلف)للآمِدِيّ ، و (معجم الشعراء) للمرزباني – عبارةَ (معاجم الشعراء) . وكذلك استعمل الإمام الزَّبيدي في (تاج العروس) « ح / ف / ش » جمع التكسير هذا (المعاجم) ، فقال تعليقاً على اسمٍ لأحد الصحابة الكرام أوردَهُ (القاموس المحيط) : « مذكور في (المعاجم) » ، ولم يَقُلِ (المعجمات) .

وأنتقل من هذا الى تأصيل اشتقاق (المعجمية) في الاستعمالات الحديثة ، الّتي وُصِفَتْ بها هذه الندوة ، نتبين منه صفة صيغتها ودَلالتَها الحديثة .

فلا مُشاحّةَ في أنها تدخل في نظام هذا النوع من الكلم العربي ، الذي أطلق عليه النحاة المتأخرون اسم (المصدر الصناعي) ، وما هو بالمصدر المعروف في العربية هيأةً أو صياغةً ، ولكن يلوح فيه معنى قريب من معنى المصدر . وقد استفادوا صيغته من لفظة (الجاهلية) الّتي وردت ، أوّل ماوردت ، في الذكر الحكيم ، في أربع آيات من سُوَره (١٥٤ / آل عمران ، و ٥ / المائدة ، و ٣٣ / الأحزاب ، و ٢١ / الفتح) ، ومنها قولـه تعالى : (يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجاهِلِيّة) .

ولفظة (الجاهلية) هذه ، قد تكون اسماً للحال وهو الغالب في الكتاب والسُّنّة ، وقد تكون اسماً لذي الحال .

ومن الأول قول النبي ، عليه الصلاة والسلام ، لأبي ذَرّ : « إنك امرؤفيك جاهلية » وقولُهُم : «يارسولَ اللهِ ، كنّا في جاهِلِيّة وشَرّ » ، أي : في حال جاهلية ، أو عادات جاهلية ، وطريقة جاهلية ، ونحو ذالك ، فان (الجاهلية) وان كانت في الأصل « صفة » لكن غلب عليها الاستعمال حتى صارت « اسماً » معناه قريب من معنى المصدر .

ومن الثاني ، وهو أن تكون (الجاهلية) اسـماً لذي الحال ، قولهم : أمة جاهلية ، وشاعر جاهلي . وهذا نسبة الى « الجهـل » الذي هو « عدم العلم » ، أو « عدم اتباع العلم » . فانّ من لم يعلم الحق » ، فهو جاهل جهلاً بسيطاً . فإن اعتقد خلافه ، فهو جاهل جهلاً مركباً . فإن قال خلاف « الحق » عالماً به أو غير عالم ، فهو جاهل أيضاً . والناس ، قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، في حال جاهلية جهلاء ، منسوبة الى الجاهل ، لأن ما كانوا عليه من الأحوال والأعمال والعبادات إنما أحدثـه لهم جاهل ، ويفعله جاهـل – كما قرر شراح الحديث .

وقد قاس المُوَلَّدُون عليها – على لفظة الجاهلية – في اصطلاحات العلوم وغيرهـا في عصر الترجمة الأوّل .

وتابعهم المعاصرون ، فأكثروا من نوعها فقالوا : (العالمية) لحال العالم . (والمصدرية) للحال المنسوبة الى المصدر . (والإنسانية) للحال المنسوبة إلى الإنسان . و (المعجمية) للحال المنسوبة الى (المعجم) الاسـم المنقول من اسم المفعول ، من : أعجم .

هذا ، وليس كل مـا أُلحقت به ياء النسبة مردفةً بالتـاء مصدراً صناعياً ، بل ما كان منه غير مراد به الوصف ، كالأمثلة التي أسلفتها .

فإن أريد به الوصف ، كان اسماً منسوباً لامصدراً صناعياً ، سواء أذُكِرَ الموصوف لفظاً ، كـ : « تَعَلَّمِ اللغة العربية » ، أم كان مَنْوِيّاً ومُقَدَّراً ، كـ : « تَعَلَّمِ العربية » ، أي : اللغةالعربية .

وعلى الله تعالى قصد السبيل .

—•—

المعجم الذي نطمح اليه

الشيخ محمد حسن آل ياسين

« عضو المجمع »

بسم الله الرحمن الرحيم

حظيت المكتبة العربية خلال اثني عشر قرناً من عصور التأليف بعددٍ وافر من المعجمات اللغويّة المعنيّة بجمع المفردات وتنسيقها وتفسيرها ، مع الاستشهاد على مداليلها بما يثبت ذلك ويؤكّده ، من نصوص القرآن الكريم ؛ والحديث الشريف ؛ والأقوال المأثورة ؛ والأمثال السائرة ؛ والشعر الأصيل . مضافاً الى ما يستتبع ذلك من بحثٍ وتدقيق في كلّ مفردة منها ، من حيث تعيين جذرها أصلاً وتركيباً ، وعرض ما صَحَّ من صورها وصيغها تفريعاً واشتقاقاً ، وتبيين ما طرأ على بنيتها نحواً وصرفاً ، وتمييز أصيلها من دخيلها ؛ وعربيّها من معرّبها ؛ وفصيحها من عاميّها ؛ بل فصيحها من أفصحها أيضاً .

وأصبحت اللغة العربية ــ بفضل هذا المعلم الحضاريّ البارز ــ في طليعة لغات الأرض سعةً وثراءً وامتيازاً ؛ إنْ لم تكن الوحيدة المتفردة بينها بذلك العدد الكبير من المعجمات ؛ وبالحفاظ من خلالها على تلك الأصالة العريقة والنقاء المدهش طوال عمرها المديد الضارب في أعماق التاريخ ، فلم تأذن بتغلغل الدخيل فيها الاّ بعد النصّ على كونه دخيلاً ؛ ولا بتسرُّب الفاسد والملحون اليها الاّ مع التنبيه على فساده واللحن فيه ، على الرغم من ذلك الاختلاط الواسع بين أبنائها وأبناء اللغات الاخرى تحت ظلال الاسلام ، وعلى الرغم ــ أيضاً ــ من تلك الموجات العنيفة المتتابعة من الاحتلال والاستعمار والتخريب الفكري والهيمنة الأجنبية عليها في ظروف الضعف والانحطاط والتخلُّف .

واذا كان هناك ما يمكن أن تؤاخَذ به تلك المعجمات اللغوية التراثية ــ بمجموعها المبتدئ بكتاب « العين » والمنتهي بـ « تاج العروس » ــ أو يحدّ من الاستفادة منها والرجوع الدائم اليها ، فهو اختلافها الكبير في التنظيم والتبويب والمنهج والترتيب ، وإنْ كنّا لا نرى في هذا الاختلاف مـــا يمكن أن يسمّى عيباً أو مثلبة ، بل هو ظاهرة سلامةٍ وصحة ؛ ودليل وعيٍ وإبداع ، وقد حدث ويحدث مثله في معظم ميادين المعرفة وحقول البحث العلمي .

ولكنّ الموضوعية تفرض علينا ــ بعد التسليم بصحة ذلك التعدّد وسلامته ــ أن نعترف بأن عدم اتفاق هذه المعجمات على نظامٍ واحد ؛ وعدم خضوع الكلّ لمنهج محدّد ؛ وعدم الالتزام بطريقة موحّدة فيها جميعاً ، قد جعل أمر الاستفادة منها أو من بعضها ممّا يفوق الخبرة الســطحية لجمهور القراء والمراجعين وقدرتهـــم على استخراج المفردة بسهولة ويسر ، بل ليس لديهم من وسيلة تذلّل لهم هذه الصعوبة وتختصر الزمن سوى الوقوف على تلك المناهج والعلم التام بما لكل واحدٍ أو مجموعة منها من طريقة في الترتيب ونظامٍ في السرد والتسلسل ، ليتسنّى لهم الرجوع في هذه المفردة أو تلك ؛ الى هذا المعجم أو ذاك . ويكون على مَنْ أراد النظر في كلمة (باب) ومشتقاتها ــ مثلاً ــ أن يعلم أنها قد وردت في أواخر (العين) و (التهذيب) وأوائل (الجيم) و (المقاييس) ، أي انّ عليه أن يرجع الى الجزء الثامن من العين والخامس عشر من التهذيب والأول من المقاييس .

ويغير هذه المعرفة الواعية الوافية بمناهج المعجمات وطرق تبويبها المتعدّدة ؛ لا يمكن تحديد مكان الكلمة المبحوث عنها في كل واحدٍ منها بالسرعة المطلوبة .

* * *

ومن الجدير بالبيان ــ استكمالاً لحقّ البحث ووضوح الرؤية ــ أن نستعرض تلك المناهج والأنظمة باختصار وايجاز فيما يأتي :

المنهج الأول :

منهج الخليل بن احمد في كتاب « العين » ومَن اهتدى بهديه من بعده كالأزهري في « التهذيب » والصاحب بن عباد في « المحيط » وابن سيدة في «المحكم » . ويُعَدُّ من أبرز معالمه ترتيب الابواب على نظام أصوات الحروف ومخارجها ، وهو النظام الذي صنَّف الخليل في ضوئه الحروفَ العربية بحسب تلك الأصوات والمخارج الى مجموعات تتسلسل علي النحو الآتي :

ع ح هـ خ غ ، ق ك ، ج ش ض ، ص س ز ، ط د ت ، ظ ذ ث ، ر ل ن ، ف ب م ، و ا ي ء .

ويقوم هذا المنهج – أيضاً – على تقسيم المفردات في داخل كل حـرفٍ على الأبنية ؛ بدءاً بباب الثنائي الصحيح وانتهاءً بباب الخماسي ، وعلى ذكر تقليبات الكلمة والنصِّ على المستعمل منها والمهمل . فاذا ورد في الحرف الأول من الكتاب – وهو حرف العين – تركيب العين والسين والميم أي « عسم » وردت معه تقليبات تلك الكلمة « عمس » و « سمع » و « سعم » و « معس » و « مسع » ، فيُشْرَح المستعمل منها ويُنَصُّ على المهمل الذي لـم تستعمله العرب ولم يرد فيما أُثِرَ من كلامها .

المنهج الثاني :

منهج ابي عمرو في كتاب « الجيم » ، وليس فيه من التزامٍ سوى الترتيب على الحروف الاولى من الكلمات ومراعاة التسلسل الألفبائي في ترتيب الحروف في الكتاب ، أي انه يبدأ بما أوّله الهمزة ثم بما أوّله الباء ثم التاء ؛ الى آخر الحروف ، ولكنه لم يُراع الترتيب الأنفبائي في الحرف الثانـي والثالث من الكلمات ، بل جمع كلَّ ما أوله الهمزة في باب الهمزة ؛ فبدأ بكلمة « الأوق » ثم « الألب » وختم بـ « الأنان » ثم « الإدَّة » (١) .

---

(١) وفي الكتاب مفردات وضعت في غير مواضعها ؛ كأن نجد كلمة اولهـا الباء في حرف الميم مثلا ، ولعل ذلك من عمل الوراقين والناسخين .

المنهج الثالث :

منهج ابن دريد في جمهرته ، ويشكّل النمط التوفيقي بين منهجي الخليل وابي عمرو ، ويقوم في أساسه على الترتيب بحسب تسلسل حروف الهجاء من حيث أوائل الكلمات مع التقسيم بحسب الأبنية ، فيبدأ بالثنائي منها مرتّباً على الحروف « أبَ » « أتَ » « أثَ » الخ ؛ ثم « بَتَ » « بَثَ » « بَجَ » ، ولكنه عندما يوردهذه المواد يورد معها معكوسها في الثنائي وتقليباتها في الثلاثي كالخليل ، إذ يرد « تَبَ » بعد « بَتَ » و « جَبَ » بعد « بَجَ » ، وهكذا .

المنهج الرابع :

منهج ابن فارس في مقاييسه ، وهو منهج يلتزم الترتيب الألفبائي للحروف بملاحظة أوائل الكلمات بلا عكس ولا تقليب ؛ مع التقسيم على الأبنية — الثنائي ثم الثلاثي ثم مازاد على ثلاثة — في داخل كل حرف ، فيبدأ الكتاب بحرف الهمزة — أي ما أوله الهمزة — ثم حرف الباء فالتاء الخ ، ولكن ابن فارس قد اختار نظاماً خاصاً لتسلسل المفردات داخل الحرف ، وهو أنْ لا يُورد بعد الحرف الأول من الكلمة الاّ الحرف الذي يليه ، فكان ذلك نسقاً مُمَيَّزاً انفرد به ، فنراه في حرف الجيم — أي فيما أولـه الجيم — مثلاً لا يبدأ الثنائي منه بـ « جَأ » ثم « جب » فـ « جت » كما هو المتوقَّع ، وانما كان البدء بـ « جح » لأن الحاء تلي الجيم في ترتيب الألفباء ثم « جخ » حتى يصل الى « جو » وبعده « جأ » فـ « جب » الخ .

المنهج الخامس :

منهج الجوهري في صحاحه ، وتابعه عليه كلٌّ من الصغاني في التكملة والعباب ، وابن منظور في لسان العرب ، والفيروز ابادي في القاموس ، والزَّبيدي في تاج العروس . فكان بذلك هو الأشيع والأوسع انتشاراً بين المعجميين ، ويقوم في مجمله على الترتيب بحسب تسلسل الحروف الهجائية ولكن بملاحظة آخر الكلمات ، إذ يكون ما آخره الهمزة في حرف الهمزة ومـا آخره الباء في حرف الباء ؛ مع إهمال تقسيمات الأبنية ، ومع الالتزام التام الدقيق بتسلسل

التراكيب من حيث الحرف الأول والثاني وما يليهما من الحروف داخل كل باب ، فتكون البدأة في حرف اللام مثلاً ـ أي فيما آخره لام ـ بـ « ابل » فـ « اتل » فـ « اثل » فـ « اجل » الخ .

المنهج السادس :

منهج الزمخشري في أساس البلاغة والفيومي في المصباح المنير ، وهو الترتيب على تسلسل الحروف الهجائية بمراعاة أول الكلمات ، كمنهج ابي عمرو في الجيم ، ولكنه يفضل منهج ابي عمرو بمراعاة التسلسل فيما بعد الحرف الأول أيضاً . إذ يكون البدء بـ « ابب » فـ « ابت » فـ « ابث » حتى ينتهي حرف الهمزة بـ « اين » فـ « ايه » فـ « اي ي » .

* * *

ولم يكن موضوع المناهج وطرق التبويب هو الموضوع الوحيد الذي اختلفت فيه تلك المعجمات وإن يكن الرئيس واللافت للنظر أكثر من غيره ، وانما اختلفت أيضاً في جوانب اخرى مهمّة قد تكون أشدّ التصاقاً وأعمق ارتباطاً بصميم هدفها الذي تسعى اليه ؛ من حيث تحديد معاني الألفاظ والاستدلال على صحة تلك المعاني بما يثبت ذلك ويؤكده .

ويأتي في مقدمة تلك المسائل ما يورده المعجميون من الشواهد ـ حديثاً أو قولاً أو شعراً أو مَثَلاً ـ ليبرهنوا بها على تفسير لفظٍ أو صحة استعمال أو سلامة اشتقاق ، وقد اختلف رواة هذه الشواهد في كثيرٍ منها اختلافاً كبيراً جداً : في لفظ النصّ تارة ؛ في كلمةٍ منه أو أكثر ؛ وقد يصل الخلاف الى فقرةٍ كاملة أو شطرِ بيتٍ أو مشطورٍ بتمامه . وفي الضبط تارة اخرى . وفي القائل او الناظم ثالثة . وفي تصحيح النسبة وتوثيقها رابعة .

ومن هنا يكون من المحتّم على الراغب في الاطمئنان الى صحة أيّ شاهد منها أن يراجع تلك المعجمات جميعاً ؛ للوقوف على كلّ ما قيل فيه لفظاً وضبطاً ونسبة وتوثيقا .

وكذلك الأمر في كثير من ألفاظ الأعـلام والألقاب والبلدان والقبائـل ، تضارُب آراءٍ ، وتعدُّد أقوال ، واختلاف رواة وروايات .

ويُضاف الى هذا كلّه ما أورده الخَلَفُ من التنبيه على تصحيفات سلَفهم من المعجميين جيلاً بعد جيل ، الأمر الذي يجعل الباحث مضطراً الى الوقوف على جميع المعجمات للتأكد من صواب ما هو بصدد معرفته ، والوثوق بعـدم طروّ التصحيف عليه .

* * *

والنتيجة المستخلصة من ذلك كلّه ان المعجمات العربية التراثية — ومجموعها يزيد على مائة مجلد — خضمٌ واسع بعيد الغور صعب المراس ، وليس من اليسير على غير الممارسين والعارفين — وجُلُّ المثقفين المعاصرين من هذا القبيل — أن يرجعوا اليها كلّما دعتهم الحاجة الى المراجعة ، وفي ذلك ما فيه من خسارة لهم وحرمان . وقد يتجرّأ بعضهم على الاقدام والتجربة فلا يحظى بمراده إلاّ بعد بحث وجهد .

وربما يخيّل لبعض الناس ان باستطاعة الفهارس المفصّلة أن تحلّ هذه المشكلات وتحقّق الأمل المنشود ، وقد يبدو ذلك من الناحية النظرية صحيحاً ومقبولاً ، غير أن التجربة العملية قد أثبتت أن هذه الفهارس لم تقدّم العلاج الناجع ولم تحقق المراد كاملاً وإن خفّفت الاعباء ويسّرت الجهود بقـدر لا يُستَهان به . ويكفينا أنْ نعلم أنّ هذه الفهرسة مهما بلغتْ من دقة واستيعاب ومهما ذلّلتْ من عقبات وصعاب ، لن تستطيع التغلب على عقبة مراجعة فهارس جميع المعجمات وهي كثيرة العدد كبيرة الحجم ، ثم عقبة الرجوع الى كل معجم منها بعد تعيين الجزء والصفحة ، للوقوف على اللفظ المطلوب .

واذا كان ابن منظور قد أدرك بعقله الثاقب وفكره النير جسامـة تلك الصعوبات وضرورة تيسيرها وتبسيطها بالقدر الممكن ، فبادر الى جمع عددٍ من المعجمات في كتابٍ واحد سمّاه (لسان العرب) فكان الرائدَ السبّاق في هذا

المضمار ، ثم تابعه الفيروزابادي على ذلك فجمع بين معجمين في (القاموس المحيط) فكان التالي والأخير . فان ذلك لم يحلّ المشكل على نحو شاف وشامل ؛ ولم يسدّ الحاجة كما يتمنّى جمهور القراء والطالبين ، وحسبنا أن نعرف انهما لم يستوعبا المعجمات كافة ؛ وان أولهما قد أهمل التمييز بين النصوص المجموعة في أحيان كثيرة ؛ وان ثانيهما لم يميّز مطلقاً .

ومن هذا يتضح ان الحلّ الأوحد الذي يضمن الفائدة الشاملة والمراجعة الميسّرة ؛ ويوفّر الوقت والجهد ومدة البحث ، هو جمع معجمات العربية كلها في معجم واحد ، يضمّ أشتاتها ضمّاً تاماً أميناً لا زيادة فيه ولا نقصان ، ويعرضها على طلاّبها وقرّائها بنسق ميسّر ونظام موحّد . مع الحفاظ الكامل على ما لكل معجم منها من ذاتيّة خاصة ووجود متميّز ، صيانةً للتاريخ اللغوي في تسلسله الطويل ولاولئك اللغويين الأفذاذ على امتداد ذلك التاريخ — من الذوبان والنسيان .

وسيضم هذا المعجم — عندما يرى النور — المعجمات الآتية :

١ — العين : لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، المولود سنة ١٠٠ هـ ، والمتوفى في أشهر الروايات سنة ١٧٥ هـ .

٢ — الجيم : لاسحاق بن مرّار الكوفي المنسوب الى بني شيبان ؛ والمشهور بأبي عمرو الشيباني ، المولود بعد سنة ١٠٠ هـ ، والمتوفى ببغداد سنة ٢١٣ هـ في أرجح الاقوال .

٣ — جمهرة اللغة : لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري ، المولود في البصرة سنة ٢٢٣ هـ ، والمتوفى ببغداد سنة ٣٢١ هـ .

٤ — تهذيب اللغة : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الهَرَوي ، المولود سنة ٢٨٢ هـ ، والمتوفى سنة ٣٧٠ هـ .

٥ — المحيط في اللغة : للصاحب ابي القاسم اسماعيل بن عبّاد ، المولود سنة ٣٢٦ هـ ، والمتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

٦ ـ مقاييس اللغة : لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريّاء بن حبيب الرازي ، المتوفى سنة ٣٩٥ هـ في أرجح الأقوال .

٧ ـ الصحاح « تاج اللغة وصحاح العربية » : لأبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري ، المتوفى حوالي سنة ٤٠٠ هـ .

٨ ـ أساس البلاغة : لأبي القاسم جارالله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ، المولود سنة ٤٦٧ ، والمتوفى سنة ٥٣٨ هـ .

٩ ـ العباب الزاخر واللباب الفاخر : لرضيّ الدين أبي الفضائل الحسن ابن محمد بن الحسن الصَّغَاني ، المولود سنة ٥٧٧ ، والمتوفى سنة ٦٥٠ هـ .

١٠ـ لسان العرب : لجمال الدين ابي الفضل محمد بن المُكَرَّم بن علي ابن أحمد الأنصاري الخزرجي ، المولود سنة ٦٣٠ ، والمتوفى سنة ٧١١ هـ .

١١ـ المصباح المنير : لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفَيُّومي ، المتوفى سنة ٧٧٠ هـ .

١٢ـ القاموس المحيط : لأبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادي ، المولود سنة ٧٢٩ ، والمتوفى سنة ٨١٦ هـ أو ٨١٧ . وشَرْحه المسمى (تاج العروس من جواهر القاموس) : لأبي الفيض محمد المرتضى بن محمد بن محمد الحسيني الزَّبيدي ، المولود سنة ١١٤٥ ، والمتوفى سنة ١٢٠٥ هـ .

* * *

وعندما يجتمع شمل هذه المعجمات كلها في كتاب جامع واحد ؛ ويتم انجاز هذا المعجم الشامل ، تتحقق المرحلة الاولى أو القسم الأول من (المعجم الذي نطمح اليه) ، إذ يصبح كلُّ التراث اللغوي المعجمي(٢) ماثلاً للعيان على أفضل ما يرام وخير ما يؤمل .

---

(٢) استبعدنا من هذه المجموعة :
حواشي ابن بري على الصحاح ، لانها غير تامة تأليفا كما ذكر الزبيدي في مقدمة تاج العروس ، وقد اورد ابن منظور ما وقف عليه منها في كتابه لسان العرب معزواً لابن بري بالنص .

ولن يضير هذا العمل الضخم الكبير أن يكون فيه شيءٌ غير قليل من التكرار والاعادة والتطويل ، ما دام هذا التكرار جزءاً من الهدف المنشود ؛ وتلك الاعادة بعضاً من الغاية المرجوّة .

ونستطيع أن نُجمل أبرز مزايا هذا المعجم التراثي الشامل وأهم فوائده — من الناحيتين العلمية والعملية — في الأمور الآتية :

١ — توحيد المعجمات كلها في كتابٍ واحد ؛ توفيراً في وقت الباحثين وجهد المراجعين ، وتيسير الافادة منها جميعاً باعادة ترتيبها على طريقة واحدة بدلاً من تلك الطرائق المتعددة والمناهج المختلفة .

٢ — تسهيل مراجعة المواد اللغوية بتنظيمها على الحرف الأول من الكلمة ثم الثاني والثالث منها — كما عليه الحال في أساس البلاغة والمصباح المنير — . ومع أن الترتيب على الحرف الأخير — كما في الصحاح والعباب واللسان والقاموس — أكثر يسراً أو أقل تعقيداً من الترتيب الصوتي في العين وأضرابه ، ونكنه لم يخل من متاعب أيضاً ، فكلمة « زيتون » مثلاً قد يظنها المُراجِع من مواد حرف النون لأن آخرها نون ، غير أنها في الواقع مذكورة في تركيب زى ت في حرف التاء — أي فيما آخره تاء — ، واذا لم يكن المراجع على علمٍ بذلك ولم يجد الكلمة في مكانها من حرف النون ظنّ إهمال المعجمات لها بل ربما اتهمها بالنقص والغفلة . أما تنظيم التراكيب والمواد على تسلسل الحرف الأول منها فانه من أيسر طرق الترتيب وأسهلها تناولاً .

٣ — وقوف القارئ في داخل المادة الواحدة وفي مكانٍ واحد على مجموع آراء اللغويين واقوالهم المختلفة في الشرح والتفسير وروايـة الشواهد

= وكتاب « التكملة » للصغاني ، لان معظمه وارد في كتابه الكبير « العباب الزاخر » .

وكتاب « المحكم » لابن سيدة الاندلسي ، لانه لم يطبع بتمامه حتى اليوم، ومتى ما تم ذلك لزم ايراده كباقي المعجمات في المعجم المقترح .

ونسبتها لقائليها ، وتنبيهاتهم على التصحيف والخطأ والوهم في أقوال مَنْ سبقهم ، ونقل بعضٍ متأخّر عن بعضٍ أسبق بنصّ على ذلك أو بغير نصّ ، إذ تنجلي هذه التفاصيل بأجمعها معروضة في صفحات موحّدة معدودة ؛ بدل التنقّل بين المعجمات كلها للاطلاع على ذلك .

٤ ــ تدارك ما وقع فيه كلُّ معجم أو وقع في كلّ معجم من المعجمات المطبوعة من أغلاط في الضبط وأوهام في قراءة الأصل .

٥ ــ وأخيراً ــ وهو من الاهمية بمكان متقدّم ــ وقوف الباحثين على نحوٍ جليّ ومحدّد ؛ على مدى ما حظيتْ به لغتنا الكريمة من تطورٍ ونَماء خلال مسيرتها الصاعدة في ألف عام من الزمن ؛ وأبعادِ هذا التطور وحدوده المستخلَصَة أو المستَنْبَطَة ، ومقدارِ ما شمل المعجمات من هذا التطور ــ من كتاب العين الى كتاب التاج ــ في مجمل أساليبها التنظيمية والتحقيقية . وسيتيح ذلك للدارسين مجالاً واسعاً للمقارنة والبحث في هذا الجانب من موضوعات اللغة ، وهو جانب بالغ الشأن والمكانة عند علماء فقه اللغة والمعنيين فيه .

* * *

وأُقدّم فيما يأتي للباحثين الأفاضل تطبيقاً عمليّاً لهذا المقترح ؛ يتضمن ستة تراكيب من أول حرف الهمزة من المعجم الذي نطمح اليه ، ثم أُردفه بمجموعة ملاحظات وتعليقات تبيّن بجلاء ما يمكن أن نحصل عليه من فوائد وثمرات بفضل هذه النصوص المعجمية المجتمعة في مكان واحد ؛ وبفضل التشابه في كثير منها مما قد يتخيّله البعض اسرد وتكرارا :

(أ ب أ)

« قال الشيخ أبو محمد بن بَرّي رحمه الله :

الأبَاءةُ : لأجَمَة القَصَب ، والجمع أبَاءٌ .

قال : ورُبَّما ذُكِرَ هذا الحَرْفُ في المُعْتَلّ من الصحاح وان الهمزة أصلها ياءٌ . (٣)

قال : وليس ذلك بمذهب سيبويه (٤) ، بل يحملها على ظاهِرِها حتى يقومَ دليلٌ أنها من الواو أو من الياء ؛ نحو : الرِّداء ــ لأنَّه من الرِّدْيَة ــ والكِساء ــ لأنه من الكُسْوَة ــ . واللهُ أعلم » .

(لسان العرب)

* * *

« (الأبَاءةُ ــ كعَبَاءةٍ ــ : القَصَبَة) ، أو هو أجَمَة الحَلْفاء والقَصَب خاصَّةً ، كذا قاله ابنُ بَرّيٍ ، (الجمع أبَاءٌ) بالفتح والمَدِّ . وقرأتُ في مُشْكِل القرآن لابن قتيبة ؛ في باب الاستعارة ؛ قَوْلَ الهُذَلِيِّ وهو ابو المُثَلَّم :

وأكْحُلُكَ بالصاب أو بالجــلا ... فَفَتِّــحْ لكُحْلِكَ أو أغْمِضِ

وأسْعُطُكَ في الأنْفِ ماءَ الأبَا ... ءِ ممّــا يُثَمِّــلُ بالمِخْبَوَضِ (٥)

قال : الأبَاءُ القَصَبُ ؛ وماؤه شرُّ المِيَاه ، ويُقال : الأبَاءُ ــ هنا ــ : الماء الذي يبول فيه الأرْوى فيشرب منه العَنَزُ فيَمْرَض ، وسيأتي في المعتلّ ؛ إنْ شاء اللهُ تعالى . (هذا موضِعُ ذِكْرِه) أي في الهمزة (كما حَكاه) الامام ابو الفتح (ابنُ جِنّي) وارتضاه في كتابه سِرِّ الصناعة (٦) ؛ نقلاً (عن) إمام

---

(٣) وسيأتي في المعتل من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

(٤) يراجع كتاب سيبويه : ٣٨٣/٢ ــ طبعة بولاق ــ .

(٥) شرح اشعار الهذليين : ٣٠٧/١ ، وفيه في الاول : (ففتّح لكحلك او غَمْضِ) ، ومثله رواية ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن : ١٥٨ .

(٦) سر صناعة الاعراب : ٧٩/١ــ٨٠ .

اللغة (سيبويه) . وقال ابنُ برّي : وربما ذكر هذا الحرفُ في المعتلّ ، وليس بمذهب سيبويه . (لا) في باب (المُعْتَلّ) يائياً أو واوياً — على اختلاف فيه — (كما توهّمه الجوهريُّ) الامام ابو نصر (وغيرُه) يعني صاحبَ العَيْن .

وقرأتُ في كتاب المعجم لعُبَيْد الله ياقوت (٧) ما نصُّه : فأمّا أباءة فذهب ابو بكر محمدُ بن السَّريّ فيما حدّثني به ابو عليّ عنه ، الى أنها من ذوات الياء ، من أبَيْتُ ، فأصلُها عنده أبايَةٌ ، ثُمّ عُمِل فيها ما عُمِل في عَبايَة وسَلايَة وعَظايَة ، حتى صِرْنَ عَباءةً وصَلاءة وعَظاءة في قَوْل من همَزَ ، ومن لم يهمِزْ أخرجهنّ على أُصولهنّ ، وهو القياس القويُّ(٨) . وانما حَمَل أبا بكرٍ على هذا الاعتقاد في أباءةٍ أنّها من أبَيْتُ : وذلك أن الأباءة هي الأجَمَة ؛ وهي القَصَبَة ؛ والجمع بينها وبين أبَيْتُ أن الأجَمة ممتنعةٌ بما ينبت فيها من القصب وغيره ؛ من السُّلوك والتطرُّق ، وخالفتْ بذلك حُكْمَ البَرّاح والبَرّاز ؛ وهو النَّقيُّ من الأرض ، فكأنها أبَتْ وامتنعت على سالكها ، فمن هنا حَمَلها ابو بكر على أبَيْتُ . وسيأتي المَزيدُ لذلك في أشى .

(وأبَأْتُه بسَهمٍ : رَمَيْتُه به) ، فالهمزة فيه أصليّة ، بخلاف أثَأْتُه ، كما سيأتي » .

(القاموس وتاج العروس)

---

(٧) معجم البلدان : ١/٢٥٢ .

(٨) كذا في تاج العروس ، ولكنه في معجم البلدان : (وهو القياس اللغوي).

(أ ب ب)

« تقول للرَّجل اذا تَجَهَّزَ وتَهَيَّأَ وحانَ منه المَسيرُ : قد أبَّ يَؤُبُّ أبَاباً ، قال :

أخٌ قد طوى كَشْحاً وأبَّ لِيَذْهبا (٩)

(العين) (١٠)

* * *

« قد أبَّ فلانٌ لِيَذْهَبَ يَئِبُّ أبابَةً : أي أزْمَعَ » .

(الجيم)

١/ ٥٨

* * *

« الأبُّ : المَرْعى ، قال اللهُ عزَّوجلَّ : (وفاكِهةً وأبّا) (١١) ، قال الشاعر :

جِذْمُنا قَيْسٌ ونَجْدٌ دارُنا ولنا الأبُّ بها والمَكْرَعُ

وأبَّ أبّاً للشَّيْءِ : اذا تَهَيَّأَ له أو هَمَّ به ، قال الأعشى يَذْكُرُ قَوْماً نَزَلَ فيهم فخانُوه :

صَرَمْتُ ولم أصْرِمْكُمُ وكصارِمٍ أخٌ قد طَوى كَشْحاً وأبَّ لِيَذْهبا

والأبُّ : النِّزاعُ الى الوَطَن ، قال هِشامُ بن عُقْبَةَ أخو ذي الرُّمَّةِ :

وأبَّ ذو المَحْضَرِ البادي أبَابَتَهُ وقَوَّضَتْ نِيَّةٌ أطنابَ تَخْييمِ

وأبَّ الرَّجُلُ الى سَيْفِه : اذا رَدَّ يَدَه اليه لِيَسْتَلَّه » .

(الجمهرة)

١/ ١٣—١٤

* * *

---

(٩) البيت للاعشى ، وهو في ديوانه : ٩ ، وسيرد صدره فيما يأتي .

(١٠) سقطت هذه الفقرة بكاملها من العين المطبوع .

(١١) سورة عبس /٣١

« قال ابو عُبَيْدة : أبَبْتُ أؤُبُّ أبّاً : اذا عزمتَ على المَسِير وتَهَيَّأْتَ ، قال الأعشى :

أخٌ قد طَوى كَشْحاً وأبَّ لِيَذْهَبا ... صَرَمْتُ ولم أصْرِمْكُمُ وكصارِمِ

وأخْبَرَني المُنذِريُّ عن ثَعْلب عن ابن الأعرابيّ قال : يُقال للظَّبْاء(١٢): إنْ أصابَت الماءَ فلا عَبَاب وإنْ لم تُصِبِ الماءَ فلا أبَاب : أي لم تَأْتَبَّ له ولم تَتَهَيَّأْ لَطَلَبِه .

وقَولهُ تعالى : (وفاكِهةً وأبّا) قال الفَرّاء : الأبُّ ما تَأْكُلُه الأنْعامُ . وقال الزَّجّاجُ : الأبُّ جَميعُ الكلأ الذي تَعْتَلِفُه الماشِيةُ . وقال عَطاء : كُلُّ شَيْءٍ يَنْبُتُ على وَجْهِ الأرض فهو الأبُّ . وقال مُجاهِد : الفاكهةُ ما أكَلَه الناسُ ؛ والأبُّ ما أكَلَتِ الأنعامُ . وأنْشَدَ بعضهم :

جِذْمُنا قَيْسٌ ونَجْدٌ دارُنا ... ولنا الأبُّ به و المَكْرَعُ

ثَعْلب عن ابن الأعرابيّ : أبَّ اذا حَرَّكَ .

وأبَّ : اذا هَزَمَ بحَمْلةٍ لا مَكْذُوبَةَ فيها .

المَيْث : يُقال أبَّ فلانٌ يَدَه الى سَيْفِه : أي رَدَّ يَدَهُ لِيَسْتَلَّه » .

(التهذيب)
٥٩٩/١٥

* * *

« الأبُّ : الكَلأُ ، بوَزْنِ فَعْلٍ .

وطَبَبْتُ الشَّيْ وانْتَبَبْتُه : أي الْتَمَسْته وقَصَدْته . وأبَبْتُ أبَّ الشَّيْ : قَصَدْت قَصْدَه ، وتَأبَّبْتُ أبَّتَه وأبَابَتَه : بمعناه .

وأخَذْتُ للأمر إبَابَتَه : أي أُهْبَتَه وعَتَادَه .

---

(١٢) هذا القول مثل ، ونصه في مجمع الامثال : ١٩٥/٢ (لا عباب ولا اباب).

وتقول العربُ : اذا وَرَدَتِ الماءَ فلا عَبَاب واذا لم تَرِدْ فلا أبَابَ : أي لا تَثِبَّ لِطَلَبِه ولا تَهَيَّأْ .

وانْتَبَّ فلانٌ الى فلان : اشْتَاقَ اليه ، وأبَبْتُ اليه إبَابَةً .

ووَجَدْتُ القَوْمَ على إبَّةٍ : أي اسْتَتَبَّ لهم أمرُهم .

وأتانا في إبَّانِ كذا : أي حِيْنِه وزَمَانِه .

وتَأَبَّبْتُ به : أي تَبَجَّحْتُ وتَعَجَّبْتُ .

وأبَّبَ القَومُ : صاحُوا ، وهو الأَبَبُ » .

(المحيـط)

• • •

« اعْلَمْ انَّ للهَمْزَة والباء في المضاعف أصْلَيْنِ : أحَدُهما المَرْعى ، والآخر القَصْدُ والتَّهَيُّؤ .

فأمّا الأوّل فَقَوْلُ الله عزَّ وجَلَّ : (وفاكِهَةً وأبّا) ، قال ابو زَيْد الأنصاريُّ : لم أسْمَعْ للأَبِّ ذِكْراً الاّ في القُرآن ، قال الخليلُ وابو زَيْد: الأبُّ المَرْعى – بوَزْن فَعْل – ، وأنْشَدَ ابنُ دُرَيْدٍ :

جِذْمُنا قَيْسٌ ونَجْدٌ دارنا
ولنا الأبُّ به والمَكْرَعُ

وأنْشَدَ شُبيلُ بن عَزْرَةَ لأبي دُوَاد :

يَرْعى بِرَوْضِ الحَزْنِ من أبِّه
قُريانه في عانَةٍ تصحبُ (١٣)

أي تحفظ ، يقال : صَحِبَكَ اللهُ أي حَفِظَكَ . قال ابو اسحاق الزَّجّاج : الأَبُّ جميعُ الكَلأ الذي تعتلفه الماشيةُ ، كذا رُوِيَ عن ابن عبّاس – رَضِي الله عنه – . فهذا أصْل .

---

(١٣) ورد البيت في مجموع شعر ابي دواد – دراسات في الادب العربي : ٢٩٦ – منقولا عن المقاييس .

وأمّا الثاني فقال الخليلُ وابنُ دريد : الأبُّ مَصْدَرُ أبَّ فلانٌ الى سَيْفِه: اذا رَدَّ يَدَه اليه لِيَسْتَلَّه . الأبُّ في قَوْل ابنِ دُرَيْد : النِّزَاعُ الى الوَطَن . والأبُّ في رِوَايتهما : التَّهَيُّؤُ للمَسِير .

وقال الخليلُ وحده : أبَّ هذا الشَّيْءُ اذا تَهَيَّأَ واستقامَتْ طَرِيقَتُه ؛ أبَابَةً ، وأنْشَدَ للأعشى :

صَرَمَتْ ولم أصْرِمْكُمُ وكصارِمٍ
أخٌ قد طوى كَشْحاً وأبَّ لِيَذْهَبا

وقال هشام بن عُقبة في الأبَابَة :

وأبَّ ذو المحضَرِ البادي أبَابَتَهُ
وقَوَّضَتْ نِيَّةٌ أطنابَ تَخْيِيمِ

وذكر ناسٌ أنَّ الظِّباء لا تَرِدُ ولا يُعْرَفُ لها وِرْدٌ ، قالوا : ولذلك قالت العربُ في الظِّباء : إنْ وَجَدَتْ فلا عَبَابَ وإنْ عَدِمَتْ فلا أبابَ : معناه إنْ وَجَدَتْ ماءً لم تَعُبَّ فيه ؛ وإنْ لم تَجِدْه لم تَأْبُبْ لطَلَبِه . واللهُ أعْلَمُ بصحَّة ذلك .

والأَبُّ : القَصْدُ ، يُقال : أبَبْتُ أبَّهُ وأمَمْتُ أمَّهُ وحَمَمْتُ حَمَّهُ وحَرَدْتُ حَرْدَه وصَمَدْتُ صَمْدَه ، قال الراجزُ يَصِفُ ذِئباً :

مَرَّ مُدِلٍّ كرِشاءِ الغَرْبِ
فأبَّ أبَّ غَنَمي وأبِّي

أي قَصَدَ قَصْدَها وقَصْدي » .

(المقاييس)

• • •

« الأَبُّ : المَرْعى ، قال اللهُ تعالى : (وفاكِهَةً وأبّا) .
ابو عمرو : الأَبُّ : النِّزَاع الى الوَطَن .

ابو زَيْد : أبَّ يَؤُبُّ أبّاً وأبَاباً وأبَابَةً : تَهَيَّأ للذهاب وتَجَهَّزَ ، يقال : هو في أبَابِهِ اذا كان في جهازِه . وقال الأعشى :

أخٌ قد طوى كَشْحاً وأبَّ لِيَذْهَبَا

(الصحاح)

• • •

« اطْلُبِ الأمْرَ في إبّانِه وخُذْهُ برُبّانِه : أي أوّله . وأنْشَدَ ابنُ الأعرابيِّ :

قد هَرَّمَتْني قَبْلَ إبّانِ الهَرَمْ
وَهِيَ اذا قلتُ : كُلِي ، قالتْ : نَعَمْ
صحيحةُ المِعْدَةِ من كلِّ سَقَمْ
لو أكَلَتْ فِيلَيْنِ لم تَخْشَ البَشَمْ

وأبَّ للمَسِير : اذا تَهَيَّأ له وتَجَهَّزَ ، قال الأعشى :

صَرَمْتَ ولم أصْرِمْكُمُ وكصارِمٍ
أخٌ قد طوى كَشْحاً وأبَّ لِيَذْهَبَا

وتقول : فلانٌ راعَ له الحَبُّ وطاعَ له الأبُّ : أي زَكا زَرْعُه واتَّسَعَ مَرْعاه » .

(أساس البلاغة)

• • •

« اليَزِيْديُّ : الأبُّ : المَرْعى ، قال اللهُ تعالى : (وفاكِهَةً وأبّا) . وقال غيرُه : الأبُّ للبهائم كالفاكِهَةِ للناس . وقال شَمِرٌ : الأبُّ مرْعى للبهائم ، وأنْشَدَ :

فأنْزَلْتَ ماءً من المُعْصِراتِ
فَأنْبَتَّ أبّاً وغُلْبَ الشَّجَرْ

والأبُّ ــ أيضاً ــ : النِّزَاعُ الى الوَطَن .

ابو زَيْدٍ : أبَّ يَؤُبُّ أبّاً وأبَاباً وأبَابةً : تَهَيَّأ للذَّهاب وتَجَهَّز ، يقال : هُوَ في أبَابِه اذا كانَ في جَهازِه ، قال الأعشى :

صَرَمْتُ ولـم أصْرِمْكُمُ وكصارِمٍ
أخٌ قد طوى كَشْحاً وأبَّ لِيَذْهَبا

ابنُ الأعرابيِّ : أبَّ اذا حَرَّكَ .

وأبَّ : اذا هَزَمَ بحَمْلةٍ لا مَكْذُوبَةَ فيها .

وأبَّ الرَّجُلُ بِيَدِه الى سَيْفِه : اذا رَدَّ يَدَه لِيَسْتَلَّه .وقال قَوْمٌ : انَّما هو آبَ ـ بالمَدِّ ـ ، وليس بثَبَتٍ

والأبُّ : الخَصْرُ ؛ في لُغَةِ هُذَيْلٍ .

وأبَّةُ : اسْمُ رَجُلٍ ، وبه سُمِيَتْ أبَّةُ العُلْيا وأبَّةُ السُّفلى ؛ وهما قَرْيَتانِ من لَحْجٍ ، كما سُمِّيَتْ أبْيَنُ بأبْيَنَ بن زُهَيْرٍ .

وأبَّ أبَّهُ : أي قَصَدَ قَصْدَه .

وإبٌّ ـ بالكَسْرِ ـ : قَرْيَةٌ من قُرى اليَمَنِ ؛ من مِخْلافِ جَعْفَرٍ .

وإبّان ـ مِثالُ صِلِّيان ـ : ضَيْعَةٌ في جِوارِ قَبْرِ يُونُسَ بن مَتّى صَلَواتُ اللهِ عليه .

وأُبَّةُ ـ بالضَّمِّ ـ : مَدِينةٌ بافْرِيْقِيَةَ ، واليها يُنْسَبُ عبدُ الرَّحمن ابن عبدالمُعْطي بن أحمد الأنصاريُّ الأُبِّيُّ .

والأُبَابُ ـ بالضَّمِّ ـ : مُعْظَمُ السَّيْلِ والمَوْجِ ؛ كالعُبَاب ، وقيل انَّ الهَمْزَةَ فيه مُبْدَلَةٌ من العَيْنِ ، قال :

أُبَابُ بَحْرٍ ضاحِكٍ هَزُوْقِ

وأبَّبَ : صاحَ .

وائْتَبَّ : اشْتَاقَ .

وتأبَّبَ به : تعجَّبَ به وتبجَّحَ .

والتَّركيبُ يدلُّ على المَرْعى وعلى القَصْدِ والتَّهيُّؤ » .

(العباب)

• • •

« الأبُّ : الكَلأ ، وعبَّرَ بعضُهم عنه بأنَّه المَرْعى . وقال الزَّجّاجُ : الأَبُّ جميعُ الكَلأ الذي تعْتَلِفُه الماشية ، وفي التَّنزيل العزيز : (وفاكهةً وأبّا) ، قال ابو حنيفة (١٤) : سَمّى اللهُ تعالى المَرْعى كُلَّه أبّا . قال الفرّاء (١٥) : الأبُّ ما يأْكُلُه الأنعامُ . وقال مُجاهد : الفاكهة ما أكَلَه الناسُ والأبُّ ما أكلتِ الأنعامُ ، فالأبُّ من المَرْعى للدَّوابِّ كالفاكهة للانسان . وقال الشاعر :

جِذْمُنا قَيْسٌ ونَجْدٌ دارُنا
ولنا الأَبُّ به و المَكْرَعُ

قال ثَعْلب : الأبُّ كُلُّ ما أخْرَجَتِ الأرض من النَّبات . وقال عَطاء : كُلُّ شَيْءٍ يَنْبُتُ على وَجْه الأرض فهو الأبُّ . وفي حَديثِ أنس : انَّ عُمَرَ بن الخَطّاب ــ رضي اللهُ عنهما ــ قَرَأَ قَوْلَه عزَّوجلَّ : (وفاكهة وأبّا) وقال : فما الأبُّ ؟ ثم قال : ما كُلِّفْنا وما أُمِرْنا بهذا .

والأبُّ : المَرْعى المُتَهَيِّئُ للرَّعْي والقَطْع ، ومنه حَديثُ قُسٍّ بن ساعِدَة : فَجَعَل يَرْتَعُ أبّاً وأصِيْدُ ضَبّاً .

وأب للسَّيْر يَئِبُّ ويَؤُبُّ أبّاً وأبِيباً وأبابَةً : تهيَّأ للذَّهاب وتَجَهَّزَ ، قال الأعشى :

---

(١٤) النبات : ٣٨/٥

(١٥) معاني القرآن : ٢٣٨/٣ .

صَرَمْتُ ولم أصْرِمْكُمُ وكصارِمٍ
أخٌ قد طوى كَشْحاً وأبَّ لِيَذْهَبا

أي صَرَمْتُكم في تَهَيُّئي لمُفارَقَتِكم ، ومَنْ تَهَيَّأ للمُفارقة فهو كَمَنْ صَرَمَ . وكذلك ائْتَبَّ . قال ابو عُبَيْد : أبَبْتُ أؤُبُّ أبّاً : اذا عَزَمْتَ على المَسِير وتَهَيَّأْتَ .

وهو في أبَابِهِ وإبَابَتِه وأبَابَتِه : أي في جَهازِه .

التَهذيبُ : والوَبُّ التَهَيُّؤ للحَمْلة في الحَرْب ، يُقال : هَبَّ ووَبَّ اذا تَهَيَّأَ للحَمْلة ، قال ابو مَنْصُور : والأصْلُ فيه أبَّ ؛ فَقُلِبَتِ الهَمْزَةُ واواً .

ابنُ الأعرابيِّ : أبَّ اذا حَرَّكَ .

وأبَّ : اذا هَزَمَ بحَمْلةٍ لا مَكْذُوبَةَ فيها .

والأَبُّ : النِّزاع الى الوَطَن ، وأبَّ الى وَطَنِه يَؤُبُّ أبّاً و أبَابَةً وإبَابَةً : نَزَعَ . والمَعْروف عند ابنِ دُرَيْدٍ الكَسْرُ ، وأنشد لهشامٍ أخي ذي الرُّمَّة :

وأبَّ ذو المَحْضَرِ البادي إبَابَتَهُ
وقَوَّضَتْ نِيَّةٌ أطنابَ تَخْيِيمِ

وأبَّ يَدَه الى سَيْفِه : رَدَّها اليه لِيَسْتَلَّه .

وأبَّتْ أبابَةُ الشيِّ وإبَابَتُه : اسْتَقامَتْ طَرِيقَتُه .

وقالوا للظباء : إنْ أصابَتِ الماءَ فلا عَبَاب ؛ وإنْ لم تُصِبِ الماءَ فلا أبَابَ : أي لم تَأْتَبَّ له ولا تَتَهَيَّأ لطَلَبِه .

والأُبَابُ : الماءُ والسَّرَابُ ؛ عن ابنِ الأعرابيِّ ، وأنْشَدَ :

قَوَّمْنَ ساجِـاً مُسْتَخَفَّ الحِمْلِ

تَشُقُّ أَعْرَافَ الأُبَـابِ الحَفْلِ (١٦)

أخْبَرَ أنَّها سُفُنُ البَرِّ .

وأُبَابُ الماءِ : عُبَابُه ، قال :

أُبَابُ بَحْرٍ ضاحِكٍ هَزُوْقِ

قال ابنُ جِنّي : ليست الهَمزةُ فيه بَدَلاً من عَيْنِ عُبَاب وإنْ كُنّا قد سَمِعْنا ، وانَّما هو فُعَالٌ من أبَّ اذا تَهَيَّأ .

واسْتَئَبَّ أبّاً : اتَّخِذْهُ ، نادِرٌ ،عن ابن الأعرابيّ ، وانَّما قِيَاسُه اسْتَأْبِ » .

(لسان العرب)

• • •

« الأبُّ : المَرْعى الذي لم يَزْرَعْه الناسُ مِمّا تَأْكُلُه الدَّوابُّ والأنعامُ .

ويُقال : الفاكهة للناس والأبُّ للدَّوابِّ .

وقال ابنُ فارِس : قالوا أبَّ الرَّجُلُ يَؤُبُّ أبّاً وأبَاباً وأبَابَةً —بالفتح— اذا تَهَيَّأ للذَّهاب ،ومن هنا قيل : الثَّمَرَةُ الرَّطبةُ هي الفاكهةُ واليابِسُ منها الأبُّ ، لأنَّه يُعَدُّ زاداً للشِّتاء والسَّفَر . فَجَعَل أصْلَ الأبِّ الاسْتِعداد .

والإبّانُ — بكَسْرِ الهمْزَةِ والتَّشديد — : الوَقْتُ ، انما يُسْتَعْمَل مُضافاً ، فيُقال : إبّانُ الفاكهةِ أي أوانُها ووَقْتُها ، ونُونُه زائدةٌ من وَجْهٍ فَوَزْنُه فِعْلان ، وأصليَّةٌ من وَجْهٍ فوزنُه فِعّال » .

(المصباح المنير)

• • •

---

(١٦) المشطوران لرؤبة ، وهما في ديوانـــه : ١٣٠ ، ورواية الثاني فيه : (تنشق اعراف الاباب الجفل) .

(الأَبُّ : الكَلأ) وهو العُشبُ رَطْبُه ويابِسُه (أو المَرْعى) كما قاله ابنُ اليَزيديِّ ، ونَقَلَه الهَرَويُّ في غَريبه ، وعليه اقْتَصَرَ البَيْضاويُّ والزَّمَخْشَريُّ . وقال الزَّجّاجُ : الأَبُّ جَميعُ الكلأ الذي تَعْتَلِفُه الماشيةُ . وفي التَّنزيل العزيز : (وفاكهةً وأبّا) قال ابوحَنيفةَ : سمّى اللهُ تعالى المَرْعى كلَّه أبّا . قال الفَرّاءُ : الأبُّ ما تَأْكُلُه الأنعامُ . وقال مُجاهِد : الفاكهة ما أكَلَه الناسُ والأَبُّ ما أكَلَتِ الأنعامُ ، فالأبُّ من المَرْعى للدَّوابِّ كالفاكهة للانسان .

قال الشاعر :

جِذْمُنا قَيْسٌ ونَجْدٌ دارُنا
ولنا الأبُّ به والمَكْرَعُ

(أو) كلُّ (ما أنْبَتَتِ الأرْضُ) أي ما أخْرَجَتْه من النَّبات ، قاله ثَعلبٌ . وقال عَطاء : كلُّ شَيْءٍ يَنْبُتُ على وَجْهِ الأرض فهو الأبُّ (والخَضِرُ) من النَّبات . وقيل : التِّبْنُ ؛ قاله الجَلالُ ، أي لأنَّه تَأْكُلُه البَهائمُ . هكذا في النسخ : والخَضِرُ ـ ككَتِفٍ ـ ، وعليه شرح شيخنا ، وهو غَلَطٌ ، والصَّوابُ : الخَصْرُ ـ بالصاد المُهْمَلة الساكنة ـ كما قَيَّدَه الصاغانيُّ ، ونَسَبَه لهُذَيلٍ . وفي حَديث أنسٍ : أنَّ عُمَرَ بن الخطّاب ـ رضي اللهُ عنهما ـ قَرأ قَوْلَه عزَّ وجلَّ : (وفاكهةً وأبّا) وقال : فما الأبُّ ؟ ثم قال : ما كُلِّفْنا أو ما أُمِرْنا بهذا .

والأبُّ : المَرْعى المُتَهَيِّءُ للرَّعْيِ والقَطْع ، ومنه حديث قُسٍّ بن ساعِدَةَ : فَجَعَل يَرْتَعُ أبّاً وأصِيْدُ ضَبّاً . وفي الأساس : وتقول : فلانٌ راعَ له الحَبُّ وطاع له الأبُّ : أي زكا زَرْعُه واتَّسَعَ مَرْعاه .

والأبُّ ـ بالتَّشديد ـ : لُغَةٌ في الأَبِ ـ بالتَّخفيف ـ بمعنى الوالد، نقله شيخنا عن ابن مالك في التَّسهيل ، وحكاه الأزهريُّ في التَّهذيب وغيرهما.

وقالوا: اسْتَأْبَبْتَ فلاناً – ببائَيْن – : أي اتَّخذْته أباً ، نَبَّهَ على ذلك شيخُنا مُسْتَدْرَكاً على المصنف . قلتُ : انَّما لم يذكُرْهُ لنُدْرَتِه ومخالفتِه للقياس ، قال ابنُ الأعرابيِّ : اسْتَأْبَبَّ أباً : اتَّخذَهُ ، نادِرٌ ، وانما قياسُه اسْتَأْبَبِ .

(و) آبٌّ : (بَلَدٌ باليَمَن) ، قال ابو سَعْدٍ : بُلَيْدَةٌ باليَمَن يُنْسَبُ اليها ابو محمدٍ عبدُ الله بن الحَسَن بن الفَيّاض الهاشميّ . وقال أبو طاهر السِّلَفيُّ : هي بكَسْر الهمزة ، قال : سَمِعْتُ أبا محمَّدٍ عبدَ العزيز ابن موسى بن مُحَسِّن القَلَعيَّ يقول : سمعتُ عُمَرَ بن عبدالخالق الإبِّيَّ يقول : بَنَاتي كُلُّهُنَّ حِضْنَ لِتِسْعِ سِنِين ، كذا في المُعْجَم . قلتُ : ونُسِبَ اليها – أيضاً – الفَقِيهُ المُحَدِّثُ ابو العَبّاس أحمد بن سلمان بن أحمد بن صبرة الحميريُّ ، مات سنة ٧٢٨ ، وَلِيَ قضاءَ مدينة أبّ ، تَرْجَمَه الجنديُّ وغيره .

(و) إبٌّ (– بالكَسْر – : قَرْيَةٌ باليَمَن) من قُرى ذي جَبَلَةَ ؛ قال ابو طاهر ، وكذا يقوله أهلُ اليمن بالكَسْر ، ولا يعرفون الفتحَ ، كذا في المعجم . وقال الصاغاني : هي من مِخْلافِ جَعْفَر .

(وأبَّ للسَّيْرِ يَئِبُّ) بالكَسْر على القياس في المُضَعَّف اللازم ، (ويَؤُبُّ) بالضَّم على خِلافِ القِياس ، واقْتَصَرَ عليه الجوهريُّ ، وتبعه على ذلك ابنُ مالك في لاميَّة الأفعال ، واستدركه شيخُنا في حواشي ابن الناظِم على أبيه انَّه جاء بالوجهين فالأَوْلى ذِكْره في قِسْم ما وَرَدَ بالوَجْهَيْنِ ، (أبّاً وأبِيباً) على فَعِيلٍ (وأبَاباً) كسَحَاب (وأبَابَةً) كسَحَابَةٍ : (تَهَيَّأَ) للذَّهاب وتَجَهَّزَ ، قال الأعشى :

صَرَمْتُ ولم أصْرِمْكُمُ وكصارِمٍ
أخٌ قد طَوى كَشْحاً وأبَّ ليَذْهَبا

أي صَرَمْتُكم في تَهَيُّئي لمفارقتكم ، ومَنْ تَهَيَّأ للمُفارقة فهو كَمَنْ صَرَمَ . قال ابو عُبَيْد : أَبَبْتُ أَؤُبُّ أَبّاً : اذا عَزَمْت على المَسير وتَهَيَّأت (كَانْتَبَّ) من بابِ الافْتِعال .

(و) أبَّ (الى وَطَنِه) يَؤُبُّ (أَبّاً وإبَابَةً) ككِتابةٍ (وأبَابَةً) كسَحابَةٍ وأبَاباً كسَحَابٍ أيضاً : (اشْتَاقَ) . والأبُّ : النِّزاع الى الوَطَن ، عن ابي عمرو ، قاله الجوهريُّ ، والمعروفُ عِنْدَ ابنِ دُرَيْدٍ : يَئِبُّ ـ بالكَسْر ـ ، وأنْشَدَ لهِشامٍ أخي ذي الرُّمَّة :

وأبَّ ذو المَحْضَرِ البادي أبابَتَهُ
وقَوَّضَتْ نِيَّةٌ أطنابَ تَخْيِيـــمِ

(و) أبَّ (يَدَه الى سَيْفِه : رَدَّها لِيَسُلَّه) ، وفي بعض النُّسَخ : لِيَسْتَلَّه ، وذَكَرَه الزَّمخْشري في آبَ ـ بالمَدِّ ـ ، وقال الصاغانيُّ : وليس بثَبَتٍ .

(وهو في أبَابِه) ـ بالفَتْح ـ وأبَابَتِه : أي (في جَهَازِه) بفتح الجيم وكَسْرِها .

(وأبَّ أبَّهُ) : أي (قَصَدَ قَصْدَه) ، نَقَلَه الصاغاني . (وأَبَّتْ أَبَابَتُه) بالفتح (ويُكْسَر) : أي (اسْتقامَتْ طَرِيْقَتُه) ، فالأَبَابَةُ بمعنى الطَّرِيقة .

(والأَبَابُ) ـ بالفتح ـ : (الماءُ ، والسَّرَابُ) عن ابن الأعرابيِّ ، وأنْشَدَ :

قوَّمْنَ ساجاً مُسْتَخَفَّ الحمْلِ
تَشُقُّ أعْرافَ الأَبابِ الحَفْـلِ

أخْبَرَ أنَّها سُفُنُ البَرِّ .

(و) الأُبَابُ (بالضَّمِّ) : مُعْظَم السَّيْلِ ، والمَوْجُ) كالعُبَاب ، قال :

أُبَابُ بَحْرٍ ضاحِكٍ هَزُوْقِ

قال شيخنا : صرّحَ ابو حيّان وتلميذُه ابنُ أمِّ قاسم أنَّ همزتَها بدَلٌ من العَيْن ؛ وأنها ليستْ بلُغَةٍ مُستقلَّة . انتهى ، وأنكرَه ابنُ جنّي فقال : ليست الهمزةُ فيه بدَلاً من عَيْن عُبَاب وإنْ كُنّا قد سَمِعْنَاه ، وانّما هو فُعَال من أبَّ اذا تَهيَّأَ .

قُلْتُ : ومن الأمثال : وقالوا للظَّبَاء : إنْ أصَابَتِ الماءَ فلا عَبَابَ وإنْ لم تُصِبِ الماءَ فلا أبَابَ : أي لم تَأْتَب له ولا تَتَهيَّأْ لطَلَبِه . راجِعْه في مجمع الامثال .

وفي التَّهذيب : الوَبُّ التَّهيُّؤ للحَمْلَة في الحرب ، يُقال : هَبَّ ووَبَّ اذا تَهيَّأَ للحَمْلة ، قال ابو منصور : الأصْلُ فيه أبَّ ؛ فقُلِبَتِ الهمزةُ واواً .

(و) عن ابن الأعرابيِّ : (أبَّ :) اذا (هَزَمَ بحَمْلَةٍ) — وفي بعض النُّسَخ : بجُمْلَةٍ ، وهو خَطَأٌ — (لامَكْذُوْبَةَ) بالنَّصْب ؛ وهو مَصْدَرُ كَذَبَ (فيها) أي الحَمْلَة .

(وأَبَّةُ : اسْمٌ) أي عَلَمٌ لِرَجُلٍ ؛ كما هو صَنِيْعُه في الكتاب ، فانَّه يُريد بالاسم العَلَمَ ، (وبه سُمِّيَتْ أَبَّةُ العُلْيا) أبَّةُ (السُّفلى) ، وهما (قَرْيَتَانِ بلَحْجٍ) بفَتْحٍ فسكون ؛ بَلْدَةٌ بعَدَنِ أبْيَنَ من اليَمَن ؛ أي كما سُمِّيَتْ أَبْيَن بأبْيَنَ بن زُهَيْرٍ .

(و) أبَّةُ (— بالضَّمِّ — : بَلَدٌ بافْرِيقِيَةَ) بينها وبين القَيْرَوان ثلاثَةُ أيّام ، وهي من ناحيـة الأَرْبُسِ ، موصوفةٌ بكثرة الفَواكِهِ وإنْبَاتِ الزَّعفران ، يُنْسَب اليها ابو القاسم عبدالرحمن بن عبد المُعْطي بن أحمـد الأنصاريُّ ، رَوى عن ابي حَفْص عُمَرَ بن اسماعيل البَرْقيِّ ، كَتَبَ عنه ابو جعفر أحمد بن يحيى الجارُوْديُّ بمصر . وابو العَبّاس أحمد بن محمد الأُبِّيُّ ، أديبٌ شاعرٌ ، سافَرَ الى اليمَن ولقي الوَزيرَ العَبْديَّ ، ورَجَعَ الى مِصْرَ فأقامَ بها الى أنْ ماتَ في سنة ٥٩٨ ، كذا في المعجم .

قلتُ : أمّا عبد الرّحمن بن عبد المُعْطي المذكورُ فالصّواب في نسبته الأُبَيّي ؛ منسُوب الى جدّه أُبَيّ ، نبّه على ذلك الحافظُ ابنُ حَجَر .

ومِمّن نُسِبَ اليها من المُتأخّرين : الإمامُ ابو عبدالله محمدُ بن خليفة التُّونسيّ الأُبّيّ ، شارحُ مُسْلِم ، تلميذُ الإمام ابن عَرَفَة ، ذكَرَه شَيْخُنا .

(وأبَّبَ) : اذا (صاحَ) ، والعامّة تقول هَبَّبَ .

(وتَأَبَّبَ به) : أي (تَعَجَّبَ وتَبَجَّحَ) ، نقله الصاغانيُّ .

(وأبَى) بفَتْح الهمزة وتشديد الباء والقَصْرِ (كحَتّى : نَهرٌ بين الكُوفة و) بين (قَصْرِ) ابنِ هُبَيْرَةَ (بني مُقاتِل) ، هكذا في النُّسَخ ، وصَوابُه « ابنِ مُقاتِل » ، وهو ابنُ حَسّان بن ثَعْلَبَة بن أوْس بن ابراهيم بن أيُّوب التَّيْمِيّ ، من زَيْدِ مَنَاةَ ، وسيأتي ذِكْرُه ، (يُنْسَبُ الى أبَى بن الصّامَغان من مُلُوك النَّبَط) ذَكَرَه الهَيْثَمُ بن عَدِيّ . (ونَهرٌ) من أنهار البَطِيحَة (بواسِطِ العِراقِ) وهو من أنهارِها الكبار . (و) وَرَدَ في الحَدِيث عن محمد بن إسحاقَ عن معبد بن كَعْب بن مالكٍ قال : لمّا أتى النَّبيُّ — صلّى اللهُ عليه وسلّم — بَني قُرَيْظَةَ ، ونَزَل على بِئْرٍ من أبْيارِهم في ناحِيَةٍ من أمْوالهم ، يُقال لها بِئْرُ أبَى ، وهي (بِئْرٌ بالمَدِينَة) ، قال الحازِميُّ : كذا وَجَدْتُه مَضْبُوطاً مُجَوَّداً بخَطّ أبي الحَسَنِ ابن فُرَات ، (أوْهِيَ) — وفي نُسْخَة : هُوَ — (أنَا — بالنُّونِ مُخَفَّفَةً — كهُنَا) ، قال الحازِميُّ : كذا سمعتُه من بعض المُحَصِّلِين . كذا في المُعْجَم ، وسيأتي ذِكْرُه في مَحَلّه ، إنْ شاء اللهُ تعالى .

ومِمّا يُسْتَدْرَكُ عليه :

أبَّ : اذا حَرَّكَ ، عن ابنِ الأعرابيّ .

وائْتَبَّ : اذا اشْتَاقَ .

وأبَى بنُ جَعْفَر النَّجِيرَمي : مُحَدِّثٌ ضَعِيفٌ .

وسالِمُ بن عبدالله بن أبَى : أنْدلسِيٌّ ، رَوى عن ابن مُزَينٍ ، وسيأتي في آخرِ الكتاب » .

(القاموس وتاج العروس)

• • •

(من فوائد المقارنة)

في أ ب ب

١ — ورد في « العين » عجزُ بيتٍ لم يُسَمَّ قائله ولم يُذكَر صدره . ثم ورد بتمامه معزوّاً للأعشى في « الجمهرة » وما تلاها .

٢ — لم يرد المصدر (أبّاً) في العين . وقد ورد في الجمهرة والتهذيب وما بعدهما .

٣ — لم يرد المصدر (أبابَةً) في العين والجمهرة والتهذيب . وقد ورد في الجيم والمحيط وما بعدهما .

٤ — لم يرد المصدر (إبّابَةً) الاّ في المحيط واللسان والقاموس .

٥ — ورد شاهد من الشِّعر في الجمهرة جاء فيه : (ولنا الأب بها والمكرعُ) ، ورواية المعجمات الاخرى التالية للجمهرة : (الأبُّ به) .

٦ — وردت في أول هذا التركيب معلومة مرويَّة عن ابي عبيدة ، ولكنه في اللسان : ابو عبيد .

٧ — ورد في التهذيب مَثَلٌ نصُّه : (إنْ أصابت الماءَ فلا عباب وإن لم تُصِب الماءَ فلا أباب) ، وبهذا النصِّ أيضاً في اللسان والتاج ، ولكنه بنصٍّ آخر في المحيط والمقاييس .

٨ — ورد في التهذيب نصٌّ منقول من العين لم يرد في مطبوع العين ، وورد النصُّ كذلك في الجمهرة ولكنه بلا عزو ، وأورد ابنُ فارس النصَّ نفسه في المقاييس وعزاه الى الخليل وابن دريد . ونستطيع روايةً عن التهذيب والمقاييس أن نستدركه على العين المطبوع .

٩ — روى ابن فارس في المقاييس تفسير الأبِّ عن الخليل ، ولم يرد في العين المطبوع .

١٠ — ورد في المحيط ذِكْرُ (إبّان كذا أي حينه وزمانه) ، ولم يذكره مَنْ سبقه ومن عاصره في هذا التركيب ، بل لم يذكره من المتأخرين عنه سوى الزمخشري في الأساس والفيومي في المصباح .

• • •

(أ ب ت)

« آبِتُونَ : اذا كانوا في حَرّ » .

(الجيم)

١ / ٥٧

• • •

« أبِتَ يَوْمُنا يَأْبَتُ أبَتاً : اذا اشْتَدَّ حَرُّه ، فهو أبِتٌ وأبْتٌ وآبِتٌ » .

(الجمهرة)

٣ / ١٩٩

« وتقول : أبِتَ يومُنا يَأْبَتُ أبَتاً : اذا اشتدَّ حَرُّه وغَمُّه في القَيظ ؛ فهو آبِتٌ . ويَوْمٌ أبْتٌ أيضاً » .

٣ / ٢٧٢

« وأنشد ابو حاتِم عن ابي زَيْد :

لأَنْتَ خَيْرٌ مِن غُلامٍ أبْتا
يُصبِحُ سَكرانَ ويُمسي سَبْتا

الأبْتُ : الغُلامُ الحارُّ الرَّأْسِ .

ويَوْمٌ آبِتٌ : أي حارٌّ » .

١ / ١٩٥

• • •

« ابو عُبَيْد عن الكِسائيّ : يَوْمٌ أبْتٌ ولَيْلَةٌ أبْتَةٌ ؛ وكذلك حَمْتٌ

(التهذيب)
١٤ / ٣٣٣

• • •

« يَوْمٌ أَبْتٌ ولَيْلَةٌ أَبْتَةٌ : أي شَدِيدُ الحَرِّ مَعَ سُكُونِ رِيحٍ .
وأَبِتَ من الشَّرَاب يَأْبَتُ : أي شَرِبَ حتّى يَنتَفِخ .
والمَأْبُوتُ : الذي أصابَه الحَرُّ » .

(المحيط)

• • •

« الهمزة والباء والتاء أَصْلٌ واحِدٌ ؛ وهو الحَرُّ وشِدَّتُه . قال ابنُ السِّكِّيت(١٨) وغيرُه : أَبِتَ يَوْمُنا يَأْبِتُ : اذا اشْتَدَّ حَرُّه ؛ فهو أَبِتٌ، وأنشد :

بَرْكٌ هَجُودٌ بفَلاةٍ قَفْرِ
أَحْمَى عليها الشمسَ أَبْتُ الحَرِّ

ويُقال : يَوْمٌ أَبْتٌ ولَيْلَةٌ أَبْتَةٌ ، ورَجُلٌ مَأْبُوتٌ : أَصَابَه الحَرُّ .
قال ابو عَلِيّ الأَصفهانيُّ : الأَبْتَةُ كالوَغْرَةِ من القَيْظِ » .

(المقاييس)

• • •

---

(١٧) المشطور لرؤبة في ديوانه : ٢٤ . وقال الصغاني في التكملة : « والرواية: وهجير حمت ، واما (ابت) ففي مشطور قبله بأحد عشر مشطورا ؛ وهو: وارض جن تحت حر ابت » .
(١٨) يراجع كتاب تهذيب الالفاظ : ٣٨٣ و٣٨٦ .

« ابو زَيْد (١٩) : أبِتَ يَوْمُنا ـ بالكسر ـ يَأْبَتُ : اذا اشتدَّ حَرُّه، فهو يومٌ أبْتٌ وأبِتٌ وآبِتٌ ، كلُّه بمعنىً ، قال رُؤبَة :

من سافِعاتٍ وهَجيرٍ أبْتِ

(الصحاح)

• • •

« ابو زَيْدٍ : أبِتَ يَوْمُنا ـ بالكسر ـ يَأْبَتُ : اذا اشتدَّ حَرُّه؛ فهو يَوْمٌ أبْتٌ ـ بالسكون ـ وأبِتٌ ـ مثال كَتِفٍ ـ وآبِتٌ ـ باللَّدِّ ـ ، قال رُؤبة :

وأرْض جِنٍّ تَحْتَ حَرُّ أبْتِ
لها نِعافٌ كهوادي البُخْتِ (٢٠)

ويُروى : « تَحْتَ حَرٍّ سَخْتِ » ، والسَّخْتُ : الشَّديد ، وهو ممّا وافَقَ كلامَ العَجَمِ من كلام العَرَب. ولَيْلَةٌ أبْتَةٌ وأبِتَةٌ وآبِتَةٌ . ورَجُلٌ مَأْبُوتٌ أصابَه الحَرُّ ؛ كما يُقال : رَجُلٌ محْرُورٌ . وقال ابو عَلِيٍّ الاصفهاني : الأبْتَةُ كالوَغْرَةِ من القَيْظ .

وقال الشَّيبانيُّ : أبِتَ من الشَّراب ـ بالكسر ـ : اذا انتَفَخَ ، ويقال إنَّه بالثاء المثلَّثَة ، وهو الصَّحيح .

والتَّركيبُ يَدُلُّ على الحَرِّ وشِدَّتِه » .

(العباب)

• • •

---

(١٩) يراجع كتاب الهمز : ٢٦ .

(٢٠) ديوان رؤبة : ٢٤ برواية (حر سخت) .

« أبِتَ اليومُ يَأْبِتُ ويَأْبُتُ أبْتاً وأُبُوْتاً ؛ وأبِتَ – بالكسر – : فهو أبِتٌ وآبِتٌ وأبْتٌ : كلُّه بمعنى اشتدَّ حرُّه وغَمُّه وسكنتْ رِيحُه ، قال رُؤبة :

من سافعاتٍ وهَجِيرٍ أبْتِ

وهو يومٌ أبْتٌ وليلةٌ أبْتَةٌ ، وكذلك حَمِتٌ وحَمِتَةٌ ومَحِتٌ ومَحِتَةٌ : كلُّ هذا في شِدَّة الحرِّ ، وأنشد بَيْتَ رؤبة أيضاً .

وأبْتَةُ الغَضَبِ : شِدَّتُه وسَوْرَتُه .

وتَأَبَّتَ الجَمْرُ : احْتَدَمَ » .

(لسان العرب)

• • •

« (أبِتَ اليَوْمُ – كسَمِعَ ونَصَرَ وضَرَبَ –) ، وأشْهَرُ اللُّغاتِ فيه كفَرِحَ وعليه اقْتَصَرَ الجَوهَرِيُّ ونسبه الى ابي زَيْدٍ . وسقط لفظُ ضَرَبَ من بعض النُّسَخ . ورأيتُ في هامش الصحاح ما نصُّه : الذي قرأْتُه بخطِّ الأزهريِّ في كتابه : أبَتَ يَأْبُت ، وكذا وَجَدْتُه في كتاب الهَمْز لأبي زيد ، وقد وَهِمَ الجوهريُّ . (أبْتاً) بفَتْحٍ فسُكُون (وأُبُوْتاً) بالضَّمِّ : (اشْتَدَّ حَرُّه) وغَمُّه وسَكَنَتْ رِيحُه ، (فهو آبِتٌ) بالمَدِّ (وأبِتٌ) كفَرِحٍ (وأبْتٌ) بفَتْحٍ فسكون ، كلُّه بمعنىً واحِدٍ ، هكذا في النُّسْخة . وضَبَطه الجوهريُّ : الأُولى كضَخْمٍ ؛ والثانية ككَتِفٍ ؛ والثالثة بالمَدِّ . قال رؤبة :

من سافعاتٍ وهَجِيرٍ أبْتِ

فهو يَوْمٌ أبْتٌ . (وليلةٌ آبِتَةٌ) بالمَدِّ (وأبِتَةٌ) ككَتِفَةٍ (وأبْتَةٌ) كضَخْمَةٍ وكذلك حَمِتٌ وحَمِتَةٌ ومَحِتٌ ومَحِتَةٌ ، كلُّ هذا في شدَّة الحرِّ .

(و) أبِتَ (من الشَّرَاب : انْتَفَخَ) ، وذا من زياداته .
(و) يُقال : (رَجُلٌ مَأْبُوْتٌ) : أي مَحْرُورٌ .
(وأبْتَةُ الغَضَبِ) بالفتح : (شِدَّتُه) وسَوْرَتُه .
(و) يُقال : (تَأَبَّتَ الجَمْرُ) : اذا (احْتَدَمَ) افْتَعَلَ ؛ من : حَدَمَ بالحاء والدال المُهْمَلَتَيْنِ » .

(القاموس وتاج العروس)

(من فوائد المقارنة)

في (أ ب ت)

١ــ ورد في التهذيب مشطور لم يُسَمّ قائله ، وهو لرؤبة في الصحاح واللسان والتاج ، وقد اختلفت رواية العباب عن رواية المعجمات الاخرى .

٢ــ وردت في المحيط فقرةُ (أبِتَ من الشــراب . . الخ) ، وقــال الصغاني في العباب : ان الصحيح فيه (أبِثَ) بالثاء المثلّثة .

• • •

(أ ب ث)

« لإبِلُهُ لاتَقَرُّ من النَّشاطِ والأبْثِ . يُقال لصَبِيٍّ اذا لم يَقَرَّ : إنَّكَ لأَبِثٌ ؛ وهو من النَّشاطِ والمَرَح » .

(الجيم)
١ / ٧٥

« أصَبْتُ إبِلاً أبَاثى : بُرُوْكاً شِبَاعاً . وناقَةٌ أبِيْثَةٌ » .
١ / ٥٧

• • •

« أبَثَ يَأْبِثُ أبْثاً ، وأبَثَ الرَّجُلُ بالرَّجُلِ : اذا سَبَعَه عند السُّلطانِ خاصَّة » .

(الجمهرة)
٣ / ١٩٩

* * *

« ابو العبّاس عن ابن الأعرابيِّ : الأبْثُ : الفَقْرُ ، وقد أبَثَ يَأْبِثُ أبْثــاً » .

* * *

(التهذيب)
١٥ / ١٦٠

« أبَثْتُ : أي شَبِعْتُ وامْتَلأْتُ .
والأبَثُ : أنْ يَشْرَبَ اللَّبَنَ حتّى يكادَ يَسْكَرَ منه ، أبِثَ الرَّجُلُ .
والمؤْتَبِثَةُ : السِّقاءُ يُمْلأُ لَبَناً ثم يُتْرَكُ فينتفخ .
وأبِثَ : أشِرَ وبَطِرَ .
وأبَثَ الرَّجُلُ على الرَّجُلِ عند السُّلطانِ : أي وَقَعَ فيه وسَبَعَه » .

(المحيــط)

* * *

« هذا الباب مُهْمَلٌ عند الخليل : قال الشَّيبانيُّ : الأبِثُ : الأشِرُ النَّشِيطُ ، قال :

أصبح عَمّارٌ نَشِيطاً أبِثــا
يأْكُلُ لحماً بائتاً قــد كَبِثا

وهذا البابُ مُهْمَلٌ عند الخليل ، وليست الكلمة عند ابن دُرَيْد .
والكَبِثُ : المُتَغَيِّرُ المُرْوِحُ . وليس الكَبِثُ عند الخليل ولا ابن دريد .
ويُقال للذي لا يَقَرُّ من المَرَح : إنَّه لَأَبِثٌ .

قال الشَّيبانيُّ : أصبَحْتُ إبلاً أبَاثى : يَعْني بُرُوكاً شِباعاً . وناقَةٌ أبِثَةٌ » .

(المقاييس)

• • •

« الأبِثُ : الأشِرُ النَّشِيطُ ، قال الراجز :

أصبح عمّارٌ نشيطاً أبِثا
يأكلُ لحماً بائتاً قد كَبِثا

وقال ابو عمرو : أبِثَ الرَّجُلُ ـ بالكَسْر ـ يَأْبَث : وهو أنْ يَشْرَبَ اللَّبَنَ حتّى ينتفخ ويَأْخُذَه كهيئة السُّكْر ، قال : ولا يكونُ ذلك الّا من ألْبانِ الإبل » .

(الصحاح)

• • •

« الأبِثُ ـ مثال كَتِفٍ ـ : الأشِرُ النَّشِيطُ ، قال ابو زُرَارةَ النَّصْرِيُّ :

أصبح عمّارٌ نشيطاً أبِثا
يأكل لحماً بائتاً قد كبِثا

وقال ابو عمرو : أبِثَ الرَّجُلُ ـ مثال سَمِعَ ـ : وهو أنْ يشربَ اللبنَ حتى ينتفخ ويَأْخُذَه كهيئة السُّكْر ، قال : ولا يكون ذلك الّا من ألْبانِ الإبل .

ويُقال : أبَثَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ ـ بالفتح ـ يَأْبِثُ أبْثاً ، وقال ابنُ دريد : أبَثَ الرَّجُلُ على الرَّجُلِ : اذا سَبَعَه عند السُّلطان .

وقال الشيبانيُّ : أصبَحْتُ إبلاً أبَاثى : أي بُرُوكاً شِباعاً ، وناقَةٌ أبِثَةٌ .

ابنُ الأعرابيِّ : الأبْثُ : الفَقْرُ ، وقد أبَثَ يَأْبِث أبْثاً .

والمُؤتَبِثَةُ : السِّقاءُ يُمْلأُ لَبَناً ثم يُتْرَك فينتفخ » .

(العباب)

• • •

« أبَثَ على الرَّجُلِ يَأْبِثُ أبْثاً : سَبَّه عند السُّلطان خاصَّةً .

التهذيب : الأبْثُ : القَفْزُ ، وقد أبَثَ يَأْبِثُ أبْثاً .

الجوهريُّ : الأبِثُ : الأشِرُ النَّشِيط ، قال ابو زُرَارة النَّصريُّ :

أصبح عَمّارٌ نَشِيطاً أبِثـا
يأكُلُ لحماً بائتاً قد كَبِثـا

كَبِثَ : أنْتَنَ وأرْوَحَ .

وقال ابو عمرو : أبِثَ الرَّجُلُ – بالكَسْر – يَأْبَثُ : وهو أنْ يشربَ اللَّبنَ حتّى ينتفخ ويأخذَه كهيئة السُّكْر ، قال : ولا يكون ذلك الاّ من ألْبانِ الإبل » .

(لسان العرب)

* * *

« (أبَثَه يَأْبِثُه) من باب ضَرَبَ (وأبَثَ عليه) يأْبِثُ أبْثاً : (سَبَعَه)، هكذا في النسخة ؛ وهو نصُّ ابن دريد ، وهو الصَّواب ، وفي بعضِها : سَبَّه (عند السُّلْطان) خاصَّةً .

(والأبِثُ) أي ككَتِفٍ : (الأشِرُ ، وبزِنَتِه) ، والذي في الصحاح : الأبِثُ : الأشِرُ النشيط ، قال ابو زُرَارة النَّصْريُّ :

أصبح عمّارٌ نشيطاً أبِثا
يأكل لحماً بائتاً قد كَبِثا

كَبِثَ : أي أنْتَنَ وأرْوَحَ .

ووجدتُ في هامش الصحاح مانصُّه : وجدتُ بخطِّ الأزْهَريِّ : ثَعْلَبٌ عن ابنِ الأعرابيِّ : الأبْثُ : القَفْزُ ، يُقال : أبَثَ يَأبِثُ أبْثاً .

(و) عن أبي عمرو : (أبِثَ) الرَّجُلُ (كفَرِحَ) يَأْبَثُ أبَثاً : (شَرِبَ لَبَنَ الابلِ حتّى انتفخ وأخَذَ فيه كالسُّكْرِ) ، ونصُّ عبارة

ابي عمرو : وأخذه كهيئة السُّكر ، قال : ولا يكون ذلك الا من ألبان الإبل .

(و) من ذلك قولهم : (إبلٌ أبائى – كسكارى –) : أي (بُرُوكٌ شِبَاعٌ) .

(والمُؤْتَبِشَةُ : سِقَاءٌ يُمْلأُ لَبَناً ويُتْرَكُ فينتفخ) ، نقله الصاغاني » .

(القاموس وتاج العروس)

* * *

(من فوائد المقارنة)

في أ ب ث

١ – ورد في الجيم (ناقةٌ أبِيْثَةٌ) ، وفي المقاييس والعباب : (أبِثَةٌ) .

٢ – ورد في الجيم أيضاً : (من النشـاط والأبْثِ) وضُبطتْ كلمة (الأبْث) بسكون الباء ، ولكن المعجمات متفقة على الصفة : (أبِثٌ) بكسر الباء، وربما رجَّحَ هذا أن يُضبط الأبث الوارد في كتاب الجيم بفتح الباء مصدراً للفعل أبِثَ كفَرِحَ .

٣ – ورد في الجمهرة : (أبَثَ الرَّجُلُ بالرَّجُلِ) ، وفي العباب عن ابن دريد : (أبَثَ الرَّجُلُ على الرَّجُلِ)، وربما كان صواب نصّ الجمهرة ما جاء في العباب ؛ لورود مثله في المحيط واللسان .

٤ – ورد في التهذيب : (الأبْثُ : الفَقْر) ، ومثله في العباب واللسان ، ولكنه في التاج : (القَفْزُ) ، ، ولعلَّه الأوْلى بالقبول لأنـه منسجم مـع دلالة المادة على النشاط والاشر والبطر ، وعدم الاستقرار من شدة المرح .

٥ – ورد في الجمهرة في تفسير الأبْث : (اذا سَبَعَه عند السلطان) ومثل ذلك في المحيط والعباب والقاموس ، ولكنه في اللسان : (سبَّه) .

٦ – ورد في المقاييس والصحاح مشطوران من الرجز لم يُنْسَبا لقائلٍ ، وهما لأبي زرارة النصريِّ في العباب واللسان والتاج .

(أ ب ج)

« الأبَجُ : الأبَدُ ، هذا آخِرُ الأبَجِ » . (المحيط)

• • •

« ابنُ عبّاد : الأبَجُ : الأبَدُ ، يُقال : [هذا] آخِرُ الأبَجِ : أي الأبَدِ » . (العباب)

• • •

« (الأبَجُ ـ مُحَرَّكَةً ـ : الأبَدُ) ، لم يذكُرْه الجوهري ولا ابنُ منظور ، وذكره الصاغاني في زوائد التكملة ، وكأن الجيم بدلٌ من الدال ، وهو غَرِيبٌ » .

(القاموس وتاج العروس)

(أ ب خ)

« أبَّخَه : لامَه وعَذَلَه ، لُغَةٌ في وبَّخَه . قال ابنُ سيده : حكاها ابن الأعرابيّ ، وأُرى همزَتَه انّما هي بَدَلٌ من واوِ وَبَّخَه ، على أنّ بدل الهمزة من الواو المفتوحة قليل ، كوَنَاةٍ وأنَاة ، ووَحَدٍ وأحَدٍ » .

(لسان العرب)

• • •

« (أبَّخَه تَأْبِيخاً) : لُغَةٌ في (وَبَّخَه) أي لامَه (وعَذَلَه) ، قال ابن سيده : حكاها ابنُ الأعرابيِّ ، وأُرى همزتَه إنّما هي بدلٌ من واوِ وَبَّخَه ، على أنّ بدل الهمزة من الواو المفتوحة قليلٌ ، كوَنَاةٍ وأناة ؛ ووَحَدٍ وأحَدٍ . قلتُ : ومِثْلُه ذكر الخطيبُ ابو زكريّا في حاشية الصحاح ، ورأيتُه منقولاً من خَطِّه عند قوله : الوشاح » .

(القاموس وتاج العروس)

أما القسم الثاني من المعجم الجامع الذي نطمح اليه فينبغي أن يضمّ بادئ بدء وقبل أيّ استدراك أو إضافة ؛ مقدّمة مفصلة واسعة تُعنى بفهرسة كل أبنية العربية وأوزانها ، والنص على ماهو قياسي منها ومالا يصح القياس عليه ، مع بيان الادلة أو القرائن التي حملت على الحكم بالسماع أو القياس في كل بناء منها .

وان حاجة العاملين في مختلف مجالات البحث اللغوي الى مثل هذه المقدمة الشاملة الجامعة لكل الصيغ والأبنية المأثورة ؛ أمرٌ لايختلف فيه اثنان ، بل يحتل من الأهميـة مكاناً بارزاً ومتقدّماً في المعجم المأمـول ، لأن البحوث والمذكّرات والتقارير المعنيّة بهذا الموضوع في العصر الحاضر لم تحط بتلك الأبنية احاطة تامة ، بل لم تصل – على كثرتها – الى معظمها ، وقد روى السيوطي عن ابـن القطاع قوله في أبنية الأسـماء وحصرهـا :

« والذي انتهى اليه وُسعُنا وبلغ جهدنا ، بعد البحث والاجتهاد وجمْع ماتفرّق في تآليف الأئمة : الفُ مثال ومائتا مثال وعشرة أمثلة » (٢١) .

ولن يخفّف أو يطفّف من وزن هذا العمل أن تكون نتائجه وأحكامـه ممثّلةً لرأي عددٍ محدود من اللغويين ، وأن تكون تلك الآراء والقرارات اجتهادية وليست قطعية أو ملزمة وإنْ شُفعت بالدليل وأُيّدت بالبرهان . بل يكفيها أن تكون الخطوة الرائدة لسالكي هذه السبيل ؛ والمنار الهادي لسابحي هذا الخضم المتلاطم

وكان المرحوم الشيخ أحمد رضا عضو مجمع اللغة العربية بدمشق قد مهّد لمعجمه « متن اللغة » بجرائد تضـم بعض الأوزان والأبنية ، ولكنـه اقتصر على الأفعال والمصادر ؛ وعلى المشهور منها بالخصوص ؛ وعلى سردها بلا استدلال أو شرح أو نصٍّ على المسموع والمقيس . فلم يأتنا في ذلك بما يفي بتمام الغرض ويحقق غاية المطلوب .

---

(٢١) المزهر : ٢/٤ .

وفعل شيئاً من ذلك قبله المستشرق لين ، ولم يأت بجديد .

وقد يتوهم بعض المتوهمين أننا لسنا اليوم محتاجين الى تلك الأبنية بأجمعها ، وان يكون لها أي نفع أو شأن في مجال الاستعمال والتداول ، وان ماورد في كتب اللغة والنحو من أبنية الأفعال والأسماء الكثيرة الشيوع قد كفانا مؤونة البحث والاستقصاء والتدقيق في غيرها مما يندر استعماله أو لا يستعمل أبداً .

ولكن الممارسة العملية قد أثبتت ضرورة حضور الأوزان العربية كلها في متناول اليد كي يأخذ منها المعنيون ما يجوز الأخذ به ؛ ويتركوا مالا يُسْمَح بأخذه . وهذه لجان مجمعنا العراقي — وهي جزءٌ من اللجان والهيئات العاملة في ميدان التعريب في الوطن العربي — تعج ببحث تلك الأبنية ؛ لانتقاء الصحيح الفصيح منها قدر الامكان لوضع الفاظ المصطلحات وتسمية مالم يرد له اسم عربي في معجماتنا التراثية . وكثيراً ما يحتدم الخلاف ويشتد الجدل بين الزملاء في اختيار لفظةٍ مّا ، للخلاف على كون بنائها قياسيّاً أو سماعياً .

وهكذا نجد زميلاً يستعمل (الرَّئيّ) — على زنة فعيلٍ بمعنى مفعول — ، وآخر يستعمل (التَّركام) — على زنة تَفْعال — مصدر مبالغةٍ من الرَّكم ، وثالثاً يستعمل (الإصليت) — على زنة إفْعِيل — ، وآخرين يدعون الى استعمال أسماء على زنة « فِعْلِين » و « فَعْلُون » و « فُعْلَة » ؛ وأفعالٍ على زنة « ناعَلَ » للمشاركة « وأفْعَلَ » لتعدية الثلاثي اللازم ، وغير ذلك كثير .

* * *

لابد لهذا المعجم المرتقب — في قسمه الثاني — أن يضمّ الى جانب هذه المقدمة القيمة الأمورَ الآتية :

١ — ماورد في الكتب التراثية — على اختلاف موضوعاتها وتعدُّد اختصاصاتها — من الفاظ عربية صحيحة لم ترد في المعجمات ، وهي ليست

من الكثرة كما يُظَنّ ، لأن قدراً كبيراً مما أغفلته المعجمات من تلك الألفاظ كان أعجمياً دخيلاً أو عامّياً مولّداً لا يمت الى الفصيح بصلة ، وحسبنا مراجعة الفهرس اللغوي لتاريخ الطبري ونشوار المحاضرة مثلاً ودليلاً على ذلك .

٢ — الألفاظ الجديدة المستحدثة التي دخلت في اللغة في عصرنا الحاضر ، مما هو مشتق من جذرٍ أصيل ؛ أو منحوت من كلمتين فصيحتين على نحو سليم ؛ أو مستعمل في معناه الجديد على سبيل المجاز .

٣ — المصطلحات العلمية التي أشـرف على وضعها العلماء المعنيون المؤهّلون لذلك ، كتلك التي تنهض بها المجامع العربية والجهات الاخرى التي تتوفر لها المعرفة الواعية وسلامة القصد والنية .

* * *

وأورد فيما يأتي للتمثيل على ما يمكن اضافته الى المعجمات التراثية ؛ مستدركاً على التركيبات التي تقدّم ذكرها في القسم الأول من هذا البحث :

* * *

(أ ب ب)

+ الأبُّ : البأْوط (٢٢) .

+ الأَبَابَة : داءٌ يُصيب مَنْ لا يبرح فكرَه حبُّ الرجوع الى وطنه، ويراد به ما يسمى (نوستالجيا) بالانكليزية (٢٣) ،وربما كان الأَوْلى أن يُعَرَّف بأنه « تَوْقٌ غير سَوِيّ للعودة الى الماضي أوالى استعادة وَضْعٍ يتعذّر استرداده »(٢٤)،واقترح بعض الباحثين ان يسمى «الأُباب» او «الأبَبَ» ، لأن فُعَالاً وفَعَلاً بناءان مستعملان في العربية للأدواء (٢٥) . وهو اقتراح وجيه جداً .

+ أبِيْب : الشهر الحادي عشر من الشهور القبطيَّة (٢٦) .

(أ ب ت)

+ تَأَبَّتَه : قال له يا أبَتَاه (٢٧) .

(أ ب ث)

+ ابْثِيْت ــ بوزن عفريت ــ : اسْمُ جَبَلٍ (٢٨) .

(أ ب ج)

+ أبْجَد ــ كأحْمَر ؛ وقيل : محرَّكة ساكنة الآخر ؛ ويقال فيها ابو

---

(٢٢) تكملة المعجمات العربية لدوزي ــ الترجمة العربية ــ : ٦٣/١ .
(٢٣) معجم متن اللغة : ١٣١/١ ، والمعجم الوسيط : ا ب ب ، والمعجم الطبي الموحد ــ الطبعة الثالثة ــ : ٤٣٢
(٢٤) الورد : ٦١٩ (طبعة سنة ١٩٩٠م) .
(٢٥)مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : المجلد ٣٥/العدد ٢/ص ٣٤٨ ، والمجلد ٣٦/العدد ٤/ص ٦١٣ .
(٢٦) المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية بالقاهرة : ابب . وقد اوردنا ذلك وان لم نكن مطمئنين من عربيته .
(٢٧) المعجم الكبير : ا ب ت .
(٢٨) المعجم الكبير : ا ب ث .

جاد كصيغة الكنية – : الكلمة الاولى من الكلمات الثمان التي تجمع حروف الهجاء العربية ، ولها ترتيبان : مشرقي وهو الأشهر ؛ ومغربي (٢٩) .

+ أبْنجول : من قرى مديرية الغربية بمصر (٣٠) .

+ أبجيج – بجيمين بينهما ياء – : ناحية بمديرية المنوفية بمصر (٣١) .

* * *

وعندما يتم جمعُ كل هذه الألفاظ – بعد متابعة شاملة لكل ما استجدَّ ؛ ورصدٍ دقيق لكل ما ورد ؛ وتوحيدٍ منظم لكل ما وُضِع – وينجز العمل في القسم الثاني من هذا المعجم الطموح الشامل ، بعد انجاز القسم الأول التراثي منه ، نكون حينذاك – حقّاً وصدقاً – في مستوى الأداء الصحيح لواجب المسؤولية القومية ، في الحفاظ على أهم دعائم الوجود القومي وأبرز مقوّماته وأرسخ أُسسه وأركانه .

وقد يظن ظانٌّ أو يزعم زاعم أن هذا الاقتراح المنمَّق والأمل المجنَّح انما هو جزء من الأساطير التي شاعت في عالم اليوم وأُطلق عليها اسم « الخيال العلمي » ، إذ ليس في قدرة الإمكانات المتاحة انجاز عمل ضخم كهذا ؛ ولو كان بعض العرب لبعضٍ ظهيرا .

ولكني أقول جازماً وقاطعاً إن ذلك ممكن جداً وقابل للتطبيق والتحقيق وفي ضمن هذه الامكانات نفسها ؛ لو اجتمعت الكلمة وتمَّ الاتفاق على الأمر ، ويكفينا في هذه السبيل أن نعقد النية مخلصين أولاً ؛ ونخطط للعمل جادّين ثانياً ؛ ونبدأ بالتنفيذ متوكلين على الله في خطوة ثالثة . وليس من مستازمات ذلك أن يكون اتمام هذا الصرح العظيم الشامخ على أيدي هذا الجيل ، بل ربما

---

(٢٩) معجم متن اللغة : ١/١٣٣ والمعجم الكبير : أ ب ج .

(٣٠) و (٣١) المعجم الكبير : أ ب ج

لا يستطيع ذلك، غير أني مطمئن وواثق بأن الأجيال التالية ستسير على هدى هذه الريادة الصادقة الواعية ؛ وستسعى للمضيّ فيه قدماً نحو الإكمال والانجاز .

وقبل ختم الكلام ينبغي أن لا تفوتني الاشارة الى أن العصر الحديث قد شهد ولادة عدد غير قليل من المعجمات اللغوية التي نهض بتأليفها علماء أجلاء معروفون بالفضل والكفاية والخبرة والمقدرة ، ولكنها لم تبلغ الغاية المنشودة ولم تصل الى مستوى الطموح .

والمعنيون بقضايا اللغة يعلمون ان المعجمات المعاصرة — على تعدُّدها وكثرتها ونفاسة ما جاء فيها — لم تغن عن الرجوع الى القديم ، ولم تأت بما يشبع حاجة الطالب ونهم الراغب ، ولم تضف الى معجماتنا السابقة اضافة ذات شأن ووزن . وربما كان في بعضها مالا ينبغي أن يكون بل ما لايصح ولا يجوز ، كاقحام بعض الألفاظ العامية والمعرَّبة والدخيلة في جملة المفردات والتراكيب العربية بلا اشارة الى ذلك أو تنبيه عليه ، وكالاستشهاد بلغات اخرى على سبيل التوسع في المقارنة والتمثيل ؛ مما يفترض وروده في ضمن البحوث اللغوية المقارنة وليس في ضمن العمل المعجمي الخالص .

ومع الاعتراف بأن معجم الاستاذ فيشر — ولم تطبع منه الا صفحات يسيرة — والمعجم الكبير الذي يعنى به مجمع اللغة العربية في القاهرة ؛ يُعَدّان من أفضل هذه المعجمات بل الأفضل منها جميعاً ، فانها — أيضاً — لاتخلو من مؤاخذات وملاحظات ونواقص تجعلها بمنأىً عن ملءِ الفراغ وتلبية الطلب وبلوغ الهدف .

وعلى كل حال ؛ فالكمال المطلق لله عزَّوجلَّ وحده ، وهو المسؤول أن يمدَّ بعونه وتوفيقه وتسديده جميع العاملين المخلصين ، انه تعالى خير مسدِّد وموفق ومعين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تعقيب الدكتور احمد نصيف الجنابي

على بحث (المعجم العربي الذي نطمح اليه)

للشيخ محمد حسن آل ياسين

بسم الله الرحمن الرحيم

جاء هذا التعقيب استجابة لدعـوة لجنة (نـدوة المعجمية) الموقرة • وليس فيه نقد لاحد لكنه وجهة نظر ، وتصوّر" آخر لمعجم الطموح ، قـد أختلف فيه مع صاحب البحث ، والناس يختلفون ما داموا يفكرون •

والتعقيب قسمان :

الاول : ملاحظات جزئية متصلة بالبحث •

والاخر : تصور آخر لمعجم الطموح •

القسم الاول

(١) قدم الباحث الفاضل ـ بين يدي بحثه ـ ملخصاً عن مناهج المعاجم العربية القديمة ، وجعلها ستة ، وجعل أساس المنهـج الخامس : « كتـاب الصحاح » للجوهري (المتوفى حوالي سنة ٤٠٠ هـ) ، (ص ٤ من البحث)•

ويعتمد على « الترتيب بحسب الاحرف الهجائية ، ولكن بملاحظـة آخر الكلمات ، اذ يكون ما آخره الهمزة في حرف الهمزة وما آخره البـاء في حرف الباء •••• » كما يقول الباحث الفاضل •

ويبدو لي أن كتاب (التقفية) للبندنيجي أبي البشر اليمان بن أبـي اليمان (المتوفى سنة ٢٨٤ هـ) هو أساس هذا المنهج وليس صحاح الجوهري، إذ بنى كتابه على أساس الحرف الاخير من الكلمة ، ورتبه على ترتيب حروف الهجاء ، وسمى الحرف الاخير قافية ، ويصح أن نقول : إن الجوهري" طور الفكرة • لكنه ليس أصلا لها •

(٢) إن كتاب (البارع) ، لابي عليّ القالي (ت ٣٥٦ هـ) ، من معاجم الالفاظ ، ويعد من مدرسة كتاب العين ، ولم يذكره الباحث .

(٣) إن قارىء المعاجم القديمة ودارسها يجد في كل مدرسة منها عيوباً . فعلى سبيل المثال (لا الحصر) وجدت ــ وأنا أقرأ كتاب العين في أثناء إعداد بحثي : (منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين) أن هـــذا الكتاب يتسم ــ من حيث ايراد الدلالة وبيانها ــ بثلاثة عيوب :

الاول : الغموض (احياناً) في شرح الدلالة .

الثاني : ايراد الدلالة المشهورة التي لا تخفى على أحد (أحياناً) ، وتـــرك الدلالة المهمة .

الثالث : القصور في شرح المادة المعجمية نفسها .

ومن خلال قراءتي بحث (المعجم الذي نطمح اليه) ، وجدت عيوبـــاً أخرى للمعاجم القديمة ، يمكن اضافتها الى الثلاثة السالفة :

فالرابع : وجود مجموعة من الشواهد لا تؤيد الدلالة التي يقدمهـــا صاحب المعجم القديم ، مثال ذلك الرجز الذي أنشده (ابن الاعرابيّ) وجاء في ص ١٧ من البحث . فقـــد أورده صاحب البحث عـــن (أساس البلاغة) شاهداً على أن معنى : (اطلب الامر في إبّانه وخذه بُربّانه : أي : أوله) .

والشاهد لا يدل على معنى ما ذكره وانما يدل على أوان الشيء ووقته وليس أوله . بدليل قوله في اول شطر :

★ قد هرمتني قبل إبّان الهرَمْ ★

أي : قبل اوانه ووقته .

وكذلك ما نقله في (ص ١٩) من البحث ، وهو قول الشاعر :

جِذْمُنـــا قيسٌ ونجـــد دارُنـــا
ولنـــا الأبْ بهـــا والمكـــرعُ

فهو لا يؤيد بوضوح الدلالة التي ذكرها عن مجاهد (للابّ) في قوله

تعالى : « وفاكهة وأبّاً » • اذ قال : الفاكهة ما أكله الناسُ والأبّ ما أكلته الدوابّ ، فالأبّ من المرعى للدوابّ كالفاكهة للانسان ••• وأنشد (جذمنا ••••) •

ومثلها أمثلة كثيرة في المعاجم القديمة ، لا تصلح لمعجمنا الذي نطمح اليه •

العيب الخامس : إنّ قسماً من أساليب تفسير الدلالة في المعاجم القديمة لم يعد يوافق لغة العصر وتقدمه العلمي ، كالتعبيرات الجغرافية التي كانت تحدد بها المدن • ومثالها ما جاء في (ص ٢٥ من البحث) : (أُبّةُ : بالضم، بلد بافريقية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام وهي من ناحية الأربُس) •

ان هذه التحديدات الجغرافية لم تعد صالحة ، فقد حلت محلها الخرائط ، والقياسات الاخرى • وبادت مدن او بعض المدن ••• فهل يغفل المعجميّ المعاصر عن هذا التغيير ؟

فهذا مما يجب أن يعاد النظر في لغته وطريقة شرحه لاسماء المدن ومواقعها •

(٤) ان التكرار في المعاجم القديمة (بعد جمعها كما يقترح الباحث) ، سيكون كثيرا ، من غير فائدة ونظرة فاحصة الى دلالة (الأبّ : المرعى) ، في الصفحات ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ــ يؤيد ماذكرته • وقس على ذلك البقية •

(٥) ان (ابن منظور) كان قد جمع مادة (اللسان) من خمسة مصادر ذكرها في مقدمة كتابه ، منها (تهذيب اللغة) للازهريّ ••• فلماذا نجمع بين الكتابين (في المعجم الذي يقترحه صاحب البحث) ، اذا كان أحدهما يغني عن الآخر ؟ !

(٦) أهمل البحث ذكر « كتب الأفعال » وهي جزء أساسي من بنية المعجم العربيّ ، ولم يذكر حتى المطبوع منها وهي :

كتاب الأفعال • لابن القطاع

كتاب الأفعال • لابن القوطية
كتاب الافعال • لابي عثمان السرقسطيّ

* * *

القسم الثاني

اما القسم الثاني من التعقيب فيتناول تصوري للمعجم الذي نطمح اليه• أقترح أن يكون المعجم مؤلفاً على النسق الآتي :

اولا : مداخل المعجم
ثانياً : مصادره ••••
ثالثاً:كيف ترتب الالفاظ؟وماذا يجب أن تتضمن المادة اللغوية••؟

اولا : مداخل المعجم

انّ المعجم في عالمنا المعاصر أصبح صناعة من الصناعات • وقد كتب على « معجم وبستر » المشهور
Made in the United States of America (1985)

وهي عبارة واضحة الدلالة على ما قلنـــاه وأصبحت « صناعة المعجم » اصطلاحاً دخل المعاجم تحت اسم : (Lexicography)

وبعد مراجعتي مداخل (Entries) مجموعة مـــــن معاجم الالفاظ الانجليزية ، وما كتب عن صناعة المعاجم في العربية ••• اجتمع عندي تصور لمداخل المعجم الذي نطمح اليه : وهذه المداخل هي :

(أ) مدخل صوتيّ : يتناول أصوات العربية من حيث :
(١) صفاتها
(٢) ومخارجها
(٣) ائتلافها وتنافرها •
(٤) الظواهر الصوتية المهمة كالمماثلة والمخالفة ••
(ب) مدخل دلاليّ : يبين أهـــم العلاقـــات الدلالية ، كما يبين وسائل

تفسير المادة اللغوية في المعجم •

(ج) مدخل صرفيّ : يتناول النقاط الاتية :

(١) أبنية الاسماء والافعال •

(٢) الافعال من حيث التعدّي واللزوم •

(٣) أنواع المصادر •

(٤) أنواع المشتقات •

(٥) الاوزان التي يستوي فيها المذكر والمؤنث •

(٦) الصفات الخاصة بالاناث والصفات الخاصة بالذكور ، والصفات المشتركة •

ولا يخفى على ذي لبّ انني أقصد ان تكون مباحث تلك المداخل مختصرة اختصاراً غير مُخلٍ بالهدف المتوخى منها •

ثانيا : مصادر المعجم

واعني بها مصادر المادة اللغوية • وتشمل كل ما يتصل باللغة من مصادرها القريبة والمقاربة • فالقريبة هي كتب اللغة أصالة ، ومنها المادة الموجودة في المعاجم القديمة (بعد تصفيتها وترك مالا فائدة فيه مع تجنب العيوب السالفة) •

اما الكتب المقاربة التي يمكن أن تغني المادة المعجمية ، (من حيث الالفاظ والدلالات) ، فتشمل ما يأتي :

(١) كتب غريب القرآن •

(٢) كتب غريب الحديث •

(٣) شروح دواوين الشعر •

(٤) شروح المجموعات الشعرية : كشرح القصائد السبع (لابن الانباري) (ت ٣٢٨ هـ) وشرح القصائد التسع لابي جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) وشروح ديوان الحماسة ، وشروح المفضليات ، وأمثالها (مع ملاحظة أننا نستفيد من شواهد هذه الكتب ومادتها اللغوية) •

(٥) مصادر فقه اللغة : مثل الصاحبي في فقه اللغة ، لاحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، وفقه اللغة ، للثعالبيّ (ت ٤٢٩ هـ) ، والمزهر ، للسيوطي (ت ٩١١ هـ) ، وامثالها .

(٦) كتب الالفاظ : كألفاظ ابن السكّيت (ت ٢٤٧ هـ) ، والالفاظ الكتابية ، لعبدالرحمن بن عيسى الهمَذانيّ .

(٧) كتب التصريف : كتصريف المازنيّ ، والتصريف الملوكيّ لابن جني، والمنصف في شرح تصريف المازنيّ (لـه) ، والممتع في التصريف لابن عصفور ، وشرح الشافية للرضى الاسترابادي . وأمثالها .

(٨) كتب المقصور والممدود : ككتاب المقصور والممدود لاحمد بن ولاّد (ت ٣٢٠ هـ) ، وكتاب المنقوص والممدود للفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، وكتاب المقصور والممدود لابي عليّ القالي (ت ٣٥٦ هـ) .

(٩) الكتب المؤلفة في الافعال .

(١٠) الكتب المؤلفة في المذكر والمؤنث .

(١١) كتب الأمالي اللغوية ومجالسها . مثل مجالس ثعلب (ت ٢٩١ هـ) وأمالي القالي ، وغيرها .

(١٢) الكتب المؤلفة في ادب الكاتب والكُتّاب ، وشروحها .

(١٣) كتب التعريفات والاصطلاحات . كالتعريفات للشريف الجرجانيّ (ت ٨١٦ هـ) ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانويّ (ت ١١٥٩ هـ) .

(١٤) يضاف اليها ما ألف في العصر الحديث متصلا بمعجم الطموح وهي :

أ ــ مؤلفات اللغويين المحدثين المشهود لهم بالعلم .

د ــ المعاجم التي أصدرتها المجامع العربية .

ج ــ المعاجم التي أصدرتها دور النشر العربية ، ولاسيما (مكتبة لبنان) .

د ــ جهود اللغويين (من غير العرب) الذين خدموا اللغة العربية وصناعة المعجم العربيّ .

ثالثا : كيف ترتب الالفاظ ، وماذا تتضمن المادة اللغوية ؟

ان ترتيب المواد اللغوية داخل المعجم يكون بحسب الترتيب الهجائي ، مع مراعاة الحروف الثواني وما بعدها • وهذا أفضل التراتيب •

آما المادة اللغوية فأقترح أن تتضمن مايأتي :

(١) تصريف اللفظة وبيان مصادر الفعل ، وضبطها بالشكل ، والاشارة الى الجموع •

(٢) ذكر دلالاتها المختلفة مشفوعة بالشواهد الملائمة الفصيحة •

(٣) الاشارة الى التعابير الاصطلاحية للمادة •

(٤) الاشارة الى الجمل التي لاتستعمل الا" منفية (ان وجدت في المادة اللغوية) •

(٥) الاشارة الى الافعال التي تتغير دلالاتها بتغير حرف الجر" • مثل : حكم له ، وحكم عليه • وبكى له ، وبكى منه •

(٦) الاشارة الى الافعال التي تستعمل مبنية للمجهول •

(٧) و (أقترح) أن يتضمن المعجم المعاصر الذي نصبو اليه : (الظروف ودلالاتها السياقية) •

وهي قضية لغوية مهمة اهملتها المعاجم العربية القديمة (كلياً او جزئياً)• واعطي مثالا على ذلك الظرف (تحت)

(أ) فهو يدل دلالته النحوية المعروفة • كما في قوله تعالى في (سورة الكهف • الاية ٨٢) : (واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته كنز لهما •••) • الاية •

(ب) وقد يدل دلالة مجازية ، كما في بنية المثل العربي " : (وتحت الرغوة اللبن الصريح) •

(ج) وقد يدل على كناية ، كما في قوله تعالى في (سورة التحريم •الاية ١٠) : « ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما ••• » • الاية •

فليس من المستحسن أن تُهمل دلالات (الظروف) ، وهي مهمة كما رأينا .

(٨) وأقترح أن تتضمن كل مادة لغوية (المَثَل) الذي يصلح لها مع بيان موضع الاستشهاد به ، عند العرب ، (ان وجد) .

ومما يسهّل ايراد الامثال أن قسماً من كتب الامثال العربية مرتبة على ترتيب حروف المعجم ، كمجمع الامثال ، للميداني (ت ٥١٨ هـ) .

وغيره

وقد وجدت معجم (Cassell) يفعل ذلك فيذكر الامثال ، الانجليزية والالمانية وهو « معجم ثُنائيّ اللغة »

CASSELL'S DICTIONARY
(Second Edition, London 1958)

وبعد

فانّ كل ما قدمناه وقدمه غيرنا أملٌ يقرّبنا من صناعة « معجم الطموح » ، او هو حلم من أحلام غدنا ، وأحلامٌ اليوم حقائق المستقبل . وعندما كنّا طلاباً في الدراسة المتوسطة كنّا نقرأ في درس الانجليزية ، في كتاب : OXFORD English Course

درساً عنوانه : Let us go to the Moon

ثم أصبح الصعود الى القمر واقعة علمية ثابتة .

والله أسأل أن يوفقنا جميعاً الى خدمة لغتنا المشرفة : لغة القرآن العظيم .

« ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا او أخطأنا »

أ. د. أحمد نصيف الجنابي
الاستاذ بكلية الاداب / الجامعة المستنصرية
وخبير لجنة اللغة العربية في المجمع

شعبان ١٤١٢ هـ / شباط ١٩٩٢ م

آفاق نمو المعجم العربي الحديث

الدكتور احمد مطلوب
كلية الآداب ـ جامعة بغداد
ـ عضو المجمع العلمي العراقي ـ

مسيرة المعجم :

اهتم العرب بلغتهم اهتماماً عظيماً ، وطفق اللغويون يجمعونها ، وأخذ النحاة يضعون القواعد والاصول . وكانت اللغة العربية تواكب التقدم الحضاري وتحتضن الجديد ، ولم تمض قرون ألا وهي من أغنى لغات العالم سعةً وشمولاً ، ولولا ما اصاب العرب في العهود المتأخرة لبقيت مزهرة ، ولكنها توقفت حينما اجتاحت الامة العربية محن ونوائب كادت تسلمها الى سلب الذات والجمود .

وكان المعجم من أهم ما عني به العرب ، فقد ظهر في البصرة عبقري خطّ للعربية سبيلها ودفع الناس الى العناية باللغة فكان معجمه « العين » أول ما ألف في هذا الميدان.ولا يضير هذا المعجم أن ينسب الى ذلك العبقري الخليل بن أحمد الفراهيدي (ـ ١٧٥ هـ) أو الى سواه ، وحسب الخليل انه وضع فكرته وأرسى قواعده ، وصار هذا المعجم علما في التأليف يرجع اليه الباحثون ويصدر عنه المؤلفون ، فهو لا يزال عمدة الدارسين على الرغم من القرون المتتابعة والعلماء الذين ظهروا في كل مصر واضافوا الى العلم كل جديد .

ويزخر التراث العربي بكتب لغوية كثيرة ، فهناك كتب الغريب ، والفقه ، واللغات ، والهمز والحيوان ، والمواضع والبلدان ، والافراد والتثنية

والجمع ، والابنية ، والصفات[1] . وهناك المعاجم التي تعدّ من مفاخر العرب والمسلمين ، وقد بدأت بالعين في القرن الثاني للهجرة ولا تزال تصدر هنا وهناك على امتداد الوطن العربي.وهي متفاوتة في ترتيبها ومادتها، وقد درسها كثير من المعاصرين ، وقسمها عبدالله العلايلي الى مناهج ثلاثة :

الاول : منهج الخليل في العين ، والمحكم لابن سيده ، والجمهرة لابن دريد .

الثاني : منهج ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة ، والمحيط للصاحب ابن عباد ، والاساس للزمخشري ، والمصباح المنير للفيومي .

الثالث : منهج الجوهري في الصحاح ، والعباب للصغاني ، ولسان العرب لابن منظور ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ، وملخص الاساس للزمخشري[2] .

وقسمها الدكتور حسين نصار الى أربع مدارس :

الاولى : تضم العين للخليل ، والبارع للقالي ، والتهذيب للازهري والمحيط للصاحب بن عباد والمحكم لابن سيده .

الثانية : تضم الجمهرة لابن دريد ، والمقاييس والمجمل لاحمد بن فارس .

الثالثة : تضم الصحاح للجوهري ، والعباب للصغاني ، ولسان العرب لابن منظور ، والقاموس المحيط للفيروز ابادي ، وتاج العروس للزبيدي ، وكتاب المعيار للشيرازي .

الرابعة : تضم أساس البلاغة للزمخشري ، ومعاجم اليسوعيين ، ومشروعات مجمع اللغة العربية في القاهرة [3] .

---

(١) تنظر هذه الرسائل والكتب في المعجم العربي ـ نشأته وتطوره ـ ج ١ ص ٣٧ ـ ١٩٧ .

(٢) ينظر تهذيب المقدمة اللغوية ص ٢٦٨ .

(٣) ينظر المعجم العربي ـ نشأته وتطوره ـ ج١ ص ٢١٧ ، ج٢ ص ٤٠٣ .

وقد يكون هذا التقسيم دقيقا لان الباحث نظر الى مناهجها وتقسيماتها وأبوابها ، ولكنه لايظهر معالم تطور المعجم العربي ، ولا يوضح الفروق في عرض المادة ، ولا يكشف عما أضيف من ألفاظ ولا يبين تطور الدلالة اللغوية وما دخل الالفاظ من معان جديدة ــ ولو رتبها ترتيبا زمنيا لاتضحت حياة نمو المعجم ولسهل وضع المعجم التأريخي الذي يعنى بتطور اللفظة ودلالتها . ولا يغني ما قام به المؤلف من تتبع مادتين عرضهما من خلال تقسيمه المعجم الى مدارس جاء البارع لابي علي القالي (ــ ٣٥٦ هـ) فيها بعد العين في المدرسة الاولى ، وجاء كتاب الجمهرة لابن دريد (ــ ٣٢١هـ) أول معجم في المدرسة الثانية ، وجاء الصحاح للجوهري (ــ ٤٠٠هـ) أول معجم في المدرسة الثالثة ، وجاء أساس البلاغة للزمخشري (ــ ٥٣٨ هـ) اول معجم في المدرسة الرابعة التي ضمت معاجم اليسوعيين ومشروعات مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وهي متأخرة عن الاساس بقرون .

ان هذا الترتيب ــ على الرغم مما فيه من منهجية ــ يقطع خط التطور ، ولا يخدم الالفاظ وتغير دلالتها بتغير الازمان ، ولا يحقق تحديد ظهور اللفظة أو استعمالها الجديد.واذا ما اريد بحث الدلالة وجبان ترتب المعاجم ترتيبا زمنيا ، وتدرس كل مادة لتتضح مسيرتها ويحذف المكرر ويثبت ما أضيف خلال العهود السابقة . وهذه خطوة مهمة في وضع المعجم الحديث الذي يسعى اليه الباحثون الذين لا يقدرون على مراجعة المادة في المعاجم كلها لبعد كثير منها عن ايديهم ، ولانها تستغرق زمنا في المراجعة وجهداً في التدقيق . وقد بذل جهد كبير في نهاية القرن الماضي ومطلع هذا القرن ، وظهرت معاجم كثيرة حاولت ان تستخلص خير ما في المعاجم القديمة ، ولكن معظمها ظلّ في نطاق ما وسمه القدماء من تشتت للمعاني يتعب المراجع ، وشرح غامض يرهق الدارس كما انها لم تعن بالجديد وبما طرأ على اللغة العربية بعد عهود الاستشهاد التي وقف عندها كثير من اللغويين والنحاة .

ومن تلك المعاجم « محيط المحيط » لبطرس البستاني الذي صدر جزؤه الاول في عام ١٨٦٦م محتوياً على ما في القاموس المحيط للفيروز آبادي من مفردات اللغة وعلى زيادات كثيرة اخرى ، ومضيفا الى اصول الاركان فيه فروعا وتفاصيل شتى . وألحق البستاني بهما اصطلاحات العلوم والفنون وكثيراً من المسائل والقواعد والشوارد ، ومالا يتعلق بمتن اللغة . وذكر كثيراً من كلام المولدين وألفاظ العامة منبها في أماكنها على أنها خارجة عن أصل اللغة ، وذلك لكي يكون معجمه كاملا وشاملا يجد فيه كل طالب مطلوبه .

واختار في ترتيبه اعتبار اول حرف من الكلمة دون الاخير ، لان ذلك أيسر في التفتيش عنها ، فاذا كانت اللفظة مجردة تطلب فيأول حرف منها ، واذا كانت مزيدة تجرد اولا من الزوائد ثم تطلب في باب الحرف الاول مما بقي . واذا كان في الكلمة حرف مقلوب عن آخر فتطلب تلك الكلمة في مكان الحرف الاصلي المقلوب عنه . وعلى ذلك تطلب لفظة « أبد » في « أبِدَ » من باب الهمزة ، و « استخرج » في « خرج » من باب الخاء ، و « قاتل » في « قتل » من باب القاف ، و « وقام » في « قوم » و « باع » في « بيع » و « غزا » في « غزو » و « رمى » في « رمي »[٤] . وليسّهل على الطالب ميّز بين الافعال والاسماء ، وبين المجرد والمزيد من النوعين — كل نوع على حدته مندرجاً مع نظيره من الابنية . ففي « أبد » ذكر مضارعه ومصدره وجاء به لازماً ثم متعديا بالحرف وبالتضعيف وذكر بعض الصفات والاسماء والظروف . واتبع هذا المنهج في مواد معجمه الاخرى .

وله « قطر المحيط » الذي أصدره سنة ١٨٦٩م واختصر فيه معجمه الاول ولم يخرج عن المنهج الذي رسمه فيه . ولم يكن فيه حذف كثير ، وبالمقارنة بين المعجمين يتضح أنه لم يحذف من المادة شيئا ذا بال ، ويكاد

---

(٤) تنظر فاتحة محيط المحيط وفاتحة قطر المحيط .

معظم ما ذكره في المواد يكون واحداً فمادة « أبد » في الاثنين واحدة ، ولكن ـ على الرغم من ذلك ـ يعدّ هذا المعجم مختصراً للاول وان نسبته اليه « توشك ان تكون كنسبة قطر دائرة الى محيطها »[٥] .

واصدر سعيد الخوري الشرتوني معجم « أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد » في عام ١٨٨٩م ، وقد رجع الى ابن منظور والزمخشري والفيروز آبادي وابن فارس والرازي ، واخذ من كتبهم اللباب وقسّمه الى قسمين :

الاول : في مفردات اللغة الصرفة .
الثاني : في المصطلحات العلمية والكلم المولّد والاعلام .
وضم ذيلا يتضمن ثلاثة امور :

الاول : ذكر ما كان قد تركه عمداً في اول الكتاب او فاته سهواً في سائر الابواب .

الثاني : ذكر ما استدركه على اللسان والتاج مما اخذه من كتب الثقات او من الكتابين وارداً في غير مظانه .

الثالث : ذكر ما وقع من الخطأ بعد الفراغ من مراجعته ومعارضته ثانية بالامهات الصحيحة .[٦]

واخرج القسم الاول والذيل ، ولم يخرج القسم الثاني ولعل « الزمن لم يمهله ليؤلفه » .[٧]

واتبع في الترتيب طريقة المجمل لابن فارس وما شاكله من حيث ايراد الالفاظ باعتبار اوائل اصولها وهي الطريقة التي سلكها مترجمو العربية

---

(٥) فاتحة قطر المحيط
(٦) ينظر اقرب الموارد ج١ ص ٥ وما بعدها .
(٧) ينظر المعجم العربي ـ نشاته وتطوره ـ ج٢ ص ٧١٩ .

باللاتينية وغيرها مثل غوليوس وفريتغ وتابعهم عليها من كان نموذج الجد والاقدام بطرس البستاني في محيط محيطه وقطر محيطه • وبناه على اربع قواعد :

الاولى : الاشارة الى ابواب الافعال الثلاثية الستة •

الثانية : ذكر المقيسات مثل اسم المرة والنوع ومصادر ما فوق الثلاثي وجمع السلامة بقسميه للاستئناس ، وكثيرا ما كان يغفلها لانها مقيسة •

الثالثة : ضبط أول الكلمة بالحرف ، مثل « الذرعة » ــ بالضم ــ أي ضم اوله ، واذا عقبه بالتسكين كان الضبط للثاني ، واذا عقبه بالتثليث او مثلثة ، فذلك اشارة الى أن في أوله ثلاث لغات ، واذا عقبه بالتحريك أو بمحركة كان المراد فتح الاول والثاني •

الرابعة : اشار الى اختلاف معاني الكلمة بتوسيط خط عرضي بين العاطف وما بعده •

والتزم في المادة أن يقدم الافعال على الاسماء والصفات ، وأن يرتبها على الماضي المجرد من الثلاثي أو الرباعي ، ثم المزيدة • ففي مادة « أبد » ذكر الفعل اللازم والمضعف ، وذكر « تأبد » و « الآبدة » و « الأبد » و « الأبدي » و « أبدا » وهذا ما فعله بطرس البستاني في معجميه •وتحرى في الشرح المحافظة على عبارات الاقدمين والوقوف عند كلام الفحول المقدمين ائتماماً بمن تقدمه من علية المؤلفين وثقات المصنفين ، وابتعد عن الالفاظ المبذوءة رعاية لحرمة الادب • وانتقد تساهل اللغويين في التعريف الدوري وفي قصور تعريف النبات والحيوان • وأقرب طريقة ــ عنده ــ لتعريف كل نوع من النبات والحيوان هي أن يفسر اسمه في الفصيح بما يعرف به من الاسماء العامية في كل طرف من أطراف البلاد العربية •

وأخرج لويس المعلوف « المتجد » في عام ١٩٠٨ ، وقد اختصر فيه محيط المحيط ، وسار على منهجه واستعان بالمعاجم القديمة وتحرى المحافظة على عبارات الاقدمين وأغفل مامس حرمة الاداب من الكلمات البذيئة التي لايضر الجهل بها . وهو في ذلك يتبع نهج اليسوعيين الذين حاولوا أن يجردوا معاجمهم من الالفاظ المستهجنة التي لايقبلها الذوق والادب . ونال » المنجد « حظوة كبيرة وصار عمدة في فنه على الرغم مما كتب عنه ، وطبع اكثر من عشرين مرة ، وزيد على الطبعة الاولى مفردات جديدة ومعان مستحدثة ومصطلحات علمية ، ووضحت فيه كثير من المعاني ليسهل فهمها ، فصار بطبعاته الاخيرة اكثر نفعا واسهل تناولا .

ولعبد الله البستاني معجم « البستان » الذي صدر سنة ١٩٣٠ م ، وهو كمعجم « محيط المحيط » في مادته ومنهجه ، ولا يكاد ـ يختلف عنه كثيرا . ففي مادة « أبد » حذف عبارات قليلة وغير في التعبير وقدم وأخر[٨]، وليس في ذلك تغيير جوهري ، لان هؤلاء المؤلفين يغرفون من بحر واحد هو « القاموس المحيط » .

وله مختصر سماه « فاكهة البستان » أصدره سنة ١٩٣٠ بتكليف من المطبعة الامريكية حين رأت الحاجة ماسة الى معجم لغوي مختصر يحوي الكلمات التي يحتاج اليها طلبة المدارس على اختلاف درجاتها . وجرى البستاني في ترتيبه على نسق « البستان » باعتبار الحرف الاول من الكلمة لسهولة البحث عنها وتتابع مشتقاتها بحسب الترتيب الصرفي . ولم يحذف كثيراً من الاول ، وبالمقارنة بين المعجمين في مادة « أبد » يتضح انه لم يحذف سوى كلمات او عبارات قليلة لا تؤثر في المنحى العام[٩] .

وكانت هذه المعاجم تنحو منحى القديم في ترتيب أصل الكلمة ، ولكنها

---

(٨) ينظر البستان ج١ ص ١ـ٢

(٩) ينظر فاكهة البستان ص ١ .

اختلفت عنها في أنها اتبعت أول الكلمة فوسطها فآخرها • وظن بعضهم ان هذه المعاجم لاتزال صعبة لانها تتبع الطريقة القديمة ولابد من أن تيسر لتكون سهلة التناول ، وليقدر الناشئون على استخراج الكلمات فوضع جبران مسعود « الرائد » واخرجه سنة ١٩٦٤ ، ورتب مفرداته على وفق حروفها الاولى أي أنه لم يرجع الى المادة بحسب أصولها وانما الى حروف الكلمة بحسب ترتيبها • وقد تحدث عن معاناة الرجوع الى المعاجم القديمة فقال ان أساليبها « لم تكن على مستوى العصر ، فأنى للباحث أن يهتدي بسرعة وسهولة الى معاني الكلمات المطلوبة ، والكلمات مبثوثة في المعاجم بطرائق تختلف أحيانا بين معجم وآخر حسب قواعد تحاول مراعاة النطق الصرفي وغيره ، ولكنها لاتراعي منطق المخارج الابجدية في أوائل الالفاظ ؟ أنى للباحث المستهدي ان يقف على المعنى المراد واللفظة تائهة في مظانها بين اعلال وادغام واشتقاق وتعريب فاذا بالمدرسة تدرج في باب الدال لا في باب الميم ، واذا بتدارس تدرج في باب الدال لا في باب التاء ، واذا بقال تحار بين « قول » « قيل »[١٠] • وسار على ترتيب الالفاظ بحسب حروفها فتوزعت كلمات المادة في اماكن متفرقة ، واذا بالابداع في الهمزة ، والبديع في الباء ، والمبدع في الميم •

وهذه الطريقة جيدة للمراحل الدراسية الاولى ليسهل الرجوع الى المعجم ، ولكنها تحرم المثقف من روح اللغة وترابط ألفاظها والوقوف على ما يتصل بالمادة اللغوية الواحدة ومشتقاتها ، وتجعل الافعال والاسماء والظروف تتناثر ، والفعل الرباعي يبتعد عن الثلاثي ، والمزيد عن المجرد • وقد تكون هذه الطريقة نافعة في معاجم المصطلحات والاعلام والبلدان لا في معاجم اللغة التي ينبغي ان ترتب على أصل المادة للاحتفاظ بالصلة بين الالفاظ ومعرفة اصولها •

---

(١٠) الرائد ص ١١ .

ونحا هذا المنحى « القاموس الجديد » للجيلاني بن الحاج يحيى وعلي بن هادية وبلحسن البليّش الذي صدر سنة ١٩٧٩ م [١١] . وهو نافع للشادين في اللغة غير انه كالرائد يقطع الصلة بين المعاجم القديمة والحديثة ويفكك العربية المعتمدة على الاشتقاق .

وهناك محاولات كثيرة في هذا الميدان ، وكلها تسعى الى وضع معجم جديد وان اختلفت السبل . ولعل اهم المعاجم التي احتفظت بسمات المعجم القديم وخصائص المعجم الحديث ثلاثة :

الاول : المعجم لعبدالله العلايلي الذي صدر قسم صغير منه سنة ١٩٥٤م ، وهو موسوعة لغوية علمية فنية . وقد حافظ فيه مؤلفه على الوحدة الاشتقاقية ، وفرّق بين ابواب الافعال تبعا للمعاني ، وبين الحقيقة والمجاز والتنزيل والنقل والاتساع بذكر الفروق والعناية بتبيان الدخيل والمولد وافراد التعدية واللزوم والنص على ميزان الكلمة . وذكر المصطلحات العلمية الصرفة ، وافرد ما هو من وضعه الجديد بمثابة تذييل للجذر ، ووضع المزيد الغامض في محله من الزيادة .[١٢]

واتبع فيه الثلاثي بحسب ترتيب حروفه ، وادخل فيه ما يتصل به من ألفاظ ،ففي الفعل « أبد » ذكر مضارعه ومصدره وما فيه من حروف زيادة واسم الفاعل والاسماء والظروف . وقد حافظ بهذا المنهج على وحدة المادة وسهّل الربط بين مفرداتها الراجعة الى معنى أصلي تفرعت منه المعاني المختلفة .

وأصدر سنة ١٩٦٣ مجلدا من معجمه « المرجع » ، وقد حذا فيه حذو معجم الاول . وكان قد قال عام ١٩٥٤ وهو يتحدث عن « المعجم » إنه قد استوى من رواجعه عنده معاجم ثلاثة :

---

(١١) ينظر كتاب وقائع ندوة اسهام التونسيين في اثراء المعجم العربي ص٢١٧ .

(١٢) ينظر المعجم ص ٢٠-٢١ .

١ ــ معجم صغير ، قصره على المأنوس من اللغة في قديمها ، وعلى المولد الحديث الذي فرض وجوده في دائرة المصطلح العلمي إن تعريبا او اشتقاقا .

٢ ــ معجم وجيز الشرح متوسط الاحصاء للمفردات .

٣ ــ المعجم المطول وهو متسع الجنبات .(١٣)

الثاني : معجم متن اللغة لاحمد رضا الذي صدر سنة ١٩٥٨م في خمسة اجزاء ، وقد وضعه باقتراح من المجمع العلمي العربي بدمشق وعلى النسق الذي رآه المجمع(١٤) . ورتبه على أصل المادة المجردة من الزيادات في الحروف كما هو الحال في سائر معاجم اللغة العربية قديمها وحديثها ؛ لان اللغة العربية لا تنقاد لترتيب الكلمات على حروف الكلمة كما هي في أصلها وزائدها ؛ لانها من اللغات المتصرفة التي تدخل في صلبها الزيادات على المادة لزيادة المعنى وتتغير الكلمة بتنوع الاشتقاق وسعته وكثرته تنوعا يبعث الشتات في الكلمات المشتقة من اصل واحد اذا اريد ترتيبها على صورتها ، ويدعو الى تباعدها عن محالها الذي تألفها تباعدا يأباه الذوق العربي .

وبدأ الترتيب على نسق واحد واول ما ذكر من المادة الفعل الثلاثي المجرد على ترتيب ابوابه الستة ، ثم المعدّى بالتضعيف من الثلاثي ، ثم المعدّى بالهمزة ثم « افتعل » و « تفعّل » وهكذا الى « استفعل » . ثم بدأ في الاسماء بالثلاثي المجرد المفتوح الفاء ، ثم مضمومها ، ثم مكسورها ، ثم المحرك ، ثم صفة فاعل وفاعلة ، ثم المفعول وما جرى مجراه ، والفعال وما اشبهه والفعيل واضرابه ، ثم المزيد بالميم ، ثم اتبع المادة بالمضاف الرباعي كزلزل في مادة « زلل » ، ثم ختم المادة بما جاء في اسماء العرب

---

(١٣) ينظر المعجم ص ٢٢ــ٢٤ .

(١٤) بدأ به سنة ١٩٣٠ وانتهى منه سنة ١٩٣٩ ، وظل يراجعه وينقحه حتى سنة ١٩٤٧م .

منها ، ثم باسماء الامكنة والبلدان من بلاد العرب • وذكر مصادر الفعل الثلاثي كلها لانها سماعية ، ولم يذكر الا ما شذّ منها عن القاعدة وهو نادر ، وقد ذكره الى جانب فعله مثل توضأ وضوءً ، وتطهر طهوراً ، وصلى صلاةً ، وادركه دركاً ومدركاً • وذكر مع الفعل اسم الفاعل منه واسم المفعول اما اذا كان في ذكره ــ مفرداً ــ فائدة افرده بالذكر •• وذكر النسب الشاذة عن القياس اما النسب القياسية فلم يذكرها الا ما ندر • واشار الى المضارع المجرد بحركة عينه ، وذكر الجموع لانها في الثلاثي سماعية في الاغلب وليس لها ضابط مطرد •

واختار في الشرح أفضل عبارات الائمة وتجنب سرد كل اقوالهم في الاستدلال على ما ذهبوا اليه منها وترك تعليلاتهم ، واشار الى المجاز معتمدا في الحكم بمجازيته على اقوال الائمة كالزمخشري في الاساس والزبيدي في التاج وعلى ما جاء في تضاعيف الكتب ، ووضع ما عثر عليه في تضاعيف مواد اللغة في كتب الائمة نادًا عن مادته في محله من مادته التي هو منها • وذكر ما وضعه او صحح اطلاقه مجمعا دمشق والقاهرة من الاسماء الجديدة للمسميات الحديثة • وعني بتدقيق الاوزان والمكاييل العشرية من الغرام والمتر • وذكر الكلمات التي طرأت على اللغة في العصر العباسي بعضها اندثر ولكنه لا يزال مذكورا في مؤلفات ذلك العصر ، وبعضها مازال مستعملا الى اليوم • واعاد بعض العامي الى الفصيح وجعل مكانه الهامش خشية ان يختلط الفصيح بالعامي في متن المعجم ، وحرص على ألاّ تفوته مادة ذكرت في لسان العرب وتاج العروس • ولم يذكر اصطلاحات العلوم والفنون لانها خارجة عن اللغة الا ما كان منها له اساس بالمتن • والحق بالمقدمة المصادر القياسية للافعال المزيدة والرموز الواردة في المعجم والكلمات الطارئة على اللغة مثل ما عرّبه هو نفسه ومجمع اللغة العربية في القاهرة والمجمع العلمي في دمشق ومجمع مصر الاول ١٨٩٣ م ومجمع مصر الثاني (١٩١٠م) • وذكر اوضاعا نشرها احمد تيمور والاب انستاس الكرملي •

أمـا مصادره فقد كانت كتب الأئمـة السالفين لان كتـب المتأخرين المعاصرين غير مأمونة الخطـأ . وكان يضع أمامه تاج العروس الى جنب القاموس المحيط الى جنب لسان العرب، ويأخذ المادة فيطالعها في القاموس ويدقق في شرحها في التاج ويختصرها في مسودة ، ثم يعارضها بما في لسان العرب ويحرص في الاختصار على ألاّ يخرج عن مرادهم ومدلول كلامهم، ثم ينظر بعد ذلك في أساس البلاغة للزمخشري ومختار الصحاح للرازي والمصباح المنير للفيومي ، وبعد ذلك كله يثبت ما استخرجه في موضعه من معجم متن اللغة . ولم ينبه فيما نقله من هذه الكتب الخمسة الى اسم الكتاب المنقول عنه واما ما نقله عن غيرها فانه نبه اليه والى اسم الكتاب . (١٥) .

ومعجم متن اللغة خطوة جديدة في وضع المعجم الحديث ، لانه لم يقف عند القديم وحده وانما أضاف اليه ما استجد من ألفاظ الحضارة وما وضعه مجمعا دمشق والقاهرة .

الثالث : المعجم الوسيط الذي أخرجه مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٦٠ ، وهو كمعجم العلايلي في ترتيـب مواده وبالرجوع الى مـادة « أبد » تتبين الصلة بينهما ، وبذلك حافظ هذا المعجم على الترتيب المرتبط بأصول الكلمة .

وقد استهدت اللجنة التي وضعته بما أقره مجلس مجمع اللغة العربيه ومؤتمره من الفاظ حضارية مستحدثة أو مصطلحـات جديدة موضوعة أو منقولة في مختلف العلوم والفنون او تعريفات علمية دقيقة واضحة للاشياء ، وأهملت كثيرا من الالفاظ الحوشية الجافية أو التـي هجرها الاستعمـال لانتفاء الحاجة اليها أو قلة الفائدة منها ، والالفاظ التي أجمعت المعاجم على شرحها بعبارات تكاد تكون واحدة شرحا غامضا مقتضبا لايبين حقائقها ولا يقرب معانيها ، وأغفلت المترادفات التي تنشـأ عن اختلاف اللهجات وعنيت

---

(١٥) ينظر منهجه في معجم متن اللغة ج١ ص ٧٢ وما بعدها

باثبات الحي السهل المأنوس من الكلمات والصيغ ، واستعانت في شرحها للالفاظ بالنصوص والمعاجم التي يعتمد عليها وعززته بالاستشهاد بالايات القرآنية والاحاديث النبوية والامثال العربية والتراكيب البلاغية المأثورة عن فصحاء الكتاب والشعراء وصوّرت ما يحتاج توضيحه الى التصوير، وآثرت في الشرح الاساليب الحية على الاساليب الميتة . وادخلت ما دعت الضرورة الى ادخاله من الالفاظ المولدة او المحدثة او المعربة او الدخلية التي أقرها المجمع وارتضاها الادباء فتحركت بها ألسنتهم وجرت بها اقلامهم .

ويتلخص المنهج الذي نهجته اللجنة في ترتيب مواد المعجم بانها قدّمت الافعال على الاسماء ، والمجرد على المزيد من الافعال ، والمعنى الحسي على المعنى العقلي ، والحقيقي على المجازي ، والفعل اللازم على الفعل المتعدي . ورتب الفعل الثلاثي على ابوابه الستة ، والفعل الثلاثي المزيد بحرف على « أفعل » و « و فاعل » و « فعّل » ، والثلاثي المزيد بحرفين « افتعل » و« انفعل » و« تفاعل » و« تفعّل » و« افْعَلَّ » . والثلاثي المزيد بثلاثة أحرف على « استفعل » و « افعوعل » و « افعالّ » و « افَعوَّل » والرباعي المزيد بحرف على « تفعلل » . واما ما ألحق بالرباعي من اوزان فقد ذكر منها ما رأت اللجنة اثباته مع الاحالة عليه في موضعه من الترتيب الحرفي للمواد ، فكوثر ــ مثلا ــ تذكر في « كثر » موضحا معناها وفي « كوثر » محالة على مادة « كثر » . وفصل مضعف الرباعي عن مادة الثلاثي وذكر في موضعه من الترتيب الحرفي ، فزلزل كتبت في مادة « زلزل » ، و« زلّ » كتبت في « زلل » . وهناك كلمات صدّرت بالتاء المبدلة من الواو ابدالا دائماً كالتؤدة وتجه وتقى واتّقى وتخم والتراث ، وقد جعلتها اللجنة مع اصلها في باب الواو . وراعت في رسم مثل « ائتب » اذا وقعت في مبدأ الكلام ان تثبت الهمزتان : همزة الوصل المرسومة الفا وهمزة فاء الكلمة

المرسومة باءً وان كانت قواعد الصرف تقضي بابدال الهمزة الثانية ياء في البدء بالفعل فيقال « ايتب » • ورتبت الاسماء ترتيبا هجائيا •[١٦]

وقد جمع المعجم الوسيط بهذا المنهج بين الاخذ بأصول الكلمة وذكرها بحروفها ، والاحالة على الاصل ، وبذلك سهل استعماله وكان اكثر فائدة للمراجعين الذين لا يعرفون اصل الكلمة • وقد قيل في هذا المعجم الكثير[١٧] ولكنه يظل نافعا ومرجعا مهما في اللغة لانه ذكر كثيرا من الالفاظ الجديدة ويسّر المعاني وشرحها شرحا واضحا • وهذا المعجم خير اساس للمعجم اللغوي الحديث اذا ما جرّد من الاعلام والبلدان والمصطلحات العلمية الدقيقة ، واضيفت اليه الالفاظ الجديدة مما اقرته المجامع وقبلته اللغة العربية طبيعة وذوقا •

آفاق المعجم :

ذلك ما كان من القديم والجديد في العناية بالمعجم ، ولكن المعجم العربي لايزال يستشرف آفاقا جديدة ، وقد دفع ذلك الى ان يفكر العلماء بوضع معاجم تغني المراجع وتقدم له خير زاد بجهد قليل وفي وقت قصير ، وان ينهدوا لوضع المعاجم المتخصصة بالعلوم ومصطلحاتها • وتزخر المكتبة العربية بكثير منها ، وكان بعضها جهد فرد ، وكان بعضها الاخر جهد مجامع لغوية ومؤسسات علمية • وهذا كله يبشر بخير عميم بعد ان وعى العرب ذاتهم واخذوا يتلمسون طريق البناء ويسيرون بخطى ثابتة تدعمها ارادة قويّة ويعززها علم غزير وتخصص دقيق • ولكن الوصول الى الغاية لايزال بعيدا ، ولاتزال خطوات كثيرة تنتظر الباحثين ؛ لان في العلم سعة وتطورا ، وفي الحياة تقدما وتجددا ، ولابد للمعاجم من ان تنهض بذلك كله لتستوعب الحضارة القائمة وتستشرف ما يسعى الى اقامته المخلصون •

---

(١٦) ينظر تقديم المعجم الوسيط ج١ ص ١٠ــ١٣ .
(١٧) ينظر المعجم العربي بين الماضي والحاضر ص ٦٦ وما بعدها .

يرى عبدالله العلايلي ان العمل المجمعي على أنحاء :

الاول : المعجم المادي ويبحث على سنة المعاجم القديمة .

الثاني : المعجم العلمي ويبحث في الاصطلاحات .

الثالث : المعجم الاصطلاحي ويكون على نسق الكليات لابي البقاء والتعريفات للجرجاني .

الرابع : المعجم التأريخي أو النشوئي .

الخامس : المعجم المعلمي ، ويضم جميها باختصار (١٨) .

ولعل اهم ما ينبغي العمل من اجله في هذه الايام خمسة ألوان من المعاجم :

الاول : المعجم العلمي .

الثاني : معجم المعاني .

الثالث : معجم البلدان .

الرابع : معجم الاعلام .

الخامس : المعجم اللغوي

ويراد بالمعجم العلمي مايشمل المصطلحات التي يتداولها أصحاب علم بعينه ، وقد عرف العرب هـذا اللون من التأليف منذ القديم ، وظهرت معاجم تعنى بلون من ألوان العلم أو ألوان مختلفة(١٩) . وزادت العناية بها في هذا العصر وبلغت المئات ، وقدمت أجل خدمة للعلم وتعريبه .

واهتم العرب بمعاجم المعاني، ولعل «فقه اللغة» للثعالبي و«المخصص» لابن سيده من أشهر ما عرف في القديم ، وقد زادت الحاجة اليها في هـذا العصر بعد ازدهار الحضارة وتشعب أنحائهـا وكثرة مادخـل من مخترعات وتفنن في الحياة ، فاذا به يفيض ويدعو الى من يمده بلفظ او مصطلح يقرّب بين الناطقين أو الكاتبين باللغـة . وقد شعر اعضاء مؤتمر التعريب الـذي

---

(١٨) ينظر تهذيب المقدمة اللغوية ص ٢٦٩ .

(١٩) تنظر في المعجمات العربية ص ١٣٣ وما بعدها .

انعقد بالرباط في نيسان ١٩٦١ م بضرورة وضع معجم من هذا اللون فأوصوا بوضع « معجم معان ليستعين به أبناء العربية في العثور على الالفاظ الدقيقة لما يجول في أذهانهم من المعاني والصور »[٢٠]. وقام عبدالعزيز بن عبدالله بوضع هذا المعجم ونشر فصولا منه في مجلة « اللسان العربي » وهو تمهيد لكتاب يضم جميع ألفاظ اللغة العربية مبوبة حسب معانيها تبويبا موضوعيا ملائما لهذا العصر وذوقه يسهل على الباحث أن يعثر فيه على الالفاظ المؤدية للمعاني التي تجول في خاطره . وسيكون هذا المعجم عند انجازه وطبعه خير هدية لابناء هذا العصر لانه يحقق كثيراً من الاهداف اللغوية والحضارية .

وتزداد الحاجة الى معجم للبلدان بعد أن أصبحت المعاجم القديمة لا تعين المعاصرين ، اذ ليس من الدقة أن يرجع الباحث أو الدارس الى معجم يحدد له المسافة بالفراسخ أو بمسيرة يوم أو يومين أو سبع ليال كما فعل المعجم الوسيط فقال عن بردى : « نهر دمشق الاعظم ، يخرج من قرية الزبداني على خمسة فراسخ من دمشق مما يلي بعلبك »[٢١] . أو أن يرجع الى معجم لا يضم الحديث من البلدان ، فبين ياقوت الحموي ونهاية القرن العشرين قرون اندثرت فيها بلدان وقامت مدن وأمصار ، ولا بد للجديد من ان يعرف بموقعه وحدوده ومساحته وسكانه ، وان يكون ذا نفع لكل طالب علم .

وللاعلام معجم ، وقد زادت عناية العرب بهذا اللون وكثرت المعاجم واتسعت ، فاذا هي فيض . ولا يحتاج المثقف الى كل ماجاء فيها وانما يعنيه مااشتهر منها وعرف ولا يزال بذكره حياً بين الناس . ومثل هذا يحتاج الى وضع معجم عام للأعلام يكون موجزا لتسهل الافادة منه لمن اراد المعرفة ، أما المتخصصون فلهم معاجمهم القديمة والحديثة ولهم ان يفعلوا ما

---

(٢٠) ينظر التعريب ومستقبل اللغة العربية ص ١٢١ .

(٢١) المعجم الوسيط ج١ ص ٤٧ .

يشاءون لانهم لايريدون المعرفة العاجلة وانما يسعـون الى التثبت في العلم والوصول الى اليقين .

ان هذه الالوان الاربعة مهمة في هذا العصر ، وليس وضعها ـ وقـد وضع كثير منها ـ بالصعب أو المستحيل لانهـا محددة الاهداف واضحـة المعالم ، والعلماء والمفكرون قادرون ـ بلا ريب ـ على أن يقوموا بهـا ويخرجوا لكل علم أو فن معجما يحدد ألفاظه ويشرح مصطلحاته ويكـون وعاءً لما يستجد ، ولما يضيفه تقدم العلم وازدهار الحضارة . ولكن المعجـم اللغوي أصعب سلما لانه يشمل الالفاظ اللغوية وتطور دلالتها وما جاء في الادب شعره ونثره . وهو غير هذه الالوان الاربعة بل لاينبغي أن تقترب مواده منها الا ماأصبح شائعا مألوفا يستعمله أصحـاب اللغة مهما اختلفت الثقافة وتنوع الاختصاص ، أي انه لا يضم المصطلحات العلمية الدقيقـة ولا البلدان والاعلام ، لئلا يقع خلط بينهما ويختل ترتيب المعجم ويتسع جمعه حيث لا ينبغي له ان يتسع ويعجز الناس عن الرجوع اليه .

أما المعجم التأريخي الذي رسمه فيشر وعمل من أجل اخراجه فانه ليس كبير أهمية في هذا الوقت ، وليس من السهل وضعـه وقد أقامه على سبع نواح : تأريخية واشتقاقية وتصريفية وتعبيرية ونحوية وبيانية واسلوبية[٢٢] . وهذه النواحي السبع تتطلب جهداً عظيما في الوقت الذي يسعى فيه أصحاب اللغة الى خدمتها بأسرع ماينبغي لتلحق بالتطور العظيم والحضارة الواسعة والعلم الجديد الذي يسابق الزمن . وقد بدأ مجمع اللغة العربية في القاهرة بوضع « المعجم الكبير » ورسم خطته واصدر قسما منه ولكن اكماله ليس بالقريب . وقد عرضت على مؤتمر مجمع اللغة العربيـة في دورته الحاديـة والخمسين المنعقدة في شباط واذار ١٩٨٥م المواد التي انهى مجلس المجمـع

---

(٢٢) للتفصيل ينظر المعاجم العربية ص ١٣٧ ، والمعجم العربي ـ نشـأته وتطوره ـ ج٢ ص ٧٣٤ .

دراستها من المعجم الكبير ، وهي المواد المبتدئة من اول حرف الحاء الى (ح ب ي) ، واستمع المؤتمرون الى الملاحظات التي قدمها الاساتذة حمد الجاسر وعبدالسلام هارون ومحمد بهجة الاثري وحسني سبح وعدنان الخطيب ، فتقرر احالتها على اللجنة المختصة لاعادة النظر في المواد التي شملتها تلك الملاحظات[٢٣] ومعنى ذلك ان الطريق طويل الى اكمال هذا المعجم الذي سيكون ـ بلا ريب ـ هدية هذا القرن الى أبناء الامة العربية القادمين .

ان وضع المعجم التأريخي مهم ولكنه صعب ، ولعل الانفع منه والايسر وضع معاجم تأريخية لكل علم او فن تعرض فيها حياة اللفظة وانتقالها من معناها اللغوي الى معناها الاصطلاحي ، وتطور معناها الاصطلاحي من عصر الى عصر حتى استقرارها في القرن العشرين . وقد بدأت هذه المعاجم تظهر واخذ العلماء المختصون يسعون الى اخراجها ، فهناك معجم للفقه ومعجم للنحو ومعجم للبلاغة ومعجم للتربية ومعجم للفلسفة ومعجم لالوان الحضارة ومعجم للفنون وسوى ذلك مما زادت العناية به في هذه الايام. وستكون هذه المعاجم نواة للمعجم التأريخي الكبير الذي يطمح اليه كثير من المعاصرين .

ولكن الحاجة كبيرة في هذه الايام الى معجم لغوي ، يتميز بالسهولة ومواكبة العصر ، وقد سدّ « المعجم الوسيط » فراغا كبيرا ولكنه لايزال دون الطموح لما فيه من نقص في الالفاظ الجديدة ، وحشد للاعلام والبلدان وادخال للالفاظ العامية المحلية . وليس وضع معجم حديث على غراره بالصعب ولاتزال هناك سعة في التصور وهمة في العمل والانجاز ، ولاتزال هناك ابواب مشرعة للغة العربية التي استوعبت الحضارة والتقدم العلمي ، وهي اللغة الواسعة التي تعددت وسائل نموها وتطورها . فهناك المجاز

---

(٢٣) تنظر مجلة مجمع اللغة العربية الاردني العدد المزدوج (٢٨ـ٢٩) ص٢٣١. وقد صدر من هذا المعجم مجلدان فقط .

والاشتقاق والارتجال والتوليد والقياس والاقتراض والنحت[٢٤] ، وهي وسائل تتسع لاستيعاب العلوم ومصطلحاتها والحضارة والفاظها ، وهي قادرة ــ بلا ريب ــ على ان تمد المعجم الحديث بمادة لغوية كبيرة تستجيب لمتطلبات الحياة وتؤدي ما يعبر به المعاصر عن معان وافكار • فالمجاز باب واسع للتفنن والابداع ليس في الادب وحده وانما في وضع الالفاظ ولم يقف في اي عهد من عهود اللغة العربية وانما واكب الحياة الادبية واللغوية وشهدت الاتجاهات المعاصرة الوانا كثيرة منه • وقد دخل المجاز في المعاجم القديمة واصبح بعض المجازات حقائق لا يعرف اصلها الا المتعمق في اللغة ، وكثير من الاسماء الشرعية والاسماء الدينية والفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية مجازات حددها القرآن الكريم او وضعها العلماء فاصبحت حقائق لا يذهب الذهن الى اصلها الا بعد البحث والتنقير • ولعل اساس البلاغة لجار الله الزمخشري اكثر المعاجم عناية بالمجاز ، فقد اهتم به وافرده عن الحقيقة كما افرد الكناية عن التصريح • وقد اتخذ منهجا سار عليه وهو ان يذكر مجاز كل مادة بعد الانتهاء من المعاني الحقيقية • ففي مادة « أبد » يقول : « ومن المجاز فلان مولع بأوابد الكلام وهي غرائبه وبأوابد الشعر وهي التي لا تشاكل جودة »[٢٥] • والمعجم الحديث سيكون اوسع من « أساس البلاغة » في هذا الفن لانه سيضم مجازات كثيرة لم تكن معروفة حينما وضع الزمخشري اساسه •

والاشتقاق باب واسع وان حصره القدماء في مسائل معينة ولم يطلقوه، والمعجم الحديث قادر على ان يأخذ من هذه الوسيلة مادته لان العربية لغة اشتقاقية • ولابد ــ اذا اريد للمعجم ان ينهض ــ من الاخذ بالاشتقاق الى ابعد مدى وألا ينحصر فيما رسمه القدماء •

---

(٢٤) ينظر دعوة الى تعريب العلوم في الجامعات ص ٦٩ وما بعدها .
(٢٥) اساس البلاغة ص١ .

والارتجال من وسائل وضع الالفاظ، ومثله التوليد بمعنى نقل اللفظ من المعنى القديم الى المعنى الجديد كالجريدة والمجلة والسيارة والطيارة وغيرها من اسماء الآلة والاداة .

والقياس باب واسع وان تشدد البصريون فيه ولم يجيزوا القياس على الامثلة القليلة النادرة ، وقد اجاز الكوفيون القياس على المثال المسموع واخذ بذلك بعض المحدثين ودعا الى الانتفاع بالوارد المسموع لتمنح اللغة قوة وقدرة على مسايرة الحياة المتجددة بمستحدثاتها العلمية والحضارية(٢٦) وكان ابو عثمان المازني يقول : « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب »(٢٧) .

ويبقى الاقتراض والنحت وهما نافعان في المصطلحات العلمية غير انهما قد يفسدان المعجم اللغوي اذا ما وجدا سبيلهما اليه كما يدعو بعض المعاصرين ويأخذ به بعض الداعين الى الانفتاح على لغات العالم والاخذ بما فيها من وسائل لتتقدم اللغة العربية وتستوعب الحياة الجديدة .

لقد اخذ القدماء بهذه الوسائل واستعانوا بها واتخذوها وسيلة من وسائل اغناء المعجم الى جانب ما سمع عن العرب وجمعه الرواة واللغويون، وكان المتأخرون يأخذون من المتقدمين وينقلون عنهم ، وقد صرح بذلك معظمهم في مقدمات معاجمهم واعترفوا بفضل السابقين ، ولكنهم لم يضيفوا كثيرا الى من تقدمهم ولم ينتفعوا بما طرأ على اللغة العربية من تطور في دلالة الألفاظ وسعة في التعبير . وفات بعضهم كثير من الالفاظ والمعاني كالجوهري الذي قال الفيروز ابادي فيه ان نصف اللغة او اكثر فاته اما باهمال المادة او بترك المعاني الغريبة النادرة(٢٨) وكان من المؤمل ان يضيف الزبيدي الكثير

---

(٢٦) ينظر اللغة والنحو ص ٦٢ ، ٦٤

(٢٧) المنصف ج١ ص ١٨٠ .

(٢٨) القاموس المحيط ج١ ص ١٧

من الالفاظ والمعاني لولا وقوعه في اسر « القاموس المحيط » ووقوفه على أمور كثيرة أبعدته عن الهدف اللغوي الذي من اجله يؤلف المعجم .

ان وقوف القدماء عند عهد الاستشهاد اللغوي اضاع كثيرا مما استحدث ، وكانت اللغة العربية قد نمت نموا كبيرا حينما ازدهرت حضارة العرب ، وظهر الشعراء والكتاب والعلماء وهم يتحدثون عن الحياة الجديدة ويعبرون عما يشاهدونه ويحسون به . ويتم نمو المعجم الحديث بالرجوع الى التراث الضخم الذي تركه العرب وجَرْدِه وادخال الالفاظ التي لم يدخلها اصحاب المعاجم القديمة ؛ لان اهمال الكتب يحصر اللغة في نطاق ضيق ويوقف مسيرتها ويعوق نموها وتطورها . وكان الزمخشري من اكثر القدماء تحررا فقد استفاد في « أساس البلاغة » مما نقل عن العرب وما طالعه في بطون الكتب ومتون الدفاتر من روائع الفاظ وجوامع كلم ، وتخير ما وقع في عبارات المبدعين وانطوى تحت استعمالات المفلقين او ما جاوز وقوعه فيها وانطواؤه تحتها من التراكيب التي تماح وتحسن لجريها على الالسنة والاقلام[٢٩] . وغاص الفيروز ابادي على المعاني في بطون الكتب وضمها الى خلاصة ما في المحكم والعباب [٣٠] . وهذا طريق يفضي الى حرية المعاصرين في الغوص على ما في بطون الكتب القديمة والحديثة واخذ ما صحّ وادخاله في المعجم ليكون نابضا بالحياة ، وليظل مسايرا للغة لا قيدا يمنعها من النمو والعطاء .

ولا بد للمسموع من أن يجد سبيله الى المعجم ، ويراد ما سمع من العلماء والمعتد بلغتهم وفصاحتهم لا عامة الناس . اي انه لا ينبغي تحرير السماع ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع كالحدادين والنجارين والبنائين وسواهم من ارباب الحرف والصناعات كما ذكر المعجم الوسيط[٣١]

---

(٢٩) ينظر اساس البلاغة ص (د) .
(٣٠) ينظر القاموس المحيط ج١ ص ٣ .
(٣١) ينظر المعجم الوسيط ج١ ص ١٠ .

لان ذلك يؤدي الى افساد اللغة ودخول العامي المبتذل والاعجمي المحرف . وقد ادخل المعجم الوسيط الالفاظ المحدثة وهي ما استعمله المحدثون في العصر الحديث وشاع في لغة الحياة . وقد يكون ذلك مقبولا اذا كانت اصوله عربية وقد حرف ، اما اذا كان اجنبيا او حرّف تحريفا ابعده عن اصله فذلك لا يرضي اللغة واهلها ؛ لان فيه خروجا عليها واقرارا للمبتذل من الالفاظ مثل « الجزمجي » و « الطربوش » .(٣٢)

ان المعجم الحديث ينبغي ان يستوعب الالفاظ الجديدة ولكن لا الالفاظ التي تنحدر باللغة وتبعدها عن مسيرتها الطبيعية ، ويأخذ من الادب قديمة وحديثه وكتب التاريخ والجغرافية والفقه والرحلات وسواها ويستعين بوسائل نمو اللغة ولا يقتصر على النقل من المعاجم القديمة كما فعل بعضهم في اواخر القرن الماضي ومطلع القرن العشرين ، وانما يتوسع ويدخل ألفاظ المعاصرين البلغاء وأساليب المبدعين . وقد خطا اصحاب « القاموس الجديد » الذي صدر في تونس سنة ١٩٧٩م خطوة في هذا الميدان فاستشهدوا بشعر من لم يستشهد بشعرهم في القديم ، كالمتنبي والمعري وأبي فراس وابن زيدون . ولم يقفوا عند هؤلاء وانما استشهدوا بشعر المحدثين كاحمد شوقي وحافظ ابراهيم والرصافي والعقاد والشابي ومحمد الفائز القيرواني ومصطفى خريف(٣٣) . وكان الاستشهاد بهؤلاء لانهم لم يخرجوا على اللغة السليمة وقد تأتي خطوة جديدة وهي الاستشهاد بما يضعه الادباء المعاصرون من الفاظ جديدة او ما يستقر في كلامهم من استعمال لم يألفه القدماء .

ولا ينبغي أن يهمل ما وضعته المجامع العربية في هذا العصر ، فقد كان لها دور كبير في اغناء اللغة العربية وتطورها ، ولا ما وضعه العلماء والباحثون

---

(٣٢) ينظر المعجم الوسيط ج١ ص ١٢٢ ، ج٢ ص ٥٥٩ .
(٣٣) ينظر كتاب وقائع ندوة اسهام التونسيين في اثراء المعجم العربي ص٢٢٨

ووجد سبيله الى لغة الحياة الادبية والعلمية ؛ لان هذين الرافدين أهم مايمد اللغة ويطورها لما فيهما من عطاء وقدرة على الوضع والاخذ باسباب العلم الحديث والذوق الرفيع ، ولاسيما ألفاظ الحضارة التي اكتنفت المعاصرين من كل جانب وكادوا يعجزون عن التعبير عن الحياة الجديدة لولا المجامع وفضلاء القوم .

فالمعجم الذي يرتبط بالحياة المعاصرة ينبغي أن يأخذ بوسائل نمو اللغة ويستعين بما بذل من جهد في القديم والحديث . ولعل أهم ما يرسم مادته :

١ ــ الرسائل اللغوية مثل كتب الغريبين والفقه ، وكتب النبات وكتب الحيوان والنبات وكتب النوادر وكتب الافراد والتثنية والجمع وكتب الأبنية وغيرها مما طبع أو فقد وظلت بعض مواده في المظان الاخرى .

٢ ــ المعاجم وهي كثيرة وقد ضمت مفردات اللغة وشروحها وكثيرا من الابنية ومعانيها . وهي على الرغم مما تشترك فيه يتميز بعضها عن بعض وسيجد المعاصرون فيها مادة وفيرة تكون اساسا لمعاجمهم . وقد يكون نافعا ان يتخذ معجم مبسوط اساسا وتجرد مواده وترتب ترتيبا دقيقا بعد حذف المعاد وادخال ما لم يرد في ذلك المعجم.ويظل العمل متواصلا والمراجعة مستمرة حتى يتيقن المؤلف او المؤلفون من ان المادة اللغوية استوفت اجزاءها وانها ضمت كل ما يتصل بها من صيغ ذكرتها المعاجم والموارد الاخرى .

٣ ــ التراث ويضم كل ما تركه العرب من كتب فقهية وادبية وعلمية وتأريخية وجغرافية وفنية وسواها ، لان فيها مادة لم تذكرها المعاجم ،ويدخل في ذلك الادب قديمه وحديثه .

٤ ــ السماع من البلغاء والادباء الكبار لا ما يتحدث به الحدادون والنجارون والبناؤون وسواهم من اصحاب الحرف غير المثقفين .

٥ ــ المجامع اللغوية ، وجهدها في المعجم كبير ، وقد استطاعت ان تضع

او تدقق وتصحح كثيرا من الالفاظ وجد بعضها سبيله الى معجم متن اللغة والمعجم الوسيط .

وان يكون المعجم الحديث صورة للواقع الجديد ويحمل المنزع اللغوي لا العلمي او الاصطلاحي ، ولعل اهم سماته :

١ ــ ألاّ تذكر فيه الالفاظ المهجورة او الدالة على اشياء اندرست ولم تبق لها في الحياة معالم واضحة ، لان موضعها المعجم التأريخي الكبير والمعاجم القديمة التي تبقى مرجعاً مهما الى جانب المعجم الحديث .

٢ ــ ألاّ تذكر فيه الالفاظ الاجنبية الا ما اصبح ضرورة او جاء في المعاجم والكتب القديمة وظل حضوره ماثلا في هذا العصر .

٣ ــ ألاّ تذكر فيه المصطلحات العلمية لان موضعها معاجم المصطلحات الا ما شاع في اجهزة الاعلام وتداولته الاقلام ولهجت به الالسن .

٤ ــ ألاّ تذكر الفاظ الحضارة التي اصبحت مصطلحات علمية دقيقة لان موضعها معجم المصطلحات او المعاجم الخاصة .

٥ ــ ألاّ تذكر الاعلام لان موضعها معاجم الاعلام .

٦ ــ ألاّ تذكر المدن والاماكن لان موضعها معاجم المدن او دوائر المعارف والموسوعات .

٧ ــ ان تبتعد عن الالفاظ العامية المحلية او العامية التي ليس لها اصل في العربية او انحرفت عن الفصيح انحرافا كبيرا .

هذه بعض ملامح المعجم الحديث اما ترتيبه فينبغي ان يرتب على المادة الثلاثية مثل ترتيب « اساس البلاغة » والمعاجم الحديثة كمعجم متن اللغة والمعجم الوسيط ، أي البدء بأول المادة فوسطها فآخرها لا ترتيب القاموس المحيط ولسان العرب وتاج العروس التي اتخذت من الحرف الاخير بابا ومن

الحرف الاول فصلا . أما ترتيبه على حروف الكلمة كلها ـ وهو ما اخذ به جبران مسعود في « الرائد » ـ فانه يفقد المعجم خصائص اللغة العربية ويفرق بين كلمات المادة الواحدة .

وينبغي ان ترتب مواد اللفظة الواحدة ترتيبا دقيقا وألا تذكر اعتباطا من غير منهج او تنسيق ، وكانت طريقة « المعجم الوسيط » واضحة ، فسهل الرجوع اليه .

وينبغي ان توضع في كل مادة لغوية جميع الفاظها الا ما كان قياسيا كاسم الفاعل والمفعول ، اما المصادر والصيغ المسموعة فينبغي ذكرها لانها لا تخضع للقياس ، واهمالها يفقد المعجم ثروة كبيرة .

وتأتي العناية بشرح المعنى وايضاحه[٣٤] في مقدمة ما يُعنى به المعجم الحديث ، ولذلك ينبغي :

١ ـ ان يكون الشرح واضحا ليس فيه لَبْس وابهام ، وألا تستعمل الاضداد في الشروح لانها كثيرا ماتكون غير مفهومة أو مضللة أو بعيدة عن الاذهان .

٢ ـ أن تحدد المعاني بدقة فلا يقال عن نبت انه نبات أو حيوان انه حيوان ، كما فعل اصحاب المعاجم القديمة وانما يحدد ويوصف ليكون قريبا الى الفهم واضحا .

٣ ـ أن ترتب معاني اللفظة الواحدة وينتقل فيها من المعاني المادية الحسية الى المعاني العقلية أو المعنوية ،ومن الحقيقة الى المجاز الذي يؤتى به في اخر المعاني لانه دلالة متأخرة للفظة .

ولن يكون المعجم العربي الحديث دقيقا ما لم تقم به المجامع العربية او

---

(٣٤) تنظر وسائل التفسير في كتاب المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ص ١٠٢ .

المؤسسات العلمية ، وان تركه للجهد الفردي قد يضيف أخطاء ويوقع في خلل ويشيع الفوضى ويحدث تباينا بين قطر واخر ، وفي ذلك عود على بدء وكأن لم تثمر جهود المجامع والعاملين في سبيل اللغة العربية .

فالمعجم اللغوي المنشود هو ما جمع المألوف المأنوس وضم الجديد المدروس ، وكان دقيقاً في منهجه واضحا في شرحه . والمعجم الوسيط خير منطاق اذا جرّد من العامي والاعلام، وحذفت منه المصطلحات الدقيقة وما يعنى به المختصون . ومجمع اللغة العربية في القاهرة أولى بتنقيحه وتجديده ؛ لانه خرج من بين اقلام رجاله ، وان لم يكن محظورا ان ينتفع به اتحاد المجامع العربية أو أية مؤسسة علمية لتبني عليه المعجم الحديث وتخرجه سويا ينفع اهل هذا القرن ويكون منطلقاً الى المستقبل حيث تتعقد سبل الحياة ، وتتنوع فنون الحضارة ، وتكثر أسباب العلم ، وتتغير نظرة الناس، وتتعدد حاجاتهم وان كانوا امتداداً للماضين .

المصادر :

١ ــ أساس البلاغة ــ جارالله الزمخشري . القاهرة ١٩٦٠ .

٢ ــ أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد ــ سعيد الخوري الشرتوني . بيروت ١٨٨٩ م .

٣ ــ البستان ــ عبدالله البستاني . بيروت ١٩٣٠ م .

٤ ــ التعريب ومستقبل اللغة العربية ــ عبدالعزيز بن عبدالله . القاهرة ١٩٧٥ م .

٥ ــ تهذيب المقدمة اللغوية ــ عبدالله العلايلي . بيروت ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٨ م .

٦ ــ دعوة الى تعريب العلوم في الجامعات ــ الدكتور احمد مطلوب . بيروت ١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م

٧ ــ الرائد ــ جبران مسعود ٠ بيروت ١٩٦٤ م

٨ ــ فاكهة البستان ــ عبدالله البستاني ٠ بيروت ١٩٣٠ م ٠

٩ ــ القاموس المحيط ــ مجد الدين الفيروز ابادي ٠ القاهرة ٠

١٠ ــ قطر المحيط ــ بطرس البستاني ــ بيروت ١٨٦٩م ٠

١١ ــ اللغة والنحو بين القديم والحديث ــ عباس حسن ٠ الطبعة الثانية ــ القاهرة ١٩٧١ م ٠

١٢ ــ مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ٠ السنة التاسعة ــ العدد المزدوج (٢٨ ــ ٢٩) ٠ شوال ١٤٠٥ هـ ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ (تموز ــ كانون الاول ١٩٨٥ م) ٠

١٣ ــ محيط المحيط ــ بطرس البستاني ٠ بيروت ١٩٧٧ م ٠

١٤ ــ المعاجم العربية ــ الدكتور عبدالله درويش ٠ القاهرة ١٩٥٦ م٠

١٥ ــ المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ــ الدكتور محمد أحمد أبو الفرج ٠ بيروت ١٩٦٦ م ٠

١٦ ــ المعجم ــ عبدالله العلايلي ٠ بيروت ١٩٥٤ م ٠

١٧ ــ المعجمات العربية ــ وجدي رزق غالي ٠ القاهرة ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م ٠

١٨ ــ المعجم العربي ــ نشأته وتطوره ــ الدكتور حسين نصار ٠ الطبعة الثانية ــ القاهرة ١٩٦٨ م ٠

١٩ ــ المعجم العربي بين الماضي والحاضر ــ الدكتور عدنان الخطيب ٠ القاهرة ١٩٦٧ م ٠

٢٠ ــ معجم متن اللغة ــ احمد رضا ٠ بيروت ١٣٧٧ هـ ــ ١٩٥٨ م ٠

٢١ ــ المعجم الوسيط ــ أخرجه ابراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار ، واشرف على طبعه عبدالسلام هارون • القاهرة ١٣٨٠ هـ ــ ١٩٦٠ م •

٢٢ ــ المنجد ــ لويس معلوف ــ بيروت ــ الطبعة العشرون ١٩٦٩ م•

٢٣ ــ المنصف ــ شرح الامام أبي الفتح عثمان بن جني لكتاب التصريف لابي عثمان المازني • تحقيق ابراهيم مصطفى وعبدالله أمين • القاهرة ١٣٧٣ هـ ــ ١٩٥٤ م

٢٤ ــ وقائع ندوة اسهام التونسيين في اثراء المعجم العربي • بيروت ١٩٨٥ م •

* * *

« المعاجم العربية والتطور الحضاري »

نظرة في آفاق نمو المعجم العربي

د. حسام سعيد النعيمي
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

في البحث الذي قدمه أ. د. أحمد مطلوب الى المجمع العلمي في ندوته (ندوة المعجمية العربية) بعنوان : (آفاق نمو المعجم العربي الحديث) ، استطاع الباحث الفاضل ان يسير بالقارىء من بداية التأليف المعجمي العربي الى المعجمات العربية الحديثة ، وكان في ذلك واصفاً ، وناقداً ، ومقترحاً للصورة المثلى التي يراها للمعجم العربي الحديث .

وإذا كانت المادة الواردة في البحث في جمهورها لا يُخالف فيها . فان فيه جزئيات تدع متسعاً لتعدد وجهات النظر ، ولا بأس في الاختلاف في الفروع ما دام المنهج واحداً في الاصول ، واختلاف الرأي لا يُفْسِدُ للوُدّ قضية .

يستدعي النظر ما نقله الباحث الفاضل في ص٢ عن عبدالله العلايلي في تقسيم المعجمات العربية وفقاً لمناهجها ، اذ لم ينبه على ما وقع فيه من سهو ، ولو في الحاشية ، حيث جعل العلايلي الجمهرة لابن دريد من مدرسة العين[١] ، ومعلوم ان الجمهرة وإن وافق العين في التقليبات الا ان بناءه على حروف الهجاء[٢] وليس على المخارج وهو ما بني عليه العين . كذلك جعل مقاييس اللغة لابن فارس والمحيط للصاحب مع الاساس للزمخشري والمصباح للفيومي[١] ، والمقاييس مبني على حروف الهجاء (الالف باء) بكيفية خاصة، اذ يبدأ بالحرف والذي يليه في سلسلة هجاء الحروف حتى الياء ثم يعود

الى بداية الحروف ، فكتب مثلا يتقدمها في المقاييس كلم وكلو ، وكمن وكمي وهكذا حتى يعود الى الكاف والهمزة وما يثلثهما فتأتي كتم وما وراءها الى الياء ثم تأتي كتب • يقول الاستاذ عبدالسلام هارون : (جرى ابن فارس على طريقة فاذّة بين مؤلفي المعاجم في وضع معجميه المجمل والمقاييس ، فهو لم يرتب موادهما على اوائل الحروف وتقليباتها كما صنع ابن دريد في الجمهرة ، ولم يطردها على ابواب اواخر الكلمات ، كما ابتدع الجوهري في الصحاح وكما فعل ابن منظور والفيروز آبادي في معجميهما ، ولم ينسقهما على اوائل الحروف فقط كما صنع الزمخشري في اساس البلاغة والفيومي في المصباح المنير • ولكن سلك طريقاً خاصاً به لم يفطن اليه احد من العلماء ولا نبّه عليه •••• وفي ابواب الثلاثي من التاء لا يذكر اولا التاء والهمزة وما يثلثهما بل يؤخر هذا الى اواخر الابواب ، ويبدأ بباب التاء والجيم وما يثلثهما ثم باب التاء والحاء وما يثلثهما ، وهكذا الى ان ينتهي من الحروف ثم يرجع ادراجه ويستأنف الترتيب من باب التاء والهمزة وما يثلثهما ، وذلك لان اقرب ما يلي التاء من الحروف في المواد المستعملة هو الجيم • وتجد ايضا ان الحرف الثالث يراعى فيه هذا الترتيب ففي باب التاء والواو وما يثلثهما يبدأ بـ (توي) ثم (توب) ثم (توت) الى آخره، وذلك لان أقرب الحروف التي تلي الواو هو الياء •••)[٣]

واما المحيط للصاحب فان منهجه منهج العين في الترتيب حيث رتب الحروف على المخارج وكذلك هو مثل العين في اتباعه نظام التقاليب •[٤]

وفي كلام الباحث الفاضل على المعجمات القديمة والحديثة لا اجدني أميل الى ما وُصفت به معجماتنا القديمة اذ قيل : (وقد بذل جهد كبير في نهاية القرن الماضي ومطلع هذا القرن ، وظهرت معاجم كثيرة حاولت ان تستخلص خير ما في المعاجم القديمة ولكن معظمها ظل في نطاق ما رسمه القدماء من تشتت للمعاني يتعب المراجع ، وشرح غامض يرهق الدارس •••)[٥]

فالمادة العلمية الواردة في أي جذر من الجذور اللغوية هي التي تجعل المعجم يعرضها في سطرين ، أو في عشر صفحات .

وقد دعتني عبارات في البحث سأوردها الى كتابة الصفحات التالية لها ، فمن ذلك ما جاء فيه تعقيباً على تقسيم د. حسين نصار (وقد يكون هذا التقسيم دقيقا لان الباحث نظر الى مناهجها وتقسيماتها وابوابها ولكنه لايظهر تطور المعجم العربي ولا يوضح الفروق في عرض المادة ولا يكشف عما أضيف من الفاظ ولا يبين تطور الدلالة اللغوية وما دخل الالفاظ من معان جديدة ، ولو رتبها ترتيباً زمنياً لاتضحت حياة نمو المعجم ولسهل وضع المعجم التاريخي الذي يعنى بتطور اللفظة ودلالتها ... ان هذا الترتيب على الرغم مما فيه من منهجية ، يقطع خط التطور ولا يخدم الالفاظ وتغير دلالتها بتغير الازمان ولا يحقق تحديد ظهور اللفظة أو استعمالها الجديد . واذا ما اريد بحث الدلالة وجب أن ترتب المعاجم ترتيباً زمنياً وتدرس كل مادة لتتضح مسيرتها ويحذف المكرر ويثبت ما اضيف خلال العهود السابقة .) (٥)

ومن ذلك ايضاً قوله : (ان وضع المعجم التاريخي مهم ولكنه صعب ولعل الانفع منه والأيسر وضع معاجم تاريخية لكل علم ، وفن تعرض فيها حياة اللفظة وانتقالها من معناها اللغوي الى معناها الاصطلاحي ... ولكن الحاجة كبيرة في هذه الايام الى معجم لغوي يتميز بالسهولة ومواكبة العصر ،وقد سد «المعجم الوسيط »فراغاً كبيراً ولكنه لايزال دون الطموح لما فيه من نقص في الالفاظ الجديدة ، وحشد للاعلام والبلدان ، وادخال للالفاظ العامية المحلية .)(٦)

ومن ذلك قوله : (ان المعجم الحديث ينبغي أن يستوعب الالفاظ الجديدة ولكن لا الالفاظ التي تنحدر باللغة وتبعدها عن مسيرتها الطبيعية ويأخذ من الأدب قديمه وحديثه وكتب التاريخ والجغرافيا والفقه والرحلات وسواها ويستعين بوسائل نمو اللغة ولا يقتصر على النقل من المعاجم القديمة

كما فعل بعضهم في اواخر القرن الماضي ومطلع القرن العشرين وانما يتوسع ويدخل الفاظ المعاصرين البلغاء وأساليب المبدعين .) (٧)

مما لاشك فيه ان حظ العربية على أيامنا أحسن من حظها على ايام آبائنا واجدادنا الاقربين ، أعني حالها في القرن الماضي ، فلا نعرف مثلا وفقا لما اطلعنا عليه ان المشتغلين بعلوم العربية في ذلك الزمان قد أهمتهم المدلولات التي تشيع لها تسميات غير عربية كما هو الحال في ابناء هذا القرن الذين وجهوا عناية ظاهرة الى الترجمة والتعريب .

لقد عاشت الفاظ كثيرة في المجتمع البغدادي مثلا ثم ذهبت بذهاب مسمياتها ، ولم نقرأ لها مقابلا عربياً ، فقد أدركنا مثلا كلمة (سرداب) و (بادكير) و (تخته بوش) و (تيغة) و (ديوخانه) وغير ذلك كثير مما يشير الى عدم الاكتراث بوضع مقابل فصيح لها ، واللغات كما هو معلوم بابنائها وليست بذواتها ، ومن هنا دأبت أمم الارض اليوم على العناية بلغتها القومية ممثلة في لسان الادب والكتابة ، وتنادي العاملون في حقل التربية والتعليم الى اتخاذ الوسائل الناجعة لحماية لسان الادب من لسان الخطاب اليومي ، وفي هذا كتبت صحيفة تصدر بالعربية في لندن عن الشعب الياباني ومشكلته مع التلفاز بعنوان : التلفزيون يهدد اللغة القومية بالضياع فقالت : (اما فيما يتعلق بالاطفال فانه من بين كل ثلاثة اطفال هناك طفل واحد يقضي فترات طويلة امام الشاشة الصغيرة .. والطفل هنا يلتقط بطبيعة الحال مفردات اللغة الدارجة في اطار الافلام والبرامج الاخرى التي يشاهدها وربما يتأثر بها الى الحد الذي يجعله يهمل المرادفات والكلمات الخاصة باللغة الفصحى ، فالتلفزيون هنا يعد بالنسبة له المعجم الخاص الذي يثري رصيده اللغوي الضحل ويزوده بالمعاني المختلفة ، وهنا تصبح اللغة القومية مهددة بالضياع والانهيار ، أو هكذا يعتقد خبراء التربية والتعليم .)(٨)

ومن الحديث عن المعجم الخاص للافراد واهمية اثراء رصيدهم اللغوي

في لسان الادب والكتابة تحدث المشتغلون باللغة من المحدثين عن ضرورة (ان يكون منهج المعجم متجهاً الى دراسة « قائمة » من الكلمات تشتمل على جميع ما يستعمله المجتمع اللغوي من مفردات .)[٩]

ذلك ان المعجم هو الذي (يمد اللغة بمادة عملها وهي الكلمات المختزنة في ذاكرة المجتمع) .[١٠] واذا كانت لغة الادب في الامة موصولة بماضيها تعيّن ان يضم معجمها اللغوي ما هو مخزون في اذهان افراد المجتمع في وقت وضع المعجم المعاصر وكذلك ما قيدته معجماتها المتقدمة من مخزون العصور الماضية .

والحديث عن معجمات الافراد التي تكون باجتماعها المعجم العام يذكر بما كان دي سوسير اومأ اليه في (علم اللغة العام) بل قد لا نعدو الحقيقة اذا قلنا إن المعجم بالمفهوم اللساني اليوم هو ما عبر عنه دي سوسير بلفظ (اللغة ـ Langue وفقاً لمفهوم مصطلحاته الثلاثة :[١١] (الكينونة اللغوية ـ Langage) و (اللغة ـ Langue) و (الكلام (Parole) ، فاللغة عنده : (مجموع الذخيرة من الصور الصوتية الدالة المخزونة في اذهان الافراد في مجتمع ما) .[١٢]

فالصورة الصوتية موجودة (بالقوة) في اذهان افراد المجتمع فإذا تحولت الى اصوات لغوية منطوقة كان لها وجود (بالفعل) ومن هنا كان لكل انسان معجمه من الصور الصوتية المخزونة في ذهنه ، وبمقدار ما اطلع عليه كل انسان يكون ثراء معجمه او فقره ، وبنوعية ما اطلع عليه كل انسان يكون الاختلاف بين معجمات الافراد في المجتمع الواحد . وما لم تتحول الصور الصوتية للكلمات الى اصوات لغوية منطوقة وفقاً لقواعد نظم الكلام في لغة المتكلم تبقى معجمات الافراد التي يتألف من اجتماعها المعجم العام للمجتمع في طي الغيب الذي لا يعلمه الا الله .

وقد جعلت النظرية التوليدية (المعجم) قسيم النحو او القواعد في

(الاساس) من (المكوّن التركيبي) في (البنية العميقة) ذلك ان (الاساس) يحتوي (على مجموعة قواعد ــ قواعد اعادة كتابة ــ وعلى معجم يشتمل على المداخل المعجمية ويحتوي كل مدخل معجمي على سمات تركيبية وصوتية ودلالية •)[١٣] فالمدخل المعجمي يقدم (تخصيصاً مثولياً يشير الى المقولة قبل النهائية التي يمكن ادخال الوحدة المعجمية تحتها •)[١٤] وهكذا (يتم وضع الوصف الوظيفي لمتوالية معينة انطلاقاً من النحو والمعجم ••)[١٤]

ومن هنا كثر حديث بعض الدراسات اللسانية عن دراسة الجانب الانجازي الفردي من اللغة (الكلام) وان اللغة الحقيقية هي ما يتكلم به الناس[١٥] ، ولاشك في ان محاولة الفصل بين الانجاز اللغوي المورون المدوّن والانجاز اللغوي الحي المتداول لا يمكن ان تكون محاولة صحيحة الا اذا وجدت فجوة او قطيعة بين الانجازين ، وتكون دراسة المورون حينئذ دراسة علمية ذات فائدة معرفية محضة غير تطبيقية تقتصر على فئة علمية خاصة هي المعتنية بدراسة التحولات الصوتية او التركيبية او الدلالية في لغة مجتمع ما بتدرج تاريخي في حقب معينة •

ومن مسلمات الدرس اللغوي اليوم ان اللغات الحية يصيبها التحول في اصوات مفرداتها وفي نظمها في الكلام وفي دلالتها في النظم ، ومن امثلة ذلك ما نجده في الانجليزية مثلا في نحو قولهم اليوم :

The holy Andrew answered him

وقد كانت تقال في الانجليزية القديمة[١٦] (٤٤٩ ــ ١١٠٠م) :

Se hàlge Andreas him andswarode

وقولهم :

Then the King gave him asword

وكانت في الانجليزية القديمة :

Pà seald se cyning sweord

وقولهم :

I can not sing anything

وكانت في القديمة :

Ne can ic nóht singan

بل اننا وجدنا اليوم من ينص على ان لغة شكسبير الذي مضى على وفاته اربعمائة عام لم تعد مستعملة وانما ينبغي ان تترجم ! ففي كتاب البحث عن شكسبير لمؤلفه كاري تايلور : (ان عمر اعمال شكسبير هو ٤٠٠ سنة فقط ... إن لغة شكسبير عفا عليها الزمن ولم تعد صالحة للاستخدام الان ... ولهذا فإن اعمال الشاعر الكبير محتاجة الى ترجمة حتى يفهمها القارىء والمشاهد المعاصر تماماً مثل اعمال چوسر وسوفوكليس ...)[١٧] ، ومن اجل ذلك اشتغل الانجليز بالمعجم التاريخي الذي يعالج المفردات القديمة والحديثة (فيتتبع المعجم تطورها في المعنى والصورة في العصور المختلفة وربما في الاقاليم المتنوعة حتى يومنا هذا ، فهدف مثل هذا المعجم كما يقول معجم اكسفورد التاريخي الكبير : الوصف الدقيق لمعنى الكلمة واصلها وتاريخها)[١٨] فهل يصدق هذا على العربية ؟ أعني هل نستورد منهج المعجم الغربي ونصب العربية في قالبه ؟

خصوصية العربية :

تختلف العربية عن غيرها من اللغات الحية في حفاظ المتحدثين بها على اصوات مفرداتها ونظمها في الكلام ودلالتها في النظم على ما كانت عليه يوم درست العربية من خلال النصوص التي قيّدت بما سمي بعصور الفصاحة والاستشهاد ، ومن اجل ذلك وجدنا الشقة بين لغة الحديث ولغة الكتابة تضيق او تتسع بمقدار قرب المتحدثين في ثقافتهم من لغة الكتابة وبعدهم عنها ، ووجدنا كتب التصحيح اللغوي تترى لترد الاستعمالات الجديدة الى الطرائق القديمة على ما كان العرب يألفونه .

إن ازدواجية اللغة اليوم امر لا مفر من التسليم به وبأثره في عملية صنع المعجم الحديث ، واذا كانت الازدواجية في اللغات الاخرى ذات اثر محدود في معجماتها فانها في العربية ذات اثر كبير لسعة الشقة في احيان كثيرة بين لغة الحديث ولغة الكتابة ، كما ان خصوصية العربية في الحفاظ على دلالات مفرداتها في النظم ذات اثر في وضع مادة المعجم العربي الحديث، فمتكلم العربية اليوم يقرأ بها نصوصاً كتبت قبل ساعة كما يقرأ بها نصوصاً كتبت قبل اكثر من الف وخمسمائة عام ، ومهما تجدد في اللغة القديمة من دلالات مضافة فإن المتكلم اليوم يستطيع ان يستعملها بالدلالة التي كانت عليها في العصر الجاهلي او بالدلالة التي حدثت في اي وقت بعد ذلك الى اليوم .

ويرد هنا سؤال : أيمكن أن نعد معجما لمتعلم العربية فيه الالفاظ بدلالاتها المعاصرة وآخر للمتضلع منها فيه الالفاظ بدلالاتها القديمة ؟ وهل نملك ان نقول للمتعلم لا تقرأ كتاب الله تعالى او لا تقرأ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم او لا تقرأ ما كتب الجاحظ او لا تقرأ شعر زهير ... ؟

إن خصوصية العربية في تواصلها من القديم الى اليوم تحملنا على التأني في دراسة فكرة تقسيم المعجم على معجم معاصر ومعجم تاريخي ، وان نسأل عن حقيقة الحاجة اليوم الى المعجم التاريخي ؟ وما ثمرة تتبع دلالة لفظة ما ــ إن أمكن ذلك ــ من العصر الجاهلي الى اليوم والعربية متواصلة ومعاني المشترك منها يظهرها السياق والمقام ، ألسنا نستطيع اليوم ان نستعمل أي مفردة مما ورد في شعر زهير مثلا في المعنى الذي استعملها فيه . وقل مثل ذلك عما ورد في شعر جرير او البحتري او الرصافي ، وقل مثل ذلك بل قبل ذلك عما ورد في كتاب الله تعالى وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وفيما كتب علماء العربية وادباؤها الى اليوم .

ان ابناء زماننا فيما نحسب بهم حاجة الى معجم يضم من القديم ما هو مظنة الورود في النصوص القديمة المتداولة اليوم ، وما وجد من معان على

ايامنا ولنسمّه المعجم المادّ الذي يأخذ من المعجمات القديمة ما نحن بحاجة الى فهم معانيه لشيوع نصوصه بيننا من القرآن والحديث وشعر العرب ونثرهم ، مع الجديد من الالفاظ والجديد من معاني الالفاظ القديمة ، وهذا لا يشمل المعجمات العلمية المتخصصة وانما هو معجم النص الادبي ، والخطاب الفصيح اليومي مما يرد في الصحف والمجلات واحاديث الاذاعة والتلفاز وما يدور في هذا الفلك .

اما المعجم المتخصص فإنه يمر اليوم بسبب الترجمة بعصر اضطراب وقلق وتشتت لا نعلم معه كيف سيستقر به الحال ومتى .

تبقى مسألة معجم الحاسوب وتغذيته فالحاسوب جهاز العصر وينبغي ان تنتفع العربية به كما انتفعت اللغات الاخرى لان فيه من تيسير نقل المعرفة مالا ينبغي ان يغفل اثره اذ يمكن ان نخزن فيه من المعرفة ما شاء الله ثم بضربات محددة على مفاتيحه يقدم في ثوان مالا يمكن الحصول عليه في ايام كترجمة أديب من مصادره ، وكالقراءات الواردة في آية معينة وتوجيه كل قراءة ... الى غير ذلك .

والحاسوب ينبغي ان يكون التخاطب معه بلغة معاصرة لا يحتاج معها القارىء او السامع الى معجم ، لذا فنحن في تغذية الحاسوب بحاجة الى معجم المعاني المتداولة حالياً كي يتم التواصل بيننا وبينه .

فإذا عدنا الى الجانب المعرفي اللغوي بعيداً عن الحاسوب وتغذيته تذكرنا الحاجة الى المعجم المادّ الذي يضم المتداول في النصوص المشهورة قديمها وحديثها ويبقى المعجم القديم مرجعاً للنصوص غير المشهورة او غير المتداولة وهذا يستدعي القيام بتحديد مادة البحث من النصوص القديمة ، وجردها لتثبيت ما نحتاج اليه . فضلا عن النتاج الادبي المعاصر . وهو عمل لا يقوى على القيام به فرد بل ينبغي ان تتولاه مؤسسة علمية كالمجمع العلمي مثلا .

الهوامش

(١) آفاق نمو المعجم العربي الحديث ، د. احمد مطلوب ص٢ عن تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي ص ٢٦٨ .
(٢) انظر : المعجم العربي نشأته وتطوره ، د. حسين نصار ١ : ٤٠٦ .
(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، مقدمة المحقق ١ : ٤٢ ـ ٤٤ .
(٤) انظر : المعجم العربي ١ : ٣٦١ .
(٥) آفاق نمو المعجم ص ٣ .
(٦) م. ن ص ١٨ .
(٧) م. ن ص ٢٢ .
(٨) جريدة العرب العالمية ـ لندن ـ السنة ١٣ العدد ٣٢٧٣ في ١٩٩٠/٤/١٧م .
(٩) اللغة العربية معناها ومبناها ـ د. تمام حسان ص ٣١٤ .
(١٠) م. ن ص ٣١٦ .
(١١) انظر : اصوات العربية بين التحول والثبات ـ د. حسام النعيمي ص ٤٠ ، وعلم اللغة العام ـ دي سوسير ـ ترجمة د. يوئيل عزيز ص ٢٦ ـ ٢٧ .
(١٢) انظر : ابن جني عالم العربية ـ د. حسام النعيمي ص ١٤٤ ، وعلم اللغة العام ص ٢٦ ـ ٢٨ .
(١٣) الالسنية مبادئها واعلامها ـ د. ميشال زكريا ص ٢١٣ .
(١٤) اللسانيات واللغة العربية ـ د. عبدالقادر الفاسي الفهري ١ : ٨٥ .
(١٥) علم اللغة ـ مقدمة للقارىء العربي ـ د. محمود السعران ص ٤٣ .
(١٦)
The origins and Development of English Language
by Thomas Pyles, 1964 New York
(١٧) جريدة الشرق الاوسط ـ لندن ـ السنة ١٢ العدد ٤١٦١ في ١٩٩٠/٤/٢٠ م .
(١٨) المعجم العربي ٢ : ٧٦٥ .

المعجم الذي نريد

الدكتور
فاضل صالح السامرائي
استاذ بكلية الآداب ـ جامعة بغداد

من المعاوم ان اسلافنا قاموا بتأليف معجمي متعدد الانواع فمن ذلك المعجمات اللغوية ومعجمات الاعلام ومعجمات اسماء الكتب ومعجمات المؤلفين والمصطلحات وغيرها . والذي يعنينا ههنا المعجمات اللغوية . فقد ألفوا معجمات لغوية متعددة الانواع أيضا فمن ذلك معجمات الالفاظ ومعجمات المعاني ومعجمات المعرب والدخيل ومعجمات حروف المعاني والفروق اللغوية وغيرها .

وفي معجمات الالفاظ اتبعوا أساليب متعددة فمن تأليف على تقليب الحروف والترتيب المخرجي للحروف ثم سار على طريقة التقليب ابن دريد وآخرون ، الى تأليف بحسب الحروف الأخيرة للكلمات وهو ما يسمى بالباب ومراعاة حروف البدء وهو مايسمى بالفصل كما في الصحاح والقاموس المحيط وغيرهما ، الى تأليف بحسب الحرف الأخير ومراعاة ماقبله من الحروف كما في معجم (المنتهى) لمحمد بن تميم البرمكي (ت ٣٩٧ هـ) فهو يأخذ الحرف الأخير فيجعله بابا ثم يأخذ الحرف الذي قبل الأخير فيجعله فصلاً ويقلب الحروف الأوَل بموجب الفصل حتى ينتهي ثم ينتقل الى حرف آخر ففي حرف (الباء) مثلاً ذكر : قطرب ، دعرب فرب ، قرب . . . وزب قعسب ، دعسب ، دعشب ، قعشب . . . عصلب ، حطلب . . . الخ

وفي حرف (التاء) يبدأ بـ : ذأت ، شبت . . . عبت . . . شتت ، صحت ، وحت ، دشت ، دعت ، صغت ، مكت ، وكت ، حلت ، سحلت . . . . ثمت . ذمت ، غمت ، كنت . . . أوت ، لوت ، نوت . . . ثم أيت .

وفي حرف (الثاء) يضع : حربث ، هبث ، طثث . . . الخ (١)

فهو — كما نرى في باب التاء مثلاً — اخذ معه الحرف الذي قبل الاخير بادئاً بالهمزة فذكر (ذأت) ثم الباء فذكر : شبت ، عبت ، لبت ، ثم التاء فذكر : شتت ، ثم الحاء فذكر : صحت ، وحت ، ثم الشين فذكر : دشت ثم العين فذكر : دعت ، ثم الفاء فذكر : صفت ثم الكاف فذكر مكت ، وكت ثم اللام فذكر حلت ، سحلت ، ملت ثم الميم فذكر : ثمت ، ذمت ، غمت ، ثم النون فذكر كنت ، ثم الواو فذكر أوت ... بوت ثم الياء وذكر فيه أيت .

فهو إذن يتبع نظام القافية ثم يأخذ الحرف الذي قبل الآخر فيجعله فصلاً ويُجري عليه التقليب وليس كما ذكر الاستاذ أحمد عبدالغفور عطار في مقدمة الصحاح وتابعه عليه صاحب رسالة (الزمخشري اللغوي) أن محمد بن تميم البرمكي صنف كتاب(المنتهى) على اساس التزام الحروف الهجائية ابتداء من الحرف الاول وانه سبق الزمخشري الى ذلك (٢) .

كما ساروا على التأليف بحسب الحرف الأول للكلمة كما في (المقاييس) لأحمد بن فارس و (اساس البلاغة) للزمخشري مع فارق في الطريقة بينهما فان احمد بن فارس « اتخذ الالف باء اساساً ولكنه يستهل الحرف مع ما يليه فيأخذ باب الباء مثلاً مع التاء لا الهمزة او الباء ، وباب التاء مع الثاء . . . وباب العين مع الغين . . . وأهمل الترتيب في ابواب ما زاد على ثلاثة اصول مكتفياً بأن تبدأ الكلمات بالحروف المعقود له(٣) » . اما الزمخشري فانه رتب معجمه (اساس البلاغة) على اساس الحروف الهجائية مبتدئا بالحرف الاول فالثاني ومثله في ذلك (المصباح) المنير للفيومي وهو الذي استقر عليه التأليف المعجمي فيما بعد .

---

(١) المنتهى الورقة ٢٦ وما بعدها . وانظر الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ١٥٤ .

(٢) مقدمة الصحاح للجوهري ١٦٧ ، الزمخشري اللغوي ٢٣٥ وانظر الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ١٥٢ — ١٥٣ .

(٣) المعجم العربي للدكتور حسين نصار ٤٠١ .

كما قاموا بالتأليف بحسب الأبنية كما في ديوان الادب للفارابي، وغير ذلك من التأليف في معجمات الالفاظ .

والقسم الثاني من المعجمات اللغوية معجمات المعاني وقد اتخذت هذه المعجمات صوراً وانماطاً مختلفة منها المعجمات التي تتخذ موضوعاً معينا كمافي خلق الانسان والفروق وفي خلق الحيوان كالخيل والابل والغنم والوحوش وكما في كتب المذكر والمؤنث وما الى ذلك .

ومنها المعجمات العامة التي تعرض للمعاني على وجـه العموم ككتاب (المعاني الكبير) لابن قتيبة وكتاب (فقه اللغة وسر العربية) لأبي منصور عبدالملك الثعالبي وأشهر معجمات المعاني كتاب المخصص لابن سيده .

وهناك صنف آخر من المعجمات وهو الذي يعرض للكلمة وبيان أحقيقة هي أم مجاز ويعرض لاستعمالها في التعبيرات البليغة ولا يعنى بشرح معنى الكلمة بل يعنى باستعمالها وذلك هو كتاب (اساس البلاغة) للزمخشري ، وقد نص على ذلك في مقدمة الأساس قال :

١ ــ ومن خصائص هذا الكتاب تخير ما وقع في عبارات المبدعين وانطوى تحت استعمالات المفلقين او ما جاز وقوعه فيها ، وانطواؤه تحتها من التراكيب التي تملح وتحسن . ولا تنقبض عنها الألسن لجريها رسلات على الاسلات ومرورها عذْبات على العذَبات .

٢ ــ ومنها التوقيف على مناهج التركيب والتأليف وتعريف مدارج الترتيب والترصيف بسَوْق الكلمات متناسقة لامرسلة بددا . ومتناظمة لا طرائق قددا مع الاستكثار من نوابغ الكلم الهادية الى مراشد حـر المنطق الدالة على ضالة المنطيق المفلق .

٣ ــ ومنها تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح بافراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح (٤) .

الى غير ذلك من انواع المعجمات .

والذي اريد أن اخلص اليه من هذه المقدمة هو أن اسلافنا الفوا في كثير

---

(٤) مقدمة اساس البلاغة .

من انواع المعجمات وصنوفها ولم يألوا جهداً في ذلك اما نحن فأي نوع من المعجمات نريد ؟

اننا ـ كما يخيل اليّ ـ بنا حاجة الى نوعين من المعجمات : معجمات متخصصة ومعجمات عامة .

المعجمات المتخصصة : ففي ميدان المعجمات المتخصصة بنا حاجة الى انواع منها على سبيل المثال :

١ ـ معجم الأبنية ويتضمن جميع الأبنية وجميع مفرداتها اما ديوان الادب للفارابي فلا يتضمن المفردات بل اغفل الكثير منها .

٢ ـ معجم الصفات ويتضمن جميع أبنية الصفات وجميع مفرداتها وليس عندنا في حدود ما اعلم معجم من هذا النوع .

٣ ـ معجم المشتقات والمصادر ويتضمن جميع أبنية المشتقات والمصادر لجميع المفردات .

وتبرز أهمية هذا النوع من المعجمات في الترجمة ووضع المصطلحات واستحداث كلمات عند الضرورة . فانه بمراجعة البناء المعين او المصادر أو لغيرها قد نلاحظ معنى معينا للوزن يفيدنا في وضع المصطلح فان الفعال في الآلة مثلاً يفيد الاشتمال كالحزام والرباط والشداد والوثاق ، والفَعّال والفُعّال والفَعّالة ومافيه التضعيف فيها لما يفيد التكثير في الآلة كالقَذّاف والكُلّاب والخُطّاف والكذّوب ، والفُعالة تكون للقليل المفصول من الشيء الكثير كالقلامة النخالة ولما فيه معنى الفضالة كالصبابة والحثالة ، وغيرها .

وقد لاحظ اللغويون جملة معان لبعض الأوزان نحو وزن فِعالة وفُعال وفعيل وفعَلان في المصادر . وفعِل وفعيل وفَعْلان وافعل في الصفة المشبهة وغيرها غير أنهم لم يستقروا جميع الأوزان ويستخرجوا دلالاتها . ويبدو لي أن الراجح في البناء المعين في باب معين أن يدل على دلالة معينة وكما انهم قالوا (زيادة المباني دليل على زيادة المعاني) يبدو لي أن اختلاف المباني دليل على اختلاف المعاني .

فبوضع المفردات التي هي على وزن معين امام الفاحص قد يهتدي الى معنى

معين للبناء يفيدنا في وضع المصطلح وعلى أي بناء ينبغي أن يكون بحسب المعنى الذي تؤديه المفردة .

وتبرز أهمية هذا النوع من المعجمات من الناحية الاحصائية أيضاً فانا نعلم بذلك تدرج الاوزان من حيث الكثرة والقلة في الاستعمال وكل ذلك له فائدة جلية للاستفادة منها في حياتنا الحالية والمستقبلة واذا اذكر حادثة تبين لنا مدى حاجتنا الى هذا النوع من المعجمات فان هناك قاعدة تذكرها كتب النحو تقول اذا كان الوصف على وزن افعل مما يؤنث بالتاء صرف نحو أرمل وأرملة والامنع من الصرف وقد طلبت من اساتذة كثيرين أن يأتوا لي بكلمة ثانية نظيرة ارمل فلم يأتني احد بشيء . وانتم تعلمون ان ذلك يقتضي مراجعة المعجم كله لمعرفة ماورد على هذا النحو فلو كانت عندنا معجمات على نحو ماذكرت ليسّرت لنا استخراج مانريد من نحو هذا وأمثاله .

٤ ـ معجم الجموع وهناك رسالة ماجستير قدمت الى جامعة بغداد موضوعها الجموع في لسان العرب ويقتضي هذا المعجم استخلاص دلالات الجموع كما مر في الصفات ولا تخفى فائدة هذا النوع من الدراسات .

٥ ـ معجم الفروق اللغوية كالفرق بين السخاء والجود ، والخوف والخشية ، والحب والود ، والمجيء والاتيان وما الى ذلك ، ومن المعلوم ان المعجمات لاتعنى بمثل هذه الفروق الا نادراً وقد كتب أبو هلال العسكري في ذلك شيئاً طريفاً في كتابه (الفروق) وهذا النوع من المعجمات يسدي الى العربية خدمة كبيرة .

٦ ـ معجم مفردات الأدب الجاهلي والاسلامي فان هناك الفاظاً وصيغا في الادب الجاهلي والاسلامي ربما لانجدها في المعجم فنضيف بذلك الفاظا وصيغا فصيحة الى المعجم .

٧ ـ معجم استعمال حروف الجر مع الفعل وهذا المعجم له اهمية كبيرة في الاستعمال فمن المعلوم ان الفعل يختلف معناه باختلاف حرف الجر الذي تعدى اليه نحو قام به وقام عنه وقام اليه وقام له وقام عليه ورغب فيه ورغب عنه ورغب إليه . فنحن بنا أمس الحاجة الى هذا النوع من المعجمات فان كثيراً منا لايحسن اختيار

حرف الجر مع الفعل فلا فرق عند كثير منا – مثلاً – بين انتقل عليه وانتقل عنه وتكلم عليه وتكلم عنه ونحو ذلك .

انه لم يؤلف في العربية في حدود ما اعلم معجم على هذا النمط على أهميته اللهم الا معجما حديثا صغيراً الفه موسى بن محمد ابن المليانى الاحمدي سماه (معجم الافعال المتعدية بحرف) طبع اول مرة في حزيران عام ١٩٧٩ وهو مجموع من مختار الصحاح للرازي ، واساس البلاغة للزمخشري والمصباح المنير الفيومي وتهذيب الصحاح للزنجاني ومعجم منن اللغة لاحمد رضا وغيرها

اننا بنا حاجة الى معجم موسع من هذا النمط يستخرج من القرآن الكريم وكبار المعجمات كاللسان والتاج وكتب اللغة الاخرى وكتب الادب ليكون بين يدي ابناء العربية والمعنيين بها .

٨ – معجم مفردات العصر العباسي ويشمل فيما يشمل الالفاظ المولدة والمعاني المولدة للفظة وما دخل في هذا العصر من الالفاظ المترجمة او المعربة .

٩ – معجم المصطلحات وذلك بجرد جميع المعجمات وكتب اللغة والادب وغيرها من الكتب واستخلاص المصطلحات الواردة فيها وجمعها في معجم كبير مع الاشارة الى مصدر كل مصطلح .

ونحن في غنى عن بيان اهمية هذا المعجم فربما نحن نبحث عن مصطلح مع انه موجود في تراثنا فيغنينا هذا المعجم عن الكثير من البحث والتنقيب والتنقير وقد لا نهتدي الى موطنه . الى غير ذلك من المعجمات المتخصصة التي أرى ان تكون في كل نوع من انواع المعرفة اللغوية .

اما في ميدان المعجمات العامة فأنا أرى اننا بنا حاجة ماسة الى معجمين رئيسين هما :

١ – المعجم الكبير : ويضم علاوة على مفردات واستعمالات القرآن الكريم والقراءات واستعمالات الحديث الصحيح جميع المعجمات المعتمدة ابتداء من العين وما تفرق في كتب اللغة الاخرى ودواوين الأدب والمجموعات الشعرية الفصيحة والمستدركات على المعجمات وما الى ذلك . ويضم الكلمات المولدة والاشارة الى تاريخها ان امكن والكلمات الدخيلة وأصولها والالفاظ المستحدثة والمعاني المستحدثة للفظة وتاريخ استعمالها والمصطلحات وما الى ذلك

واستحداث شروح لقسم من الكلمات فاننا نجد التعليق على بعض المفردات بلفظة (معروف) وهو قد كان معروفاً في حينه اما الآن فربما هو معروف كما نحتاج الى توضيح ما يحتاج الى توضيح بالوصف الدقيق أو بالصورة وبكل ما يوضح اللفظة التي تحتاج الى ايضاح . وهذا العمل ضروري للغتنا فنحن الى الآن ليس عندنا معجم بهذه المواصفات ولا بماهو قريب منها . ولايذهب بنا الظن اننا يمكننا الاستغناء بما عندنا من المعجمات الموسعة كاللسان والتاج أو غيرهما فان هذه المعجمات يكمل بعضها بعضا ولايمكن الاستغناء بمعجم واحد للتحقق من المعاني أو الالفاظ . فلو رجعت الى اللسان مثلاً لوجدته يغفل كثيراً من الجذور والمواد ، وان من المعجمات وان كان اقل حجماً منه بكثير مافيه من الجذور يفوق ما في اللسان . فان جذور القاموس المحيط مثلاً اكثر من جذور لسان العرب بأكثر من الف جذر فان جذور القاموس المحيط (١٠٣٤٣) جذراً وجذور لسان العرب (٩٢٧٣) جذراً وأما جذور التاج فهي (١١٩٧٨)جذراً أي ان جذور التاج أكثر من جذور اللسان بـ (٢٧٠٥) جذر .

وان اللسان اشتمل على ٨٠ ألف مادة وان التاج اشتمل على ١٢٠ الف مادة فان الفرق بينهما اربعون الف مادة (٥) .

بل اننا قد نجد في المعجمات الصغيرة من الشروح والفوائد ما لانجده في المعجمات الموسعة واليك مثلاً على ذلك . فقد جاء في (المصباح المنير) في مادة (سمع) :

« سمعنه وسمعت له سـمعاً وتسمّعت واستمعت كلها يتعدى بنفسه وبالحرف بمعنى . واستمع لما كان بقصد لأنه لايكون الا بالاصغاء ، وسمع يكون بقصد وبدونه . . . وسمعت كلامه اي فهمت معنى لفظه فان لم تفهمه لبعدٍ او لغط فهو سماع صوت لاسماع كلام » .

وهذا كله لايوجد في اللسان ، كما ان في اللسان ماليس في المصباح ، وقل مثل ذلك عن بقية المعجمات . فالجمع بين المعجمات يعطينا مادة غزيرة قد لا نجدها في معجم بعينه بل ان قسماً من التعبيرات الصحيحة لانجدها في

---

(٥) تنظر دراسة احصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكومبيوتر ص ٩ نقلاً عن (الزبيدي في كتابه تاج العروس) لهاشم طه شلاش ص ٤١٦

المعجمات مع انها موجودة في القرآن الكريم من ذلك على سبيل المثال انك تجد في المعجمات (دعا إليه) بمعنى الحث والدفع ولا نجد فيها (دعاله) أي تجد الفعل معدى بالى ولا تجده معدى باللام مع انه موجود في القرآن الكريم والحديث وذلك نحو قوله تعالى (تدعون لتنفقوا — محمد ٣٨) وقوله (يدعوكم لتؤمنوا الحديد ٨) وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعي لطعام (٦)

فاتضح بذلك قيمة مثل هذا العمل .

كما ان بنا حاجة الى مثل هذا المعجم في معجمات المعاني فاننا بنا حاجة الى جمع معجمات المعاني في معجم واحد وأن نستكملها من معجمات الالفاظ ومن كتب الادب واللغة وذلك نحو ما اشرنا اليه في المعجم الذي ذكرناه آنفاً .

٢ — الموسوعة المعجمية وهذه الموسوعة تضم جميع انواع المعجمات اللغوية من معجمات المعاني ومعجمات الالفاظ ومعجمات الابنية وغيرها من انواع المعجمات في موسوعة معجمية واحدة تكون بين ايدي الباحثين ولاتخفى قيمة هذا العمل واهميته .

---

(٦) انظر التعدية باللام في تحقيقات اللغويين — د . محمد ضارى .

المعجم العربي

من التهذيب الى لسان العرب

الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي

الاستاذ بكلية التربية / جامعة بغداد

كانت طريقة الخليل بن احمد (١٧٠ هـ) في ترتيب الحروف على المخارج في اول معجم عربي يعرفه القرن الثاني الهجري في حياة العربية تعد بدعا في عالم الدراسات اللغوية العربية ، وخطوة رائدة في البحث الصوتي العربي• اذ لم يكن معروفا لدى علماء العربية تنظيم الاصوات بحسب مواقعها من الجهاز النطقي •

ولم يقف الخليل عند هذه الطريقة في ترتيب الاصوات ، ولم يكن رائده الاول أن يأتي بجديد في البحث اللغوي دون أن ينطلق منه الى غاية أهم واكثر نفعا وخدمة للغة الضاد ، وهي حصر مواد العربية المتولدة من النظام الرياضي الذي ابتدعه ، وهو نظام (التقليب) الذي كفل حصر مواد الثنائي [من صوتين] فيتولد منه مادتان ، ومواد الثلاثي [من ثلاثة اصوات] فيتولد منه ست مواد ، ومن الرباعي [أربعة أصوات] فيتولد منه أربع وعشرون مادة ، ومن الخماسي [خمسة اصوات] فيتولد منه مئة وعشرون مادة ثم قام بعرض هذه المواد المتولدة من الاصوات المتقلبة على : الرواية والسماع ، والدراية والنقل والمساءلة والوجادة ، ليثبت منها ماهو مستعمل في كلام العرب ويخرج منها ماهو غريب أو مهمل ، أو غير عربي • وبذلك

كانت هذه الخطوة الاخيرة من أخطر الخطوات التي سلكها في تحقيق صحة العربي المسموع والمنقول والمقيس في كلام الرواة ، وكتب العلماء ، وشيوخ علم اللغة .

لم يألف العلماء الذين عاصروا الخليل ترتيب الاصوات على المخارج وهي ع ح هـ خ غ / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث ر ل ن / ف ب م / أ و ي . الهمزة[1] .

بل كانت الحروف ترتب على طريقة الالفباء ، وهي التي بنى أبو عمرو الشيباني كتابه (الجيم) على اساسها : أ ب ت ث ج ، ح ، خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و ي[2] .

لذا وصفها العلماء في عصر الخليل وبعده حتى القرن الرابع الهجري، بصعوبة المنهج وعسر الطريقة ، فيقول ابن دريد الذي اتخذ من منهجه في التقليب طريقة لترتيب مواد كتابه الجمهرة : « لقد ألف الخليل بن أحمد كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته ، وعنى من سما الى نهايته .. ولكنه رحمه الله ـ ألف كتابه مشاكلا لثقوب فهمه ، وذكاء فطنته ، وحدة أذهان أهل دهره »[3] .

ويقول ابن جني : « أما كتاب العين ، ففيه من التخليط والخلل

---

(١) نظمها ابو الفرج المعافري في قوله (المزهر : ٨٩/١) .

يا سائلي عن جرف العين دونكها ... في رتبة ضمها وزن واحصاء
العين والحاء ثم الهاء والخاء ... والغين والقاف ثم الكاف اكفاء
والجيم والشين ثم الضاد يتبعها ... صاد وسين وزاي بعدها طاء
والدال والتاء ثم الظاء متصل ... بالظاء ذال وثاء بعدها راء
واللام والنون ثم الفاء والباء ... والميم والواو والمهموز والياء

(٢) انظر : كتابنا مشكلات في التاليف اللغوي : طبع بغداد ـ دار الجاحظ ١٩٨٠م . كتاب الجيم ص : ١١٩ فما بعد .

(٣) الجمهرة : ٣/١ـ٤ .

والفساد مالا يجوز أن يحمل على أصغر اتباع الخليل فضلا عن نفسه ..[٤].

ومع كثرة النقد الذي وجهه علماء اللغة والمعجميون على كتاب العين [٥] ، نجد جملة من اللغويين ، يلتزمون طريقة الخليل ، ويقتدون به فيما صنع في منهج العين ، فيحكونه بحذافيره ويحتذون حذوه في كتبهم .

ولعل الازهري أبا منصور محمد بن أحمد الهروي (٣٧٠ هـ) وهو من اشد الناس نكيرا على العين ، يمثل الصورة الكاملة عن الاقتداء والحذو الذي حظي به العين من المعجمين بمنهجه وترتيبه ، يقول الازهري في مقدمة تهذيبه : « ولم أر خلافا بين اللغويين أن التأسيس المجمل في أول كتاب ألعين لابي عبدالرحن الخليل بن أحمد .. وعلمت أنه لايتقدم أحد الخليل فيما أسسه ورسمه ، فرأيت أن أحكيه بعينه ، لتتأمله وتردد فكرك فيه وتستعيد منه مابك الحاجة اليه » [٦] .

ويقدم لنا القرن الرابع الهجري جمهرة كبيرة من المعجمات التي حذت حذو العين ، وسارت على خطاه في التنظيم والترتيب ، والتقليب والتفسير ، حتى ذهب بعض الباحثين في كتاب البارع للقالي (٣٥٦هـ) الى ان القالي حين وضع كتاب البارع لم يفعل شيئا فيه سوى انه غير شيئا واضاف شيئا آخر وخالف في ترتيب بعض الحروف ونسب الشواهد غير المنسوبة ، فهو اذن (كتاب العين موصولا) [٧] وكذا فعل كل من البشتي (٣١٥هـ) في كتابه : « تكملة العين » وأبي الازهر البخاري (٣٢٥ هـ) في كتابه : « الحصائل » والصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ) في كتابه : « المحيط » والزبيدي (٣٧٩ هـ) في الاستدراك على العين وغيرهم .

---

(٤) الخصائص : ٣/٢٨٨ .

(٥) ينظر في ذلك كتابنا : مشكلات في التأليف اللغوي في القرن الثاني الهجري : (الفصل الثالث) : ص : ١٦٥ .

(٦) التهذيب : ١/٤٠١ .

(٧) البارع : للقالي : تحقيق : الطعان : ٦٥ـ٦٧ .

ولقد وقف الباحثون على هذه المعجمات بعد العين فعدوها تكرارا للعين او تفريغا لمادته في معجماتهم ، او تغييرا لبعض ترتيبه ، فقد قالوا في الجمهرة لابن دريد :

ابن دريد بقرة وفيه عيّ وشره
ويدعي بجهلهِ وضع كتاب الجمهرة
وهو كتاب العينِ الا انه قد غيّره

وقالوا في التهذيب للازهري :

الازهري وزغهُ ويدعي علم دُغَه
ويدعي من جهله تأليف تهذيب اللغه
وهو كتاب العين الا انه قد فرغه

وقالوا في تكملة البشتي الخارزنجي :

في الخارزنجي بله وفيه عيّ وله
ويدعي بجهلِهِ وضع كتاب التكمله
وهو كتاب العينَ الا انه قد كمله(٨)

وانتقد علماء اللغة بعضهم بعضا ، فوقف الازهري على ما صنعه البشتي ، وما صنعه معاصره الاخر ابو الازهر البخاري في كتابيهما « التكملة » و « الحصائل » فانتقض عليهما ما اورداه من مواد لغوية في كتابيهما اللذين عملاهما استدراكا على العين ، فوصمهما بالتصحيف والتحريف والجهل ، والتفسيد والتغيير ، وهذه بعض اقواله في البشتي :

« والذي ادعاه البشتي من تمييزه بين الصحيح والسقيم ، ومعرفته الغث من السمين دعوى ، وبعض ما قرأت من اول كتابه دلّ على ضد دعواه

---

(٨) انظر كتابي : مشكلات في التاليف اللغوي : ٢٢٨–٢٢٩ .

وانا ذاكر لك حروفا صحفها ، وحروفا اخطأ في تفسيرها من اوراق يسيرة كنت تصفحتها من كتابه ، لائبت عندك انه مبطل في دعواه متشبع بما لا يفي به ... » .

وقوله في بعض تفسيراته :

« وهذا خطأ محض ، لا يعرف في كلام العرب ... » .

وقوله :

« وهذا تصحيف منكر ، والصواب اغللت الابل .. » .

وقوله :

« وهذا باطل ... وهذا تصحيف قبيح .. »[٩]

ووصفه بانه نساخ ينقل من كتب سقيمة غير مضبوطة ولا صحيحة ، وأنه كاذب في دعواه الحفظ والتمييز[١٠] .

وتصدى لعصريه الآخر البخاري ، واكتفى بالقول فيه :

« وأما أبو الازهر البخاري الذي سمى كتابه الحصائل فاني نظرت في كتابه الذي ألفه بخطه وتصفحته ، فرأيته أقل معرفة من البشتي واكثر تصحيفا ، ولا معنى لذكر ما غير وافسد ، لكثرته ، وان الضعيف المعرفة عندنا من اهل هذه الصناعة ، اذا تأمل كتابه لم يخف عليه ما حكيته به» .[١١]

والحق ان كتاب الازهري من بين مؤلفات المعجميين الذين عاصروه اكثر المعجمات ضبطا ، واحسنها تأليفا ، واجودها نصوصا وروايات عن العرب الفصحاء في بواديهم .

ولقد شهد له بذلك علماء المعجم العربي من بعده ، كابن منظور في مقدمة لسانه ـ كما سنرى ذلك في هذا البحث .

---

(٩) انظر التهذيب : ١/٣٥ـ٣٧ .
(١٠) نفسه : ٣٧ـ٣٨ .
(١١) نفسه : ١/٤٠

والازهري نفسه يقرر هذه الحقيقة في مقدمته الجميلة حين يقول :

« ولو أني اودعت كتابي هذا ما حوته دفاتري وقرأته من كتب غيري ووجدته في الصحف التي كتبها الوراقون ، وافسدها المصحّفون ، لطال كتابي ، ثم كنت احد الجانين على لغة العرب ولسانها ، ولقليل لا يخزي صاحبه خير من كثير يفضحه » .(١٢)

وحدد الازهري مظان اخذه من طرق لا يستطيع الباحث اللغوي ان ينتقده عليها ، وهذه الطرق هي :

١ ــ ما صح من كلام العرب سماعا منهم .

٢ ــ رواية اللغة عن الثقات .

٣ ــ حكاية عن خط ذي معرفة ثاقبة .

وقيد هذا المصدر الاخير بشرط مهم في منهجه لقبوله هذا المحكي ، وهو قوله : « اقترنت اليها معرفتي » .(١٣)

اما نقوله ما ورد في كتاب العين من نصوص وما اورده ابن دريد في جمهرته من مفردات لم يتوثق منها فقد اشار الى شكه في حروفهما ، فقال : « اللهم الا حروفا وجدتها لابن دريد وابن المظفر في كتابيهما فبيّنت شكي فيها وارتيابي بها » .(١٤)

وذلك ان ابا منصور يرى في الليث بن المظفر ــ راوية الخليل وتلميذه ــ هو الذي « نحل الخليل بن احمد تأليف كتاب العين جملة لينفقه بأسمه ، ويرغب فيه من حوله » .(١٥)

وقول الازهري : نحل الكتاب جملة ، لانه يرى ان تأسيس الكتاب ،

---

(١٢) التهذيب : ١/٤٠ .
(١٣) نفسه : ١/٤٠ .
(١٤) المقدمة : الصفحة والجزء .
(١٥) التهذيب : ١/٢٨ .

وعمل الجزء الاول منه للخليل نفسه لا ريب في ذلك ، اما سائره ، فهو من عمل الليث ، بعد اخذه الطريقة عن الخليل ، واطلاعه على منهجه في التنظيم والتبويب .

وحين ذكر ابن دريد (٣٢١ هـ) تناوله بالنقد والتجريح ، ووصمه بافتعال العربية ، وتوليد الالفاظ التي ليس لها اصول ، وادخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم[١٦] ويؤكد ضعفه وجهله بانه سأل ثعلبويه (٣٢٣ هـ) عنه : « فاستخف به ولم يوثقه في روايته »[١٧]

وبين الازهري موقفه من شخصيات لغوية اخرى امتازت بعلم اللغة والادب ، واشتهرت بالتأليف فيهما ، مثل محمد بن المستنير المعروف بقطرب (٢٠٦ هـ) ووصمه بانه « متهم في رأيه ، وروايته عن العرب » وروى عن بعض العلماء جرى في مجلسه ذكر قطرب « فهجنه ولم يعبأ به ».[١٨]

والرجل الآخر الذي ضعّفه في رواية اللغة واثنى عليه في الادب وفنونه ، هو ابو عثمان الجاحظ (٢٥٥ هـ) قال فيه :

« وممن تكلم في لغات العرب بما حضر لسانه وروى عن الأئمة في كلام العرب ما ليس من كلامهم : عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ . وكان اوتي بسطة في لسانه ، وبيانا عذبا في خطابه ، ومجالا واسعا في فنون ، غير ان اهل المعرفة بلغات العرب ذموه وعن الصدق دفعوه » .

ثم اتبع كلامه هذا بموقفه من ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) ووصمه بالاستبداد في الرأي من « معنى غامض او حرف من عالل التصريف والنحو مشكل او حرف غريب ، فانه ربما زلّ فيما لا يخفى على من له ادنى معرفة ، والفيته يحدس بالظن ، فيما لا يعرفه ولا يحسنه ، ورأيت ابا بكر بن الانباري ينسبه الى الغفلة والغباوة وقلة المعرفة ».[١٨ أ]

---

(١٦) التهذيب : ١/٣١ .
(١٧) نفسه : ١/٣١
(١٨) نفسه : ٢/٣٠ .
(١٨ أ) نفسه : ١/٣٠-٣١ .

فهؤلاء سبعة رجال اشتغلوا باللغة وعلومها ممن تقدمه او عاصره ابدى فيهم رأيه ، ونسبهم الى قلة البضاعة والجهل ، والافتعال والغفلة ، وذكر من عَدَاهم اناسا وصفهم بالحذق والجودة ، والعلم والمعرفة الثاقبة .والذي يمكن ان يلاحظه الباحث ان الازهري قد تناول بالنقد اناسا عرفوا برواية اللغة ، والتأليف فيها ، واناسا شاركوا في تأليف المعجم العربي ، واهمل آخرين لهم مشاركة في تأليف المعجم وحاول بث الشك والارتياب في صنيع هؤلاء جميعا ، وقد جاءت مواقفه متصفة بما يأتي :

١ ــ لم يذكر أن لاسحاق بن مرار ، أبي عمرو الشيباني (٢١٣هـ) كتابا معجميا ألفه في عصر الخليل ، وربما كان قبل الخليل[١٩] ، اسماه الجيم ، ورتبه على الالفباء . وانما مر على ذكره مرورا سريعا في عدّه واحدا من رجال الطبقة الثانية الموصوفين بالصدق في الرواية ، والمعرفة الثاقبة ، وحفظ الشعر وايام العرب[٢٠] . ووثقه ، ووصفه بانه صاحب النوادر ، وحفظ الغريب ، واراجيز العرب[٢٠] ونسب اليه كتاب النوادر وقال فيه : « كتاب كبير » .

٢ ــ ذكر كتابا معجميا لابي عمرو شمر بن حمدويه الهروي (٢٥٥ هـ) اسماه : « اللغات » وقال : انه « ابتدأ بحرف الجيم »[٢١] واشاد به ، وقال فيه : « لم يسبقه الى مثله احد يقدمه ولا ادرك شأوه فيه من بعده ».[٢٢]

ولكنه قرن بذكره حادثة اودت بالكتاب جملة فلم يبق شيء الا من اول ذلك الكتاب « تفاريق اجزاء » . وهذه الحادثة هي غرق الكتاب في ماء النهروان حين جرى على معسكر يعقوب بن الليث ، قال : « فغرق الكتاب

---

(١٩)مشكلات في التاليف اللغوي : ١١٩ فما بعد
(٢٠) التهذيب : ١/١١ و١٣ .
(٢١) نفسه : ١/٣١ .
(٢٢) نفسه : ١/٢٥ .

من جملة ما غرق من سواد العسكر » . وبهذه الحادثة ينهي الازهري وجود هذا الكتاب على الرغم من جودته وكماله ، ويضيف الى مؤلفه خصلة غير محمودة ، وهي انه ضن بالكتاب فلم يمكن احدا من نسخه والاستفادة منه .

٣ ــ رمى صاحب الجمهرة بالافتعال ، ورمى صاحب التكملة بالتحريف والتصحيف ، ووصم صاحب الخصائل بالجهل وقلة المعرفة ، والحقه بصاحب التكملة في كثرة المصحف ، وبذلك يكون قد اسدل الستار على جملة من الكتب المعجمية المهمة التي دارت في المضمار الذي دار هو فيه ، وهو تقليد كتاب العين في المنهج والطريقة .

ومن هنا يكون الازهري قد خلى الطريق لتهذيبه ليسير وحيدا في الشهرة والذيوع ، وحسن التأليف ، ورصانة المنهج . وصحة النصوص ، ودقة الضبط ، ونقائه من العيوب التي وجهها الى غيره من مؤلفي المعجمات.

ولست اريد ــ هنا ــ ان اوجه نقدا الى تهذيب الازهري ولا الى شخصيته ، ولكنني انبه على انه انما فعل ذلك تعصبا مع كتابه التهذيب على غيره من المعجمات الكبيرة القيمة التي كان لها مكان كبير بين سائر الكتب اللغوية ، في تاريخ البحث اللغوي العربي ، بل لقد كان اللغويون الاخرون حريصين على صحة ما يروون ، وسلامة تأليفهم من للعيوب ، ولئن وقع في كلامهم شيء من التصحيف او التحريف ، لقد وقع في كلام الازهري نفسه شيء منه ومن ذلك تصحيفه في اسم الشيباني اذ سماه في موضعين من المقدمة باسم : « اسحاق بن مراد » فجعل والده ــ بالدال .. وصوابه : (مرار) ــ بالراء[٢٣] وقد نبه القفطي على هذا التصحيف في كلامه ، ورماه بشيء من العيوب الاخرى مما رمى به غيره[٢٤] .

---

(٢٣) مقدمة التهذيب : ١/١١ و١٣ .
(٢٤) انباه الرواة : ١ / ٢٢٥ .

وعلى الرغم مما في التهذيب من بعض المآخذ القليلة ، فهو معجم احتل مكانا كبيرا في القرن الرابع الهجري مع معجم عدّه اللغويون من خير كتب اللغة الصحيحة ، وهو كتاب تاج اللغة وصحاح العربية ، الذي شاع بين الباحثين باسم « الصحاح » لاسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٨ هـ) ، فقد بناه ،ؤلفه على طريقة الباب والفصل معتمدا على ترتيب الالفباء في تنظيم مادة الكتاب .

وقد قام مؤلفه الجوهري بتتبع كلام العرب في بواديهم ونقل صحيح كلامهم الى كتابه ، والتزم فيه الفصيح ، وقدمه لابي منصور البيشكي : (٤٥٣ هـ)[٢٥] قال في مقدمته :

« اودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة ... على ترتيب لم اسبق اليه ، وتهذيب لم اغلب عليه في ثمانية وعشرين فصلا على عدد حروف المعجم وترتيبها الا ان يهمل من الابواب جنس من الفصول »[٢٦] .

ومع ان الجوهري يعد منهجه في هذا المعجم جديدا مبتكرا ، الا ان ثمة من يعدّه مقلدا لخاله الفارابي : (٣٥١ هـ) في ديوان الادب[٢٧] او حاكيا لما قصد اليه البندنيجي (٢٨٤ هـ) في كتابه (التقفية) من التزام قافية المادة اللغوية ، والاخذ بنظر الاعتبار الترتيب الالفبائي[٢٨] .

والحق ان الجوهري مبدع هذا المنهج الذي جمع فيه بين الاخذ باول المادة اللغوية من الفصل وهو ما فعله الشيباني في الجيم ، وبآخر المادة اللغوية في الباب ، وهو ما فعله البندنيجي في التقفية . ثم وضع ترتيب الالفباء في حشو المادة . وبهذا استطاع الجوهري ان ينزل كتابه منزلة

---

(٢٥) معجم الادباء : ١٥٧/٦ .
(٢٦) الصحاح : ٣٣/١ .
(٢٧) البحث اللغوي عند العرب : د احمد مختار عمر : ١٤٧ .
(٢٨) مجلة العرب : حمد الجاسر : حـ ٥٧٧/٧ .

رفيعة بين معجمات عصره والسابقين ، فقال فيه النيسابوري :

هذا كتابُ الصحاح سيدُما ... صُنّفَ قبل الصحاح في الادب

يشمل انواعه ويجمع ما ... فرّق في غيره من الكتب[٢٩]

وعلى الرغم من هذه المكانة العالية التي احتلها هذا الكتاب فقد وقع فيه من الانتقاد والرد والاستدراك عليه ما لم يقع على غيره من كتب اللغة ومعجماتها . وذلك واضح فيما فعل الفيروز آبادي (٨١٧ هـ) في (القاموس المحيط) . والزَبيدي (١٢٠٥ هـ) في (تاج العروس) . وابرز المستدركين عليه ، والمنتقدين على تفسيراته ومذاهبه وتعليلاته ابو محمد بن بري (٥٨٢ هـ) في كتابه : « التنبيه والايضاح عما وقع في الصحاح » .[٣٠]

وفي القرن الرابع الهجري ــ كذلك ــ كان احمد بن فارس الرازي قد وضع كتابه « مقاييس اللغة » وكتابه : « المجمل » ملتزما طريقة فاذة في عالم التأليف المعجمي العربي لم يسبقه إليها احد ، ولا حاذاه فيها من بعده من مؤلفي المعجمات . اتخذ الالفباء منهجا في الترتيب بادئا بالهمزة مع ما يليها من الحروف حتى آخرها ثم بالباء مع ما يليها ثم بالتاء مع ما يليها ، فاذا انتهى الى الياء عاد الى الحرف الذي اهمله قبل حرف الباب .[٣١]

ولست اريد ــ هنا ــ ان استقصي البحث في طريقة الرازي او غيره من مؤلفي المعجم ، ولكنني اكتفي بالاشارة الى ظهور جملة من المعجمات اللغوية في القرن الرابع الهجري غير ما سبق ذكره ، كالمحيط للصاحب بن عباد والبارع للقالي ، والاعتقاب لابي تراب (٣٢٥ هـ) وغيرها تسير جميعا في اتجاهات مختلفة من الطرائق والمناهج التأليفية ، وتختلف في صور النقل والمصادر ، والتفسيرات ، وتتفاوت في مقدار الصحة

---

(٢٩) اليتيمة : الثعالبي : ٤٠٧/٤ .

(٣٠) نشر في القاهرة بتحقيق د مصطفى حجازي سنة : ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م

(٣١) مشكلات في التأليف اللغوي د. رشيد العبيدي : ٤٧ .

والضبط ، وكثرة الزلل والخطأ او قلته .

وحين دخل القرن الخامس لقي هذا القرن كذلك من يهتم بالمعجم ، ويؤلف في اللغة ، ولعل ابرز معجم نال شهرة كبيرة ، اتخذ من طريقة العين اساسا في التأليف هو كتاب « المحكم » لابن سيده :(٤٥٨ هـ) صاحب كتاب (المخصص) الذي سار في طريقته على نمط مخالف للمحكم ، وهي طريقة (المعاني والموضوعات) .

وابن سيده في كتابه الثاني ـ اعني المخصص ـ حاكى كتاب (الغريب المصنف) لابي عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤ هـ) الذي اهمل فيه طريقة مخارج الاصوات ، وطريقة الالفباء ، وقسم كتابه على الموضوعات العامة ، كخلق الانسان والحيوان واللباس ، والنبات ... الخ.

اما كتابه المحكم ، فقد كان ابن سيده فيه خليلي الاتجاه ، وهو ـ على قدر علمي ـ آخر كتاب يتخذ هذا المنهج اساسا له من التأليف ، وقد حاول ابن سيده ان يلتزم فيه رواية اللغة الصحيحة ، وان ينقيها مما داخلها من الغريب والدخيل والمولد ما استطاع ، ومع ذلك فقد اخذ عليه اللغويون من بعده مآخذ كثيرة ، تدل على خروجه ، وقلة مبالاته في تفسيراته وتخريجاته ، كما يتضح ذلك فيما اخذه عليه ابن منظور (٧١١ هـ) في اللسان[٣٢] . وما نبه عليه من خطل العبارة ، او غموض التفسير ، او ضعفه او نقصانه ومن ذلك قوله في تفسير ابن سيده للفظ (الجلد) .

قال : « والجلد : الكبار من النوق التي لا اولاد لها ولا البان . الواحدة بالهاء » .[٣٣]

قال محمد بن المكرم : « قوله : ولا اولاد لها . الظاهر منه ان غرضه: لا اولاد لها صغار تدر عليها ولا يدخل في ذلك : الاولاد الكبار ..

---

(٣٢) اللسان : ابن منظور : ٤/١٠٠ (جلد) . ط/بولاق

(٣٣) المحكم : ابن سيده : كتاب الجيم : ج د ل .

والله اعلم »[٣٤]

ومن ذلك ــ ايضا ــ قوله فيه :

« ومما وضع به ابن سيده عن أبي عبدالله بن الاعرابي ماذكره في خطبة كتابه (المحكم) ، وهو أدل على قلة التفصيل ، والبعد عن التحصيل..»[٣٥]

وفي اللسان نصوص كثيرة نبه عليها ابن منظور ، وبين من خلال تعليقاته خطل ابن سيده في بعض اتجاهاته اللغوية .

وفي القرن السادس الهجري كانت هناك معجمات كثيره بعضها اتخذ جانبا لغويا خاصا ، كالبلدان والمواضع والغريب او المعرب ولغة المجاز ، وظواهر اللغة ، وهي كثيرة نكتفي بذكر بعضها ككتاب (المعرب) للجواليقي (٥٤٢ هـ) وكتاب النهاية في غريب الحديث لابن الاثير (٦٠٦هـ) وغيرهما رجعت جميعها الى طريقة الالفباء ، وحاول بعضها التجديد في هذه الطريقة فطورها الى المسلك الادق في ترتيب مواده المفسرة كما فعل الزمخشري (٥٣٨ هـ) في كتابه (أساس البلاغة) .

لقد كانت هذه المعجمات المتقدمة تمثل مسيرة رائدة في رسم طريق لاحب ودقيق للمعجم العربي ، برزت من خلالها أصالة النهج في شخصية الباحث اللغوي ، ومحاولة التجديد والتطوير فيما يسود من الاتجاهات التأليفية وطرق التفسير وتنوع الشواهد وتخيّر النصوص وضبط الدلالات، واستقصاء الصيغ والبنى العربية المسموعة والمقيسة بمنهج علمي وموضوعي محكم .

وكان علي محمد بن المكرم بن منظور الافريقي (٦٣٠ هـ ــ ٧١١ هـ) ان يتأمل هذه المسيرة الطويلة التي قطعت ما يناهز ستة قرون في تحول مستمر وتطور وتجدد ، حتى استقرت عنده على مناهجها المختلفة ، كان عليه

---

(٣٤) لسان العرب : ٤/١٠٠ــ١٠١ (جلد) .
(٣٥) نفسه : ٩/٢٦٢ (عدا) .

ان يتخير منها ما يحلو له من المعجمات المحكمة البناء ، والقوية النسج ، الوافرة المادة ، الصحيحة المضمون ، ليجعلها مصدرا له في تأسيس كتابه « لسان العرب » .

فوقف على خمسة تمثل اتجاهات مختلفة يكمل بعضها بعضا ، وهذه الخمسة هي :

١ ــ تهذيب اللغة للازهري ، بما يضم بين دفتيه من مواد صحيحة موثوقة ، وبما روى من كلام العرب الموثوق بصحة كلامهم ، وفصاحة لسانهم .

٢ ــ الصحاح للجوهري ، بما تميز به من صحة الالفاظ ، وجمال المنهج ، وطريقة العرض ، وتنوع التفسير .

٣ ــ حواشي ابن بري عليه ، بما اضاف من استدراكات وتعليقات ، وزيادات ، وتنبيهات .

٤ ــ المحكم لابن سيده ، بما اضاف من مواد ، واستدرك من لغة على المتقدمين ، وصحح من اوهام وقع فيها السابقون .

٥ ــ النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ، بما اضاف من شواهد من القرآن والحديث النبوي الشريف ، وغريب لغته ، مما اخلت به المعجمات الاخرى .

وبذلك يكون اللسان قد جمع مواد خمسة كتب ، يتمم احدها ما اخل به الاخر ، ويستدرك الثاني ما فات الاول .. واضاف اليها المؤلف معرفته الخاصة ، ودرايته في اللغة ، ظهرت في تعليقاته ، وتعقيباته المتنوعة ، وانتقاداته على مصادره .

ولم يكن (الجمهرة) من بين هذه الكتب الخمسة ، كما توهم

---

(٣٦) انظر كشف الظنون : حاجي خليفة .
والدرر الكامنة : ابن حجر والوافي بالوفيات للصفدي .
وبغية الوعاة للسيوطي ترجمة (محمد بن المكرم) .

الصفدي وابن حجر والسيوطي ، وحاجي خليفة[٣٦] ولقد ذكر هو في مقدمة كتابه اللسان هذه الكتب ، ومَيَّزها من غيرها بما اتصفت به من الاتقان والجودة وبراعة التأليف .

قال :

« واني لم أزل مشغوفا بمطالعات كتب اللغات والاطلاع على تصانيفها وعلل تصاريفها ، ورأيت علماء اللغة بين رجلين ، اما من احسن جمعه فانه لم يحسن وضعه ، واما من اجاد وضعه ، فانه لم يحسن جمعه .. ولم اجد في كتب اللغة اجمل من تهذيب اللغة لابي منصور محمد بن احمد الازهري ، ولا اكمل من المحكم لابي الحسن علي بن سيده الاندلسي ـ رحمهما الله ـ .. وهما من امهات كتب اللغة على التحقيق ، وما عداها ـ بالنسبة اليهما ـ ثنيات للطريق .. »[٣٧].

وقال في الصحاح وحواشيه لابن بري : « ورأيت ابا نصر اسماعيل بن حماد الجوهري قد احسن ترتيب مختصره ، وشهره بسهولة وضعه شهرة ابي دلف بين باديه ومحتضره ، فخف على الناس امره فتناولوه ، وقرب عليهم مأخذه فتداولوه ، وتناقلوه » .. ثم يصفه بالنسبة للتهذيب والمحكم بالصغر ، ويجعله في اللغة (كالدرة) في جوها و (كالقطرة) في بحرها .[٣٨]

ويأخذ عليه ـ مع جودته ـ انه قد « صحف وحرف فيما حرّف »[!] « فاتيح له ابو محمد بن بري تتبع ما فيه واملى عليه أماليه »[٣٩]

اما لماذا اختار النهاية لابن الاثير مصدرا خامسا لكتابه فقد علل ذلك بأنه قصد توشيح اللسان بجليل الاخبار وجميل الآثار مضافا الى ما فيه من آيات القرآن الكريم والكلام على معجزات الذكر الحكيم .. فرأيت ابا

---

(٣٧) اللسان : ١/٢ـ٣ .
(٣٨) مقدمة اللسان : ١/٢ـ٣ .
(٣٩) نفسه : ١/٣ .

السعادات المبارك بن محمد بن الاثير الجزري قد جاء في ذلك بالنهاية ، وجاوز في الجودة حد الغاية غير انه لم يضع الكلمات في محلها ولا راعى زائد حروفها من اصلها (٤٠)

ويعتقد ابن منظور ان هذه الكتب الخمسة قد ضمنت له اكتمال كتابه ، وجمعت له كلام العرب قال « لان كل واحد من هؤلاء العلماء انفرد برواية رواها وبكلمة سمعها من العرب شفاها ، ولم يأت بكتابه بكل ما في كتاب اخيه .. فجمعت منها في هذا الكتاب ما تفرق ، وقرنت بين ما غرب منها وبين ما شرق ، فانتظم شمل تلك الاصول كلها في هذا المجموع ، وصار هذا بمنزلة الاصل ، واولئك بمنزلة الفروع » .(٤١)

ولقد نهج ابن منظور في لسانه منهج الجوهري ، لانه ـ كما مرّ ـ سهل الطريقة ، ميسور التناول ذائع الذكر ، فحكاه بحذافيره ، وكرر هذا التقليد للجوهري في آخر الكتاب حين تحدث عن باب المعتل بالواو والياء ، قال :

« قال الجوهري جميع ما في هذا الباب من الالف اما ان تكون متقلبة من واو مثل : دعا أو من ياء مثل : رمى . وكل ما فيه من همزة فهي مبدلة من الياء او من الواو ، نحو : القضاء ، واصله : قضاي ، لانه من قضيت ، ونحو العزاء ، اصله عزاو لانه من عزوت .. » ثم قال : « هذا ترتيب الجوهري في صحاحه » .(٤٢)

وانتقض على الازهري وابن سيده منهجهما العويص ، مما ادى الى ان يتركهما الناسُ ، ويعرضوا عنهما ، واشار الى بعض ما فيهما من خطل في المنهج وخلل في الترتيب ، وعرض للقضية التي ذكرها في المعتل عند الجوهري ، فقال فيهما : « فاحتاجوا فيما هو معتل من الواو والياء الى ان

---

(٤٠) نفسه : ١/٣ .
(٤١) اللسان : ١/٣ .
(٤٢) اللسان : جـ ١٨/ص٢ فما بعد .

ذكروه في البابين ، فأطالوا وكرروا وتقسم الشرح في الموضعين »[٤٣]

وردّ على الذين انتقدوا منهج الجوهري ، ووصموه بالجهل بانقلاب الالف عن الواو او الياء ، وبقلة علمه بالتصريف . ثم قال :

« ولست ارى الامر كذلك . وقد رتبناه نحن في كتابنا كما رتبه الجوهري ، لانه اجمع للخاطر واوضح للناظر ، وجعلناه بابا واحدا ، وبينا في كل ترجمة عن الالف وما انقلبت عنه ، والله أعلم ».[٤٤]

وبذلك يكون ابن منظور قد فرغ في كتابه خمسة كتب معجمية مهمة وموثوقة ، ووحد بينها في منهج واحد هو منهج احدهم ، وهو صاحب الصحاح . مما اضطره هذا العمل إلى التصرف بنصوص اللغة الواردة في ثنايا التهذيب والمحكم والنهاية على وفق ما نهجه الجوهري في الصحاح بل حاول ــ ايضا ــ ان يتصرف بعبارة الجوهري ليُنَسِّقَ بين قولهِ واقوال الآخرين .

وفيما يأتي محاولة للكشف عن منهج ابن منظور في تعامله مع مصادره الخمسة ، بشكل موجز تتبين من خلاله شيئا عن تعقيباته الذاتية ومواقفه العلمية في النقد والتقويم .[٤٤]

بين الازهري وابن منظور في العرض والتفسير

حين نريد ان نتبين الصلة التي كانت تربط بين معجمات اللغة المتقدمة ولسان العرب ، يكون لزاما علينا ان نعرض لمادة او اكثر تناولتها المعجمات السابقة التي كانت روافد اللسان ، لنستشرف من خلالها على ما فعله صاحب اللسان في تفسيرها ، وما اضاف اليها من جديد ، ان كان يمتلك هذا الجديد.

والحق ان صاحب اللسان لم يكن آليا رتيبا في لسانه بل كان له تصرف واضح ، يدل على فهم عميق لمعنى المعجم والتأليف فيه ، ومن هنا وجدنا له ،

---

(٤٣) نفسه ١٨/ص : ٣ .

(٤٤) بسطنا القول في غير هذا البحث في كيفية الاستفادة من مصادره .

تعليقات ، وتعقيبات ، وتصحيحات ، وردودا تخصص له مكانا متميزا بين المعجميين العرب ، وتجعل لسانه مصدرا لغويا كبيرا للباحثين منذ وضعه.. حتى عصرنا الحاضر .

والذي يتهيأ لي انني لو اخذت مادة لغوية من اول معجم اتخذه مصدرا ـ وهو التهذيب ـ وعارضتها بما صنعه هو في لسانه فيها استطعنا معرفة الظواهر المنهجية التي ميزت عمله عن مصادره ، وكشفت لنا عن كيفية استفادته من تلك الاصول المتقدمة ، ومن المعلوم ان (ابن منظور) لا يكتفي في تفسير المادة الواحدة بما ينقله من واحد من تلك الاصول ، بل ينقل الى جانبه اقوال الآخرين ، ويحاول التنسيق بينها ، وبيان تعارضها وتوافقها بأسلوب اللغوي البارع القادر على التمييز بين الصحيح والسقيم ، وبين الغث والسمين .

ولنفترض ان مادة البحث المقترحة هي (قبع) في التهذيب واللسان .

تقع هذه المادة في التهذيب[٤٥] في كتاب العين ، باب العين والقاف وما يثلثهما : (ع ق ب) وتقليباتها : عقب ـ عبق ـ قعب ـ قبع ـ بقع ـ بعق . وهن مستعملات في كلام العرب .

وتقع هذه المادة في لسان العرب[٤٦] في فصل القاف باب العين ، والحرف الحشو فيها هو الباء (ق ب ع) وكانت اول مادة في (فصل القاف) لان الهمزة لا تقع حشوا بين القاف والعين في كلام العرب ، فليس في كلامهم (قأع) . وذلك راجع لعلة صوتية ، هي كون الهمزة والعين صوتين حلقيين لا يجتمعان في كلمة واحدة مقترنتين لحصول التنافر بينهما عند النطق بهما.

اما الازهري فقد تناول تفسير المادة بذكر حديث فيه لفظ : قبيعة ـ

---

(٤٥) الجزء الاول : ص ٢٨٢
(٤٦) الجزء العاشر : ١٢٩

على فعيلة . قال : « في الحديث : » كانت قبيعة سيف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من فضة .

ونقل عن شمر تفسير القبيعة بأنها « ما تحت الشاربين فوق غمد السيف ، تكون مع قائم السيف . قال : « والشاربان انفان طويلان اسفل القائم ، احدهما من هذا الجانب والآخر من هذا الجانب » . ونقل عن خالد ابن جَنبة ان قبيعة السيف : « رأسه الذي منتهى اليد اليه » .(٤٧)

واورد عن الاصمعي مرادفا للقبيعة وهو لفظ (القوبع) . وشاهده قول مزاحم العقيلي :

فصاحوا صياح الطَّيْر من مُحْزَئلّةٍ
عبور لهاديها سِنانٌ وقوبَعُ

ثم انتقل الى صيغة اخرى على زنة (فُعَلَة) فأورد فيها قول الزبرقان بن بدر : « أبغض كنائني الى الطُّلَعَة القبعة » . وفسرها بأنها « التي تُطلع رأسها ثم تخبؤه كأنها قنفذة تقبع رأسها » .

وفي كل ما تقدم كان كلام الازهري مقصورا على صيغ الاسم . اما في العبارة الآتية فقد اورد الفعل (قَبَع) فلان رأسَ القِرْبة والمزادة اذا ادخل رأسها في جوفها عند السقي قال « فاذا قلب رأسها على خارجها قيل (قمعه) بالميم ووثق كلامه فقال : « هكذا حفظت الحرفين عن العرب »(٤٨) واورد تفسيرا آخر للفعل (قبع) عن المفضل ، وزاد مرادفا (لقمع) هو الفعل (خنث) : « اذا ثنى فمه فأخرج ادمته ، وهي الداخلة » ونقل عن ابن شميل ان معنى (خنث فم السقاء ! : قلب فمه داخلا كان او خارجا ، وكل قلب يقال له : خنث » . وهو خلاف كلام المفضل السابق ، وان لم يشر اليه او ينبه عليه .

---

(٤٧) التهذيب : ٢٨٣/١ . (قبع) ينظر الحديث في الفائق : ١٥٣/٣
(٤٨) نفسه : ٢٨٣/١ .

ثم تناول صيغة اخرى وهي (القبوع) ومعناها : ان يدخل الانسان رأسه في قميصه او ثوبه « وقد قبع يقبع قبوعا » واستشهد له بقوله :

ولا اطـرق الجـارات بالليـل قابعـاً
قَبـوع القَرَنْبـى أخطـأته مجـاحِرُهْ

ونقل عن الليـث في مصدر (قبع) قَبعاً وقباعاً . وفَسَّر عن ابـي عبيدة معنى (القبْع) وهو صوت يردده الفرس من منخريه الى الحلق عند النفار او كراهية شيء . قال عنترة :

اذا وقـع الرمـاح بمكبيـه تولى قابعـاً فيـه صـدود[٤٩]

ويلاحظ ان في البيت صيغة اسم الفاعل (قابع) وليس لهـا اشارة في كلامه ، وانما اراد دلالة القبع ـ وحدها ـ دون الصيغة . واكد هذا المعنى بكلام ابن الاعرابي في ان القبع صوت ولكنه للفيل وهو (النخفة) كذلك ، والقبع : الصياح ، وطأطأة الرأس عند الركوع ، وتغطية الرأس بالليل لرية .

ثم نقل عن الليث دلالة القباع : الاحمق ، واسم رجل جاهلي (قبـاع ابن ضبّة . وعن ابي عبيدة تسمية القنفذ بالقباع لانه يقبع ، ولقب لوالـي البصرة ، وصفة عضو الاثنى والمكيال الكبير .وتناول صيغةً (القباعيّ) بالنسب للرجـل العظيـم الرأس ـ عن الفراء ـ مأخـوذ من القباع وهو المكيال الكبير .[٥٠]

وعاد ثانية ينقـل عن الليث معنى جديدا في (قبع يقبع قبوعا) : اذا تخلف عن أصحابه ، وأنشد .

قوابع في غمى عجاج وعثير .

ثم تناول صيغة جديدة وهي (قبع) على زنة (عمر) قال : « دويبة من دواب البحر » .

---

(٤٩) ديوان عنترة : ٤٩ .
(٥٠) التهذيب : ١ / ٢٨٤ .

وعن أبي زيد معنى (قبع قبوعا) ذهب في الارض .

وعن الاموي : (قبع الرجل فهو قابع) : اذا أعيا وانبهر يقال : عدا حتى قبع .[٥١]

وعاد الى (القُبَعَة) ناقلا عن ابن شميل : أنها طوير أبقع مثل العصفور، يكون عند جحرة الجرذان ، فاذا فزع او رمي دخل الجحر » .

وبذلك ينهي الازهري تفسيره المادة ، مستشهدا في اولها بالحديث، ثم بكلام احد البلغاء ، والفصحاء وهو الزبرقان بن بدر ، وتوزع كلامه بين النقل من علماء اللغة كابن الاعرابي والمفضل وابن شميل والليث ، وأبي زيد ، والفراء والاصمعي وابي عمرو الشيباني ، وشمر ، واستشهد بالشعر في اربعة مواضع نسب اثنين منها واهمل اثنين ، احدهما لابن مقبل في صيغة (قبوع) .[٥٢]

ولم ينس ان يعلق على شيء مما اورد في اللغة وذلك بتوثيقه سماعه عن العرب الفعلين (قبع وقمع) ودلالتهما عندهم .

أما الصيغ التي أحصاها في جملة تفسيراته فهي : (قبيعة) و (القوبع) و(القُبَعَة) و (قَبَع) (تَقَبُّع) و (القَبْع) و (القُبوع) و (القُباع) و (القُباعي) و (قَبَع) و (قابع) .

وهي صيغ قصد اليها قصدا ، وفسرها ، في حين أورد (قابعا) مرئين في الشعر و (قوابع) ولم يكن يقصد اليها ، وانما دلالة (القبع) فيها . كما أورد من المترادفات والمتباينات من مفردات اللغة ، ماصاحب تفسير القبع نحو : (الشاربان) و (قَمَعه) ــ بالميم ــ و (خَنَث) سقاءه (خَنْثا) و (النُخَفَة) .

هذا كل ما فعله الازهري في مادة (قبع) ولئن كان قد افتتح تفسير المادة

---

(٥١) التهذيب : ١ / ٢٨٤ .
(٥٢) ديوان ابن مقبل : ١٥٤ .

بحديث ، فهو في تفسير مواد أخرى يخالف هذا النهج فينقل عن اللغويين مباشرة تفسير صيغة او فعل ، ويبدأ بقرآن او حديث او مثل او كلام بليغ فصيح من العرب . وذلك نحو : « قطع الله عز وجل — : « قِطَعاً من الليل مظلما » وقرىء قِطَعا ، والقطع : اسم ما قطع ... الخ » .(٥٣)

ونحو : « حدق : قال الليث : الحدق هو جماعة الحدقة وهي في الظاهر سواد العين .. » .(٥٤)

ونحو : « دحق : العرب تسمي العير الذي غلب على عانته دحيقا .. » .(٥٥)

ونحو : « يفث : يافث : هو اسم أحدينى نوع عليه السلام ، وقيل : من نسله الترك وياجوج ومأجوج ، وهم اخوة بني سام وحام فيما زعم النسابون » .(٥٦)

ونحو : « ولب : أبو عبيدة عن ابي زيد : ولب اليه الشيء يلب ولوبا، وصل اليه .. » .(٥٧)

وبمثل هذا النهج يبدأ الازهري تفسيره المواد من غير مراعاة لصيغة معينة ، أو معنى شريف أو وضيع يجعله متقدما أو متأخرا وانما يهمه من موضع تفسير المادة اللغوية أن يحشر فيه مايجمع لديه من صيغ ودلالات أحصاها بسماعه أو بنقله من المظان ، مضيفا اليها معرفته ودرايته .

غير أن أهم مافي منهج أبي منصور هو امران :

١ — توثيق النص المنقول أو المسموع ، واثبات صحته .

٢ — التنبيه على الغلط ، ونقد المشكوك فيه ، وبيان موضع الخطأ ماوجد الى ذلك سبيلا .

---

(٥٣) التهذيب : ١ / ١٨٧ .
(٥٤) التهذيب ٤ / ٣٣ .
(٥٥) نفسه : ٤ / ٣٤ .
(٥٦) نفسه : ١٥ / ١٥١ .
(٥٧) نفسه : ١٥ / ٣٨٦ .

واكثر هذه المواقف المنهجية يصدرها بقوله : « قلت » وذلك نحو قوله : قلت : وقول ابن الاعرابي : الربة : العقدة . أظن الاصل كان : « الاربة » فحذفت الهمزة ، وقيل : ربة » .(٥٨)

ونحو : « أبو عبيدة عن أبي عمرو : واذا يبس الافاني ، فهو الحماط . قلت : هذا غلط ؛ لأن الافاني : نبت من ذكور البقل ، واذا يبس تناثر ورقه » .(٥٩)

ونحو : « قال ابن الأنباري : قال أبو العباس : الونى : واحدته : ونية، وهي اللؤلؤة .

قلت : واحدة (الوني) وناة ، لاونية » .(٦٠)

ونحو : « والولي والمولى واحد في كلام العرب » والقول للفراء فقال: « قلت : ومن هذا قول النبي ــ ص ــ أيما امرأة نكحت بغير اذن مولاها ، ورواه بعضهم : (وليها) ؛ لانهما بمعنى واحد » .(٦١)

والنصوص في هذا الاتجاه كثيرة تنم عن دقة أبي منصور ، وحذره الشديد من ان يقع خطأ في تفسير دلالة ، او ابتداع صيغة ، او لحن في تركيب . فهو ينبه على الصحيح والخطأ ويوثق ماكان صحيحا منها .

اذا عرضنا لمادة (قبع) في اللسان . نجد أن ابن منظور قد بدأ تفسير المادة بالفعل :

قبع يقبع قَبْعا وقبوعا: نخر ، وقبع الخنزير يقبع قبعا وقباعا ــ كذلك ــ

---

(٥٨) التهذيب : ١٥ / ٢٥٩
(٥٩) التهذيب : ١٥/ ٤٨٠ .
(٦٠) نفسه : ١٥/ ٥٥٥ .
(٦١) نفسه : ٥/ ٤٥٠ .

وقبّيعة الخنزير ــ مكسورة الاول مشدّده الثاني فتطيسته ، وزاد من الصحاح : « قنبيعته » ــ بالنون .. وهذه العبارة لم ينسبها ابن منظور الى مصدر من مصادره . وقد ورد معظمها في التهذيب الا « قبيعة » بتشديد الباء و « قنبيعة » ــ بالنون ــ وهي من الصحاح . أما المعنى فهو من مصدر اخر غير التهذيب .

وأتبع ذلك نص التهذيب : « والقبع صوت يردّده ــ هكذا ــ الفرس من منخريه .. » الى قوله : « قبع يقبع قبوعا » . ولم ينبه في اوله على انه من التهذيب مع شاهده قول عنترة . وزاد في آخره : « وانقبع : أدخل رأسه في ثوبه » و « قبع رأسه ... وجارية قَبْعَة طَلْعَة : تطلع ثم تقبع رأسها ، وقيل : تطلع مرة وتقبع اخرى » وهكذا كله من مصادره الاخرى الصحاح والمحكم والحواشي ، ولكنه لم يشر الى واحد منها .

ثم نقل قول الزيرفان بن بدر وهو عن الازهري من غير اشارة الى انه من التهذيب .. وزاد في آخر عبارة ابي منصور قوله : « وقيل : لانه يقبع رأسه بين شوكه ، اي يخبؤه ، وقيل : لانه يقبع رأسه اي : يرده الى داخل واورد شاهده قول ابن مقبل : « ولا اطرق الجارات .. »[٦٢]

وهذا كله لم يرد في كلام ابي منصور ، وفسر البيت الذي اهل تفسيره الازهري بقوله : « هو من ذلك ، اي : يدخل رأسه في ثوبه كما يدخل القرنبى رأسه في جسمه ، ويقال للقنفذ ــ ايضا ــ قباع » .

ثم اورد حديثا لابن الزبير ، وهو قوله : « قاتل الله فلانا ضَجّ ضجة الثعلب وقبع قبعة القنفذ »[٦٣] وهو من ايرادات النهاية في غريب الحديث ، ولم ينسبه ابن منظور الى مصدره .

---

(٦٢) اللسان : ١٠ / ١٢٩ .

(٦٣) الحديث من النهاية لابن الاثير (قبع) .

واورد بعد ذلك كلام الازهري الى قوله : « والقبع : تغطية الرأس بالليل لريبة » وزاد عليها قوله :[٦٤]

« قبعت الشجرة اذا صارت زهرتها في قنبعة ، اي : غطاء وقبع النجم : ظهر ثم خفي وامرأة قبعاء ... » واورد المعنى الذي قصد اليه الازهري واتمه بعبارته : « ويقال للمرأة .. انها لقباع ... » والحقها بصيغة « القنبعة » التي اوردها الازهري في الطائر الصغير مثل العصفور ... الخ.

وواصل في ايراد كلام الازهري في قبع (رأس القربة والمزادة) حتى قوله : « فاخرج أدمته وهي الداخلة » . واورد في نهايتها صيغة جديدة لم يذكرها الازهري ، ولم يحاول نسبتها هو وهي قوله : « واقتبعت السقاء ... »[٦٥]

نقل بعدها عبارة ابن الاثير ، ونسبها اليه فقال : « قال ابن الاثير : قبعت الجوالقَ .. » وكرر قول الازهري وهو يصدره بقال ابن الاثير . وحين اورد قول الشاعر :

يثابر حتى يترك الخيل خلفه
قوابع في غمر عجاج وعثير

اورده كاملا ، وكان الازهري قد اورد شطره الاخير ثم صدره بقوله : « وخيل قوابع مسبوقة » فكان البيت شاهدا على صيغة (قوابع) التي اغفل الازهري الحديث عنها ، على الرغم من ورودها في البيت المذكور .

ونقل بعد كلام الازهري حديث قتيبة لما ولي خراسان[٦٦] ، وفيه اسم « قباع بن ضبة » الاحمق الوارد ذكره في كلام الازهري ، واورد صانا

---

(٦٤) اللسان : ١٠ / ١٣٠ .
(٦٥) نفسه : ١٠ / ١٣٠ .

اخرى وهي:« قابعاء»و«ابن قَبْعَة»واتم الكلام بعبارة الازهري في (القباع) واطلاقه على الوالي لقبا ــ والوالي هو : الحارث بن عبدالله والي البصرة ـ الذي لم يذكره الازهري ، واتبع ذلك بشاهد لم ينسبه وهو :

امير المؤمنين جزيت خيرا
أرحنا من قباع بني المُغير

ونقل تفسير ابن الاثير فيه وفي هذا الوالي المذكور وخلط به قول الازهري .

ثم زاد دلالة لصيغة (القُبَعة) وهي : (خِرْقة تخاط كالبرنس يلبسها الصبيان) .(٦٧)

وزاد صيغة جديدة وهي (القابوعة) : المحرضة ثم (القبيعة) التي في يد السيف التي ذكرها الازهري في اول حديثه في المادة : واستمر في النقل عن الازهري من غير ان يشير اليه ، واورد بيت الشاهد : « فصاحوا صياح الطير ... »(٦٨) حتى انتهى الى قوله : « دويبة من دواب البحر » وينتقل ابن منظور الى قول لثعلب ، ولم ينسبه لمصدر من مصادره ينشد فيه قول الشاعر :

يتعودُ بها دليل القومِ نَجْمٌ كعين الكَلبِ في هُبَّي قِباعِ(٦٩)

ويفسر البيت . ثم يورد حديثا ثالثا في (الاذان) انه ــ ص ــ اهتم للصلاة كيف يجمع لها الناس فذكر له القُبْع ، فلم يعجبه ذلك يعني : البوق قال : « ورويت هذه اللفظة بالباء والتاء والثاء والنون ، واشهرها واكثرها

---

(٦٦) الحديث (الفائق للزمخشري : ٣ / ١٥٥
(٦٧) اللسان : ١٠ / ١٣٠ .
(٦٨) نفسه : ١٠ / ١٣١ .
(٦٩) نفسه : ١٠ / ١٣١ .

النون ». واورد تفسير القبع ـ بالباء ـ عن الخطابي وقوله : « فلا احسبه سمي به لانه يقبع فهم صاحبه ، اي : يستره » . قال الهروي : حكاه بعض اهل العلم عن ابي عمر الزاهد : القبع بالباء الموحدة ـ قال : وهو البوق ، فعرضته على الازهري ، فقال : هذا باطل »(٧٠)

وبذلك انهى ابن منظور تفسير المادة ، واذا راجعنا ما فعله ابن منظور في السرد والعرض نقف عند ظواهر منهجية ، يمكن ان ترسم خطوطا واضحة لما يتميز به هذا المعجمي عن سائر من تقدمه من المؤلفين . نضعها في الفقرات الاتية :

١ ـ استقصى ابن منظور الصيغ والابنية التي اشتقت من (ق ب ع) من خلال مصادره ، وهي :

« قبع ـ يقبع ـ قبوعا ـ قِباعا ـ قَبيعة بفتح القاف ـ وقِبيعة ـ بكسرها ـ وتشديد الباء ـ وقنبيعة ـ بالنون ـ القُبْع ـ بتسكين الباء ـ القابع ـ انقبع قُبَعَة ـ بضم القاف وفتح الباء ـ قُباع ـ بضم القاف ـ قُباعي ـ قِبْعة ـ بتسكين الباء ـ قنبع ـ قُنْبعة ـ قبعاء ـ اقتبع ـ قوابع ـ القابوعة ـ القوبعة ـ القوبع ـ القُبع ـ بضم القاف .

وعند النظر في عدد ما اورد ابن منظور من صيغ عن مصادره نجد انه زاد على الضعف فقد اورد الازهري احدى عشرة صيغة ، في حين اورد ابن منظور ثلاثا وعشرين صيغة . وهذا يدل على اهتمامه بالاستقصاء وايراد ما وجده في مصادره من صيغ وابنية .

٢ ـ زاد في الدلالات التي اوردها الازهري كثيرا من المعاني التي تصرفت اليها الصيغ في كلام العرب كمعنى « النخر » . والقبيعة للخنزير :

(٧٠) اللسان : ١٠ / ١٣١ .

فنطيسته . والقابوعة : المحرضة ، والقبع : البوق ... الخ .

٣ ــ لم يذكر ابن منظور الاقوال منسوبة الى مصادرها الا في مواضع محدودة من عرض المادة ، ويبدو من خلالها انه يعنى بالنص المنقول من غير ان يبدل فيه او يغير . وهذا هو الذي قصد اليه عندما قال في مقدمة اللسان : انه حكى اقوالهم كما وجدها في كتبهم .

٤ ــ حاول ابن منظور ــ كما هو واضح ــ من خلال العرض ان ينسق بين اقوال مصادره بحيث يكون الموضع الذي يتحدث فيه عن دلالة صيغة معينة مستوفاة فيه ثم ينتقل الى غيرها ، ليورد فيها اقوالهم مستقصاة ــ ايضا ــ وذلك نحو قوله : « اما البحيرة التي في طبرية ــ وفي الازهري : التي بالطبرية ــ فانها بحر عظيم [٧١] . فجمع بين عبارتي ابن سيده والازهري في موضع واحد ، واشار الى اختلافهما في العبارة .

ومثله قوله في بيت الاعشى :

لا تأوين لحرميّ مررت به يوما وان ألقي الحرمي في النار

« وهذا البيت اورده ابن سيده في المحكم ، واستشهد به ابن بري في اماليه على هذه الصورة .. » الخ[٧٢]

٥ ــ لم يضع ابن منظور لنفسه منهجا معينا في منطلقه لتفسير المادة ، فهل هو يبدأ بصيغة ما ثم يتبعها بأخرى او يبدأ تفسيرها باعطاء دلالة المادة، ويتبعها باشتقاقاتها المختلفة .. لا يتضح شيء من ذلك في منهجه ، فقد يبدأ بالنقل من مصدر معين ، وقد يفسر المادة باعطاء دلالة الفعل ، او المصدر ، الا في المواد التي تتصل باسماء الله الحسنى ، وصفاته العلية ، كالبديع من

---

(٧١) اللسان : ١٠٧ (بحر) .
(٧٢) نفسه : حـ ١٥ / ص ١٠ (حرم) .

(بدع) والرحيم من (رحم) والخالق من (خلق) فهو يصدر المادة باسم الله ـ تعالى ـ ثم ينطلق منها الى الاشتقاقات من المادة . ولذا نجد الصور الاتية في منهجه :

أ ـ قد يبدأ بذكر المصدر من المادة كما في تفسير (ظنن) : « المحكم : الظن : شك ويقين .. »(٧٣)

ب ـ قد يذكر اسم صاحب المصدر نحو : « عجهـــن : الازهري : العجاهن : صديق الرجل المعرس »(٧٤)

جـ ـ اهمال ذكر المصدر . نحو : « عدشن : العيدشون دويبة..»(٧٥)

د ـ ذكر شخصيات من اصحاب المعجمات ليسوا من مصادره ، نحو : « وعن : ابن دريد : الوعان خطوط في الجبال .. »(٧٦)

هـ ـ قد يورد مصدره وموضع ترتيبه في الكتاب مبتدئا بالشاهد نحو: « مرجن : التهذيب في الربـاعي : في التنـزيل العزيـز : يخرج منهمـا اللؤلؤ والمرجان »(٧٧)

فهذه صور تكشف لنا عن ان ابن منظور لم يلتزم منهجا خاصـا في العرض السرد والتفسير ، وانما هو موعب جامع لاقوال مصادره ، وخلال هذا الجمع استطاع ان يجمع ما تقارب من هذه الاقوال وما تماثل منهـا في مواضع جامعة ، متناسقة ، لئلا يتشتت ذهن المطالع ، فيصعب التأليف بـين اشتات الصيغ ودلالاتها في المادة الواحدة .

---

(٧٣) اللسان : ١٧ / ١٤٢ .
(٧٤) نفسه : ١٧ / ١٥٠ .
(٧٥) نفسه : ١٧ / ١٥٢ وانظر : ١٧ / ١٥ (عصن) .
(٧٦) نفسه : ١٧ / ٣٤٣ .
(٧٧) اللسان : ١٧ / ٢٩٢ .

لقد سارت المعجمات العربية في طريق النماء والاتساع مبتدئة باليسير مما تحصل لديها من نصوص العربية ، ولئن كانت الصيغ والابنية التي جمعتها المعجمات المتقدمة قليلة او محدودة ، انها كانت متنوعة مختلفة ، تتباين فيما بينها بنسب مختلفة من معجم لاخر ولذا كانت فكرة ابن منظور في جمع خمسة معجمات عربية مختلفة الاتجاهات ، والطرائق في المناهج والنصوص اللغوية قد ضمنت له حشد كثير من الصيغ ، والابنية ، والدلالات والتراكيب المقيسة والمسموعة من كلام العرب ، ومن هنا جاء كتابه ضخما ، يعد موسوعة لغوية مهمة في القرن الثامن الهجري .

* * *

(بعض مصادر البحث ومراجعه)

ـ ارشاد الاريب : ياقوت ٦٢٦ هـ . ط : مارجليوت
ـ اساس البلاغة : الزمخشري ٥٣٨ هـ : ط : ١٣٤١ هـ
ـ إنباه الرواة : القفطي ٦٤٦ هـ ط : القاهرة .
ـ البارع : القالي ٣٥٦ هـ : ط : هاشم الطعان .
ـ التفقيه : البندنجي ٢٨٤ هـ : ط : الدكتور خليل العطية
ـ التنبيه على حدوث التصحيف : الاصـــفهاني ٣٧٠ هـ : ط : آل ياسين ـ بغداد .
ـ تهذيب اللغة : الازهري ٣٧٠ هـ ـ ط : ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧
ـ الجمهرة : ابن دريد ٣٢١ هـ : ـ ط : الدكن
ـ الجيم : ابو عمرو الشيباني ٢١٣ هـ ـ ط : القاهرة .
ـ الخصائص ، ابن جني ٣٩٣ هـ ـ ط : النجار ـ مصر
ـ العين : الخليل بن احمد ١٧٠ هـ ـ ط : بغداد
ـ الفهرست : ابن النديم ٣٨٥ هـ : ط : فلوجل
ـ القاموس المحيط : محمد بن يعقوب ٨١٧ هـ : مؤسسة الطباعة ـ القاهرة
ـ كشف الظنون : خليفة ١٠٦٧ هـ : ط : ١٣٦٥ هـ
ـ لسان العرب : ابن منظور ٧١١ هـ : ط : بولاق
ـ المجمل : ابن فارس ٣٩٥ هـ : ط : زهير عبدالمحسن سلطان .
ـ المحكم : ابن سيده ٤٦٠ هـ : ط : السقا ونصار
ـ المعجم العربي : د. حسين نصار : ط : الاولى ـ القاهرة
ـ مقاييس اللغة : ابن فارس ط : هرون ـ مصر
ـ نور القبس : اليغموري ٦٧٣ هـ ـ ط : زلهايم
وغيرها مما ذكرناه في حواشي البحث .

تعقيب الدكتور هاشم طه شلاش

على بحث الدكتور رشيد العبيدي

المعجم العربي من التهذيب الى لسان العرب

كـــان لظهور معجم العين في اللغة العربية الأثر الكبير في تفجّر ينبوع تأليف المعجمات العربية فقد كان هذا الكتاب الأساس الذي بني عليه المعجم العربي في مختلف مناهجه ، فقد كان مادته اللغوية مادة لجميع المعجمات العربية سواءً أكانت مؤلفة على نظام المخارج الصوتية وتقليب الالفاظ أم كانت مؤلفة على نظام الباب والفصل أم كانت مؤلفة على وفق النظام الالفبائي أم كانـــــت مؤلفة على نظام الأبنية ولذلك يمكن أن يقال إن اللغة العربية تميزت من اللغات الأخرى بكثرة المعجمات ، وكثرة ما يـــدور حول تلك المعجمات مـــن كتب الشروح والاستدراك والنقد والحواشي ، والمختصرات

لقد كان كتاب العين نواة للمعجم العربي ، وقد أبدع مؤلفه في وضعه على نظام مبتكر كانت الغاية منه ابتداءً حصر كلام العرب وبيان المهمل والمستعمل منه ، ولذلك استقبله الدارسون بشيء من الانكار لأنه موضوع على نظام يصعب تعلمه بسهولة ، واستقبلوه أيضاً بالاعجاب لأنه يقصد من تقليب الالفاظ إلى حصر المستعمل من الفاظ العربية وهي مسألة لم تخطر على بال أحد من السابقين .

وكان أشدّ الانكار منصباً على ما وقع في الكتاب من « التخليط والخلل والفساد » الذي جعـــل ابن جنّي (١) يرفض نسبة الكتاب إلى تلميذ من تلاميذ الخليل فضلا عن نسبته إلى الخليل نفسه ، لأن الخليل أكبر من ان يقع الخلل في كلامه . وقد واجه الكتاب من هذا الباب نقداً كثيراً وجهه إليه ابو حاتم السجستاني

---

(١) الخصائص ٣ / ٢٨٨

وابن دريد . وأبو علي القالي وأبو بكر الزبيدي وأبو منصور الأزهري وأحمد ابن فارس وغيرهم (١) وسواءٌ أكان الكتاب للخليل أم كان لأحد تلامذته ظهر الكتاب ، وأصبح حقيقة لايمكن إنكارها وهي انه معجم عربي يقع في مقدمة معجمات اللغة من حيث تاريخ ظهوره فضلا عن منهجه المبتكر الذي لم تعرف له سابقة

ومع ذلك كان الكتاب مادة كثير من كتب الناقدين فهو مادة البارع للقالي والجمهرة لابن دريد ومختصر العين لأبي بكر الزبيدي والتهذيب للازهري ولم نجد في ذلك مأخذاً على الناقدين الذين استندوا الى مادته فألفوا معجماتهم بعد أن أصلحوا الخلل الواقع فيه ، واستدركوا عليه مئات الألفاظ والصيغ ، وهو أسلوب جرت عليه غالب معجمات العربية ، وكان أحد أسباب ظهورها فضلا عن المعجمات التي استندت إلى كتاب العين في منهجه التأليفي نجد الصاغاني ينقد الجوهري في صحاحه ويصلح الخلل الواقع فيه ، ويستدرك الالفاظ الكثيرة عليه في كتابه التكملة وكتابه العباب ، ونجد الفيروز آبادي ينقد الجوهري ويستدرك عليه في القاموس المحيط ، ونجد ابن الطيب الفاسي يتبّع سقطات الفيروز آبادي فيصب جام غضبه عليه في إضاءة الراموس ، ونجد الزّبيدي يشرح القاموس ويصلح خلله ويستدرك عليه وعلى غيره من المعجمات في كتابه تاج العروس ، ونحن نعلم جيداً أنّ أيّ بناء لايمكن ان يبرز إلى الوجود ما لم يكن هناك أساس يستند اليه وكان كتاب العين هو أساس كل المعجمات العربية الأصول والفروع .

قلنا إنّ كتاب العين كان مادة لمجموعة من المعجمات التي سارت على منهجه وهذه المعجمات هي البارع للقالي والجمهرة لابن دريد والمختصر للزّبيدي والمحيط لابن عباد والتكملة للبشتي والمحكم والمحيط الاعظم لابن سيده ، ولم تخلص بعض هذه المعجمات من النقد اللاذع ، فقد كان الأزهري يرمي ابن دريد بافتعال العربية وتوليد الالفاظ (٢) ، واتهمه نفطويه بانتحاله كتاب العين

---

(١) المعجم العربي : حسين نصار ١ / ٢٨٠

(٢) المزهر للسيوطي ١ / ٩٣

بعد تغييره فضلا عن اتهامه الازهري بانتحاله كتاب العين بعد تفريغه في كتابه التهذيب (١) آ والظاهر ان غالب النقد الذي ظهر آنذاك تشوبه العصبية ، فهي إمّا عصبية لكتاب العين الذي أفرغت مادته في تلك الكتب ، وامّا عصبية للكتب المؤلفة بعد العين التي وجد فيها أصحابها ما يميزها من غيرها ولذلك يقول السيوطي بعد أن وجد ان النقد الذي شاع هو نقد الأقران : « وقد تقرر في علم الحديث ان كلام الاقران في بعضهم لايقدح » (٢) وهذا يؤيده نقد نفطويه لصاحب الجمهرة الذي أشار إليه الدكتور رشيد العبيدي (٣) ، فقد قال السيوطي فيه : ولا يُقبل فيه طعن نفطويه لأنه كان بينهما منافرة عظيمة بحيث ان ابن دريد هجاه بقوله :

لو أُنزل الوحي على نفطويه ... لكان ذاك الوحي سخطاً عليه
وشاعرٍ يدعى بنصف لسمه ... مستأهلٌ للصفع في اخدعيه
أحرقه الله بنصف اسمه ... وصير الباقي صراخاً عليه (٤)

وقال حسين نصار في ذلك : « ولعلّ أقطع دليل على تعصب نفطويه أن زيادات الجمهرة على العين كانت من الكثرة بحيث اعتمد عليها ابن التياني في كتابه المُوعَب » (٥)

وعلى اية حال لم تخلص المعجمات العربية كلها من النقد مهما كانت دوافعه ، وقد كان النقد والرغبة في إصلاح الخلل احد أسباب كثرة المعجمات العربية

قلنا إن المعجمات العربية كثيرة ، وكثرتُها آتية من اختلاف مناهجها او اتساع مادتها او تصحيحها الاوهام الواقعة في المعجمات التي سبقتها ، فظهر تهذيب

---

(١) المصدر نفسه ١ / ٩٤
(٢) نفسه ١ / ٩٤
(٣) ص٤
(٤) المزهر ١ / ٩٤
(٥) المعجم العربي ١ / ٤٢٩

الازهري الذي حاول فيه مؤلفه ، انتقاء الصحيح من كلام العرب رواية عن الثقات ونقد المعجميين الذين ظهروا قبله والذين ظهروا في زمانه ليجعل معجمه فريداً في بابه ، ومع نجاحه في تأليف معجم رائع كان متعصباً له بحيث حاول الغض من مكانة علماء شهدت لهم العربية بالمكانة الكبيرة في رواية اللغة والتأليف فيها . وظهر صحاح العربية للجوهري في نهاية القرن الرابع الهجري ، وقد الفه صاحبه معتمداً صحيح اللغة رواية ودراية ووضعه على منهج جديد جعله رأس مدرسة في التأليف المعجمي هي مدرسة الباب والفصل ، ويقتضي المقام هنا ان نشير إلى تلميح يُذكر بين آن وآخر هو ان الجوهري مسبوق في وضعه فكرة الباب وهو آخر الكلمة ، وقد سبقه إلى ذلك اليمان ابن أبي اليمان البندنيجي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ (١) عندما وضع كتابه التقفية . والملاحظ أنّ الجوهري الف معجماً بكل ما في الكلمة من معنى فاستوفى الأفعال والاسماء ومشتقاتها ، في حين وضع البندينجي معجماً خاصاً يشتمل على الالفاظ التي تنتهي بقافية واحدة مثل الصغير والكبير والقدير والحقير والمثير ، ومثل الإياب والإهاب والجناب والعذاب والرضاب والضباب والرغاب ، والغرض من ذلك جمع الأشباه والنظائر من الالفاظ التي جاءت على قافية واحدة بغض النظر عن أوزانها وأبنيتها كما فعل الفارابي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ في كتابه ديوان الأدب ، فصغير وكبير على وزن فعيل ، ومقدور على وزن مفعول ، ومثير على وزن مُفعِل في حين ان جناب ورَبَاب وعذاب على وزن فَعَال وإياب وإهاب وضِباب ورغاب على وزن فِعال ، ولما كان غرض المؤلف جمع الالفاظ ذات القافية الواحدة لم يُعن بأوائل الكلمات كما فعل الفارابي ، فكتاب التقفية معجم خاص يشبه المعجمات الخاصة بالقلب والابدال والهمز والمقصور والممدود وغيرها (٢)

وفي نهاية القرن الرابع أيضاً ظهر معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٣ هـ إلى جوار معجمه المجمل . وقد كان تأليف هذا المعجم تطوراً

(١) انظر القوافي في المعجم العربي بين الجوهري والبندنيجي وابن - قتيبة د . خليل العطية مجلة كليه الآداب جامعة البصرة العدد ١١ ١٩٧٦ ص ٦٠

(٢) ينظر رأي د . ابراهيم السامرائي المنشور في مجلة المورد العراقية م ٧ العدد ٣ ص ٣٢١ ـ ٣٣٢

في تأليف المعجم العربي هروباً من طريقة العين ، فاستخدم المؤلف النظام الالفبائي زائداً عليه تجديداً ظاهراً هو ان الحرف الثاني للكلمة يكون الحرف التالي للحرف الأول من الكلمة . والشيء المهم في هذا المعجم ما أورده في المادة اللغوية إذ رمى في كتابه إلى الكشف عن المعنى الأصلي المشترك في جميع صيغ المادة وسمّى هذه المعاني الأصول والمقاييس ولذلك سمى كتابه المقاييس ، ففي مادة عقق مثلا يقول (١) : العين والقاف أصل واحد يدلّ على الشقّ والليه يرجع فروع الباب بلطف نظر . وقد اعتمد في أصل الفكرة على ما نثره الخليل في العين من تلك الأصول فقد قال « العقّ : الشقّ ، قال وإليه يرجع العقوق قال وكذلك الشعر يتشق عنه الجلد ، وهذا الذي أصّلّه الخليل »

والمسألة الثانية التي يمكن ان يشار اليها هي فكرة النحت فقد قال في المقاييس (١ / ٣٢٨) : « اعلم ان للرباعي والخماسي مذهباً في القياس يستنبطه النظر الدقيق وذلك ان اكثر ماتراه منه منحوت ، ومعنى النحت ان تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما بحظ » ومثل لذلك بامثلة كثيرة

وفي القرن الثامن ظهر لسان العرب لابن منظور المتوفى سنة ٧١١ هـ وهو ثاني أكبر معجمين في العربية هما اللسان والتاج وقد استعان ابن منظور بخمسة مصادر لها مكانتها بين مصادر العربية ولذلك كانت مادة اللسان أوسع من مادة التهذيب للازهري او الصحاح او المحكم بسبب الكم الهائل من المفردات التي دخلت إلى اللسان من مصادره ، ومع ان ابن منظور افرغ مادة تلك المصادر في معجمه لم يخل معجمه من منهجية واضحة أهم سماتها أنه أخذ المحكم لابن سيده اساساً لترتيب مادته ليعطيه الهيكل العام للترتيب ثم يحشوه بما فيه وفي غيره من المعجمات والسبب في ذلك أنه أراد ان يقيم معجمه على نظام ثابت يقدم فيه المجرد على المزيد والمفرد على الجمع ، وقد أكثر في التفسيرات التي يشترك فيها اكثر من معجم واحد في الغالب نصّ المحكم ثم يتلوه بنص الصحاح ثم التهذيب ثم ما في مصدريه الآخرين النهاية وحواشي ابن بري (٢)

ومع ذلك وقع تكرار في اللسان في بعض الصيغ والتفاسير سببه ورودها بهذا الشكل لاختلاف التعبير في المصادر المختلفة اختلافاً يسيراً لايغير في معانيها .

(١) كتاب المقاييس ١ / ٣٢

(٢) المعجم العربي حسين نصار ٢ / ٥٦٢

منهج الخليل

في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين

الدكتور احمد نصيف الجنابي

المقدمة

جاء هذا البحث استجابة لدعوة المجمع العلمي العراقي الموقر ، للمشاركة في ندوة المعجمية التي سينظمها ، في شباط/ ١٩٩٢م • وقد كتبت البحث منذ سنة ١٩٩٠م عندما دعيت للكتابة فيه •

وقد اخترت « منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين » ليكون سهمي في الندوة • وكان اختياري له قائما على اساس شعوري ان منهج دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين لم ينل عناية تذكر ، على كثرة الدراسات عن هذا المعجم •

وبعد استقرائي الدلالة القرآنية في كتاب العين وجدت ان منهج الخليل قائم على ستة اسس نظمتها في ستة مباحث ، وختمت البحث بالنتائج التي توصلت اليها ، فكان الهيكل التنظيمي لبحثي هو :

المبحث الاول : الاهتمام بالدلالة السياقية •

المبحث الثاني : الاهتمام بالدلالة الخاصة •

المبحث الثالث : الاهتمام بالدلالة الصرفية •
المبحث الرابع : الاهتمام بالفروق الدلالية •
المبحث الخامس : الاهتمام باللهجات •
المبحث السادس : الاهتمام بالشاهد الشعري •
وخاتمة البحث ونتائجه •••

ولابد من الاشارة الى ان الخليل استعمل هذه الاسس في معجمه الرائد ، لخدمة الدلالة القرآنية •

والله أسأل ان يوفقني لخدمة لغة القرآن • وهو وحده الهادي الى سواء السبيل •

المبحث الاول

الاهتمام بالدلالة السياقية

عرّف اللغويون المحدثون (السياق) Context تعاريف متعددة ،[1] واقرب هذه التعاريف الى موضوع بحثنا ، واكثرها التصاقا به ان السياق هو الموقع الذي ترد فيه اللفظة في الجملة • او هو الاسلوب الذي ترد فيه اللفظة فتكتسب دلالتها من ذلك الاسلوب • وقد ترد في سياق آخر فتكتسب دلالة اخرى •

ويدعى هذا السياق « سياق المقال » •

ويقترن به سياق آخر يدعى « سياق المقام » Context of Situation

ويمكن ان يعرّف بأنه كل ما يحيط باللفظة من ظروف تتصل بالمكان او

---

(١)

Ogden and Richards : The Meaning of meaning, P.P 52-59, G.W. TURNER : STYLISTICS, PP. 134 ff. G. LEECH : SEMANTICS, PP. 71-81 .

س • اولمان : دور الكلمة في اللغة / ٥٤ ــ ٥٥ •

المتكلم او المخاطب ،في اثناء التفوه ، فتعطيها هذه الظروف دلالتها التي يولدها هذا النوع من السياق .

ومن أمثلة سياق المقال مجيء لفظة (السلام) في سياقات مختلفة ، فتختلف دلالتها باختلاف السياق الذي وردت فيه .

فقد وردت في سياق الآية الكريمة : « السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر »[٢] فدلت على ان المراد بالسلام هو الله عزّ وجلّ .

ووردت في سياق الآية الكريمة « لهم دار السلام عند ربهم »[٣] فدلت على (الجنة) .

وجاءت في سياق الآية الكريمة : (فاصفح عنهم وقل : سلام)[٤] فدلت على الكلام الطيب ، والرد الجميل ، والحلم . وهو الذي عناه (أبو تمام) بقوله :

من لي بانسان اذا أغضبتُهُ
وجهِلتْ كان الحِلمُ ردَّ جوابه

وجاءت في سياق الآية : «فاذا دخلتم بيوتا فسلّموا على أنفسكم»[٥]، فدلت على التحية المعروفة .

وجاءت في سياق الآية الكريمة : (قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم)[٦] ، فدلت على السلامة من الشرّ .

وجاءت في سياق الآية الكريمة : « سلام على نوح في العالمين »[٧] ، فدلت على الثناء الحسن .[٨]

---

(٢) سورة الحشر . الاية ٢٣ .
(٣) سورة الانعام . الاية ١٢٧ .
(٤) سورة الزخرف . الاية ٨٩ .
(٥) سورة النور الاية ٦١ .
(٦) سورة الانبياء . الاية ٦٩ .
(٧) سورة الصافات . الاية ٧٩ .
(٨) البلخي : الاشباه والنظائر في القرآن الكريم / ٣٠٥ وما بعدها وابن الجوزي : نزهة الاعين النواظر / ٣٥٥ وما بعدها .

أما « سياق المقام » فمثاله ما حدث للشاعر المعروف (ذي الرمة) ، فقد نظم قصيدته البائية :

ما بال عينك منها الماءُ ينسكبُ
كأنه من كُلًى مفريةٍ سَرِبُ

وأنشدها في حضرة الخليفة (عبد الملك بن مروان) ، الذي كانت عيناه تسيلان دمعا دائما (بسبب مرض مزمن) ، فلما سمع الخليفة هذا المطلع ظن أن الشاعر (يُعرِّض به) ، فغضب عليه ، وقطع انشاده ، وأمر باخراجه من حضرته .

ان بائية ذي الرمة عدت عند نقاد العرب القدامى ، من أحسن قصائد ذي الرمة ، وان عبدالملك بن مروان لما سمعها (بعد ان غير الشاعر لفظة عينك الى عيني) ، قال للشاعر : لو أن قصيدتك قيلت في الجاهلية لسجدت العرب لها . فما الخبر ؟ وما السبب الذي جعل استجابة عبدالملك تتذبذب بين الرفض المطلق والقبول المطلق ؟!

السبب أن (سياق المقام) ما كان يحتمل جملة « ما بال عينك منها الماء ينسكب » لانها لاتوافق هذا السياق ، ولا الحالة التي كان عليها المخاطب ... فلما غير الشاعر اللفظة الى (عيني) صارت مناسبة للسياق ، فرضي عنه الخليفة ، وأعجب بالقصيدة واكرم الشاعر [٩] .

هذا مدخل موجز عن مفهوم السياق . فكيف تناول صاحب العين الدلالة السياقية ؟ .

انه يتحدث عنها من خلال مداخل متعددة :

(١) فقد يتحدث عن لفظة من ألفاظ ما يُسمّى (بالمشترك اللفظي) ، ثم يبين أنها تعطي دلالات مختلفة باختلاف السياق الذي وردت فيه .

---

(٩) غرس النعمة : الهفوات النادرة / ٤٢ ـ ٤٣ .

ففي حديثه عن معاني الفعل (أوحى) يبين أن هذا الفعل يأتي بمعان مختلفة (فأوحى اليه) أي بعثه . وأوحى اليه : ألهمه[١٠] . وعلى ذلك جاءت الآية الكريمة : (واوحى ربّك الى النحل أنِ اتّخذي من الجبالِ بُيوتاً ومن الشّجَرَ ومما يعرشون) .[١١]

وأوحى الى الارض : أمرها ، ومنه قوله تعالى : (وأخرجت الارض أثقالها . وقال الانسانُ : مالها ؟ يومئذ تُحدّث أخبارَها . بأنّ ربّكَ أوحى لها)[١٢] . ومنه قوله تعالى : (فأوحى اليهم أنْ سبّحوا بُكرةً وعَشِيّاً) .[١٣]

(٢) وقد يتحدث عن حرف من حروف المعاني ، وعن أثر الاستعمال اللغوي في ذكره ، او حذفه .

ففي حديثه عن (لا) النافية يبين :[١٤]

(أ) أن (لا) حرف يُنفى به الكلام .

(ب) وانها تأتي زائدة في سياق القسم ، كقولك : لا أقسم بالله ، تريد أقسم بالله .

(ج) وان العرب قد تحذفها وتنوي عملها ، كقول الخنساء :

فآليتُ آسى على هالك وأسأل باكيةً مالَها

(أيْ : آليت لا آسى ولا أسأل) .

(د) ولاحظ ان القرآن الكريم قد ذكرها وهي زائدة (او صلة على تعبيره) . قال تعالى : « ما منَعَكَ ألاّ تَسْجُدَ » ، والمراد أن تسجد .

(هـ) وأنها قد جاءت في القرآن الكريم مفردة مع الماضي ويراد بها

---

(١٠) الفراهيدي : كتاب العين (وحى) ٣ / ٣٢٠ .
(١١) سورة النحل . الاية (٦٨) .
(١٢) سورة الزلزلة الاي : ٢ ـ ٥ .
(١٣) سورة مريم : الاية ١١ .
(١٤) الفراهيدي : المرجع السابق ٨ / ٣٤٩ .

(لم) ، كما في قوله تعالى : « فلا اقتحمَ العقبة »[١٥] . والمراد « لم يقتحم العقبة » . ومثلها في ارادة (لم) قوله تعالى (فلا صَدَّقَ ولا صَلّى) ، أي لم يصدق ولم يصلِ . وعقب على الافراد والتكرار بقوله : (إلاّ أن ـ لا ـ بهذا المعنى ـ اذا كررت ـ أفصحُ منها اذا لم تكرر) .

ويبدو أن مجيء (لا) مع الفعل الماضي مكررة اكثر من مجيئها مفردة، وهذا ما جعل الفراهيدي يرى أنها مكررة أفصح منها مفردة ، لان مجيئها مفردة مع الماضي يصرفها ـ في الاغلب ـ الى الدعاء . كقولهم « لا دَرّ دَرّهُ » و « لا فُضّ فوكَ » . ومن شواهده الحديثية قوله صلى الله عليه وسلم : (اذا رأيتم رجلا يبيع في المسجد فقولوا : لا أربحَ الله تجارتك) .[١٦]

وقوله صلى الله عليه وسلم : (من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد ، فليقُلْ : لا ردّ الله عليك ، فان المساجد لم تُبْنَ لهذا) .[١٧]

وقد اوجب ابن هشام الانصاري (ت ٧٤٥ هـ) تكرارها مع الماضي لفظا او تقديرا لئلا ينصرف الذهن الى الدعاء ، عند عدم تكرارها ،[١٨] للسبب المذكور في الفقرة السابقة .

وذهب فريق من النحويين في تأويل الآية : « فلا اقتحم العقَبة » ، مذهبا آخر فقالوا : (انما افردت لا في الآية لدلالة آخر الكلام على معناه ، فيجوز أن يكون قوله تعالى : « ثم كان من الذين آمنوا » ، قائما مقام التكرير كأنه قال : فلا اقتحم العقبة ولا آمن)[١٩] .

---

(١٥) سورة البلد . الاية ١١ .
(١٦) ابن السنّي : عمل اليوم والليلة / ٦٦ .
(١٧) ابن السنّي : المرجع نفسه / ٦٥ .
(١٨) ابن هشام : مغني اللبيب ١ / ١٩٧ .
(١٩) الفراء : معاني القرآن ٣ / ٢٦٤ .
ابن هشام : المرجع السابق ١ / ١٩٨ (ونسب الراي للزجاج وردّه) .

ان سياق الآيات في سورة البلد هو : « فلا اقتحم العقبة • وما ادراك ما العقبة • فكّ رقبة • او إطعام في يوم ذي مسغبة • يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة • ثم كان من الذين آمنوا • وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة» •

وظاهر السياق يدلّ على ان قوله تعالى : ثم كان من الذين آمنوا ، لا يمكن ان يساق مساق النفي لانه جاء جوابا عن سؤال ما العقبة ؟ انها فكّ الرقاب واطعام المساكين والايمان بالله ايمانا يتسم بالتواصي بالصبر وبالمرحمة انسجاما مع قوله تعالى : « والعصر ان الانسان لفي خسر الاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصَوا بالحقّ وتواصوا بالصبر » •

وهذا التفسير الاسلوبيّ و السياقيّ يجنّبنا التأويلات البعيدة والتقديرات التي لامبرر لها لانّ السياق لايسعفها ولا يؤيدها ، غير أن مشكلة النحاة انهم ــ في الغالب ــ يُخضعون النصوص للمقاييس النحوية فاذا خالفتها أوّلوا من النصوص ما استطاعوا ، والاّ رموه بالشذوذ او بالضرورة ، لكن منطق اللغة واستعمالها يقولان : ان القاعدة ظلّ الاستعمال ونتيجة له ، وليس العكس •

وذهب المفسر النسفيّ (ت ٧٠١ هـ) ، الى خلاف ما ذهب اليه الفراهيدي ، حين جعل الافصح عدم التكرار ، فقال : (وانما لم تكرّر «لا» في الكلام الافصح لانه لمّا فسّر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء صار كأنه أعاد لا ثلاث مرات ، وتقديره : فلا فكّ رقبة ، ولا أطعم مسكينا ولا آمن)[٢٠] •

وهو رأي يخالف مااستقر في الاستعمال الفصيح •

واستقراء الاستعمال اللغويّ الفصيح يدل دلالة لا شكّ فيها على انّ تكرار (لا) مع الماضي ، اكثر من عدم التكرار وانّ عدم تكرار (لا) مع الماضي له دلالتان : الاولى : الدعاء (كما مثلنا) • والاخرى : ارادة (لم)، كما في الاية : « فلا اقتحم العقبة » ، وهو مذهب الخليل بن احمد الفراهيدي،

---

(٢٠) النسفي : مدارك التنزيل ٤ / ٣٥٩ •

وتابعه عليه ابو البركات الانباري (ت ٥٧٧ هـ) • ومن شواهده ، قول أبي خراش الهذليّ وهو يطوف بالبيت الحرام •[٢١]

إن تغفر اللهمّ تغفر جمّا
وأيّ عبد لكَ لا ألمّا

أي : ألمّ بالذنوب • بمعنى اقترفها • والشاهد فيه مجيء (لا) بمعنى (لم) • والمعنى : أيّ عبد لم يقترف ذنبا ؟!

وهو قول ابن هشام ، ايضا •[٢٢]

(٣) وقد يقيس الخليل اسلوبا جاء في الشعر (ويسميه ضرورة) ، على ما جاء في سياق آية •

فعندما تحدث عن « يوم الصباح » وهو « يوم الغارة » استشهد ببيت الاعشى :

ويمنَعُه يومَ الصباح مصونة
سراعاً الى الداعي تثوبُ وتُركبُ

ثم عقب على ذلك بقوله : (يعني ان الخيل تمنع هذا المصطبح يوم الصباح • والمصونة : الخيل • وتثوب وتركب كان ينبغي ان يقول : تُركب وتثوب فاضطر الى ما قاله) •

وهذا ــ والتعبير للفراهيدي[٢٣] ــ مثل قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشقّ القمر » •[٢٤]

والغريب ــ هنا ــ ان الفراهيدي نسي انه ليس في القرآن ضرورة (كما هي في الشعر) • وفاته ان تقديم ما حقه التأخير أسلوب معروف في العربية ، وان العرب قد يخالفون الاصل ،اذا كان ذلك غير مُخِلٍّ بالمعنى،

---

(٢١) ابو البركات الانباري : البيان في غريب اعراب القرآن ٢ / ٥١٤
(٢٢) ابن هشام : المغني ١ / ١٩٨ .
(٢٣) الفراهيدي : المرجع السابق (صبح) ٣ / ١٢٥ .
(٢٤) سورة القمر . الآية (١) .

او « اذا أَمِنوا اللَّبْس » • ومن هذا الباب الآية التي ذكرها ، والبيت الذي ذكره •

والمعروف (بداهة) ان الخيل تثوب بعد ان تُركب ، وكذلك يعرف (من الواقع) ان انشقاق القمر جاء قبل ان تقترب الساعة • وهذه قرائن تمنع اللبس •

والظاهر انه ليس في البيت ضرورة على هذا التوجيه • كما ان التقديم والتأخير في الواو (جائز حسن كثير)[٢٥] على حد تعبير أبي جعفر النحّاس (ت ٣٣٨ هـ) • ومنه قوله تعالى : « قلْ أعوذ بربّ الناس • ملك الناس • إله الناس • من شرّ الوسواس الخنّاس • الذي يوسوس في صدور الناس » • والتقدير : قل أعوذ بربّ الناس من الوسواس والناس • وعليه جاء قول حسان بن ثابت :[٢٦]

فما زال في الاسلام من آل هاشم
دعائمُ عزٍّ لا يزول ومَفْخَرُ
بهاليلُ منهم جعفر وابنُ أمّه
عليٌّ ، ومنهم أحمدُ المتخيَّرُ

وتلمّس دراسة الفراهيدي للسياق او الدلالة السياقية ، في كتاب العين ، يدل دلالة واضحة على اهتمامه بهذا النوع من الدلالة ، وان كان قد سبقه الى ذلك المفسّر المعروف مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠ هـ) ، بكتابه المشهور « الاشباه والنظائر في القرآن الكريم » ••• ثم تتابعت الدراسات والكتب عن الدلالة السياقية او النظرية السياقية او المنهج السياقي Contextualization كما يسميه العالم اللغوي « فيرث » في كتابه « بحوث في اللسانيات » •[٢٧] (Papers in Linguistics)

---

(٢٥) النحاس : اعراب القرآن ٣ / ٧٩٦ •
(٢٦) ديوان حسان بن ثابت ١ / ٩٨ (ط . انجلترة) •
(٢٧) J.R. FIRTH : Papers in Linguistics PP. 24-25

وألف الحكيم الترمذي (ت ٣٢٠ هـ) كتابا عنوانه « تحصيل نظائر القرآن » .[٢٨]

ثم ألف بعده الدامغاني : ابو عبدالله الحسين بن محمد (ت ٤٧٨ هـ) كتابه : « اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم » .[٢٩]

ومن اوسع الكتب في الدلالة السياقية ، واكثرها استيعابا لها كتاب : « نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنظائر » .[٣٠] لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) .

ولغير هؤلاء مؤلفات في الموضوع نفسه ، يمكن ان يتلمسها الباحث في مظانها .[٣١]

وعلى الرغم من ثبوت هذه الحقيقة يرى او يظن جمهور الباحثين الغربيين من علماء الدلالة ، ان الرؤية السياقية او المنهج السياقي في دراسة ألفاظ اللغة لم يظهر الا في القرن العشرين .... وان اول من استعمل مصطلح « سياق المقام » Context of Situation هو العالم الاجتماعي : مالينوفسكي[٣٢] . وان اول من طبق المنهج السياقي في الدراسات اللغوية هو العالم اللغوي « فيرث »[٣٣] (ت ١٩٦٠م) ، في كتابه « بحوث في اللسانيات » Papers in Linguistics

ألم يدر علماء الدلالة وعلماء اللغة في العالم الغربي ان الدراسات

---

(٢٨) طبع القاهرة سنة ١٩٧٠م .
(٢٩) طبع الكتاب ، في بيروت سنة ١٩٧٠م .
(٣٠) طبع في بيروت ، سنة ١٩٨٤م
(٣١) تنظر : مقدمة محقق كتاب « نزهة الاعين النواظر » ، صفحات ٥٠ وما بعدها ، لمعرفة مزيد من اسماء المؤلفات .
(٣٢) ينظر
FIRTH : OP. CIT. , P. 181 and see : Ogden and Richards : The meaning of meaning (Supplement) P. 296 By . B. Malinowski
(٣٣) پالمر : علم الدلالة / ٧٦ (الترجمة العربية) .

السياقية عند العرب ، قد سبقت ما عندهم باكثر من ألف سنة ؟ ألم يعرفوا ان الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) قد عقد في كتابه « البيان والتبيين » مبحثا عن « سياق المقام »[٣٤] ، وان عبارة « لكل مقام مقال » اصبحت من العبارات السائرة في كتبنا البلاغية مسير الامثال .

أهو بخس" لحقوقنا ولسبقنا المعرفيّ ، ام جهل به ؟!

المبحث الثاني

الاهتمام بالدلالة الخاصة

(١)

ان قارىء كتاب « العين » يجد الخليل بن احمد الفراهيدي قد اهتم بالدلالة القرآنية عامة . كما يجده قد لاحظ أنّ القرآن قد استعمل مجموعة من الالفاظ استعمالا خاصا ، ويرى أنه قد عرف دلالتها الجديدة .

لقد جاء اهتمام الفراهيدي بهذا النوع من الدلالة نتيجة أمرين :

الاول : أن الفراهيدي كان قارئا ، ولذلك ترجم له ابن الجزريّ (ت ٨٣٣ هـ) ، في « طبقات القرّاء » فقد قرأ على عبدالله بن كثير (ت ١٢٠ هـ) ، مقرىء الحرم المكيّ ، وعلى عاصم بن أبي النّجود (ت ١٢٧ هـ)، اذ روى عنهما الحروف .[٣٥] والحرف في اصطلاح علم القراءات هو : ما اختلف فيه القراء من كلم القرآن سواء أكان اسما في اصطلاح النحويين ، أم فعلاً أم حرفاً .

ويفسر هذا (أيضا) سبب اهتمام الفراهيدي بالقراءات واحترامها جمعاء دون ان يرفض قراءة حتى لو كانت شاذة ، بأي معنى من معاني الشذوذ .

الآخر : أن القرآن الكريم عنصر من عناصر بنية المعجمات ــ عند العرب

---

(٣٤) الجاحظ : البيان والتبيين ١ / ١٣٦ .

(٣٥) ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٢٧٥ .
وينظر : الذهبي : معرفة القراء الكبار ١ / ٨٩ .

وعمادها • كما أنـه أساس علوم العربية ، ولا نعدو الصواب اذا قلنا : ان في كتاب « العين » مـادة غزيرة تدخـل في موضوع التفسير • وقد جمعت ما فسّره (الفراهيدي) في العين فوجدته يكوّن مادة تفسيرية يمكن ان تؤلف تفسيرا لآيات كثيرة ، توضع في كتاب متوسط الحجم تحت عنوان « تفسير غريب القرآن » للخليل بن احمد الفراهيدي مستخرجا من كتاب العين • لكن البحث سيقتصر على منهج الفراهيدي في دراسة الدلالة القرآنية.

(٢)

أما مظاهر اهتمام الخليل بالدلالة القرآنية الخاصة فيتضح مما يأتي:

(١) يشير الفراهيدي الى المعنى العام للفظة ، ومن خلال ذلك الحديث يبين الاستعمال الجديد الذي اختصّ به القرآن ، وخُصَّت به الامة المحمدية «فالصبغ والصباغ » ما تلوّن به الثياب • والصَّبْغ مصدره الصِّباغة[٣٦] : حرفة الصباغ • والصبغ ، والصبغ ، والصِّباغ ما يصطبغ به في الاطعمة ونحوها ، أي : يؤ تدم [٣٧] • قال تعالى : « وصبغ للآكلين » [٣٨] ثم يقول: و « صبغة الله »[٣٩] : هي الملة التي يدين لها المسلمون • والمراد بها السمة والعلامة المميزة • فصبغة الله هي السمة الربانية التي اعطاها الله اصحاب هذا الدين العظيم الذي جاء رحمة للعالمين •

(٢) وعندما ذكر معاني مادة (سبّح) ، (وهي مادة تدل في الاصل على التنزيه • وسبحان الله : معناه تنزيه الله عن كل مالا ينبغي ان يوصف به)[٤٠] ، ذكر ان التسبيح يأتي في القرآن بمعنى الصلاة ، واستشهد على

---

(٣٦) لان مصدر الفعل الثلاثي الدال على الحرفة يأتي قياسا ، على « فِعالة » ، مثل : صناعة ، زراعة ، ونجارة . وسباكة ...

(٣٧) الفراهيدي : العين (صبغ) ٤ / ٣٧٤ .

(٣٨) سورة المؤمنين . الآية ٢٠ .

(٣٩) وتمام الآية : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » . (سورة البقرة . الآية ١٣٨)

(٤٠) اللسان (سبح) ٣ / ١٥٢ .

ذلك بقوله تعالى : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون »[41] ، وبقوله تعالى : « فلولا انه كان المسبّحين للبث في بطنه الى يوم يُبعثون »[42] اي : فلولا انه كان المُصَلّين[43] ... الخ . وهو معنى قرآني خاص ، من وجهة نظر موضوعية ، ودلالة جديدة من وجهة نظر المنهج اللغوي التاريخي .

وقد استفاد (الفرّاء) من اشارة الفراهيدي ففسّر بها آية الروم السابقة وقال : (حين تُمسون : المغرب والعشاء . وحين تصبحون : صلاة الفجر . وعشيّا : صلاة العصر . وحين تظهرون : صلاة الظهر) .[44]

(٣) وقد يشير (الفراهيدي) الى لفظة ذات دلالة معروفة في العربية، غير انها اكتسبت بالمجاورة لغير العرب ، دلالة جديدة نشأ عنها معنى قبيح ، فنهى الله سبحانه وتعالى ، المؤمنين عن استعمالها في مخاطبة النبيّ ، صلى الله عليه وسلم .

فلفظة (راعِنا) بصيغة الامر تعني (اصغِ إلينا واهتمّ بنا) . وكان المسلمون يقولون للنبي عليه الصلاة والسلام : (راعنا) ، بهذه الدلالة .

غير ان تلك اللفظة (مع إمالة خفيفة) كانت تعني بالعبرية (سفيهنا) ، واليهود معروفون بتحريف الكلم عن مواضعه ، بشهادة الله عليهم . فكانوا يقولون في خطابهم : (يا محمد راعنا)[45] فانزل الله سبحانه وتعالى ، يخاطب المؤمنين : (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ، وقولوا : انظرنا واسمعوا)[46] . فنُهوا عن استعمال تلك اللفظة ، لتطور دلالتها الى معنى

---

(٤١) سورة الروم الآية ١٧ .
(٤٢) سورة الصافات . الآية ١٤٣ .
(٤٣) الفراهيدي : المرجع السابق ٣ / ١٥٢ .
(٤٤) الفراء : معاني القرآن ٣ / ٣٢٣ .
(٤٥) الفراهيدي : المرجع السابق (رعن) ٢ / ١١٨ وينظر قول ابن سيده في (راعنا) ، اللسان (رعن) ١٧ / ٤١ .
(٤٦) سورة البقرة . الآية ١٠٥ .

قبيح . وهذا ما يعرف بانحطاط الدلالة .

فعندما تحدث عن (لولا) اوضح انها مركبة من (لو) و (لا) وانهما ترد في معنيين :

الاول : بمعنى (لو لم يكن) ، كقولك : (لولا زيد لاكرمتك) .

والاخر : بمعنى (هلاّ) مشددة اللام .

ثم لاحظ ان كل شيء في القرآن فيه (لولا) يُفَسَّرُ على (هلاّ) غير التي في سورة الصافات : (فلولا انه كان من المُسَبِّحينَ) .

وهي ملاحظة غير دقيقة ، لان (لولا) قد وردت في اساليب قرآنية وليس فيها ما قال صاحب العين ، منها :

(أ) قوله تعالى : فلولا فضلُ الله عليكم ورحمته لاتّبعتم الشيطان الا قليلا) .[٤٧]

(ب) وقوله تعالى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسمُ الله كثيرا)[٤٨] .

(ج) وقوله تعالى : (ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين) .[٤٩]

وغير هذه المواضع كثيرة في القرآن .[٥٠]

(٤) وقد يشير الى ادق الدلالات الخاصة المتصلة باستعمال لفظة ما ، كاستعمال لفظة (كِفْل) بكسر الكاف بزنة (بئر) .

فهو يرى ان لفظة (كِفْل) لا تستعمل الا في الانصبة التي يشترك فيها اكثر من واحد ، ومثلها لفظة النصيب ، « ولا يقال : هذا كفلُ فلان حتى تكون قد هيّأت مثله لغيره كالنصيب »[٥١] . وعلى ذلك جاءت الآية

---

(٤٧) سورة النساء . الآية ٨٣ .

(٤٨) سورة الحج . الآية ٤٠ .

(٤٩) سورة الصافات . الآية ٥٧ .

(٥٠) عضيمة : دراسات لاسلوب القرآن الكريم ٢ / ٦٨٢ .

(٥١) الفراهيدي : المرجع السابق (كفل) ٥ / ٣٧٣ .

الكريمة : (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) .[٥٢]

وهي نظرة تدل على فهم دقيق للدلالات اللغوية التي تستعمل استعمالا خاصا . وقد توسع في هذا النوع من الدلالة الثعالبيّ (ت ٤٢٩ هـ) ، في كتابه « فقه اللغة » فبلغ الغاية ، ومن الامثلة التي اوردها : لا يقال للشجاع كميّ حتى يكون شاكي السلاح والا فهو بطل . ولا يقال لماء الفم رُضاب الا اذا كان في الفم ، فاذا فارقه فهو بزاق . ولا يقال وقِرد الا اذا اتقدت فيه النار ، والا فهو حطب . ولا يقال خدر الا اذا كانت فيه جارية والا فهو ستر ...

وهكذا دواليك .[٥٣]

(٥) وفي حديثه عن معنى (المثل) ، رأى ان المثل له دلالتان .

الاولى : الشيء يضرب للشيء فيجعل مثلا وهي الدلالة المعروفة للمثل حين نسمعه او نستشهد به ، في مناسبة من المناسبات .

الثانية : الحديث الذي يكون خبرا . وهنا يلاحظ الفراهيديّ (أنّ اكثر ماجاء في القران الكريم نحو : قوله تعالى : مثل الجنة التي وعد المتّقون » [٥٤] ، وقوله تعالى : « ياأيّها الناسُ ضرب مثل فاستمعوا له [٥٥] » ، ثم أخبر تعالى فقال : « انّ الذين تدْعُون من دون الله لن يَخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له » فمعنى المثل فيه الخبر عنه ، « فصار خبره عن ذلك مثلا » [٥٦] .

ولاحظ أنّ هذه الاخبار لم تكن ــ في الاصل ــ مثلا يُضرب لشيء،

---

(٥٢) سورة النساء . الآية ٨٥ .
(٥٣) الثعالبي : فقه اللغة / ٣٠ ــ ٣٣ .
(٥٤) سورة الرعد . الآية ٣٥ .
(٥٥) سورة الحج الآية ٧٣ .
(٥٦) الفراهيدي : المرجع السابق ٨ / ٢٢٨ .

فجاءت دلالتها على المثل ، استعمالا قرآنيا جديدا على العربية .

ويبدو أن هذا التحديد لمفهوم المثل في الاستعمال القرآني ، تحديد غير دقيق ، كما أن الدلالة الثانية التي ذكرها داخلة (ضمنا) في الدلالة الاولى .

ويرى ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) أن لفظ المثل في القرآن الكريم يأتي ليدل على :

اولا : الشبه والمثل

ومثاله عنده قوله تعالى : « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ، فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لايبصرون »[٥٤] . وقال بعدها : مثل المنافقين كمثل قوم كانوا في ظلمة فأوقدوا نارا ، فلما أضاءت لهم النار ما حولهم أطفأها الله ، وتركهم في ظلمات لا يبصرون »[٥٥].

ثانيا : المثل المضروب للعبرة

ومثاله عنده قوله تعالى : «ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لايقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا »[٥٦] .

فهذا ــ عند ابن قتيبة ــ مثل ضربه الله لنفسه ولمن عُبِد من دونه فقال : « ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الاية » فهذا مثل من جعل إلها دونه اومعه ، لانه عاجز مملوك ، لايقدر على نفع ولاضر . ثم قال : « ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا ، هل يستوون ؟ » فهذا مثله عز وجل ، لانه الواسع الجواد القادر ، الرازق عباده جهرا ، من حيث يعلمون ، وسرا من حيث لايعلمون [٦٠] .

---

(٥٦) الفراهيدي : المرجع السابق ٨ / ٢٢٨ .
(٥٧) سورة البقرة . الاية ١٧ .
(٥٨) ابن قتيبة : تاويل مشكل القرآن / ٣٦٢ .
(٥٩) سورة النحل . الاية ٧٥ .
(٦٠) ابن قتيبة : المرجع السابق / ٣٨٤ .

ثالثا : الصفة والحال

ومن الآيات التي جاءت فدل المثل فيها على الصفة قوله تعالى : «ذلك مثلهم في التوراة » (سورة الفتح • الاية ٢٩) ، أي : صفتهم • وقوله: « مثل الجنة التي وعد المتقون » « سورة الرعد : الاية ٣٥) ، أي : صفة الجنة (٦١) •

فالمثل ــ في دراسات ابن قتيبة ــ يأتي في القرآن ليدل على : المثل المضروب للعبرة ، وعلى الشبيه ، وعلى الصفة •

فهو بهذا التفصيل أقرب الى الدلالة القرآنية ، من مفهوم الفراهيدي، كما أنه اكثر احاطة وشمولا ، منه •

المبحث الثالث

الاستفهام بالدلالة الصرفية

ليس من غرض هذا المبحث اثارة جدل او نقاش حول الفرق بين التصريف والاشتقاق ، حتى لايتشعب الكلام ، وكل ماأريده ــ هنا ــ هو ان التصريف أشمل من الاشتقاق بمعناهما المتفق عليه بين علماء اللغة او جلهم • فكل تصريف اشتقاق ، وليس كل اشتقاق تصريفا • لذلك كان من الاجدى أن أجعل الفرع منضويا تحت ظلال الاصل فصار عنوان المبحث « الدلالة الصرفية » •

يتناول (الفراهيدي) الدلالة القرآنية على المستوى الصرفي ، بطريقين :

الطريق الاول : المفتاح الفعلي

ومعناه أن يبدأ بذكر الافعال ثم يذكر مصادرها ونعوتها ، ومايشتق منها ، ويورد استعمالها •

---

(٦١) ابن قتيبة : تفسير غريب القرآن / ٢٠ •

ففي مادة (سخر) يقول : سخر منه وبه : استهزأ والسخرية : مصدر في المعنيين جميعا . وهو السخريّ أيضا . ويكون نعتا كقولك : هم لك سُخريّ وسُخريّة ، مذكر ومؤنث . والسُّخَرَةُ : الضُّحكَة . واما السخرة فما سخرت من خادم ودابة بلا أجر ولا ثمن . تقول : هم لك سخرة وسِخريا . قال الله عز وجلّ : « فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري »[٦٢] ، أيّ : سخرية وسخريا في الاستهزاء .[٦٣]

وكذلك فعل في مادة (شعف)[٦٤] ، ومادة (حقّ)[٦٥] .

ومن خلال استناده الى الصيغة الفعلية ، يذكر مايشتقّ منها من مصادر ، وصيغ مبالغة او اسماء ، مستعملة في القرآن .

ففي مادة (علم) ذكر أن تصريف علم يعلم علما والعلم نقيض الجهل ، ثم يقول : ورجل علاّمة وعلاّم وعليم . فان انكروا العليم فانّ الله جل وعز يحكى عن يوسف عليه السلام : « اني حفيظ عليم »[٦٦] .

والعلم : الجبل الطويل ، والجميعُ الاعلام . ومنه قوله تعالى : « ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام »[٦٧] ، شبّه السفن البحرية بالجبال .

والعلامةُ والمَعْلَمُ والعَلَمُ : ما جعلته علما للشيء وقرئ[٦٨] : « وإنه لَعَلَمٌ »[٦٩] ، يعني خروج عيسى بن مريم ، عليه السلام .[٧٠] اي : ان خروجه سيكون علامة من علامات الساعة .

---

(٦٢) سورة المؤمنين . الآية ١١٠ .
(٦٣) الفراهيدي : المرجع السابق ٤ / ١٩٦
(٦٤) المرجع نفسه ١ / ٢٦٠ .
(٦٥) المرجع نفسه ٣ / ٦ .
(٦٦) سورة يوسف . الآية ٥٥ .
(٦٧) سورة الشورى . الآية ٣٢ .
(٦٨) هي قراءة ابن عباس وابي هريرة وقتادة والضحاك .
(ابن خالويه : مختصر شواذ القراءات / ١٣٩) .
(٦٩) سورة الزخرف : الآية ٦١ .
(٧٠) الفراهيدي : المرجع السابق ٢ / ١٥٢ ـ ١٥٣ .

ومن قرأ (لعِلْم) للساعة) فمعناه : يُعلم بخروجه اقتراب الساعة . وقد اخذ هاتين القراءتين بدلالتهما « ابن قتيبة » في كتابه « تفسير غريب القرآن » .[٧١]

وقد يصل الفراهيدي — من خلال المفتاح الفعلي — الى معاني بعض الصيغ المشتقة من الفعل ، فيقول (مثلا) : حق الشيء يحق حقا : وجب . وتقول : يحق عليك ان تفعل كذا ، وانت حقيق على ان تفعله . وحقيق : فعيل في موضع مفعول . وقول الله عز وجل : (حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق)[٧٢] ، معناه : محقوق . كما تقول : واجب[٧٣] . وهنا يقرر هذه القاعدة الصرفية : (كل مفعول ردّ الى فَعيل فمذكره ومؤنثه بغير الهاء) . أي : هو ما يستوي فيه المذكر والمؤنث ، مثل : جريح بمعنى مجروح وقتيل بمعنى مقتول وكحيل بمعنى مكحول .

وقد يؤيد هذا « التبادل في استعمال الصيغ » بالقراءات القرآنية ، كما فعل في مادة (فرغ) حيث قال : (فرَغ يفرُغ ، وفرِغ يفرَغ : فراغا . وقرىء : (حتى اذا فُرِّغ عن قلوبهم)[٧٥] اي : ذهب بالخوف . وقوله تعالى : « وأصبح فؤاد أمِّ موسى فارغاً »[٧٦] ، اي : خاليا من الصبر . وقُرِىء : (فُرُغاً) ، فيكون (فُعُل) موضع (مفعَّل) ، مثل : (عُطل ومُعَطَّل)[٧٧] .

وقد تأثر ابن قتيبة بكلام الفراهيدي فنقله باختصار .[٧٨]

---

(٧١) الفراهيدي : المرجع نفسه ٢ / ١٥٢ وابن قتيبة : تفسير غريب القرآن / ٤٠ .
(٧٢) سورة الاعراف . الآية ١٠٥ .
(٧٣ — ٧٤) الفراهيدي : المرجع نفسه ٣ / ٦ .
(٧٥) الحرف في الآية (٢٣) ، من سورة سبأ .
(٧٦) سورة القصص . الآية ١٠ .
(٧٧) الفراهيدي : المرجع نفسه ٤ / ٤٠٨ .
(٧٨) ابن قتيبة : تفسير غريب القرآن / ٣٥٦

وقد يفعل الفراهيدي ذلك ايضا حين يكون مفتاح القول اسميا .

الطريق الثاني : المفتاح الاسمي

ففي حديثه عن مادة (حصد) يذكر المصدر ، ثم صيغة (فعيل بمعنى مفعول) ودلالتها فيقول : (الحَصْدُ : جَزّ البُرّ ونحوه[٧٩] . وقتل الناس حصد . وقول الله تعالى : « فجعلناهم حصيداً »[٨٠] ، اي : كالحصيد المحصود . وقوله تعالى : « وحبّ الحصيد »[٨١] ، اي : وحَبّ البُرّ المحصود . وقوله تعالى : « وآتوا حَقّهُ يوم حصاده »[٨٢] ، يريد وقت الجزاز) .[٨٣]

ولا ادري لماذا خص الفراهيدي الحَصْد بالبُرّ دون غيره من الحبوب كالشعير (مثلا) ، وقد جاء في اللسان : « الحصدُ : جَزّك البُرّ ونحوه من النبات . وحصَد الزرعَ وغيره من النبات يحصِده ويحصُده حصداً وحِصاداً وحَصاداً : قطعه بالمنجل[٨٤] .

فاقتصار الفراهيدي على جَزّ البُرّ فيه شيء من عدم الدقة في تحديد الدلالة .

ومن خلال المفتاح الاسمي يحاول ان يصل الى الصفات او الصيغ المشتقة منه ، كصيغ المبالغة (مثلا) .

ففي مادة (درك) يذكر الاسم « الدَّرَك » بفتح الدال والراء فيعرفه بانه : (اسفلُ قعر الشيء) ثم يبين ان الدرك واحد من ادراك جهنم . والدرك

---

(٧٩) البر : (بضم الباء) : الحنطة .
(٨٠) سورة يوسف . الآية ٢٤ .
(٨١) سورة (ق) . الآية ٩ .
(٨٢) سورة الانعام . الآية ١٤١ .
(٨٣) الفراهيدي : العين (حصد) .
(٨٤) اللسان (حصد) ٣ / ١٢٨ (وفيه : الحصاد والحصاد بفتح الحاء وكسرها : وقت الحصد) .

ـ بسكون الـراء : لغة في الدَرك • ومنه قولـه تعالى : « إن المنافقين في الدرك الاسفل من النار » (٨٥) • والدِّرك ـ بكسر الدال ـ : اتباع الشيء بعضه بعضا في كل شيء • يقال : يطعنه دراكا • اي تباعا واحدا اثر واحد • قال تعالى : « حتى اذا ادّاركوا فيها جميعاً »(٨٦) • • والادراك : فنـاء الشيء • ثم اورد قراءة الحسن البصري : « بل ادرك علمُهم في الآخرة »(٨٧) وفسّرها بانهم لا علم لهم في الآخرة • وادرك علمي فيه مثله • واستشهد بقول « الاخطل »(٨٨) :

وأدرك علمـي في سـواءة أنهـا
تُقيمُ على الاوتار والمشربِ الكدْرِ

الظاهر ان صاحب العين مخطىء في تفسير معنى البيت ، وفي دلالـة قراءة الحسن • فأما من جهة القراءة فقد قال ابو معاذ النحوي : « من قرأ : بل أدْرَكَ علمهم في الآخرة ، فمعناها : هم علماء في الآخرة » •(٨٩) وتفسير السُدّيّ للآية اكثر وضوحا من القول السابق ، حيث قال : (بل أدْرَكَ علمهم في الآخرة : علموا أن الذي كانوا يُوعَدون به حق • واتشد بيت الاخطل نفسه •(٩٠)

واورد (الازهري) قراءة الحسن وعقّب عليها بقوله : (والقول في تفسير ادرك وادّارك ومعنى الآية ما قاله السُدّي وذهب اليه ابو معاذ النحوي •(٩١)

وقد يصل الفراهيدي من خلال الحديث عن (المصدر) الى الاستعمال

---

(٨٥) سورة النساء . الآية ١٤٥ .
(٨٦) سورة الاعراف . الآية ٣٨ .
(٨٧) سورة النمل الآية ٦٦ .
(٨٨) الفراهيدي : المرجع السابق ٥ / ٣٢٧ .
(٨٩) اللسان (درك) ١٢ / ٣٠٤ .
(٩٠) اللسان (درك) ١٢ / ٣٠٤ .
(٩١) تهذيب اللغة (درك) ١٠ / ١١٢ .

الخاص لصيغة من الصيغ الاسمية كالصفة المشبهة التي استعملت استعمال الاسم ، « فالرفق مصدر رفق رفقا • والرفق : لين الجانب ولطافة الفعل ، وصاحبه رفيق ، اي : صاحب الفعل اللطيف • « وقد ترافقوا وارتفقوا فهم رفقاء ، الواحد رفيق • قال الله تعالى : « وحسُن اولئك رفيقا »[٩٢] ، اي : رفقاء في الجنة •

ومن خلال هذا المفتاح الاسمى يصل الى الدلالة الخاصة الاستعمال، فيقول : (ورفيقك الذي تجمعه واياك رفقة واحدة في سفر يرافقك •• ولا يذهب اسم الرفيق والرفقة ما داموا منضمين في مجلس واحد ، فاذا تفرقوا ذهب عنهم اسم الرفقة) •[٩٣]

وقد يصل من خلال المفتاح الاسمى ــ الى الفعل المتروك استعماله •

(فالوداع) مصدر (وَدَع) كفَعَل بالتخفيف ، والتوديع مصدر (ودّع) بتشديد الدال •

يقول الفراهيدي : (الوداع : توديعك اخاك في المسير • والوداع : الترك والقلى ، وهو توديع الفراق •• وقوله تعالى : « ما ودّعك ربّك وما قلى »[٩٤] اي : ما تركك) •[٩٥]

ومن خلال الحديث عن مادة (ودع) يصل الى نتيجة هي : (ان العرب لا تقول ودعته فانا وادع بمعنى تركته فانا تارك ، ولكنهم يقولون في الغابر[٩٦] : (لم يدعْ)[٩٧] ، وفي الامر (دَعْهُ) ، وفي النهى : (لا تَدَعْهُ) • قال الفرزدق :

---

(٩٢) سورة النساء . الآية ٦٩ .
(٩٣) الفراهيدي : العين ٥ / ١٤٩ .
(٩٤) سورة الضحى . الآية ٣
(٩٥) الفراهيدي : العين (ودع) ٢ / ٢٢٣ ــ ٢٤ .
(٩٦) يريد بالغابر : الفعل الماضي .
(٩٧) جاء النص في التهذيب مادة (ودع ٣ / ١٣٦) : (يدع) وهو خطأ ، لسقوط (لم) التي تقلب المضارع الى الماضي . وتابعه على الخطأ صاحب اللسان (ودع) ١٠ / ٢٦٤ .

وعَضٌّ زَمانٍ يا ابنَ مروانَ لم يَدَعْ
من المـــال الا مُسْحَتاً او مُجَلَّفُ

ودارسو اللغة والنقد اللغوي يعرفون ان رواية البيت المشهورة بنصب (مسحتا) حولها نقاش طويل ، ليس هذا محله .

واورد الفراهيدي رواية الرفع ، وذكر علته بقوله : (من قال : لم يدع نصيره لم يترك ، فانه يُضمر في المسحت والمجلف ما يرفعه ، مثل الـــذي ونحوه . ومن روى (لم يُدَعْ) بمعنى (لم يُترك) فسبيله الرفع بلا علة، كقولك : « لم يُضرب الا زيدٌ » .

ثم يذكر ان الاصل (لم يودع) لكن الاستعمال الفصيح ابى الا حذف الواو ، فقال : (وكان قياسه لم يودع ، ولكن العرب اجتمعت على حـذف الواو فقالت : يدع) . ثم يستدرك فيقول : (ولكنك اذا جهلت الفاعـــل تقول : لم يُودع ، ولم يوذر ،[٩٨] وكذلك جميع ما كان مثل يودع) .[٩٩]

وملاحظتي الوحيدة على ما ذكره الفراهيدي هي ان اللغة الفصحى او ما يسميه علماء اللغة (اللغة العالية) هي (ودّع) بتشـــديد الـــدال . وان العرب لم تستعمل (وادع) اسم فاعل من (ودع) بالتخفيف ، الا قليلا . واستعملت (مودّع) بكسر الدال من الفعل (ودّع) كثيرا .وعليه جاء الحديث الشريف : عن العرباض بن سارية لمّا وعظهم النبي صلى الله عليه وسلم:(كأنها موعظة مودّع) .[١٠٠]

وان بعض قبائل العرب ظلت تستعمل الفعل (ودع) بالتخفيف ، على الرغم من غلبة استعمال الفعل (ودّع) بالتضعيف . وعلى ذلك جاء قـــول

---

(٩٨) من الفعل (وذر) بمعنى ترك . اي انهم فرقوا بين اسناد الفعل للمعلوم واسناده للمجهول بقولهم (لم يذر) للاول ، و (لم يوذر) للاخر .
(٩٩) الفراهيدي : المرجع السابق ٢ / ٢٢٤ .
(١٠٠) روى الحديث الامام احمد والترمذي وابن ماجه .

الشاعر : ابي الاسود الدؤلي (او أنس بن زنيم) :[١٠١]

ليت شعري عـن خليلي ما الـذي
غالـهُ في الحُـبِّ حتـى ودعـه

وعلى ذلك قراءة عروة بن الزبير[١٠٢] : (ما ودعك ربك وما قلى)[١٠٣] بتخفيف الدال .

وقد اوضح ابن برّي ان العرب استعملت (وادع) اسما للفاعل من الفعل (ودع) بتخفيف الدال وذكر له بيت معن بن اوس المزني ـ الآتي ـ شاهداً :[١٠٤]

عليه شريـبٌ ليّـن وادع العصـا
يسـاجلها حمّـاتـه وتسـاجله

ولذلك يصدق قول ابن الاثير في هذا المقام : (والنحاة يقولون : إنّ العرب أماتوا ماضي يدع ومصدره واستغنوا عنـه بترك ، والنبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب ، وقد جاء عنه غير حديث ، حتى قرىء به قوله تعالى : ماودعك ربك وما قلى ، بالتخفيف ...)[١٠٥] . واستدرك استدراكا لطيفا فقال (وانما يُحمل قولهم على قلة استعماله ، فهو شاذ في الاستعمال صحيح في القياس)[١٠٦] .

---

(١٠١) الازهري : تهذيب اللغة (ودع) ٣ / ١٣٦ .
وابن جني : المحتسب ٢ / ٣٦٤ .
(١٠٢) الازهري : المرجع السابق (ودع) ٣ / ١٣٦ وابن جني : المرجع السابق ٢ / ٣٦٤ .
(١٠٣) سورة الضحى . الآية ٣ .
(١٠٤) اللسان (ودع) .
(١٠٥) ابن الاثير : النهاية في غريب الحديث ٥/١٦٦ وفي الاصل : افصح وارجح (افصح العرب) .
(١٠٦) المرجع نفسه ٥ / ١٦٦ .

المبحث الرابع
الاهتمام بالفروق الدلالية

الاحساس بالفروق الدلالية لا يملكه أحد من اللغويين الا الذين أوتوا العلم والحدس • إن العلم وحده لا يكفي لان العالم قد يكون معتمدا على الحفظ وحده ، فيفوته كل ما لم يكن قد حفظه • فالاصمعي (ت ٢١٦ هـ) مثلا أنكر استعمالات لغوية واساليب معينة ، لانه لم يكن قد سمعها فرد عليه العلماء(١٠٧) • وقد قرأتُ ــ فيما قرأت ــ أن بعض علماء الحديث النبوي الشريف ، كان يحس بصدق الحديث وعدم صدقه فيقال له : كيف تعرف ذلك ؟ فيقول :إني أحس بنور النُّبُوَّةِ حين اسمع الحديث الصحيح، ولا اجد ذلك النور عند سماعي غير الصحيح ••• وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء •

وفي ميدان اللغة نجد الفراهيدي ذا حس دقيق بمعرفة الكلم العربي وتمييزه اعتمادا على امرين :

الاول : معياريّ ،• والآخر حدسيّ •اما الامر الاول فيعتمد على معرفة الاصوات التي يألفها اللسان العربي ، والاصوات التي تنفر من اجتماعها العربية ، كما اوضح ذلك في مقدمة « العين »(١٠٨) • أما الامر الآخر فيعتمد على دقة احساسه اللغوي بالالفاظ ، اذ نجده يقول عن بعض الالفاظ انها « ليست بعربية »(١٠٩) ، وعن بعضها « دخيل »(١١٠) اعتمادا على حسه اللغوي •

من هذا المنطلق (المعياريّ ــ الحدسيّ) يأتي اهتمام الفراهيدي بالفروق الدلالية ، في الاستعمالات القرآنية •

---

(١٠٧) ينظر : ابن الانباري : شرح القصائد السبع الطوال / ١٩ ــ ٢٠ وابن منظور : اللسان (زوج) ٣ / ١١٧ •
(١٠٨) الفراهيدي : المرجع السابق ١ / ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٠ •
(١٠٩) المرجع نفسه ٦ / ٢٠ •
(١١٠) المرجع نفسه ٦ / ٢٠٥ •

ففي مادة (نجم) يبيّن ان من تفكر في الامر فنظر كيف يدبره قيل عنه: « نظر في النجوم »[١١١] وبهذا المفهوم كان الحسن البصري ، قد فسر قوله تعالى ، حكاية عن ابراهيم الخليل (عليه السلام) : « فنظر نظرة في النجوم فقال : إني سقيم »[١١٢] . قال الحسن : (أي : تفكر ما الذي يصرفهم عنه اذا كلفوه الخروج معهم ، فقال : إني طُعنتُ . فنفروا عنه هرباً من الطاعون) .[١١٣]

وهذا التفسير نقله النسفي في تفسيره بالمعنى من كتاب العين[١١٤] ، كما بدا لي .

أما في مادة (رأى) ــ وهو فعل اكثر العرب من استعماله ، حتى انهم حذفوا همزته في المضارع فقالوا : ترى ويرى ، ونرى . وقلّ من يهمزه منهم ــ فان الفراهيدي يقول في معرض الحديث عنه : (إن العربي اذا استعطى احدا شيئا لم يقل الا ارْنا بسكون الراء ، يجعلونه سواء في الواحد والجمع والذكر والانثى) ، ثم يعقب على ذلك بقوله : (كأنها عندهم كلمة وضعت للمعاطاة خاصة) .[١١٥]

وعلى أساس هذا المفهوم خرّج قراءة من قرأ (أرْنا) : بسكون الراء . ومن أراد معنى الرؤية بالعين قرأها بكسر الراء (أرِنا) ، وبها قرأ من قرأ : « أرنا مناسكنا »[١١٦] و : « أرنا الله جَهْرةً »[١١٧] . وقال بعد ان اورد هاتين الآيتين : (من اراد معنى الرؤية قرأها بكسر الراء) .[١١٨]

---

(١١١) في الاصل : (نظر النجوم) وسياق الكلام يقتضي ما اثبته .
(١١٢) سورة الصافات . الآية ٨٩ .
(١١٣) الفراهيدي : المرجع السابق ٦ / ١٥٤ .
(١١٤) ينظر المرجع السابق ٦ / ١٥٤ وتفسير النسفي ٤ / ٢٣ .
(١١٥) الفراهيدي : المرجع السابق ٨ / ٣١٠ .
(١١٦) سورة البقرة . الآية ١٢٨ .
(١١٧) سورة النساء . الآية ١٥٣ .
(١١٨) الفراهيدي : المرجع السابق (رأى) ٨ / ٣١٠ .

والمطلع على القراءات يعلم ان قسما من القراء المشهورين قرأها بكسر الراء ، وهم : نافع وحمزة والكسائي[١١٩] . وقرأ عاصم ــ في رواية أبي بكر شعبة بن عيّاش ــ « ربنا أرْنا » ساكنة الراء .[١٢٠] وقرأ ابن كثير : « أرْنا مناسكنا » ، و « ربّ أرْني » (في سورة الاعراف . الآية ١٤٣) ، و « أرْنا اللذين أضلاّنا » (في سورة فصلت ، الآية ٢٩) ساكنة الراء[١٢١] في الحالات كلها .

وقد يورد صاحبُ العين الفروق الدلالية ليعطي بيانا عن بعض « صيغ الافعال المركبة » وأريد بها تلك الافعال التي تختلف دلالتها عندما يلحق بها حرف من حروف الجر ، او عبارات مع حروف الجر ، كالفعل (قضى) . فاذا ألحق به حرف الجر (اللام) صار بمعنى حكم له ، او لصالحه . واذا الحقنا به حرف الجرّ (على) صارت دلالته عكس تلك الدلالة .

واذا ألحقنا به للظرف (بين) ، أو حرف الجر (بين) على رأي ابي جعفر النحّاس (٣٣٨ هـ) ، في كتابه « التفاحة في النحو »[١٢٢] ، صارت دلالته (الحكم بين الخصوم) ومنه قوله تعالى : « فاحكم بيننا بالحقّ »[١٢٣]

ومثله الفعل (رغب) . فاذا الحقنا به حرف الجر (في) صار دالا على ارادة الشيء وطلبه . فاذا الحق به حرف الجرّ (عن) صار دالا على النفور من الشيء ، ومنه قوله تعالى : (ومن يرغب عن ملّة ابراهيم الاّ من سفه نفسه »[١٢٤] .

ومن الافعال المركبة التي اوردها الفراهيديّ ليدل بها على الفروق بين الدلالات ، الفعل (ألحد) . فاذا قلتَ : ألحد اليه : فمعناه مال

---

(١١٩) ابن مجاهد : كتاب السبعة / ١٧٠ .
(١٢٠ ــ ١٢١) ابن مجاهد : المرجع نفسه / ١٧٠ .
(١٢٢) النحاس : التفاحة في النحو / ١٨ .
(١٢٣) سورة (ص) ، الآية ٢٢ .
(١٢٤) سورة البقرة . الآية ١٣٠ .

اليه [١٢٥] . ومنه قوله تعالى : لسان الذي يلحدون اليه أعجميّ ، وهذا لسان عربيّ مبين » [١٢٦] واذا قلت : « ألحد في كذا » ، فمعناه : ظلم ، و « كل شيء ظالم فيه : ملحد [١٢٧] . والاصل العام للمادة يدل على (الميل والعدول عن الشيء) [١٢٨] . وألحد في الحرم : اذا ترك القصد ومال الى الظلم [١٢٩] ، ومنه قوله تعالى : « ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » [١٣٠] .

ويبدو ان بعض المهتمين بالدراسات القرآنية، وبعض المفسرين قد تأثروا تأثرا ما ، بما جاء في كتاب « العين » في موضوع « الفروق الدلالية » ، من حيث الاتجاه العام .

فقد تأثر « ابن قتيبة الدينوريّ » (ت ٢٧٦ هـ) بما جاء في كتاب « العين » في موضوع الدلالة القرانية اكثر من غيره من معاصريه . ولاسيما في كتابه « تفسير غريب القرآن » .

ففي حديثه عن تفسير غريب الآيات في سورة الحج [١٣١] ، (الاية ٢٥): « ومنْ يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » ، وحديثه عن تفسير غريب الآيات [١٣٢] ، في سورة النحل (الاية ١٠٣) ، « لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ، وهذا لسان عربيّ مبين » ، تأثر بتوجيه الفراهيدي لدلالة هاتين الايتين .

---

(١٢٥) الفراهيدي : المرجع السابق (لحد) ٣ / ١٨٢ .
(١٢٦) سورة النحل . الآية ١٠٣ .
(١٢٧) ابن منظور : المرجع السابق (لحد) ٤ / ٣٩٤
(١٢٨) المرجع نفسه / ٣٩٤ .
(١٢٩) الفراهيدي : المرجع السابق ٣ / ١٨٣ .
(١٣٠) سورة الحج . الآية ٢٥ .
(١٣١) ابن قتيبة : تفسير غريب القرآن / ٢٩١ .
(١٣٢) المرجع نفسه / ٢٤٩ .

كذلك تأثر به في تفسير غريب آيات أخرى أشرت الى قسم منهـا في ثنايا البحث .

ومن المفسرين المتأخريـن الذين تأثروا بتفسير الدلالة القرآنية عنـد الفراهيدي ، النَّسَفيّ عبدالله بن أحمد (ت ٧٠١) . فقد تأثر بمـا قاله الفراهيدي في تفسير الآية (١٠٣) من سورة النحل[١٣٣] ، المشـار اليهـا قبل قليل .

المبحث الخامس

الاهتمام باللهجات

كل من قرأ حياة الخليل بن احمد الفراهيدي (١٠٠ ــ ١٧٥ هـ) عرف أنه اخذ اللغة عن القبائل العربية الساكنة في نجد والحجاز وتهامة .[١٣٤]

ومن كانت هذه حاله فلابد من حصوله على سماع كثير وهو مادة اللغـة بمستوياتها : الصرفية والنحوية والمعجمية .

وقد استفاد هو من سماع اللهجات فاتخذها عنصرا من عناصر تكـوين معجمه الرائـد « العين » فـلا غرابة بعد ذلك ان نجـده يستشـهد بلهجات القبائل[١٣٥] .

وهذا الاتجاه لديه جعل تحصيله اللغوي يتسم بسمتين : الاولى : كـون تلك القبائل اهم مصادر التدوين اللغوي والرواية اللغوية . والاخرى : انهـا واسطة عقد القبائل في الفصاحة باجماع علماء اللغة .

ويبدو ان هاتين السمتين ادتا الى اعجاب الكسائي (ت ١٨٩ هـ) ، بـه حين اخذ عنه في البصرة ، وقد اعلمه الفراهيدي بمصادر علمه واشار الى تلـك القبائل فقصدها الكسائي في قصة معروفة .[١٣٦]

وقد اكثر من ايراد اللهجات ، غير انه يسـمّي اللهجة « لغة » ومصطلح

---

(١٣٣) تفسير النسفي ٢ / ٣٠٠ .
(١٣٤) السيوطي : بغية الوعاة ٢ / ١٦٣ .
(١٣٥) الفراهيدي : المرجع السابق (ركن) ٥ / ٣٥٤ ، (وحي) ٣ / ٣٢٠
(١٣٦) السيوطي : المرجع السابق ٢ / ١٦٣ .

اللغة بدلا من اللهجة منحى يشترك فيه المؤلفون في اللغة من علماء العربية القدامى .

وقد كانت اللهجات الواردة في « العين » مصدرا من مصادر المعجمات العربية ، ولاسيما كتاب « تهذيب اللغة »، للازهري ، ثم انتقلت الى « اللسان » من طريقه .

انّ الذي يهمنا من المادة اللهجية في كتاب العين ليس معرفة لهجات القبائل وحدها وانما اتصال تلك اللهجات بمنهجه في دراسة الدلالة القرآنية ايضا ، فاقتباسنا من تلك المادة محصور بهذا الهدف .

انّ الفراهيديّ يحاولُ مرارا أنْ يفسّر مجموعة من دلالات الآي عند حديثه عن بعض اللهجات ، من خلال حديثه عن مادة لغوية .

ففي مادة (ها) يبين كيف استعملها العرب ، وكيف استعملها أهل الحجاز (ها) في الاستفهام . وفي هذا المعنى يقولون : (ها) بدل من همزة الاستفهام ، تقول : هاانك زيد ؟ على معنى أإنك زيد ؟ وتستعمل للتنبيه فيفتتح بها الكلام ، ومن ذلك قوله تعالى : « ها أنتم اولاء تحبونهم ولا يحبّونكم ... » (١٣٧) . وعلى هذا جاء قول النابغة :

(ها) إن تا عذرة الاّ تكن نفعتْ
فانّ صاحبها قد تاه في البلد

ثم يبين أنها قد تكون (صوتا) دالا على الامر بمعنى (خُذْ) ، فيقال للرجل : (ها يارجل) ، ويقال للرجلين (هاؤما) ، وللرجال : (هاؤم) . وعلى هذه اللغة جاء التنزيل الحكيم : « فأما من أوتيَ كتابه بيمينه فيقول : «هاؤمُ اقرأوا كتابيه » (١٣٨) وفي تفسير الآية الاخيرة قال :(انّ الرجل من المؤمنين يُعطى كتابه بيمينه فاذا قرأه رأى فيه تبشيره بالجنة ، فيعطيه أصحابه فيقول:

---

(١٣٧) سورة آل عمران . الآية ١١٩ .
(١٣٨) سورة الحاقة . الآية ١٩ .

هاؤم كتابي واقرأوا مافيه لتعلموا فوزي بالجنة) (١٣٩) .

وكذلك يمكن أنْ يقال : انّ (ها) صوت لامعنى له وحده ، ويسبق مجموعة من اسماء الاشارة وليس له أيّ معنى زائد على الاشارة سوى التقوية فتقول في ذا : هذا ، وفي ذي : هذي ، وفي ذاك : هذاك ...

وتأتي أيضا لاحقة لايّ في النداء فيُتوصّلُ بها الى نداء المعرّف بـ (أل)، كقوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم » ، و « يا أيتها النفسُ المطمئنّة ارجِعي الى ربّكِ راضية مرضيّة » .

وتستعمل لغير ذلك أيضا ، كما هو مبسوط في كتب النحو واللغة .

وعندما ما تحدّث عن (ان) المخففة النون أعطانا فكرة جديدة عن الاستعمال النحويّ لهذه الاداة المهمة ، اذ أخبرنا أن تخفيفها لهجة من لهجات العرب ، وأنّ فريقا من أهل الحجاز يخففونها وينصبون بها ، وعلى ذلك قراءة من قرأ : (وانْ كُلاّ لمّا ليوفينّهُمْ ربّكَ أعمالَهم » .(١٤٠)

ثم بيّن أنّ من العرب من يخففها ويرفع مابعدها (فهي عنده مهملة) ، ويظهر أنّ جُلّ العرب يفعلون ذلك وعلى ذلك قراءة من قرأ : (انْ هذان لساحران) (١٤١) . وجاء رفع (هذان) وجها آخر ذكره الخليل أيضا ، وهو مجيء (انْ) الساكنة النون الثنائية وضعا ، نافية ، و (هذان) : مبتدأ ، و (ساحران) : خبره واللام بمعنى (الاّ) (١٤٢) . واستشهد بقول الشاعر :

أمسى أبانٌ ذليلاً بعد عزّته
وانْ أبانٌ لمن أعلاج سوراء

---

(١٣٩) الفراهيدي : المرجع السابق ٤ / ١٠٢ .
(١٤٠) سورة هود . الآية ١١١ (وهي قراءة عاصم برواية ابي بكر شعبة بن عياش) .
(١٤١) سورة طه . الآية ٦٣ (وهي قراءة الامام الزهري وعاصم برواية حفص عنه)
(١٤٢) الفراهيدي : العين ٢ / ١٨٤ .

ويشهد لهذا التفسير قراءة ابن مَسعود : «انْ هذان الاّ ساحران»(١٤٣).
وقراءة أبيّ بن كعب : « انْ ذان الاّ ساحران » .(١٤٤)
ويشهد لنصب (انْ) المخففة قراءة أمـامي الحرمين : نافع بن عبد الرحمن ، مقرىء الحرم المدنيّ ، وابن كثـير : مقرىء الحرم المكيّ ؛ وهما يمثلان البيئة الحجازية وقد قرأ الحرميان : « وانْ كلاّ لما » : بتخفيف(١٤٥) النون واعمال (انْ) .

المبحث السادس

الاهتمام بالشاهد الشعري

« الشعر ديوانُ العرب » ، والقرآن الكريم نزل بلسان عربيّ مبين ... فالصلة بين الدلالة القرآنية والدلالة الشعرية صلة حميمة ، تنعقد في رحم اللغة العربية المعطاء .

وقد فتح الباب للخلف الصحابيّ الجليل عبدالله بن عباس (ت ٦٨ هـ) حبر الامة ، حيث كـان يلقى دروسه في التفسير فسألـه « نافع بن الازرق » أسئلة تتصل بدلالات مجموعة من الالفاظ القرآنية ، وهل لتلك الدلالات شواهد من الشعر العربي ؟ فأجابه ابن عباس ، واستشهد بأبيات من الشعر . وقد نُشرت اسئلة نافع في رسالة عنوانهـا : « سؤالات نـافع بن الازرق » . نشرها ببغداد (سنة ١٩٦٨) ، أستاذنا الدكتور ابراهيم السامرائيّ .

ويبدو ان دراسة « معاني القرآن » كانت المعين الاول الذي امد الدراسات اللغوية (فيما بعد) بهذا الجانب المهم من جوانب الدلالة ... وان بواكير المؤلفات الدلالية كانت تتصل بسبب من الاسباب بالدلالة القرآنية . فابن عباس له كتاب ذو اهمية خاصة في هذا الباب هو « لغات القرآن » برواية المقري ابي احمد السامريّ : عبدالله بن الحسين ، المعـروف بابن حسنون

---

(١٤٣) النحاس : اعراب القرآن ٢ / ٣٤٣ .
(١٤٤) الفراء : معاني القرآن ٢ / ١٨٤ .
(١٤٥) ابن مجاهد : كتاب السبعة / ٣٣٩ .

(٢٩٦ ـ ٣٨٦ هـ) • وقد نشر الكتاب الاستاذ صلاح الدين المنجّد ، في بيروت •

وكان لسؤالات نافع (لابن عباس) اثر في مؤلفات غريب القرآن ، فيما بعد • والنص الذي ذكره « ياقوت » يؤكد هذا فقد قال في ترجمة أبان بن تغلب بن رباح (ت ١٤١ هـ) : (صنّف كتاب الغريب في القرآن ، وذكر شواهد من الشعر)[١٤٦] فأثر النهج الذي نهجه ابن عباس واضح •

والقرآن اساس علوم العربية ، والمحفز الاول الى التآليف في تلك العلوم •

فالشواهد الشعرية قد دخلت اول درس لغوي في الدلالة القرآنية ، فلا غرابة بعد ذلك ان يحذو قسم من المؤلفين في الدلالة القرآنية ، حذو ابن عباس فيهتموا بالشاهد الشعري •

كما اننا نجد جمهرة كبيرة من النحاة الاوائل كانوا من القراء ، فساعد هذا ايضا على الاهتمام بالشاهد الشعري ، ومن هؤلاء يحيي بن يعمر (ت قبل سنة ٩٠ هـ) وعبدالرحمن بن هرمز الاعرج (ت ١١٧ هـ) وعبدالله بن ابي اسحاق (ت ١١٧ هـ) • وقد ترجم لهؤلاء الثلاثة ابن الجزري في « طبقات القراء » •

وغيرهم كثير ••• ولاسيما في مطلع القرن الثاني الهجري •

فلا غرابة ـ بعد ذلك ـ ان نجد الشاهد الشعري يأخذ مكانه في المؤلفات الاولى في اللغة والنحو ، وما تلاها ، واصبح الشاهد الشعري جزءا لا ينفصل من المؤلفات اللغوية والنحوية •

فليس بدعاً ان نرى كثرة الشواهد الشعرية عند الفراهيدي في كتاب « العين » ، بحيث يوجه مجموعة كبيرة من تلك الشواهد لايضاح الدلالة القرآنية •

---

(١٤٦) ياقوت : معجم الادباء ١ / ١٠٨ •

ولكن اهم ما في هذا المبحث كيفية استعمال « الفراهيدي » الشاهد الشعري لايضاح الدلالة القرآنية •

وما غايته من استعمال الشاهد في ميدان الدلالة القرآنية ؟ وما اهدافه ؟

(١) فهو يستعمل الشاهد ليؤيد به لفظة مفردة تأتي في آية كريمة كما في قوله تعالى : « ولقد بوّأنا بني اسرائيل مُبَوَّأ صدق » •(١٤٧)

وهو يقدم المادة اللغوية (اولاً) ثم يستشهد على بعض ما فيها من دلالة ، بالآية الكريمة ، ثم يؤيد تلك الدلالة بالشاهد الشعري •

ففي مادة (بوأ) يقول : (١٤٨) (الباءة والمباءة : منزل القوم حيث يتبوأون منزلا ، الى سند جبل ، يقال : بل هو كل منزل ينزله القوم • يقال : تبوأوا منزلا • قال تعالى : « ولقد بوأنا بني اسرائيل مُبَوَّأ صدق » • ثم يستشهد ببيت (طرفة بن العبد) :

طَيِّبُو الباءة سهل" ولهم
سُبُل انْ شئت في وَعْثٍ وعِرْ

وقد يقتصر على دلالة المصدر ، ثم يؤيده بالدلالة القرآنية ، ثم يأتي بالشاهد الشعري ليؤيد به المعنى العام •

ففي مادة (رجم) يقول : الرجم : الرميُ بالحجارة • والرجمُ : القذف بالغيب وبالظن(١٤٩) • ومنه قوله تعالى : « لأرجمنّك واهجرني مليا »(١٥٠) • وقول (زهير)(١٥١) :

---

(١٤٧) سورة يونس • الآية ٩٣ •
(١٤٨) الفراهيدي : المرجع السابق ٨ / ٤١١ •
(١٤٩) المرجع نفسه ٦ / ١١٩ •
(١٥٠) سورة مريم • الآية ٤٦
(١٥١) اقتصر الفراهيدي على الشطر الثاني

وما الحرب الا ما علمتـم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجَّـم

ثم يفسر (المرْجَّم) بانه (قوله بالظن والغيب) .

(٢) وقد يذكر الفعل والمصدر والاسم ، والمبني للمجهول .

ففي مادة (حبر) يقول : (الحبرة : النعمة ، وحبر الرجل حبرة وحبرا فهو محبور . وقوله تعالى : « فهم في روضة يُحبرون » ، اي : ينعمون[١٥٢] قال المرّار العدوي :

قد لبستُ الدهـر مـن أفنانـه
كـلَّ فـنٍّ ناعـم منـه حَبِـر

(٣) وقد يأتي بالشاهد ليوضح استعمال حرف من حروف المعاني .

ففي مادة (أنّى) يقول : (أنّى معناها : كيف ، ومن أين ، ومن اين ثبت . قال الكميت :

أنّـى ومِـنْ أيـن آبـك الطـربُ
من حيث لا صـبوةٌ ولا ريب[١٥٣]

وقوله عز وجل : « أنّى لك هذا »[١٥٤] ، أي : من أين لـك هذا ؟ وقوله عز وجل : « أنّى يكون له الملك علينا »[١٥٥] : أي : كيف يكـون ؟ قال (علقمة) :

ومطعـم الغنـم يـوم الـغنـم مُطعَمُهُ
أنّـى توجـه والمحـروم محـروم

أي : أينما توجه ؟ وكيف توجه ؟[١٥٦]

(٤) وقد يستشهد به ليوضح به اسلوبا من الاساليب غير المألوفة ،

---

(١٥٢) الفراهيدي : المرجع السابق ٣ / ٢١٨ .
(١٥٣) اقتصر الفراهيدي على الشطر الاول . والبيت من قصيدة الكميت الاسدي من « الهاشميات » .
(١٥٤) سورة آل عمران . الآية ٣٧ .
(١٥٥) سورة البقرة . الآية ٢٤٧ .
(١٥٦) الفراهيدي : المرجع السابق ٨ / ٣٩٩ .

او ما يمكن ان يُسمّى (خلاف الاصل) .

ففي مادة (صبح) تحدث عن « يوم الصباح » وهو يوم الغارة وسُمّي كذلك لانهم كانوا ــ اذا تنادوا للغارة ــ يقولون : (يا صباحاه) . وفي اثناء ذلك استشهد بقول الاعشى :

ويمنعه يومَ الصباح مصونةٌ
سراعاً الى الداعي تثوب وترجع

يريد ان الخيل تمنع هذا المصطبح من ان ينال متعته من الشراب ، لان الوقت وقت وثوب واستنفار . ويلاحظ الفراهيدي ان الاصل « تركب فتثوب » فقدم الشاعر وأخّر[١٥٧] ثم ايد صحة هذا الاسلوب وعربيته بقوله تعالى : « اقتربت الساعةُ وانشقّ القمر »[١٥٨] ثم التمس له شاهدا آخر من الشعر فذكر قول الشاعر « ابن أحمر » :

فاستعرفا ثم قولا في مقامكما
هذا بعيرٌ لنا قد قام فانعقرا

والاصل في هذا ونحوه تقديم ما حقه التأخير ، اي : « قد انعقر فقام »[١٥٩] .

(٥) وقد يجد في الآية الكريمة دلالة مجازية كما في قوله تعالى في وصف حال الظالمين يوم القيامة (مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتدّ اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء)[١٦٠] فقد ذكر ان معنى الجملة افئدتهم هواء : انهم جبناء او خائفون خوف الجبناء . وهنا استشهد على هذه الدلالة بقول حسان بن ثابت :

---

(١٥٧) المرجع السابق ٣ : ١٢٥ .
(١٥٨) سورة القمر ، الآية (١)
(١٥٩) الفراهيدي : المرجع نفسه ٣ / ١٢٥ .
(١٦٠) سورة ابراهيم . الآية ٤٣ .

ألا أبلغْ أبـا سـُفيانَ عنّي فأنت مُجوّفٌ نَخِبٌ هواء

ومعنى هذا أن العرب تستعمل مثل هذه الجملة للدلالة على الجُبْنِ، او الخوف • فهي جملة مجازية ، على مذهب الزمخشري في « أساس البلاغة » ، او هي كناية • ولها نظائر منها قولهم : « نظر في النجوم » ، ويريدون بها الكناية عن التدبر في الامور •

* * *

ويبدو لقارىء كتاب « العين » ان الفراهيدي :

اولا : قد يستغني بشطر بيت الشاهد عن البيت كله ، لان الشطر المستشهد به تضمن وجه الشاهد •

ومن امثلة ذلك ما فعله في مادة (رجم) حيث استشهد بشطر بيت لزهير بن ابي سلمى •(١٦١)

وما فعله في مادة (أنّى) حيث استشهد بشطر بيت للكميت الاسدي •(١٦٢)

وما فعله في مادة (سهب) اذ استشهد بشطر بيت للنابغة الجعدي •(١٦٣)

سواء أكان الشاعر معروفا مذكورا ، ام مجهولا غير مذكور كما في مادة (بله)(١٦٤) وغيرها •

ثانيا : قد يهمل اسماء الشعراء عند ذكر الشواهد • واهمال نسبة الشاهد قضية معروفة لدى دارسي علوم اللغة العربية ، وشواهد سيبويه التي لم تنسب في الكتاب ، معروفة ايضا • وقد نسب قسما منها العلماء بعد سيبويه كالاعلم في شرح شواهده ، والبغدادي في الخزانة وعبدالسلام

---

(١٦١) الفراهيدي : المرجع السابق ٥ / ١٧٤ •
(١٦٢) المرجع نفسه ٥ / ١٨١ •
(١٦٣) المرجع نفسه ٤ / ١٠ •
(١٦٤) المرجع نفسه ٤ / ٥٥ وتنظر مادة (سخر) ٤ / ١٩٦ •

هارون في اعماله ، وكذلك فعل الاستاذ الدكتور رمضان عبد التواب في بحثه « أسطورة الابيات الخمسين في كتاب سيبويه » .

لكن الملاحظ انه ما لم ينسب من ابيات الكتاب قليل اذا ما قيس على ما لم ينسب في العين . ففيه ابيات وشطور كثيرة عارية عن النسبة ، وقد نسب محققا الكتاب الاستاذان الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي قسما منها . وما بقي من غير نسبة كثير .

ويلاحظ ايضا ان اهمال ذكر اسم الشاعر قد لا يكون ناتجا عن كونه شاعرا مشهورا لا يحتاج الى ذكر ، وشهرة اشعاره تغني عن ذكره [١٦٥] ، وانما كونه غير معروف ولا مشهور ، كما جاء في مادة (أنق) ، ومادة (كلب) في الجزء الخامس من العين ، وكما في مادة (وهص)[١٦٦] . وهذه على سبيل المثال لا الحصر .

خاتمة البحث ونتائجه

تتبع البحث « منهج صاحب العين في دراسة الدلالة القرآنية » فوجده قائما على ستة اسس هي :

الاهتمام بالدلالة القرآنية السياقية ، والاهتمام بالدلالة الخاصة ، والاهتمام بالدلالة الصرفية ، والاهتمام بالفروق الدلالية ، والاهتمام باللهجات ، واخيرا : الاهتمام بالشاهد الشعري .

وقد اوضح البحث سمات كل نقطة من هذه النقاط الست ، وقوّمها ، وان وجد في آراء صاحب العين بعض الخطأ في تفسير بيت ، او توجيه دلالة قرآنية ، بين وجه الصواب في ذلك .

كما صحح البحث الخطأ الواقع في تأصيل فكرة « سياق المقام » ، في

---

(١٦٥) الفراهيدي : المرجع السابق (زحل) ٣ / ١٥٩ ، (زحف) ٣ / ١٦٣ ، (حدر) ٣ / ١٧٨ ١٧٩ .

(١٦٦) الفراهيدي : المرجع نفسه ٤ / ٧١ .

علم الدلالة عند الغربيين الذين يظنون ان اول من وضع المصطلح هو عالم الاجتماع « مالينوفسكي » وان اول من استعمله في علم الدلالة ، اللغوي (فيرث) • والمصطلح موجود في البلاغة العربية ، منذ عصر الجاحظ (١٥٠ ـ ٢٥٥ هـ) وعبارة « لكل مقام مقال » ، من العبارات الشائعة في كتب البلاغة العربية ، قبل الف عام في الاقل ••• فمن اين جاء الغربيون بتلك النسبة الغريبة ؟!

وفضلا عن ذلك اوضح البحث من خلال معالجة النقاط الست ، أثر افكار « العين » الدلالية ، في مجموعة من المؤلفات اللاحقة ، مثل : معاني القرآن ، للفراء (ت ٢٠٧ هـ) وتفسير غريب القرآن ومشكله ، لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ، وتفسير النسفي (ت ٧٠١ هـ) ، ولكن بايجاز يناسب البحث•

ولا يخلو كتاب « تهذيب اللغة » للازهري (ت ٣٧٠ هـ) من تأثر بكتاب العين (مادة) ، وان كان متأثرا به (منهجا) من غير شك • لانه طبق منهجه الصوتي • ولكن من غير نكران اصالة الازهري •

أليس من حق صاحب البحث ان يقول :

إنه اول بحث يكشف عن « منهج دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين » ؟ والدليل هو وجود البحث نفسه • وعدم وجود ما يماثله قبله •

« والله غالب على أمره ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون » •

* * *

المراجـع

اولا : المراجع العربية والمترجمة الى العربية

الازهري : أبو منصور محمد بن أحمد
تهذيب اللغة
حققه علماء كثيرون ، وطبع بمصر من سنة ١٩٦٤ ــ ١٩٦٧ م .

س . أولمان :
دور الكلمة في اللغة
ترجمة الدكتور كمال بشر ، القاهرة ، ط . ثالثة ١٩٧٢ م .

ف . ر . پالمر :
علم الدلالة . اطار جديد
ترجمة د. صبري ابراهيم السيد
منشورات دار قطريّ بن الفجاءة ، قطر ١٤٠٧/١٩٨٦م .

ابن الاثير : مجد الدين المبارك بن محمد
النهاية في غريب الحديث
تحقيق : طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي
نشر المكتبة العلمية ، بيروت ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣م

الانباري : ابو البركات عبدالرحمن بن محمد
البيان في غريب اعراب القرآن
تحقيق : الدكتور طه عبدالحميد
نشر دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م .

ابن الانباري : ابو بكر محمد بن القاسم
شرح القصائد السبع الطوال
تحقيق : الاستاذ عبدالسلام هارون
نشر دار المعارف بمصر ١٩٦٩م .

البلخي : مقاتل بن سليمان
الاشباه والنظائر في القرآن الكريم
تحقيق : د. عبدالله محمود شحاتة
القاهرة ، ط ثانية ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر
البيان والتبيين
تحقيق : عبدالسلام هارون
القاهرة ، ط ثانية ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

ابن الجزري : محمد بن محمد بن محمد
غاية النهاية في طبقات القراء
تحقيق : برجشتراسر
ط . القاهرة ١٣٥١ هـ

ابن جني : ابو الفتح عثمان
المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات
تحقيق : علي النجدي ناصف وزميليه
ط . القاهرة ١٣٨٦ هـ

ابن الجوزي : ابو الفرج عبدالرحمن
نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنظائر
تحقيق : محمد عبدالكريم الراضي
نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م

الذهبي : ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان
معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار
تحقيق : د. بشار عواد معروف وزميليه
نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م

تحقيق : عبدالقادر احمد عطا
نشر مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م

ابن السنّي : أحمد بن محمد بن اسحاق
عمل اليوم والليلة

عضيمة : محمد عبدالخالق

دراسات لاسلوب القرآن
مطبعة السعادة بمصر ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م

الفراهيدي : الخليل بن احمد

كتاب العين
تحقيق : د٠ مهدي المخزومي ود٠ ابراهيم السامرائي
نشر وزارة الثقافة والاعلام العراقية من سنة ٨٠ ــ ١٩٨٥ م

الفـــرّاء : يحيى بن زياد

معاني القرآن
تحقيق اساتذة متعددين
ط ٠ القاهرة من سنة ١٩٥٥ ــ ١٩٧٢ م

ابن قتيبة : عبدالله بن مسلم

تفسير غريب القرآن
تحقيق : السيد احمد صقر
نشر دار احياء الكتب العربية بمصر ١٣٧٨ هـ

ابن قتيبة :

تأويل مشكل القرآن
تحقيق : السيد احمد صقر
نشر المكتبة العلمية ، بالمدينة المنورة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٩١ م

ابن مجاهد : احمد بن موسى
كتاب السبعة في القراءات
تحقيق : د٠ شوقي ضيف
نشر دار المعارف بمصر ، ط ثانية ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

ابن منظور : محمد بن مكرم
لسان العرب
ط ٠ بولاق ١٣٠٠ هـ — ١٣٠٧

النحّاس : ابو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل
اعراب القرآن
تحقيق : د٠ زهير غازي زاهد
مطبعة العاني ، بغداد ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م

النّسفيّ : عبدالله بن احمد بن محمود
مدارك التنزيل وحقائق التأويل
نشر دار الفكر ، بيروت (د٠ت)

ابن هشام : جمال الدين بن هشام
مغني اللبيب
مطبعة حجازي ، بالقاهرة ١٣٧٢ هـ

ثانيا : المراجع الاجنبية

1. J.R. FIRTH :
PAPERS IN LINGUISTICS
(Oxford Univesity Press, 1969)
2. J. LEECH :
SEMANTICS
(Penguin Books, 1978)
3. OGDED and RICHARDS
THE MEANING OF MEANING
(10 th Edition, London 1972)

4. G.W. TURNER :
STYLISTICS
(Penguin Books, 1973)
5. B. MALINOWSKI :
" The Problem of Meaning in Primitive Languages "
(Supplementary Essay of : The meaning of meaning)

المحتـــوى

الموضـــوع	الصفحة
المقـــدمـة	١ـ٢
المبحث الاول : الاهتمام بالدلالة السياقية	٢ـ١١
المبحث الثاني : الاهتمام بالدلالة الخاصة	١١ـ١٧
المبحث الثالث : الاهتمام بالدلالة الصرفية	١٧ـ٢٥
المبحث الرابع : الاهتمام بالفروق الدلالية	٢٥ـ٢٩
المبحث الخامس : الاهتمام باللهجات	٢٩ـ٣٢
المبحث السادس : الاهتمام بالشاهد الشعري	٣٢ـ٣٨
خـاتمة البحث ونتائجه	٣٨ـ٣٩
المـراجـع	٤٠ـ٤٣

عرض وتعقيب للدكتور صلاح الفرطوسي

على البحث المقدم الى الندوة المعجمية الموسوم بـ

(منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين

للدكتور احمد نصيف الجنابي)

كلية التربية – جامعة بغـــداد

لم يشهد تاريخ العربية منذ فجر التأليف فيها وحتى الآن حدثاً مهمـاً كحدث « كتاب العين » أول معجـــم عالمي يؤلف وفق نظام رائد في تاريـخ اللغات . كانت مادته مادة جميع المعجمات التي ألفت بعده ، وقد استطاع بمنهجه الساحر أن يشارك في جعل اللغة العربية لغة مجمعية قادرة على مدّ المجامع العلمية بعشرات الملايين من الألفاظ ، وهو أمر ليس خافياً على حوزتكم العلمية الموقرة . وشاء الله أن يكون العراق صاحب هذا الحدث الحضاري العظيم ، وكأنما أراد سبحانه وتعالى أن يربط فجر الحضارة الذي انشق في العراق بضحاها .

وبسبب من موقف الخليل من الحياة الدنيا ، ومنهجه فيها ، وبسبب من حسد العلماء وتنافسهم ، وبسبب من تقاعس أولى الأمر وعدم اهتمامهم كاد الكائدون لهذا الأثر ، وطاحوا به نهباً وسلباً وتشهيراً على مرّ العصور وطعنوه طعنات ما كان يصمد لها هذا الصمود الشامخ لو لم يتسم بالأصالة والعبقريـة والريادة ، فصاحبه عبقري اللغة وإمامها دون مدافع .

لم يكن الخليل ابن البصرة لوحدها انه ابن العربية على طول الزمان وعرضه ، وابن الاسلام في شرق الأرض وغربها ، لقد أسس فأحسن التأسيس وبنى فأحسن البناء ، رحم الله الخليل ، وأجزل له الثواب وجعله في عليين انه سميع مجيب .

والدراسات التي اهتمت بكتاب العين كثيرة ، وأغلبها يدور حول أمـــر نسبته للخليل أو لغيره ، ومن النادر أن يعثر الباحث على دراسة جادة تهتم بمادة

الكتاب اهتماماً خاصاً ، ومن بين هذه الدراسات الجديدة الجادة الدراسة الموسومة بـ (منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين) التي قدمها أخي الدكتور أحمد نصيف الجنابي الى ندوة المجمع الموقرة .

وتربطني بأخي أحمد صلة رحم تمتد الى فترة طويلة جداً ، وكنت قبل أن أعرفه وما أزال من المعجبين حقاً بسعة معرفته فهو أديب ناقد محقق باحث أخذ نفسه بالجد والمثابرة ، كتب في الأدب فجوّد ، وكتب في اللغة وعلومها فأصبح من أعلام اساتذتها في الجامعة ، وعلى هذا فإني حينما تسلمت بيد الشكر والمنة بحثه المذكور لم أفاجأ حينما كشف ألي البحث أن أخي أحمد كان رائداً أيضاً في هذا الميدان ، وباب الريادة هي أننا اعتدنا أن نقرأ في مباحث دراسة الشاهد في كتب اللغة احصاءات عن الشاهذ القرآني أو الشعري أو النثري مع اشارات الى طرف الرواية أوذكر لما يحتج به وما لا يحتج أو القراءات الواردة في الشاهد القرآني ومن قرأبها أو الموازنة فيما بينها أو ما الى ذلك .

أما أن ينظر الى الشاهد بهذه النظرة التي نظرها الدكتور أحمد فهو درس جديد لم أقع على مثله من قبل . وأنا على يقين انه لو التفت الدارسون الى هذا البحث لفتح أمامهم أبواباً جديدة لم تطرق من قبل أو انه قد يلفت نظرهم الى قضايا أخرى جديدة .

يقع البحث في مقدمة وستة مباحث وخاتمة ، إذ وجد الباحث بعد الاستقراء ان منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية قائم على ستة اسس ، وعلى اسس منهج الخليل اسس منهجه فقسم بحثه على ستة مباحث .

كان المبحث الأول لدراسة الدلالة السياقية فعرفها ثم قسمها على قسمين ، الأول : سياق المقال ، والثاني : سياق المقام ، ثم تحدث بتركيز عن هذين السياقين ، ودعم رؤيته بأمثلة توضيحية ثم حاول تطبيق ذلك على ما جاء من آي الذكر الحكيم في كتاب العين .

ثم انتقل الى الاساس الثاني ، وهو الدلالة الخاصة ، وعنى به ما لاحظه الخليل من أن بعض الالفاظ القرآنية استعمالاً دلالياً خاصاً في القرآن وعزا اهتمام الخليل بهذا الجانب الى عاملين .

الأول : ان الخليل أحد القراء المعروفين في زمانه أخذ القراءة من مصادرها في عصره .

الثاني : ان القرآن الكريم عنصر من عناصر البنية المعجمية ، وهو أساس علوم العربية .

وقد اتضحت مظاهر اهتمام الخليل بالدلالة القرآنية الخاصة عند الباحث في ستة موضوعات مختلفة ، وقدم الباحث امثلة لكل موضوع منها. وخص البحث الثالث من بحثه بالدلالة الصرفية ، ورأى ان الخليل تناول الدلالة القرآنية على المستوى الصرفي من طريقين .

الأول : المفتاح الفعلي ، والثاني المفتاح الاسمي

ورأى ان الخليل قد يبدأ في ترجمة مادته اللغوية بالفعل ثم ينتقل بعد ذلك الى الاشتقاقات الاخرى المختلفة ثم بين من خلال هذا المفتاح كيف يصل الخليل الى الشاهد القرآني .

وقد يبدأ ترجمة المادة اللغوية بالاسم فيبدأ بالمصدر ثم ينتقل الى الاشتقاقات الاخرى ثم بين كيف يصل الخليل الى الشاهد القرآني من خلال هذا المفتاح ودرس في المبحث الرابع من بحثه الفروق الدلالية فوجد ان الخليل ذو حس دقيق بمعرفة كلم العربية ، وان حسه اللغوي الدقيق يعتمد على أمرين الأول : معياري والمعيارية منهج قائم على فرض القاعدة ، أي انه يبدأ بالكليات وينتهي الى الجزئيات ، وما خالف القاعدة فهو شاذ ، والمعيارية عند الخليل كما يراها الباحث قائمة على معرفة الأصوات التي يألفها اللسان العربي والأصوات التي تنفر من اجتماعها العربية .

أما الأمر الآخر فيعتمد على دقة احساس الخليل اللغوي بالألفاظ ويرى انه من المنطلق (المعياري ـ الحدسي) كان اهتمام الخليل بالفروق الدلالية في الاستعمالات القرآنية .

اما المبحث الخامس فقد خصه الباحث باللهجات لان مصدر الخليل اللغوي القبائل العربية التي لا يرقى الشك في فصاحتها . لذلك فان هذه اللهجات هي من عناصر تكوين معجمه ، وبعد أن تحدث عن أهمية اللهجات تحدث عن

اتصالها ببحثه في الدلالة القرآنية .

وكان المبحث السادس والأخير للشاهد الشعري وأثره في تفسير غريب القرآن .

ثم ختم بحثه بأهم النتائج التي توصل اليها .

شخصية الباحث كانت متميزة في كل مبحث من مباحثه فهو يلفت النظر الى أن رؤية الباحثين الغربيين في أن المنهج السياقي لم يظهر الا في القرن العشرين رؤية خاطئة لانه منهج قديم عند العرب قدم البحث اللغوي عندهم .

وهو عندما يكتب لايتكئ على أمثلة يلتقطها التقاطاً من هنا وهناك انما كتب بعد أن استقصى مادته إذ جمع ما جاء في كتاب العين من مادة تفسيراته . وهو متتبع أيضاً فقد لمس أثر تفسير الخليل عند الفراء وابن قتيبة والنسفي وغيرهم .

وهو متنبه للجدل أو النقاش الذي قد يثار حول الفرق بين التصريف والاشتقاق فيقطع الطريق بقوله ان كل تصريف اشتقاق وليس كل اشتقاق تصريفاً . فكان مبحث الدلالة الصرفية .

وقضية الاهتمام بالشاهد الشعري في تفسير غريب القرآن على الرغم من ترددها كثيراً في دراساتنا اللغوية الا أنها في حاجة الى دراسة ، وللباحث في هذا الجانب من بحثه يد تحسب له .

وقبل أن أشد على يد أخي وصديقي الدكتور أحمد مهنئاً على بحثه الشيق هذا ، وبسبب من ريادته لا بد من بعض الملاحظات التي تدخل من باب اختلاف وجهات النظر ليس الا .

١ — ص ٤ تحدث الباحث في مبحث الدلالة السياقية عن سياق المقال وسياق المقام وضرب أمثلة لكل منهما . وحينما انتقل الى التطبيق لم يبين موقف الخليل من سياق المقام ولم يشر في بحثه انه سيقتصر على سياق المقال .

٢ — ص ٥ في حديثه عن حروف المعاني قصر الباحث الحديث على لا النافية ، وكان من المناسب أن يشير في الحاشية الى حروف أخرى ولاسيما وان الباحث قد جمع ما ورد في كتاب العين من الفاظ قرآنية .

٣ ـ ص ٨ ذكر الباحث قول الخليل (وكان ينبغي أن يقول تركب وتثوب فاضطر الى ما قاله ، وهذا مثل قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمرُ) انما معناه انشق القمرُ واقتربت الساعة) وعقب عليه بقوله : والغريب ـ هنا ـ ان الفراهيدي نسي انه ليس في القرآن ضرورة كما هي في الشعر ، وفاته ان تقديم ما حقه التأخير اساوب معروف في العربية ، وان العرب قد يخالفون الأصل إذا كان ذلك غير مخل بالمعنى أو (إذا أمنوا اللبس) ومن هذا الباب الآيه التي ذكرها والبيت الذي ذكره ، والمعروف ـ بداهة ـ ان الخيل تثوب بعد أن تركب وكذلك يعرف من الواقع أن انشقاق القمر جاء قبل أن تقترب الساعة ، وهذه قرائن تمنع اللبس ، والظاهر انه ليس في البيت ضرورة على هذا التوجيه كما ان التقديم والتأخير (جائز حسن كثير) على حد تعبير أبي جعفر النحاس .

أقول : لا يخفى على الباحث الكريم انه عندما يذكر العروض والضرورة الشعرية لا بد أن يذكر الخليل لأنه صاحبهما ؛ وكذلك إذا ذكر النحو فلا بد أن يذكر الخليل فهو مؤسسه ومنظره وصاحب منهجه ، وإن صح فهو رأس الدرسين البصري والكوفي لأنه من شيوخ الكسائي فكيف يفوته ان تقديم ما حقه التأخير (اسلوب معروف في العربية) .

ان قول النحاس الذي ذكره الباحث في ص ٩ من بحثه فيصل في هذه القضية إذ يستنتج منه أن الواجب تقديم ما حقه التقديم ولكن يسبب ضرورة من الضرورات كان هذا من اساليب العربية الجائزة ، وعلى هذا الاساس فان الشاعر لا يستطيع أن يقول : (تركب وتثوب) بسبب الوزن أو بسبب بلاغي رآه الشاعر ، كذلك لو عاد الباحث الى سورة القمر لوجد أن الضرورة البلاغية هي فواصل آيات سورة القمر (القمر) مستمرٌّ ، مستقرٌّ ، مزدجرٌ ..) وعلى هذا فإن الخليل لم ينسَ أنه ليس في القران (ضرورة اصطلاحية) وانما فيه من ضرورات الاعجاز ما جاز فيه تقديم ما حقه التأخير ، علماً ان الباحث الكريم ذكر في ص ٣٦ الشاهد نفسه فقال (ويلاحظ الفراهيدي أن الأصل (تركب فتثوب) فقدم الشاعر وأخر ثم أيد صحة هذا الاساوب وعربيته بقوله تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر » ثم التمس له شاهداً آخر من الشعر) .

٤ ـ أشار الباحث الى كتاب الأشباه والنظائر في القرآن الكريم للمفسر المعروف مقاتل بن سليمان البلخي ، وذكر ان هذا المفسر قد سبق الخليل في تلمس الدلالة السياقية وكان من المناسب ان يدعم رأيه بأمثلة .

٥ ـ قال الباحث في ص ١٣ (وقد استفاد الفراء من اشارة الفراهيدي ففسر بها آية الروم السابقة وقال : (حين تمسون : المغرب والعشاء ، وحين تصبحون : صلاة الفجر ، وعشياً : صلاة العصر ، وحين تظهرون : صلاة الظهر) وهي التفاتة مهمة جداً أتمنى أن ليفرد لها الباحث بحثاً من بحوثه القادمة ولا سيما بعد أن جمع المادة التفسيرية من كتاب العين كما أشار الى ذلك في ص ١٢ من بحثه لأننا نعلم أن الكسائي تلميذ الخليل وشيخ الفراء ، فلا بد للباحث أن يعثر على صدى الخليل في معاني القرآن للفراء ، وعلى ضوء النتائج يمكن أن يدرس المنهج الكوفي دراسة جديدة .

٦ ـ قال الباحث (وقد يشير الفراهيدي الى لفظة ذات دلالة معروفة في العربية غير أنها اكتسبت بالمجاورة لغير العرب دلالة جديدة نشأ عنها معنى قبيح فنهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن استعمالها في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم فلفظة راعنا بصيغة الأمر تعني اصْغ الينا واهتمّ بنا وكان المسلمون يقولون للنبي عليه الصلاة والسلام : راعنا ، بهذه الدلالة . غير أن تلك اللفظة مع إمالة خفيفة كانت تعني بالعبرية سفيهنا واليهود معروفون بتحريف الكلم عن مواضعه .. فنهوا عن استعمال تلك اللفظة لتطور دلالتها الى معنى قبيح) وقد أحال الباحث على كتاب العين واستعان بما جاء عن ابن سيده في اللسان .

أقول : إن النصوص التي بين أيدينا لاتوحي الى ان الاستعمال اليهودي للفظة كان استعمالاً عبرياً ، والباحث لم يشر الى عبريتها في مصدر من المصادر ، وليس خافياً ان يهود المدينة هم من العرب ولهم لهجتهم كما ان للقبائل الأخرى لهجاتها واختلاف اللهجة قد يؤدي في كثير من الاحيان الى اختلاف المعنى ، وكذلك يكون للفظة الواحدة معان كثيرة أحياناً ، وقد بنى ابن دريد وابن قتيبة الأندلسي ملاحنهما على اختلاف معاني الألفاظ

وذكر ابن سيده في المحكم ٢ / ٧٦ وقوله تعالى (لاتقولوا راعنا) قيل : كلمة كانوا يذهبون بها الى سب النبي صلى الله عليه وسلم اشتقوه من الرعونة هي وقال ثعلب : انما نهى الله عن ذلك لأن اليهود كانت تقول للنبي (ص) : راعنا أو راعونا ، وهو في كلامهم سبٌ وعندي أن في لغة اليهود راعونا على هـذه الصيغة يريدون الرعونة أو الأرعن ، وقد قدمت أن راعونا فاعونا من قولك : أرْعِني)

٧ ـ قال الباحث (فعند ما تحدث عن (لولا) أوضح (لو) و (لا) وأنها ترد في معنيين الأول : بمعنى لو لم يكن كقولك : لولا زيد لأكرمتك والاخر : بمعنى (هلاّ) مشددة اللام ، ثم لاحظ ان كل شيٌ في القرآن فيه (لولا) يفسر على هلاغير التي في سورة الصافات (فلولا أنه كان من المسَبحِين . وهي ملاحظة غير دقيقة لان لولا قد وردت في اساليب قرآنية وليس فيها ما قال صاحب العين) ثم ذكر الباحث أمثلة من آي الذكر الحكيم توضح ما ذهب اليه .

أقول : ذكر ذلك في كتاب العين ٨ / ٣٥٠ ـ ٣٥١ وليس خافياً على الباحث الكريم أن لغة الأقدمين تحتاج في بعض الاحيان الى انعام نظر إذ ليس من المعقول ان تفوت كل تلك الايات التي ذكرها الباحث على الخليل ، ولعله أراد أن كل شيٌ في القرآن فيه لولا يفسر على هلاّ غير التي في سورة الصافات (فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون) وما شابهها أو نحوها والله أعلم .

٨ ـ قال الخليل في مطبوع العين ٥ / ٣٧٣

والكفل من الأجر ومن الإثم : الضعف . قال الله عزوجل: (يؤتكم كفلين من رحمته) و (يكن له كفل منها) . ولايقال : هذا كفل فلان حتى تكون قد هيأت مثله لغيره كالنصيب فاذا أفردت فلا تقل : كفل ولا نصيب .

قال الباحث من ص ١٤ « فهو يرى ان لفظة كفل لا تستعمل الا في الأنصبة التي يشترك فيها أكثر من واحد ومثلها لفظة النصيب .

أقول : إن اساس الاستشهاد في الآيتين الكريمتين دلالة معنى الضعف من الأجر ومن الإثم .

٩ ـ قال الخليل : (الحصد : جزّ البُرّ ونحوه) قال الباحث : ولا أدري لماذا خص الفراهيدي الحصد بالبرّ دون غيره من الحبوب كالشعير مثلاً وقد جاء في اللسان (الحصد : جزك البُرّ ونحوه من النبات .

أقول : ان ابن منظور أخذ كتاب العين من طريقين) طريق التهذيب وطريق المحكم ، وقول الفراهيدي » ونحوه) غناء عن ذكر الشعير ونحوه ، وعلى هذاالاساس فان الفراهيدي لم يخص الحصد بالبرّ دون غيره من الحبوب

١٠ ـ قال الخليل في مطبوع العين ٥ / ٣٢٨ (والادراك : فناء الشيء .. أدرك هذا الشيء ، أي : فني ، وفي قراءة الحسن لقوله تعالى : (بل أدرك علمهم في الاخرة) أي جهلوا علم الاخرة ، أي : لاعلم عندهم في أمرها ، وأدرك علمي فيه مثله ، قال الأخطل :

وأدرك علمي في سواءة أنها
تقيم على الأوتار والمشرب الكَدْرِ)

قال الباحث : والظاهر أن صاحب العين مخطئ في تفسير معنى البيت وفي دلالة قراءة الحسن ، فأما من جهة القراءة فقد قال أبو معاذ النحوي (من قرأ : بل أدرك علمهم في الآخرة ، فمعناها : هم علماء في الاخرة) وتفسير السُدي للاية أكثر وضوحاً من القول السابق حيث قال : (بل أدرك علمهم في الآخرة ، علموا أن الذي كانوا يوعدون به حق) وأنشد بيت الأخطل نفسه ، وأورد الأزهري قراءة الحسن وعقب عليها بقوله (والقول في تفسير أدرك وادّارك ومعنى الاية ما قاله السدي وذهب اليه أبو معاذ النحوي) .

أقول : ذكر الباحث في ص ١١ (ان الخليل لايرفض قراءة حتى لو كانت شاذة بأي معنى من معاني الشذوذ) وهو مذهب علماء العربية . والذي ذهب الى تخطئة الخليل قبل الباحث هو الأزهري وليس خافياً على الباحث الكريم موقف الأزهري من كتاب العين فقد شن حملة شعواء في مقدمة تهذيبه على الكتاب الا أنه لخص الكتاب من أوله الى آخره وبنى معجمه عليه ، ومعروف انه يتصيد لكتاب العين بالماء العكر ؛ إذ قال في ص ٩ / ١١٤ بعد أن ذكر تفسير السدي وابي معاذ النحوي تعقيباً على ماأورده الخليل (قلت : هذا غير صحيح ولامحفوظ عن العرب وما علمت أحداً قال : أدرك الشيء إذا فني ولايعرج على هذا القول)

وواقع الحال ان قول الأزهري لايعرج عليه وقد تبين لي من خلال ملازمتي لكتابي العين والتهذيب ان أغلب ردوده ونقداته لكتاب العين مردودة .

أ ـ جاء في الصحاح (درك) (وأدرك الغلام وأدرك الثمر ، أي : بلغ وربما قالوا : أدرك الدقيق بمعنى فني)

ب ـ جاء في معجم مقاييس اللغة (درك) (ويقال : الادراك : فناء الشيء وعلى ذلك فسر قوله تعالى (الآيه) أي لا علم لهم في الاخرة)

جـ ـ جاء في المحكم ٦ / ٤٦٧ وأدرك أيضاً : فني وقوله تعالى (الاية) روي عن الحسن انه قال : جهلوا علم الاخرة ، أي : لاعلم عندهم في أمر الاخرة .

د ـ ذكر القرطبي في تفسيره ١٣ / ٢٢٧ ان في هذه الآية اثنتي عشرة قراءة وقد قرأها (أدرك) أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو وحميد ، وقال أيضاً : والقول الاخر إنه على معنى الانكار وهو مذهب ابي اسحاق واستدل على صحة هذا القول بان بعده (بل هم منها عمون) أي : لم يدرك علمهم علم الآخرة .

أما ما ذكره الأزهري (عن أبي سعيد الضرير في شرح بيت الأخطل :

وأدرك علمي في سواءة أنها
تقيم على الاوتار والمشرب الكدر

أي : احاط علمي أنها كذلك) فان المعنى العام للبيت يأباه فمن الوجهة البيانية ان المعنى : لم يحط علمي أنها كذلك . والله أعلم .

١١ ـ في ص ٢٥ من البحث ذكر الدكتور أحمد ان اهتمام الفراهيدي بالفروق الدلالية مبني على أساسين الأول : معياري ، والثاني : حدسي وقال (ومن هذا المنطلق المعياري ـ الحدسي يأتي اهتمام الفراهيدي بالفروق الدلالية في الاستعمالات القرانيه . ثم دعم استنتاجه بمثالين ، ولكنه لم يبين لنا فيهما مواضع الحدسية أو المعيارية في الفروق الدلالية ، إذ إن المثال الأول : قراءة أخذها عن الحسن البصري ، والمثال الثاني : قراءة معروفة أيضاً .

١٢ ـ ذكر الباحث في مبحث الاهتمام بالشاهد الشعري لايضاح الدلالة القرانية أمثلة كان من بينها قوله في ص ٣٥

(وقد يأتي بالشاهد ليوضح استعمال حرف من حروف المعاني ففي مادة

(أنى) يقول + أي الخليل – : أنى معناها : كيف ، ومن أين شئت قال الكميت :

أنى ومن آبل الطرب
من حيث لاصبوة ولا ريب

وقوله عزوجل (أنى لك هذا) ، أي : من أين لك هذا ، وقوله عزوجل (أنى يكون له الملك علينا) أي كيف يكون

ويبدو أن الاية الكريمة (أنى يكون له الملك علينا ، فسرت ما جاء في الشاهد الشعري ، وليس العكس بدليل انه جاء بالشاهد الشعري أولاً ثم الشاهد القرآني ، وهو أمر كثير في شروح الشعر العربي القديم خاصة ، أي كما فسر غريب القرآن بالشعر ، فسر غريب الشعر بالقران .

١٣ – ذكر الباحث في خاتمة بحثه ص ٣٩ (ولا يخلو كتاب تهذيب اللغة للأزهري من تأثر بكتاب العين مادة ، وإن كان متأثراً به منهجاً من غير شك)

أقول : إن تأثر الأزهري بكتاب العين مادة لايقل عن تأثره به منهجاً فقد فرغ قسماً كبيراً من مادة الكتاب في معجمه ونسبها لليث لكي يجد قبولاً في حملته الشرسة على كتاب العين التي حملها عليه في مقدمة كتابه ، ولكي يكسب معجمه أهمية وقبولاً كان يعرض مع أقوال الليث على زعمه أقوال آخرين من علماء اللغة وهي أقوال في غالبيتها تشترك في مادتها مع كتاب العين ، ولكي لايتعارض مع ما ذكره في مقدمته عن الكتاب أخذ يتصيد له المآخذ ، ولا أغالي إذا قلت أن أغلب مآخذه مردودة .

أشد على يدك أخي وأهنيك على بحثك الماتع الشيق المثير ، وما مر من ملاحظات قدلا أكون مصيباً فيها لكني أردت أجر الاجتهاد ، وفقنا الله جميعاً لخدمة لغتنا أنه سميع مجيب

(منهج ابن منظور في لسان العرب)

الدكتور نوري حمودي القيسي
عميد كلية الاداب / جامعة بغداد

كانت رغبتي ملحة وانا اقف على لسان العرب الذي يعد من اغنى الموسوعات المعجمية مادة وأوفاها استيعابا ان اقف على منهج ابن منظور في جمعه وخطته في لمّ شتاته واسلوبه في اختيار شواهده بعد ان اوضح في مقدمته بعض ما كان يطمح اليه وهو يشغف بمطالعة كتب اللغات ويطلع على تصانيفها وعلل تصاريفها ووجد علماءها بين رجلين رجل أحس جمعها ولم يحسن وضعها ورجل أجاد وضعها ولم يجد جمعها وانتهى الى انه لم يفد حسن الجمع مع اساءة الوضع ولانفعت اجادة الوضع مع رداءة الجمع وقد حمله هذا التصور على اعتماد خمسة كتب من كتب اللغة لأنها كما يقول.. ولم أجد في كتب اللغة اجمل من تهذيب اللغة لابي منصور محمد بن احمد الازهري ولاأكمل من المحكم لابي الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة الاندلسي ، وهما من امهات كتب اللغة على التحقيق وماعداهما بالنسبة اليهما ثنيّات للطريق غير ان كلا منهما ــ كما يقول ابن منظور ــ مطلب عسر المهلك ومنهل وعر المسلك وكأن واضعه شرع للناس موردا عذبا وجلاهم عنه وارتاد لهم مرعى مربعا ومنعهم منه ، قد اخر وقدم وقصد ان يعرب فأعجم ، ثم قال ورأيت ابا نصر اسماعيل بن حماد الجوهري قد احسن ترتيب مختصره وشهره بسهولة وضعه شهرة ابي دلف بين بادية ومحتضره فخف على الناس امره فتناولوه وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه فاتيح له الشيخ ابو

محمد ابن برّي فتتبع ما فيه واملى عليه اماليه لسقطاته ، مؤرخا لغطاته ناستخار الله سبحانه وتعالى في جمع هذا الكتاب المبارك الذي لا يُسامى في سعة فضله ولا يشارك ثم يقول : ورتبته ترتيب الصحاح في الابواب والفصول وبذلك يضع ابن منظور خطته الاساسية في تحديد طريقته وتوضيح تأليفه بضبط قاعدته التي بنى عليها تأليف الكتاب والتزم اعتماد الاسلوب الذي اعتمده الجوهري في صحاحه ثم يقول : وقصدت توشيحه بجليل الاخبار وجميل الاثار مضافا اليه ما فيه من آيات القرآن الكريم والكلام على معجزات الذكر الحكيم ليحاتي بترصيع دررها عقده ويكون على مدار الايات والاخبار والاثار والامثال والاشعار حلّه وعقده فرأيتُ ابا السعادات المبارك بن محمد ابن الاثير الجزري قد جاء ذلك بالنهاية اي النهاية في غريب الحديث والاثر وجاوز في الجودة حد الغاية .. وبهذه السطور القليلة والافكار الغنية حدّد كتابه ووضع لنفسه ماراد لها وهو يتجاوز نقائص كل هذه الكتب من حيث الجمع والوضع حتى تصبح هي الفروع ويصبح كتابه هو الاصل وانتظم شمل تلك الاصول كلها في هذا المجموع وصار هذا بمنزلة الاصل واولئك بمنزلة الفروع ويرفع ابن منظور عن الاذهان ما وقف عليه الازهري او ابن سيده وهما ينقلان عن الاعراب ما وقفا عليه عن طريق المشافهة والسماع والفعل والصيغة او شد الرحال او النقل عن العرب العرباء لانهما لم يتركا لقائل مقالا ولم يخليا فيه لاحد مجالا .. ويواصل ابن منظور حديثه وهو يقول .. وليس لي في هذا الكتاب فضيلة امتّ بها ولا وسيلة اتمسك بسببها سوى اني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم وبسطت القول فيه ولم اشبع باليسير وطالب العلم منهوم فمن وقف على صواب او زلل او صحة او خلل فعهدته على المصنف الاول وحمده وذمه لأصله الذي عليه المعوّل لانني نقلت من كل اصل مضمونه ولم ابدّل منه شيئا فيقال فانما اثمه على الذين يبدّلونه بل اديت الامانة في نقل الاصول بالقص وما تصرفت فيه بكلام غير ما فيها من النص فليعتدّ من ينقل عن

كتابي هذا انه ينقل عن هذه الاصول الخمسة وليغن عن الاهتداء بنجومها فقد غابت لما طلعت شمسه ..

لقد رسم ابن منظور الصورة المثلى للمعجم النموذج كما يرى وهو يأخذ نفسه بجمع المادة والتقاطها من المصادر التي وجد فيها ما يعينه على اداء هذه المهمة ووضع الخطوط العامة التي تبسط لمنهجه طريق الاكتمال بعد ان اختار اسلوب الترتيب والتنسيق وهيأ لنفسه اللوازم الكفيلة بانجاح هذه الخطة ولابد ان يكون حريصا على النقل الذي لا يجعل كتابه بعيدا عما اخذ نفسه به ، خارجا على القواعد التي احتفظت بها كتب الاصول ولعله واجد في غيرها من المصادر ما يغني او يسعف وهو ما تكشف عنه الدراسة التحليلية لكل مادة عرض لها .

لقد اتضحت غاية ابن منظور من خلال المقدمة التي فصلها والاسباب التي اوضحها وهو يصنع مقدمته التي يتجلى فيها حسه القومي في زمن كادت فيه العجمي تزحم الفصحى وتطغي على اصولها وقد افتتح مقدمته بقوله : ان الله سبحانه قد كرم الانسان وفضّله وشرّف هذا اللسان العربي بالبيان على كل لسان وكفاه شرفا انه به نزل القرآن وانه لغة اهل الجنان وذكر رواية لابن عباس (رضي الله عنه) حيث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبّ العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام اهل الجنة عربي، ثم يتابع توجهه ومهمته التي وجد نفسه ملزما بها فيقول لم اقصد سوى حفظ اصول اللغة النبوية وضبط فضلها ، اذ عليها مدار احكام الكتاب العزيز والسنّة النبوية وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الاوان من اختلاف الالسنة والالوان حتى لقد اصبح اللحن في الكلام يعد لحنا مردودا وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغة الاعجمية وتفاصحوا في غير اللغة العربية .

لقد حاول ابن منظور ان يجعل كتابه (لسان العرب) حافظا لغة العرب

ومعانيها ، من الضياع بعيدة عن القصور والعجز ، شريفة في مبانيها ومعانيها، نقية في دلالاتها وصيغها وقد بلغ بها مبلغ التعظيم لشرفها وفضلها .. وقد قدم ابن منظور صورة لعصره وهو يجد اللغة وقد زحمتها الفاظ غريبة ودخلت عليها مفردات لاتمت الى العربية بصلة فحمله حرصه على صيانتها ودفعه حبّه الى الحفاظ عليها لتبقى في منأى عن دخيل وتظل شخصيتها متماسكة في ظل عصور حاولت الزحف عليها والانتقاص منها والاخذ بخناقها فكان دفاعاً انفق عليه عمره وبذل من اجل غايته زهرة شبابه ووهبه الله سبحانه وتعالى من فضله ما امدّ صبره واطال جلده ليتفرغ الى هذا العمل الذي تشهد له صفحاته بالبراعة .

فهو كتاب لغة ونحو وصرف وفقه وادب وشرح للحديث وتفسير القرآن الكريم ولم يقصد به صاحبه الا ان يكون من الثلاث التي ينقطع عمل ابن أدم اذا مات منها وان ينال به الدرجات بانتفاع كل من عمل بعلومه او نقل عنها وان يجعل تأليفه خالصا لوجهه الجليل .

واذا كان حرصه على اللغة قد برز من خلال مقدمته التي حملت هذه المعاني فان غايته الدينية التي اكدها وهو يتحدث عن لغة القرآن كانت صلة اخرى بغايته الاولى لان العربية لغة القرآن وترتبط به ارتباطاً وثيقا لاتنفصم عنه ولاتنقطع بعد ان عبّرت عن اعجازه ومجازه وصوره وتشبيهاته وبيانه وبلاغته فاتصل الدين باللغة وجودا واتفق اداءً واتحد تأثيرا وتأثرا ، وهنا تتلازم فكرة العروبة والاسلام وتتواصل قنوات الوفاء للعربية باعتبارها لغة القرآن وهي الغاية التي حملت اصحاب المعاجم على حمايتها واقتصارهم على الفصيح منها بعد ان حدّدوا (عصر الاستشهاد) ووقفوا عند القرن الاول الهجري ليمنعوا تسرب الدخيل والاعجمي ويصونوا لغة القرآن مما تفشّى اوشاع ..

ان هذا الحرص على اللغة يأتي من الحرص على القرآن الكريم الذي

نزل عربيا وظل عربيا •

وان هاتين الغايتين تثير الانتباه وتدفع البـاحثين الى اعـادة النظر في دراسة المعجم العربي في ضوء هذا التوجه من جهة وتحليل الغاية التي انفـق من اجل انجازها اصحاب هذه الاسفار ماحفظ لنا اللغة وابعد عنها كل مـا اوشك ان يضعف قدرتها ويفسد نقاءها ويشين وجهها ••

واذا كانت هذه الغايات راسخة في اذهـان اصحابها فان المنهج الذي رسمه ابن منظور في اختيار الكتب الخمسـة التي جعلها مصـادر اساسـية تحدد المنهج الذي الزم به نفسـه ووضع القواعد التي تضبط له حركـة الاتساع وهـو يقف على هذه المؤلفات التي لم يخرج عليهـا في كثير من (مواده) التي عرض لها وان كانت نسب الاخذ متفاوتة بحسب اتساع المادة وضغط المفردة وحجم دلالتها من حيث اداؤها الحسي او العقلي او الفقهـي او الادبي ••

ان اقتصار ابن منظور فيما جمعه من مادة اللغة العربية الاصيلة التي استعملت في الجزيرة العربية والمتداولة بين ابنائها ولم تتجاوز القرن الاول الهجري قبل ان تختلط بلغات اخرى كان ادراكا عميقا لما كانت تحمله هذه المفردات وتأكيدا للعلاقة اللغوية والحسية التي يحددها وان هذه العودة الى العربية تنقل الصورة الحقيقية للعالم الذي كانت تحيا فيه وتنتمي اليه وهي الصورة القريبة التي كانت تعطي المفردة دلالتها القرآنية وتحفظ لها اصالتهـا التي لاتخرج عن الاطار المحدد الذي تحركت فيه •• وهنا ترتبط فكرة اصالـة اللغة وحمايتها بالحفاظ على لغة القرآن وهي الحافز الكبير الذي منح اصحاب المعاجم قدرة المصاولة والهام الابداع وطول الجلد •

لقد تميز منهج ابن منظور بالاعتماد الكلي على الكتب التي اعتبرها مصادر اساسية واختلفت نسبة الاعتماد على وفق ما يراه مناسبا لما يريد ان

يتحدث عنه ومتفقاً مع المفردات التي يعرض لها من حيث الدلالة والاداء ويبدو ان الاهتمام الكبير الذي اولاه لكتاب النهاية في غريب الحديث واستشهاده بالحديث النبوي الشريف قد امتد لمسافات بعيدة وكادت تكون هذه الاستشهادات من الظواهر البارزة وان كانت اساليب اعتماده تتفاوت من حيث النسبة والاقتصار والنقل لان طبيعة الاستشهاد كانت تفرض عليه صيغا متعددة للنقل واساليب التوافق مع المنهج كانت تحدد نمط العمل المعجمي بعد ان اولى الجانب النحوي والصرفي اهتماما اكبر من اهتمام سابقيه وكانت اشاراته الى المعاني المختلفة واضحة حين يعرض للكلمة وهو يركز على الشواهد القرآنية ويروي الشواهد الشعرية بروايات مختلفة عمن اعتمد عليهم في النقل ولم يكن غريبا حين نجد الشاهد الواحد يروى لاكثر من شاعر او انه يروي الشاهد وفي اماكن مختلفة بروايات متباينة وهي مسألة وقفت عندها كثيرا وانا اتابع جمع اشعار بعض الشعراء .

وقد تميز صاحب اللسان في تفسير المادة اللغوية والبحث عن الكلمات المتشابهة اشتقاقا ففي شرح (رأم) يعتمد على مادة (ريم) وفي شرح (شأم) يعتمد على مادة (شيم) ولعله حاول ان يجد في هذه الصيغة تجميعا لما كان يسعى اليه وهو يحاول الاحاطة بالمفردات الكثيرة .

اما مزجه بين النقول فكان سمة اخرى فهو يمزج كلام الجوهري بكلام الازهري ويداخل بين كلام الازهري وابن سيده وربما تأتي هذه الخصيصة بسبب اعتماده على الاصول التي اخذ عنها هؤلاء وحين المطابقة تتضح الاصول المتداخلة وتبدو حالة التداخل التي تعطي القارىء هذه الصورة وان الطريقة المنهجية التي يمكن ان تجرد الكتب المعتمدة اصلا هي الكفيلة بتحديد النقول المعتمدة بعد جرد دقيق للمواد ولعل حالة النقل الكبيرة والواسعة اعطت ابن منظور فرصة التنويع في ايرادصيغة النقل فعندما كان ينقل عن التهذيب كانت صيغ النقل تتفاوت وهو يذكر المؤلف فهو الازهري

يتحدث عنه ومتفقاً مع المفردات التي يعرض لها من حيث الدلالـة والاداء ويبدو ان الاهتمام الكبير الذي اولاه لكتـاب النهايـة في غريب الحديث واستشهاده بالحديث النبوي الشريف قد امتد لمسافات بعيدة وكادت تكون هذه الاستشهادات من الظواهر البارزة وان كانت اساليب اعتماده تتفاوت من حيث النسبة والاقتصار والنقل لان طبيعة الاستشهاد كانت تفرض عليه صيغا متعددة للنقل واساليب التوافق مع المنهج كانـت تحدد نمط العمل المعجمي بعد ان اولى الجانب النحوي والصرفي اهتمامـا اكبر من اهتمام سابقيه وكانت اشاراته الى المعاني المختلفة واضحة حين يعرض للكلمة وهو يركز على الشواهد القرآنية ويروي الشواهد الشعرية بروايات مختلفة عمن اعتمد عليهم في النقل ولم يكن غريبا حين نجد الشاهد الواحد يروى لاكثر من شاعر او انه يروي الشاهد وفي اماكن مختلفة بروايات متباينة وهي مسألة وقفت عندها كثيرا وانا اتابع جمع اشعار بعض الشعراء •

وقد تميز صاحب اللسان في تفسير المادة اللغوية والبحث عن الكلمات المتشابهة اشتقاقا ففي شرح (رأم) يعتمد على مادة (ريم) وفي شرح (شأم) يعتمد على مادة (شيم) ولعله حاول ان يجـد في هذه الصيغة تجميعا لمـا كان يسعى اليه وهو يحاول الاحاطة بالمفردات الكثيرة •

اما مزجه بين النقول فكان سمة اخرى فهو يمزج كلام الجوهري بكلام الازهري ويداخل بين كلام الازهري وابن سيده وربما تأتي هذه الخصيصة بسبب اعتماده على الاصول التي اخذ عنها هؤلاء وحين المطابقـة تتضـح الاصول المتداخلة وتبدو حالة التداخل التي تعطي القارىء هذه الصورة وان الطريقة المنهجية التي يمكن ان تجرد الكتـب المعتمدة اصلا هي الكفيلـة بتحديد النقول المعتمدة بعد جرد دقيق للمواد ولعلّ حالـة النقل الكبيرة والواسعة اعطت ابن منظور فرصة التنويع في ايرادصيغة النقل فعندما كان ينقل عن التهذيب كانت صيغ النقل تتفاوت وهو يذكر المؤلف فهو الازهري

مرة وابو منصور ثانية او التهذيب ثالثة وبلانسبة رابعة لان كثيرا من نقوله كانت تأتي هملا من النسبة وهذه خصيصة يمكن الوقوف عندها .

واذا كانت هذه السمات قد طبعت الوجه العام للسان فأن ظاهرة الترجيح او التعليل تكاد لاتظهر ومن الصعوبة تلمس رأي في مسألة نحوية او صرفية وهو يغاير ماألفناه عند الازهري والجوهري وابن سيده ، وتغلب على نقوله اسقاط السند بعد الانتقال مباشرة الى المنسوب وكثيرا ماكانت هذه النقول تتعرض الى الاختزال او الاختصار والتصرف احيانا واخذ المعنى والاكتفاء بذكره باسلوبه الخاص او تجميع ملتقطات النصوص القديمة وتوحيدها في موضع قصد الابانة والوضوح .

وبعد فان هذا السفر الخالد على الرغم من هذه الملاحظات التي لايضيق بها معجم كلسان العرب لما تحمله صاحبه من مشاق وهو يجمع بين اطراف مئات التآليف يبقى وجها من وجوه العربية المضيئة ودستورا من دساتير اللغة التي حفظت للامة شخصيتها وابقت ديمومة عطائها اللغوي يتدفق عبر عصور صعبة ومراحل ضنينة ...

تحليل بعض المفردات

نقل ابن منظور من المصادر التي اعتمدها نقولا مختلفة تفاوتت في صيغ النقل واساليبه وبحسب ما يراه مناسبا للسياق وهي تقع بين النص الكامل والنص المختصر وبالنسبة للاسم صراحة أو الاشارة الى الكتاب المنقول عنه ولغرض ايضاح أعداد المرات اثبت الارقام التالية فان اعتماده على كتاب المحكم لابن سيده من اكثر الكتب استشهادا . حيث اعتمده ثلاثة آلاف واربعمائة واربعة وسبعين مرة ويأتي كتاب الحواشي لابن بري حيث اعتمده ثلاثة آلاف واربعمائة واحدى عشرة مرة ثم كتاب التهذيب للازهري حيث اعتمد ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثماني وتسعين مرة .

وبعدها كتاب الصحاح للجوهري حيث اعتمده ثلاثة الآف ومائة وستا واربعين مرة واخيراً كتاب النهاية في غريب الحديث لابن الاثير حيث اعتمده تسعمائة وستا وثمانين مرة ...

ومن اجل ان يكون التحليل قريبا آثرت اختيار مجموعة من المفردات المنقولة من كتاب النهاية في غريب الحديث وكتاب التهذيب للازهري وطريقة اعتمادها واسلوب نقلها وصولا الى الطريقة التي اخذ بها صاحب اللسان والمنهج الذي اعتمده في النقل لتكون الخطوط العامة واضحة امام الدارسين وهم يقفون أمام هذا السفر اللغوي الخالد .

نقل ابن منظور عن كتاب النهاية في غريب الحديث نقولا متنوعة اختلفت فيها صياغة النقل تارة وبأخذها نصا وتارة يعتمد مضمونها وتارة أخرى يعتمدها مع تعليقاتها او دون تعليق وبحسب ما يراه مناسبا للسياق .

ففي مادة [حجز] يورد صاحب اللسان اربعة عشر حديثا في سبعة منها يذكر صيغة وفي الحديث ... وينقل الشروح اللغوية والتعليقات كاملة وهي منقولة نصا عن كتاب النهاية .

ووردت صيغة وفي حديث كذا اربع مرات والاحاديث منقولة نصاً .

ويأتي ذكر ابن الاثير بعد شرح قصير في ثلاثة احاديث وبصيغتين .. والملاحظ انه كان يزاوج بين النصوص في النقل فيذكر حديثا نقلا عن الازهري ويواصل بقية الحديث عن ابن الاثير .

وفي مادة [حفز] ينقل خمسة احاديث بثلاث صيغ وينقل التعليقات اللغوية التي وردت .

وفي مادة [حرز] يورد اربعة احاديث بصيغتين الاولى وفي حديث كذا ، والثانية بصيغة ابن الاثير .

وفي مادة [حمز] يورد ثلاثة احاديث ينقل اثنين منها بالمعنى مزاوجا بين ما جاء في النهاية وما جاء في التهذيب وواحدا ينقله نصاً .

ولم يذكر في [حلز] اي حديث .

وفي مادة [خصف] اورد ثلاثة احاديث .

وفي [عترف] ذكر حديثا واحدا .

ونقل في [سعف] حديثا واحدا بتصرف .

وفي مادة [قبس] نقل اربعة احاديث لم ينسب ثلاثة منها .

وفي مادة [غرس] نقل حديثا واحدا ولم ينسبه .

وفي مادة [قيس] ذكر حديثين نسبهما وحديثين لم ينسبهما .

وفي مادة [شمس] نقل حديثا واحدا ونسبه .

ونقل في [أوس] ثلاثة احاديث لم ينسبها .

وفي مادة [رأم] نقل حديثا واحدا ونسبه .

وفي مادة [شيم] ثلاثة احاديث منسوبة وحديث لم يُنسب .

ونقل في [عجم] تسعة احاديث منسوبة وحديث لم يُنسب .

وفي [كَلَمَ] خمسة احاديث منسوبة .

ونَسَبَ في [وسم] ثمانية احاديث ولم ينسب حديثا واحدا .

ونقل في مادة [حبط] حديثين منسوبين .

وفي مادة [مسك] خمسة احاديث منسوبة .

وخمسة احاديث في [صرع] منسوبة .

ونقل حديثا واحدا منسوبا في [طرأ] .

واعتمد في [فكك] ثلاثة احاديث منسوبة وستة احاديث منسوبة في [غير] وخمسة احاديث منسوبة في [نشز] وثمانية منسوبة في [طبع] وثمانية منسوبة في [نزع] .

وفي [عفف] اخذ عن ابن الاثير في موضعين تصرف في احدهما ونقل

نصا في المرة الاخرى ونسبهما في المرتين •

وفي [عبقر] نقل في خمسة مواضع لم يتصرف في موضعين وتصرف في ثلاثة مواضع •

وفي [ستر] نقل في ثلاثة مواضع ونقل في [سير] عشرة احاديث نسبها دون تصرف وفي [ملط] نقل في خمسة مواضع ونقل في موضعين في مادة [حطم] و [نبط] اما مادة [ذبح] فنقل فيها ثمانية احاديث •

ونقل [سور] سبع مرات لم ينسب في اربعة منها ونسب ثلاث مرات ونقل نصا في [برج] وفي [غفر] نقل في سبعة مواضع اخذ ثلاثة منها نصا ونسبها وفي اربعة منها اخذها نصا ولم ينسبها وفي [قرر] اخذ في خمسة عشر موضعا ، في اثنى عشر موضعا اخذها نصا ونسبها وتصرف في ثلاثة مواضع ونسبها ايضا وفي [يسر] اخذ في ثلاثة مواضع نصا ونسبها •

واذا كان ابن الاثير قد امتدت مساحته في اللسان هذا الامتداد بين منسوب وغير منسوب وبين منقول نصّه او مختزل في النقل ••

كان ابن منظور قد نقل عن الازهري في مادة [حجز] ثلاث مرات مصرحا باسمه في اثنتين ولم يصرح مرة واحدة •• ونقل عنه نصا في اربع عشرة مرة دون نسبة ونقل مرتين بالمعنى وتميزت اقتباساته بطول الفقرات وفي مادة [حفز] نقل عن الازهري احدى عشرة مرة نصا وكان نقله مرة واحدة بالمعنى •

وفي مادة [خمر] نقل عن الازهري احدى عشرة مرة بالنص وثلاثة بالمعنى

وفي مادة [حلز] نقل عن الازهري ثمانية نصوص نقلا كاملا ولم ينقل عنه بالمعنى •

وفي [برج] نقل ثلاثة مواضع اخذ عن الازهري نصا ولم ينسبها وفي [غفر] اخذ في اربعة مواضع ولم ينسبها واخذ في [قرر] في موضعين نصا ونسبها وفي [يسر] اخذ في اربعة مواضع نصا ونسبها •

ونقل في مادة [قبس] اثنتي عشرة مرة ، نسب منها ثلاث مرات ونقل في مادتين منهما بتصرف ونقل تسع مرات لم ينسب فيها المادة المنقولة ونقل في مادة [غرس] سبع مرات ولم ينسب الا مرة واحدة ونقل في مادة [قيس] احدى عشرة مرة نسب في مرة واحدة ولم ينسب في عشر مرات • ونقل في مادة [شمس] تسع مرات نسب في واحدة ولم ينسب في ثماني مرات •

ونقل في مادة [رأم] في ثمانية مواضع لم ينسب فيها الا في موضع واحد وفي مادة [شيم] في ستة عشر موضعا لم ينسب فيها الا في موضعين وفي مادة [عجم] في خمسة عشر موضعاً لم ينسب الا في موضعين اثنين واهمل النسبة في المواضع الاخرى •

وفي مادة [كلم] في ثمانية مواضع نسب في ثلاثة منها واهمل النسبة في الخمسة الباقية •

وفي مادة [وسم] في عشرة مواضع لم ينسب الا من خلال موضع واحد •

وفي مادة عبقر •• أخذ عن الازهري في اربعة مواضع في ثلاث منها اشار بقوله •• قال الازهري ومرة هكذا رأيت في نسخ التهذيب •

وفي مادة ستر •• اخذ عن الازهري في ثلاثة مواضع نسب في أثنين منها ولم ينسب في الثالث •

وفي مادة سير •• اخذ عن الازهري في موضعين نسب مرة ولم ينسب مرة •

وفي برك ينقل نصا واحدا ينسبه •

وفي رقش يأخذ خمس مرات اثنين ولم ينسب في ثلاثة •

وفي طوق يأخذ تسع مرات ينسب في اثنين ولم ينسب في سبعة وفي نقش ينقل ثماني مرات لم ينسبها جميعاً •

وفي ملط ينقل في موضعين ينسبهما وقد اوردهما نصا .
وفي حطم ينقل من سبعة مواضع يوردها ونصا دون تصرف .
وفي نحط ينقل من موضعين ينسبهما .

وفي ذبح ينقل عن التهذيب في احد عشر موضعا وهي منسوبة .

ان هذه الاشارات المتباعدة تحدد الحالة التي تميز بها ابن منظور وهو ينقل عن الازهري . فهو يأخذ من التهذيب دون نسبة ويأخذ المادة ويتصرف بها باسلوبه ويضيف نقولا أخرى على مايأخذه ويحاول تصحيح ما وقع فيه من تصحيف ويهمل احيانا بعض المشتقات التي يأتي على ذكرها الازهري ويتصرف احيانا عند اخذه ويصحح ابيات الشعر من حيث التصحيف الذي يقع في المفردات ويختزل الكلام الذي يرد في التهذيب في بعض الاحيان .

وان هذا المنهج الذي عمل به كان يخضع لاجتهاده في النقل ومعرفته في المادة وظروفه التي كانت تحيط به وهو يقطع السنوات الطويلة من اجل انجاز هذا المعجم ويمكن ان تحصر هذه الخصائص في الملاحظات التي وقفت عندها وهي عينة متفاوتة ومن مواد مختلفة ومطابقة مع بعض المصادر الاساسية التي اعتمدها .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

منهجية ابن منظور في اللسان

د . عدنان عبدالرحمن الدوري

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

قرأتُ عدّةَ بُحُوثٍ عن لسان العرب والمنهجِ الذي اتّبعه ابنُ منظورٍ فيه، وكان آخرُها « منهج ابنِ منظور في لسان العرب » للاستاذ الاديب الدكتور نوري حمودي القيسي، وقد تمعنتُ فيه بعناية وتدبّر ، فوجدتُه قد ألمّ بخصوصيات البحثِ، مستقصياً بمنهجه طُرُقَ واساليبَ ابنِ منظور في تأليفه لهذا السِّفرِ العظيم . فكان بحقٍ بحثاً وافياً جديراً بكل عناية واهتمام إذ إنه يُطلعُ القارىءَ ، وينبّهُ المتتبِّعَ الى أمورٍ قد تغيبُ على ذوي الافكار النيّرة .

لقد نهلَ ابنُ منظور (٦٣٠ ـ ٧١١ هـ) (١) مادة اللسان من خمسة كتب تُعدُّ أُمّهاتِ اللغة العربية ،وهي التهذيب للازهري(ت ٣٧٠هـ) (٢)والصحاح للجوهري (ت ٣٩٣هـ) (٣) والمحكم لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) (٤) وحاشية

---

(١) بغية الوعاة ٢ / ٢٤٨ ومقدمة اللسان .

(٢)نزهة الالباء ٣٢٣ وانباه الرواة ٤ / ١٧١ والبلغة في تاريخ أئمة اللغة ٢٠٥ وطبقات النحاة واللغويين ٢٩ وبغية الوعاة ١ / ١٩ .

(٣) نزهة الالباء ٣٤٤ وانباه الرواة ١ / ١٩٤ والبلغة ٣٦ وبغية الوعاة ١ / ٤٤٦

(٤) انباه الرواة ٢ / ٢٢٥ والبلغة ١٤٨ وبغية الوعاة ٢ / ١٤٣ .

ابن بري على الصحاح (ت ٥٨٢ هـ) (٥) والنهاية في غريب الحديث لابن الاثير (ت ٦٠٦ هـ) (٦) .

ورتّبَ ابوابَ معجمه وفصولها ترتيبَ الصحاح لما فيه من مزيةٍ على البقية .

قال في مقدمته :

« ورتبتُهُ ترتيبَ الصحاح في الابواب والفصول » . (٧)

ثم وشحه بالاخبار الجليلة والآثار الجميلة ورصعه بآيات قرآنية كريمة وطرزه باحاديثَ نبوية شريفة .

لقد افتخرَ ابنُ منظور في معجمه هذا قائلاً :

« فجاء بحمد الله وفْق البُغية وفَوْقَ المُنية بديعَ الاتقان ، صحيح الاركان سليماً من لفظة لو كان ، حللتُ بوضعه ذروة الحفاظ ، وحللتُ بجمعه عقدة الالفاظ . . . » (٨)

فكان منهجُ ابن منظور في كتابه واضحاً ، وفي مسلكة نيراً ، اذ انه . جمع ما تفرق من هذه الكتب الخمسة ثم بسط القول فيها ، ونقل من كلّ أصلٍ مضمونَه ، ولم يبدّل منه شيئاً ، وأدى الامانة في نقل الاصول بالتمام ، وما تصرف فيه بكلام غير ما فيها من النص . ويدعي فيه دعوى أو يقول شافهتُ أو سمعتُ أو فعلتُ أو صنعتُ أو شددتُ أو رحلتُ أو نقلتُ عن العرب ، فكلّ هذه الدعاوى لم يترك فيها الازهريُّ وابنُ سيده لقائل مقالاً ولم يخليا فيه لأحدٍ مجالاً فانّهما عيّنا في كتابيهما عمّن رَوَيا ، وبرهنا عمّا حَويا ونشرا في خَطّيهما ما طويا ، فلقد جمعا فأوعيا ، وأتيا بالمقاصد ووفّيا . (٩)

---

(٥) انباه الرواة ٢ / ١١٠ والبلغة ١٠٦ وبغية الوعاة ٢ / ٣٤ .

(٦) ارشاد الاريب (معجم الادباء) ١٧ / ٧١ وبغية الوعاة ٢ / ٢٧٤ والاعلام ٥ / ٢٧٢

(٧) مقدمة اللسان ١ / ٧

(٨) مقدمة اللسان ١ / ٨

(٩) مقدمة اللسان ـ (بتصرف)

وهذا يبينُ بوضوحٍ منهجَ ابنِ منظور وسيرَتَه في عَمَلِهِ .

وأَوَد أن اتطرَّق الى مسألةٍ ذكرهَا ابنُ منظور في منهجه وهي قولهُ :

وما تصرفتُ فيه بكلامٍ غيرِ ما فيها من النصّ ، فليَعْتَدَّ مَنْ يَنقُلُ عن كتابي هذا أنه ينقُلُ عن هذه الاصولِ الخمسةِ . . . » (١٠)

وقوله أيضاً :

« وليس لي في هـذا الكتاب فضيلةٌ أَمُتُ بها ، ولاوسيلةٌ اتمسكُ بسببها سوى أني جمعتُ فيه ما تفرّق في تلك الكتب من العلوم ، وبسطتُ القولَ فيه . . . فمن وقف فيه على صوابٍ أو زللٍ أو صحةٍ أو خللٍ فعُهْدَتُه على المصنّفِ الأَوّل ، وحمدُه وذمُّهُ لأصله الذي عليه المعوّل ، لأنني نَقلتُ ، من كل أصلٍ مَضمُونَه ، ولم أبدلْ منه شيئاً . . . » (١١)

كما أكد الدكتور القيسي ذلك بقوله :

« لقد تميّزُ منهجُ ابنِ منظور بالاعتماد الكلي على الكتب التي اعتبرها مصادرَ اساسيةً واختلفتْ نسبةُ الاعتمادِ على وَفْقِ ما يراه مناسباً . . . » . (١٢)

مما تقدّم يظهرُ لنا ان ابنَ منظور لم يُدْخِلْ في كتابه أيَّ مادة سوى مادة الكتب الخمسةِ ، ولم ينهل من سائر الكتب الاخرى عـدا هـذه المجموعة ، والحقيقة انَّ ابنَ منظور أدخل في معجمه باباً مستقلاً ووضعه في مقدمتـــه المهمة .

لقد عَقَدَ المؤَلِّفُ هذا البابَ في أربع صفحات من المطبوع بدار صادر(١٣) وسماه « باب ألقاب الحروف وطبائعها وخواصها » وهو خارج عن مواد الكتب الخمسة المذكورة آنفاً فقال عنه :

---

(١٠) مقدمة اللسان ١ / ٨

(١١) مقدمة اللسان ١ / ٨

(١٢) منهج ابن منظور في لسان العرب /للقيسي ٥ .

(١٣) اللسان ١ / ١٣ ــ ١٦

« قال عبدالله محمد بن المكرّم : هذا الباب ايضاً ليس من شرطنا ، لكنّي اخترتُ ذكرَ اليسيرِ منه ، وإني لا أُضربُ صفحاً عنه ليظفرَ طالبُهُ منه بما يريد ، وينالَ الافادةَ منه مَنْ يستفيد ، وليعلَم كلُّ طالبٍ أنَّ وراءَ مطلبه مطالبَ أُخر ، وأن لله تعالى في كلِّ شيءٍ سِرّاً له فعلٌ وأثرٌ ، ولم أُوسِّعِ القولَ فيه خوفاً من انتقادِ مَنْ لا يَدْرِيه . . . » (١٤)

ثم شرع في ذكر آراء ابنِ كَيسان في القاب الحروف والخليل بن احمد الفراهيدي والليث بن المظفر وأبي العباس احمد البوني والبعلبكي وغيرهم .

فيتضح لنا مما سبق ان ابن منظور قد اضاف الى معجمه ما هو ليس من شرطه ولا منهجه الذي اختطّه لنفسه ، إذ استقاهُ مما كتبه الشيخ ابوالحسن عليّ الحَرالي (ت ٦٣٧ هـ) (١٥) في خواص الحروف المنزلة أوائل السور ، وقدصرح باسمه في نهايةالباب الذي سبقه وهو (باب تفسير الحروف المقطعة (١٦)

ونَوَدُّ هنا ان نضيفَ الى ما ذكره الدكتور القيسي في منهج ابن منظور ، هو التقديم والتأخير فيما نقلَ عن مصادره ، دليلنا على ذلك ما ذكره في الباب الأول من اللسان « باب تفسير الحروف المقطعة » (١٧) ، فقد ذكره ابن منظور في مقدمته بقوله :

« شرطُنا في هذا الكتاب المبارك ان نرتبَهُ كما رَتَّبَ الجوهري صحاحَهُ ، وقد قُمنا والمنّة لله ، بما شرطناه فيه . إلاّ أن الازهري ذكر في أواخر كتابه فصلاً جمعَ فيه تفسير الحروف المقطعة التي وردت في أوائل سور القرآن العزيز ، لانها يُنطق بها مفرَّقةً غير مؤلّفة ولا منتظمة ، فتَرِدُ كلُّ كلمةٍ في بابها ،

---

(١٤) اللسان ١ / ١٣

(١٥) ميزان الاعتدال ٣ / ١١٤ ولسان الميزان ٤ / ٢٠٤ والاعلام ٤ / ٢٥٦و ٢ / ١٧٢ آ ووردت نسبته في المصدرين السابقين بلفظ (الحراني) بالنون وهو تصحيف والصواب باللام كما في اللسان والاعلام .

(١٦) اللسان ١ / ١٢

(١٧) اللسان ١ / ١٠ ــ ١٢

فجعل لها باباً بمفردها ، وقد استخرتُ الله تعالى وقدّمتُها في صدر كتابي . . » (١٨)

ثم يعزو هذا التقديم لأمرين هما :

« للتبرك بتفسير كلام الله تعالى الخاص به الذي لم يشاركه أحدٌ فيه إلاّ مَنْ تبرك بالنطق في تلاوته ، ولا يَعْلَمُ معناهُ إلاّ هو ، فاخترتُ الابتداء بـه لهذه البركة قبل الخوض في كلام الناس ، والثانية أنها اذا كانت في أول الكتاب كانت أقربَ الى كلِّ مطالعٍ من آخره لأنّ العادة أنْ يطالعَ أوّلُ الكتاب ليكشف منه ترتيبه وغرض مصنفه ، وقد لا يتهيأ للمطالع ان يكشف آخرَهُ ، لأنّه ، إذا اطلع من خطبته أنه على ترتيب الصحاح أيسَ ان يكونَ في آخرِه شيٌ من ذلك فلهذا قدّمتُه في أوّل الكتاب » (١٩) .

ومن الامور التي نبّه عليها الاستاذ القيسي في بحثه عددُ المرات التي اعتمدَها ابنُ منظور في نقله من مصادره الخمسة حَسْبَ ما يراهُ مناسباً للسياق مع اختلاف صيغ النقل وتفاوت الاساليب بين النّصِ الكاملِ والنّصِ المختصر وبالنسبة للاسم صراحة أو الاشارةِ الى الكتابِ المنقول عنه .

فقد اوضح اعتماد ابن منظور كتاب حواشي الصحاح لابن بري ثلاثةَ آلافٍ واربعمائة واحدى عشرة مرةً (٢٠) .

علماً ان الأستاذ الفاضل الدكتور حسين نصار قال في معجمه :

« . . والحقُ أنّه كانَ قليلَ الظُّهورِ في اللسانِ » (٢١)

رُغْمَ أن تنبيهات ابن برّي تُعدُّ الكتاب الثاني في اللسان بعد المحكم لابن سيده من حيثُ كثرةُ الاعتمادِ ، ولو كان الاستشهاد فيها « لم يعطِ شيئاً ذا خطرٍ في التنظيم أو العلاج وانما التصحيح لصيغ الصحاح وتفسيراته وشواهده وامداده بغيض من هذه الشواهد . . . » كما يقول الدكتور نصار . (٢٢) .

---

(١٨) مقدمة اللسان ١ / ٩

(١٩) مقدمة اللسان ١ / ٩

(٢٠) منهج ابن منظور في لسان العرب ٧

(٢١) المعجم العربي ــ نشأته وتطوره ٢ / ٥٧٠

(٢٢) المعجم العربي ٢ / ٥٧٠ ــ (بتصرف)

كما نبّه الدكتور نوري القيسي على اعتماد ابن منظور النهاية في غريب الحديث لابن الاثير « تسعمائة وستاً وثمانين مرة . . » (٢٣)

في الوقت الذي اشار اليها د . نصار في معجمه بالقول :

« ولا يختلف حال النهاية عن حال تنبيه ابن بري ، فهي لم تعط ابنَ منظور إلاّ الاحاديثَ التي أدخلَها في موادِّه بشرحها ، أمّا غيرُ ذلك فلا » (٢٤).

وكلامُ الاستاذ نصار « فهي لم تُعطِ ابنَ منظور إلاّ الاحاديث . . . » وهل ما في النهايةِ إلاّ الاحاديث النبوية ، واستشهادُه بها هو ترصيعُ مادةِ المعجم بهذه الدرر المنثورة ، ودَعْمُ كلامِ العرب بالشواهد المأثورة وحسبنا هذا ، في حين انّ ابنَ منظور « لم يحذف من النهاية إلاّ ما حذفه من الصحاح والمحكم من استطرادات ، ولكنه زاد فيها أمراً آخرَ هو حذفُه اسماءَ المحدّثين أو اكثرَها . . . » (٢٥) .

وثمة أمرٌ آخر ملفتٌ للنظر هو اقتصارُ ابن منظورٍ في مراجعه على هذه الكتبِ الخمسةِ وهي التهذيبِ والمحكمِ والصحاحِ وحواشيه والنهاية واهمال غيرِها من المراجع العربية المهمة ، في الوقت الذي نعته في مقدمته باوصاف الاكتمال بأنّه :

« . . . عَظُمَ نَفْعُهُ بما اشتمل من العلوم عليه ، وغَنِيَ بما فيه من غيره وافتقر غَيْرُهُ اليه ، وجمع من اللغات والشواهد والأدلّة ، ما لم يجمع مثلُهُ مَثَلَهُ . . . فجمعتُ منها في هذا الكتاب ما تفرّق ، وقرنت ما غرّب منها وبين ما شرّق ، فانتظم شمل تلك الاصول كلِّها في هذا المجموع ، وصار هذا بمنزلة الاصل واولئك بمنزلة الفروع . . » (٢٦) .

وقد أطراه وشهد بحقّه العلماء الافذاذ كابن حجر العسقلاني بقوله :

---

(٢٣) منهج ابن منظور في لسان العرب ٨

(٢٤) المعجم العربي ٢ / ٥٧٠

(٢٥) المعجم العربي ٢ / ٥٦٨

(٢٦) مقدمة اللسان ١ / ٨

« . . وجمع في اللغة كتاباً سماه لسانَ العرب . . . جوَّدَهُ ما شاء ورتَّبَهُ ترتيبَ الصحاح . . . » (٢٧) .

وذكره السيوطي بقوله : « صاحب لسان العرب في اللغة . . . » (٢٨) .

ونعتوه بطول الباع واختصاره لكثير من كتب المطولة . . . وهو الذي روى عنه السبكي والذهبي وقال فيه « . . تفرد في العوالي . . » (٢٩) .

واثنى عليه محمد بن الطيب الفاسي محشي القاموس بقوله :

« . . هو عجيبٌ في نُقولِهِ وتهذيبِهِ وترتيبِهِ . . » (٣٠) .

ثم قال فيه ايضاً :

« فهو يُغني عن سائر كتب اللغة ، إذهي بجملتها لم تبلغ منها مـــا بَلَغَهُ . . » (٣١) .

ومع كلّ هذا أَهْمَلَ صاحِبُ اللسان كثيراً من المراجع أمثال العين للخليل والجمهرة (٣٢) لابن دريد والبارع للقالي والمقاييس لابن فارس والمحيط لابن عباد والعباب للصغاني وغيرها .

« . . فقد فاتَهُ كثيرٌ من الصيغ والمعاني والشواهد والنقود الذي ذكرتها هذه المعاجم ، فقد ضاع نقدُ ابنِ فارس في مقاييسه للخليل وابنِ دريدوغيرهما على الرغم من أَنَّه ذكرَ الالفاظَ التي نقدَها ابنُ فارس نقداً مرّاً وخاصـــةً الالفاظ اليمنية . وفاتَهُ من المقاييس تلك الاصول التي استنبطها من استقراء

---

(٢٧) الدرر الكامنة ١ / ٢٦٣ ومقدمة اللسان ١ / ٤

(٢٨) بغية الوعاة ٢ / ٢٤٨

(٢٩) بغية الوعاة ٢ / ٢٤٨

(٣٠) الجاسوس على القاموس ٧٩ ومقدمة طبعة اللسان للشدياق ١ / ٠٦

(٣١) مقدمة طبعة اللسان ١ / ٦

(٣٢) ذكر الامام ابن حجر العسقلاني ومحمد بن الطيب والسيوطي والزبيدي واحمد فارس واحمد رضا وحاجي خليفة وغيرهم اعتماد ابن منظور الجمهرة لابن دريد والصحيح خلاف ذلك كما ذكر ابن منظور في مقدمته .

الصيغ وأقام عليها المواد كما فاتَه مذهبُه في نحت الرباعي والخماسي الذي طبقه على كثير من هذه الالفاظ .

وفاتَه من العين والجمهرة كثيرٌ من الصيغ والمعاني التي أهملَها الازهري وقد أهمل في مادة واحدة سبعةَ شواهدٍ من العين وَحْدِهِ ، ولو كانَ رَجِعَ الى البارع لا نقذَ كثيراً مما فاتَه ، ولكنَّه لم يفعلْ . . . » مع العلم ان ابنَ سيده رَجعَ الى البارع ولم يأخُذْ منه كلَّ ما فيه ، فضاعَ على صاحب اللسان ما تركَهُ صاحبُ المحكم وكذا بعض موادِّ المحيطِ واساسِ البلاغةِ . (٣٣)

وكل ما ذكرناه لم يُنقصْ من مكانَتِهِ ولا يَحُطُّ من قَدْرِهِ ، فهو المعجُم الشاملُ الذي لايمكن الاستغناءُ عنه في أي حال من الاحوال لَفضله وسِعته .

لقد كان الدكتور القيسي موفقاً في تحليله لمجموعة المفردات المنقولة عن كتاب النهاية لابن الاثير والتهذيب للازهري ، ذاكراً طريقة ابن منظورٍ في أَخذِهِ ، واصفاً اسلوبَه في التصرف باضافةِ نقولِهِ الى ما يأخذه ، مبيناً تصحيحَه لما وقع في التهذيب من تصحيفٍ واهمالِ بعضِ المشتقاتِ التي ذكرها مع تصرفٍ في بعض موادِّهِ ، مُخْتَزِلاً لها احياناً ، ومع كلِّ هذا موضحاً ان منهجَه في ذلك خاضعٌ لاجتهادِهِ في النقل وغايتُه من ذلك كلِّهِ صيانةُ لُغةِ القرآن الكريم ومَنْعُ تَسَرُّبِ اللحنِ والدخيلِ اليها .

هذا وآخر دعوانا أَنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين

بغداد ١٨ / شباط /١٩٩٢

---

(٣٣) المعجم العربي ٢ / ٥٧٢ .

– المصادر –

- ارشاد الاريب (معجم الادباء) : لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) – دار احياء التراث العربي بيروت ١٩٣٦ م
- الاعلام : للزِرِكْلي (ت ١٩٧٦ م) – الطبعة الرابعة – دار العلم للملايين ١٩٧٩ .
- انباه الرواة على انباه النحاة : للقفطي (ت ٦٤٦ هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط الاولى مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٥٠ .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : للسيوطي (ت ٩١١ هـ) – مطبعة عيسى البابي الحلبي – مصر ١٩٦٤ .
- البلغة في تاريخ أئمة اللغة : للفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) – تحقيق محمد المصري دمشق ١٩٧٢ .
- تاج العروس من جواهر القاموس : للزبيدي(ت ١٢٠٥ هـ) – المطبعة الخيرية – مصر ١٣٠٦ هـ ومطبعة الكويت ١٩٦٥ .
- تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح) : للجوهري (ت ٣٩٣ هـ) – تحقيق أحمد عبدالغفور عطار – مصر ١٩٥٦ .
- تهذيب اللغة : للازهري (ت ٣٧٠) تحقيق احمد عبدالحليم البردوني. الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- جمهرة اللغة : لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) – طبعة مكتبة المثنى –بغداد مصورة حيدر آباد الدكن ١٣٤٥ هـ .
- الجاسوس على القاموس : لاحمد فارس (الشدياق) الجوائب – قسطنطينية طبع بمطبعة الجوائب ١٢٩٩ هـ .
- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة : للعسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) . القاهرة ١٩٦٦
- طبقات النحاة واللغويين : لابن قاضي شهبة (ت ٨٥١ هـ) تحقيق د . محسن غياض -- مطبعة النعمان بالنجف ١٩٧٤

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) منشورات مكتبة المثنى – بيروت .
- لسان العرب : لابن منظور (ت ٧١١ هـ) – دار صادر – بيروت ١٩٦٨
- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) – ط الثانية – بيروت ١٩٧١ .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال : للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) – دار المعرفة – بيروت ١٩٦٣ .
- معجم متن اللغة : احمد رضا (ت ١٩٥٣ م) – دار مكتبة لبنان – بيروت ١٩٥٨.
- المعجم العربي – نشأته وتطوره : د . حسين نصار – دار مصر للطباعة ط ثانية ١٩٦٨ .
- مقدمة طبعة لسان العرب : احمد فارس الشدياق – دار صادر – بيروت ١٩٦٨ .
- منهج ابن منظور في لسان العرب : د . نوري حمودي القيسي – مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٩٢ .
- نزهة الالباء في طبقات الادباء : لابن الانباري (ت ٥٧٧ هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم – مطبعة المدني – بالقاهرة ١٩٦٧ .
- النهاية في غريب الحديث والاثر : لابن الاثير (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي – القاهرة ١٩٦٣ / طبعة مصورة) .

تاج العروس من جواهر القاموس

الدكتور مهدي شلاش
الاستاذ بكلية التربية الاولى / جامعة بغداد

تميزت اللغة العربية بكثرة المعجمات التي توالت بعد كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة خمس وسبعين ومئة هجرية فقد عُرف الجيم لأبي عمرو الشيباني والجمهرة لابن دريد وديوان الأدب للفارابي والبارع للقالي والتهذيب للازهري والمحيط لابن عباد والمجمل والمقاييس لابن فارس والصحاح للجوهري والمحكم لابن سيده والأساس للزمخشري وحواشي الصحاح لابن بري والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ولسان العرب لابن منظور والمصباح للفيومي والقاموس المحيط للفيروز آبادي وتاج العروس لمرتضى الزبيدي ومعجمات الأفعال لابن القطاع وابن القوطية والسرقسطي وأبي جعفر اللبليّ ، وتبع ذلك مئات الشروح والمختصرات والمستدركات والحواشي على الكتب المذكورة آنفاً ، ولا ننسى المعجمات اللغوية الحديثة كالمنجد والبستان وأقرب الموارد ومحيط المحيط ومعجم متن اللغة والمعجم الكبير والمعجم الوسيط والمعجم الوجيز والرائد وغيرها .

إن كثرة المعجمات في اللغة العربية راجع إلى عدة أسباب ؛ منها محاولة استيعاب المادة اللغوية وحصر ما يتعلق بها ، ومنها اهتمام المعجميين بتخليص اللغة العربية مما علق بها من شوائب التصحيف والتحريف ، ومنها تنوّع مناهج التأليف المعجمي إذ سارت المعجمات من حيث انظمة تأليفها في طرق مختلفة معروفة هي : نظام المخارج الصوتية وتقليب الالفاظ ، والنظام الالفبائي المعروف في المعجمات الحديثة ، ونظام الباب والفصل .

وقد سار على كل نظام من هذه النظم عدة معجمات ، وسار على النظام الأخير الجوهري في الصحاح والصغاني في التكملة والعباب وابن منظور في لسان العرب والفيرز آبادي في القاموس المحيط ، والزّبيدي في تاج العروس .

والملاحظ ان تاج العروس هو آخر المعجمات التي اتبعت نظام الباب والفصل ، وان المسافة بينه وبين كتاب العين للخليل بن أحمد تجاوزت الألف سنة . فبِمَ تميز تاج العروس من المعجمات المؤلفة على نظامه ؟ وبم تميز من المعجمات الأخرى المؤلفة على النظم الأخرى ؟

قبل بيان ذلك نذكر على عجل ان مؤلف تاج العروس هو محمد مرتضى الحسيني النسب (١) الزَّبيديّ الشهرة (٢) العراقي الأصل (٣) المتوفى سنة خمس ومئتين بعد الالف ، العالم المجوِّل الذي جاب أرض الهند واليمن والشام والحجاز ومصر (٤) ، وتوفي على أرض مصر ودفن فيها بعد أن اخذ العلم على أكثر من ثلاث مئة شيخ (٥) ، وبعد أن ألّف في الحديث واللغة والتصوف والفقه وأصوله والعقائد والتفسير ورجال السّند والمشيخات والتراجم والأنساب والتربية والخط والجغرافية والأدب وغيرها نحـو مئة وثمانية وثلاثين مؤلفاً (٦) .

وقد ألفّ الزّبيدي كتابه تاج العروس في اربع عشرة سنة وشهرين إذ بدأ تأليفه في شـهر جُمادى الأولى من سنة اربع وسبعين ومئة والف وانتهى منه في شهر رجب من سنة ثمان وثمانين ومئة والف (٧) .
وقد كان هدف الزّبيدي من تأليفه شرح القاموس المحيط للفيروز آبادي الذي أعجب بـه لاشتماله على الفصيح من كلام العرب والغريـب من

---

(١) عجائب الآثار ٤ / ١٤٢ وفهرس الفهارس ١ / ٣٩
(٢) ابجد العلوم ٣ / ٢٢١ .
(٣) فهرس الفهارس ١ / ٣٩٨ .
(٤) الزبيدي في كتابه تاج العروس ٤٥ ـ ٦٤ .
(٥) فهرس الفهارس ١ / ٣٩٩ .
(٦) الزبيدي في كتابه تاج العروس ١٣٣ ـ ١٦٥ .
(٧) التاج طبعة مصر ١٠ / ٤٦٥ .

ألفاظهم مع ايجاز عبارته وغزارة معانيه واشتهاره عند القاصي والداني(٨) .

ويمكن أن يستخلص هدف آخر يُفهم من كلام المؤلف يقع ضمن الهدف الأول الذي هو شرح القاموس ، وهذا الهدف هو خدمة اللغة العربية ، فقد تدبّر الزَّبيدي فنون العلم التي هو قائم على خدمتها وتحصيلها فصادف ان أصلها الأعظم هو اللغة العربية ، ورأى ان هذه اللغة خليقة بالميل إلى الاعتناء بها والتعب في سبيل خدمتها (٩) .

تميّز تاج العروس من المعجمات الأخرى بغزارة مادته ، إذ لم يجتمع في معجم من معجمات اللغة ما اجتمع في التاج من المصادر الكثيرة ، فقد نقل المؤلف مادته من معجمات اللغة جميعها ومن كتب اللغة الأخرى وزاد مادة جديدة في فنون مختلفة من المصادر التي اطلع عليها في زمانه ، وأكثر مواد هذه المصادر لا يتعلق باللغة ، وانما يتصل بمظاهر الحياة الجديدة المتطورة . « فمادة التاج في مواكبتها للانتاج اللغوي تغطي في الواقع اثني عشر قرناً من عمر اللغة بعد قرون ما قبل الاسلام ، أى بما يزيد خمسة قرون على ما في معجم لسان العرب » (١٠) .

لقد نقل السيد مرتضى الزَّبيدي مادة التاج من مجموعة كبيرة من المصادر في مختلف العلوم والفنون ،وقد صرّح بقسم من هذه المصادر في مقدمة التاج إذ عدّ مئة وسبعة عشر مصدراً (١١) ، وأعقب ذلك بقوله : « وغير ذلك من الكتب والاجزاء في الفنون المختلفة مما يطول على الناظر استقصاؤها ويصعب على العادّ إحصاؤها » (١٢) .

وهذا يعني ان مصادره التي ذكرها في المقدمة هي غيض من فيض ولكنها على أية حال تمثّل مصادره الرئيسة التي كان عليها المعوّل في نقل اكثر مواد التاج .اما المصادر

---

(٨) التاج طبعة الكويت ١ / ٢ .

(٩) التاج طبعة الكويت ١ / ١ .

(١٠) دراسة احصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكومبيوتر تأليف د. علي حلمي موسى ود. عبدالصبور شاهين ص ٩

(١١) التاج طبعة الكويت ١ / ٥ ـ ٩ .

(١٢) التاج طبعة الكويت ١ / ٩ .

الأخرى فكان يرجع إليها بين حين وآخر . وقد اشار الى نقله من مصادره بقوله : «لكن على نقصان في بعضها نقصاً متفاوتاً بالنسبة الى القلة والكثرة» (١٣)

وقد أحصينا مصادره التي نقل منها فوجدناها قد جاوزت الخمسمئة ، وتمثل هذه المصادر الفنون الآتية :

١ ـ كتب اللغة : وتشمل المعجمات بنوعيها العامة والخاصة ، وتشمل المعجمات الخاصة كتب الغريب وكتب الاسماء والصفات .

٢ ـ كتب الأدب والامثال والبلاغة والنقد والعروض .

٣ ـ كتب الدراسات القرآنية ، وتشمل علوم القرآن والقراءات والتفسير .

٤ ـ كتب الحديث وتشمل المتون والمسانيد والاجزاء الحديثية والمسلسلات . وشروحها والفتاوى الحديثية وآداب المحدّثين ومصطلحات الحديث وعلله .

٥ ـ كتب الفقه واصوله .

٦ ـ كتب الطب .

٧ ـ كتب الجغرافية والبلدان والأنواء والرحلات

٨ ـ كتب العقائد وعلم الكلام .

٩ ـ كتب التاريخ وتشمل التاريخ العام وتاريخ البلدان والمدن والسيرة النّبوية والسير الشخصية وكتب التراجم التي تمثل تراجم الصحابة ورجال الحديث والقرّاء والحفّاظ والمفسّرين والادباء والشعراء واللغويين والنحاة والوزراء والاطباء والموالي ، ومعاجم الشيوخ .

١٠ كتب الأنساب . وغيرها من العلوم والفنون (١٤) .

وقد برزت شخصية الزّبيدي هنا بروزاً واضحاً فقد ظهر محققاً تهمُّه صحة المادة المنقولة في كتابه ، فهولا يكتفي بنسخة واحدة للمصدر الواحد من مصادره ، وانما يتتبع نسخه المخطوطة ويوازن بينها ويثبّت مادة صحيحة بعد البحث والمقابلة ، وهو يستخدم هذا الاسلوب كثيراً مع مصادره الرئيسة التي ينقل أكثر موادها ولا سيما معجمات اللغة . وقد بدأ عمله هذا بالقاموس

---

(١٣) التاج طبعة الكويت ١ / ١٠ .

(١٤) الزبيدي في كتاب تاج العروس ٢٧٧ ـ ٣٨٨ .

المحيط للفيروز آبادي قبل ان يبدأ الشرح فجمع أكثر من عشرين نسخة من نسخه المخطوطة المشهورة وقابل بينها وبين ما وقع فيها من تصحيف او تحريف وأخرج نسخة ملفّقة من هذه النسخ جعلها متناً لشرحه (١٥) .

وقد أدّى تعدد النّسخ بطبيعة الأمر إلى تعدد الروايات مما جعل المؤلف يقف عند كل رواية يفسّر ويخطّئ ويصحح ويوثّق ، فكان تعدد النّسخ ذا أثر واضح في اتّساع حجم التاج بسبب زيادة التفسير والتوضح والتوثيق (١٦)

وعثر الزبيدي على عدة نسخ من صحاح الجوهري (١٧) ، اشهرها النسخة التي نقل منها وهي بخط ياقوت وهي نسخة موثوق بها لأنها قوبلت على نسخة أبي زكريا التبريزي وأبي سهل الهروي (١٨) .

وأشار إلى نسخ الجمهرة لابن دريد(١٩) واصلاح المنطق لابن السكيت(٢٠) ، والمجمل لابن فارس (٢١) والتهذيب للازهري (٢٢) والعباب للصغاني(٢٣) والثقات لابن حبّان (٢٤) ومعجم البلدان لياقوت (٢١) وغريب المصنف لأبي عبيد (٢٦) ، والأساس للزمخشري (٢٧) وغيرها .

ولم يكتف بتعداد نسخ مصادره لتوثيق النصوص المنقولة وإنما أشار الى خطوط تلك المصادر والى أصحاب تلك الخطوط من العلماء المشهورين .

---

(١٥) الزبيدي في كتابه تاج العروس ٢٣٩ ــ ٢٤٠ .
(١٦) الزبيدي في كتابه تاج العروس ٢٣٩ ــ ٢٤٠ .
(١٧) المصدر نفسه ٢٤١ .
(١٨) التاج (نصب) و (هيب) و (بقط) .
(١٩) التاج (دفق) .
(٢٠) التاج (رقع) و (عدل) و (نوأ) و (عقر) .
(٢١) (خوع) و (وكف) .
(٢٢) التاج (چوف) و (افت) .
(٢٣) التاج (اشف) .
(٢٤) التاج (حبتر) .
(٢٥) التاج (عرض) .
(٢٦) التاج (كتن) .
(٢٧) التاج (دبس) .

والملاحظ ان الزّبيدي يرمي من الاشارة الى خطوط الكتب التي ينقل منها ما يرمي اليه المحققون في توثيق المنقول . فكتاب الصحاح بخط ياقوت (٢٨) وحواشيه وهوامشه بخـط التبريزي وأبي سـهل الهروي وابن القطاع الصقلي وعبد القادر البغدادي (٢٩) . والجمهرة بخط الارزني وأبي سهل الهروي (٣٠)

والتهذيب بخط الازهري (٣١) ، واصلاح المنطق لابن السكيت بخط ابن الجواليقي (٣٢) وكتاب المحكم بخط الأرموي (٣٣) ، وكتاب الضعفاء للذهبي بخطه (٣٤) ، وكتاب التكملة بخط الصغاني (٣٥) ، وتاريخ البخاري بخط ابن الجوّاني النسّابة (٣٦) ، والفائق في غريب الحديث بخط الزمخشري (٣٧) وشرح فصيح ثعلب بخط ابن السّيد البطليوسي (٣٨) ، وأمالي المرتضى بخط عبد القادر البغدادي (٣٩) ، ولسان العرب نسخة منقولة عن مسودة المصنف (٤٠) ، وتهذيب التهذيب للارموي وهي مسودة المصنف (٤١) وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر بخط سبطه يوسف بن شاهين (٤٢) وشرح ديوان الهذليين لابي سعيد السكري عليه خط ابن فارس (٤٣) ، وكتاب الامثال

---

(٢٨) التاج (نصب) و (هبب) .
(٢٩) التاج (هوب) و (كرب) و (نكب) و (شعشع) .
(٣٠) التاج (دفق) .
(٣١) التاج (حوف) و (أفت) .
(٣٢) التاج (غضض) .
(٣٣) التاج (خشي) و (ذوي) .
(٣٤) التاج (روح) و (دون) .
(٣٥) التاج (قدد) .
(٣٦) التاج (سيس) .
(٣٧) التاج (جهس) .
(٣٨) التاج (فقو) .
(٣٩) التاج (مني) .
(٤٠) التاج طبعة الكويت المقدمة ١/ ٥
(٤١) التاج طبعة الكويت المقدمة ١ / ٥ .
(٤٢) التاج طبعة الكويت المقدمة ١ / ٧ .
(٤٣) التاج طبعة الكويت المقدمة ١ / ٧ ومادة (نصر) .

لأبي عبيد بخط ابن الجواليقي (٤٤) والمقدمة الفاضلية بخط عبدالقادر النعيمي الدمشقي (٤٥) ، وكتاب الايضاح لما يستدرك للحافظ زين الدين العراقي بخطه (٤٦)، ومعجم الصحابة للحافظ تقي الدين بن فهد بخطه (٤٧) ، وكتاب أنساب الخيل لابن الكلبي نسخة قديمة مضبوطة تاريخها سنة ثلاث مئة وعشرة (٤٨)، وكتاب المقصور والممدود للقالي بخـط علي بن سعيد الانصاري ، وهي نسخة منقولة عن نسخة الامام اللغوي عمر بن محمد بن عُديس المنقولة عن نسخة ابن السـيد البطليوسي (٤٩) ، وجزء من عوالي حديث ابن شاهدالجيوشي بخط الحافظ رضوان العقبي (٥٠) .

والملاحظ على مصادر الزّبيدي في التاج ان هذه المصادر تختلف فيما بينها من حيث سعتها ومقدار مادتها واعداد أجزائها ، ففي الوقت الذي ينقل فيه من مصادر متعددة الأجزاء تراه ينقل من كراريس صغيرة جداً فهو يشير في المقدمة الى أن تأريخ دمشق لابن عساكر في خمسة وخمسين مجلداً (٥٠) وأن تهذيب الازهري في ستة عشر مجلداً(٥١) ولسان العرب لابن منظور في ثمانية وعشرين (٥٢) أو ثلاثين مجلداً (٥٣) ويشير الى انه ينقل من رسالة في معاني الكذب لأبي بكر ابن الانباري (٥٤) ورسالة المعرّب لابن كمال باشا (٥٥) ورسالة في الفرق بين الوعد والوعيد (٥٦)

---

(٤٤) التاج (عرض) .
(٤٥) التاج (موس) و (ربع) .
(٤٦) التاج طبعة الكويت المقدمة ١/ ٩٠ .
(٤٧) التاج طبعة الكويت ١ / ٨ .
(٤٨) التاج (علو) .
(٤٩) التاج (قلي) .
(٥٠) التاج (دلب) .
(٥٠أ) التاج طبعة الكويت ١/ ٨ .
(٥١) المصدر نفسه ١/٥ .
(٥٢) المصدر نفسه ١ / ٥ .
(٥٣) المصدر نفسه ١ / ٤٠ .
(٥٤) المصدر نفسه (كذب) .
(٥٥) المصدر نفسه (برد) .
(٥٦) المصدر نفسه (وعد) .

ولايكتفي الزبيدي بالكتب والرسائل بل يتعدّى ذلك إلى تتبع الحواشي والهوامش وطرر الكتب والاجازات والقصائد الشعرية لما فيها من تعليقات وزيادات وايضاحات(٥٧) . فهو يقول : « ورأيت في حاشية كتاب القاموس، (٥٨) ، و « رأيت في هامش لسان العرب مانصه »(٥٩) ،و « رأيت في طرة كتاب المعجم لابن فهد . . » (٦٠)

ولا يقتصر الزّبيدي على النقل من الكتب بل يتعداه إلى سماع قليل من شيوخه وأصحابه ومعاصريه ومن عامة الناس الذين التقاهم في أثناء حلّه وترحاله في اليمن ومصر خاصة .

فقد جاء في التاج في مادة (جفر) « وجُفير كزُبير قرية بالبحرين ذات بساتين ورياض ومنازه وقد ترافقت بجماعة من أهلها في سفري من اليمن إلى مكة وهم يسمونها الجَفيرة » .

وجاء ايضاً : « استأهله استوجبه لغة جيدة وانكار الجوهري باطل .. وسمعت أيضاً هكذا من فصحاء اعراب الصفراء يقول واحد للاخرأنت تستأهل يافلان الخير وكذا سمعت من فصحاء أهل اليمن » (٦١)

وجاء « والصيد : السمك يمانية وسمعتُه ممن أثق به من عرب اليمن »(٦٢) وجاء «وكندة والكسر . . . قلت وسمعت أهل عُمان والبحرين والكنديين يقولون كُندة بالضم » (٦٣) .

وسمع الزّبيدي من شيخه عبدالوهاب بن عبدالسلام الشاذلي شاهداً على (المُرّ) وهو دواء معروف له خواص أودعها الأطباء في كتبهم كما عبّر الزّبيدي ، والشاهد مَثَل هو « من أكلَ المُرّ ما رأى الضُرّ (٦٤) » .

---

(٥٧) الزبيدي في كتابه تاج العروس ٢٥٢ ــ ٢٥٣ .
(٥٨) التاج (تجب) .
(٥٩) التاج (شعب)
(٦٠) التاج (ثلب) .
(٦١) التاج (اهل) .
(٦٢) التاج (صيد) .
(٦٣) التاج (كند) .
(٦٤) التاج (مرر) .

وسمع من شيخه محمد البُليدي الحسني أن الأشهر المبدوءة بحرف الراء هي رجب ورمضان لا تذكر الا مضافاً اليها لفظة شهر كقولهم شهر رجب وشهر رمضان(٦٥) . وامثلة ذلك كثيرة (٦٦) .

ويمكن ان نعدّ الرؤية والمشاهدة مصدراً من مصادر كتابه وشمل هـذا المصدر ما حصل عليه المؤلف من ثقافات مختلفة عن طريق الرؤية الشخصية بالعين . وهذه الثقافات حصل عليها بتجواله في مواطن كثيرة من أرض العرب وأرض غيرهم ، فهو رجل جوّالة انتقل من الهند إلى اليمن ومن اليمن إلى الحجاز ومن الحجاز الى مصر ، ومن مصر الى بلاد الشام ، وهذا يعني أنه اطّلع على كثير من المعالم الحضارية لتلك البلدان ، واطلع على طبيعة حياة أهلها وعلى مأكلهم ومشربهم ومصنوعاتهم ومحصولاتهم الزراعية فصوّر ذلك وضبط كثيراً من الالفاظ التي تمثل مختلف انماط حياتهم بعد مشاهدتها اولاً وسماعها أو نقلها ثانياً ، فهو يجمع بين رؤية الشيء وسماعه ، وقد يجمع بين الرؤية والنقل أحياناً ، وقد يجمع بين الثلاثة . وهدفه في كل ذلك توثيق المنقول او المسموع او تصحيح ما يقع فيهما من أوهام .

والذي يقرأ التاج يجد أن الزّبيدي دخل عدداً كبيراً من البلدان والمواضع والمدن والقرى في أثناء تنقله من مكان الى مكان وراء المعرفة ، ففي اليمن زار كما ذكر في التاج خمساً وعشرين مدينة وقرية وفي الحجاز زار ست مدن وفي مصر زار اكثر من مئتين وأربعين مدينة وقرية وفي الشام زار اكثر من عشر مدن وقرى(٦٧) ، وفي اثناء ذلك عرف اسم المدينة أو القرية وضبط الاسم كما سمعه من أهله .

ونحن نعلم ان مظاهر الحياة الحضارية لا تقف عند حد معين فهي متطورة دائماً ، والتطور المستمر قد يغيّر اسماء المدن والقرى من زمن الى آخر ، وقد تظهر مدن جديدة لم تكن معروفة لدى الانسال السابقة ، لذا أمكن ان تكون المعلومات التي سجلها المؤلف عن المدن والقرى والمواضع التي شاهدها معلومات

---

(٦٥) التاج (رمض) .
(٦٦) انظر الزبيدي في كتابه تاج العروس ٢٠٨ ـ ٢٢٦ .
(٦٧) الزبيدي في كتابه تاج العروس ٤٧ ـ ٦٤ .

جديدة تخدم المؤرخين والجغرافيين الذين أتوا بعده وأمثلة ذلك كثيرة في التاج(٦٨) ومن ذلك قوله: « والمحلة بمصر وهي محلة دقلا وتعرف بالكبيرة وهي قاعدة الغربية الآن مدينة كبيرة ذات أسواق وحمامات دخلتُها مراراً (٦٩) » و « رشيد » قرية قرب الاسكندرية . . . وقد دخلتُها وهي مدينة معمورة حسنة العمارة على بحر النيل (٧٠) » .

وقد سجّل المؤلف شيئاً من مشاهداته المتعلقة بالنباتات والحيوانات التي راها في أثناء تنقله ، فهو يعقب على قول صاحب القاموس : « الأنَبُ محرّكة الباذنجان » بقوله « وهو ثمر شجر باليمن كبير يحمل كالباذنجان يبدو صغيراً ثم يكبر حلو ممزوج بالحموضة ، والعامة يسكّنون النون وبعضهم يقلب الهمزة عيناً (٧١) » . ونقل عن صاحب القاموس : « الفَرفُر كهُدهُد وزِبرِج طائر وعقّب على ذلك بقوله : قلت وقد رأيت الفُرفُر بمصر وهو أصغر من الأوز (٧٢) » .

لقد قلنا ان الزبيدي اتسعت مصادره فشملت كتباً في مختلف العلوم والفنون ، ولذلك اتسعت مادة التاج اتساعاً كبيراً قياسا بالمعجمات المتقدمة إذ اشتمل التاج على مائة وعشرين الف مادة(٧٣) في حين ان صحاح الجوهري اشتمل على اربعين الف مادة وان القاموس المحيط اشتمل على ستين الف مادة وان لسان العرب لابن منظور اشتمل على ثمانين ألف مادة(٧٤) ، وهذا يعني ان الزبيدي زاد أربعين الف مادة على ابن منظور أي نصف مادته التي ذكرها في اللسان .

وقد اتخذ الزبيّدي لنفسه في التاج منهجاً اهم ظواهره ؛ الاستشهاد والنقد والتحقيق والاختصار والاستقصاء وعزو الاقوال إلى قائليها والتوضيح والتكميل والتنبيهات والضبط والتقييد .

---

(٦٨) المصدر نفسه ٢٢٧ — ٢٣٣ .
(٦٩) التاج (حلل)
(٧٠) التاج (رشد) .
(٧١) التاج (انب) .
(٧٢) التاج (فرر) .
(٧٣) مقدمة صحاح الجوهري لاحمد عبد الغفور عطار ٢٠ و ١٧٣ .
(٧٤) التاج طبعة الكويت ١/ ٧٣ .

ويمكن حصر شواهده بالشواهد الشعرية والنثرية وتشمل الشواهد النثرية الآيات القرآنية والحديث النبوي وأقوال الفصحاء والامثال والشواهد المصنوعة .

وقد تبع الاستشهاد امور أجراها الزَّبيدي على شواهده ففي الشواهد الشعرية اهتم بنسبة الأبيات وذكر عصر الشاعر والاشارة إلى اختلاف الروايات وتكملة الشواهد وبيان مواطن وجودها في المظانّ المختلفة وذكر مناسباتها وشرحها . وفي الشواهد القرآنية اهتم بتفسير الآيات وبيان اسباب النزول ، ونسبة القراءات القرآنية الى اصحابها ، وفي الحديث النبوي اهتم ببيان اختلاف روايته واهتم بشرحه وذكر مناسبته وتكملته ، ويمكن ان يقال مثل ذلك في شواهده الأخرى .

وقد قلنا ان الزبيدي نقل مادته اللغوية والعلمية من مصادر كثيرة في مقدمتها معجمات اللغة ، ولما كان هدفه تنقية اللغة وتمييز خطئها من صوابها وضع نفسه رقيباً على أقوال اللغويين يمحّصها ويقابل بين مادة هذا ومادة ذاك . ولما كان التاج شرحاً للقاموس كان اكثرُ رقابته موجهاً للقاموس وكان اكثر نقده موجهاً لصاحب القاموس . وقد وجدنا نقده الموجه للقاموس على نوعين : نوع يختص بالمنهج ونوع يعرض فيه لأوهام صاحب القاموس العلمية وفي النوع المختص بالمنهج عرض الزّبيدي اولاً للمنهج الذي حدده صاحب القاموس وأخلّ به ، وعرض ثانياً لمسائل منهجية عامة قصّر فيها صاحب القاموس منها : سوء التعبير وسوء الضبط ووضع الالفاظ في غير مواضعها واغفاله كثيراً من المواد وكثيراً من التفسير (٧٥) .

اما نقده العلمي فقد شمل : التصحيف والتحريف والأخطاء النحوية والصرفية واللغوية والتاريخية والجغرافية وغيرها (٧٦)

وفي التحقيق عرض الزّبيدي للغة وعرض لاشهر مصادرها وحصل على عدة نسخ من كل مصدر وقابل النصوص اللغوية بعضها على بعض وأشار إلى اختلاف الروايات في المادة وتفسيرها ، ومّيزَ الصحيح من الخطأ والمصحف

---

(٧٥) الزبيدي في كتابه تاج العروس ٤٧٤ ــ ٤٩٥ .

(٧٦) المصدر نفسه ٤٩٥ ــ ١٤ .

من غيره ، واستطاع ان يتعرّف أصول كثير من الالفاظ فتميّز عنده الصحيح من المعتل والمجرّد من الزائد واستطاع ان يضع كل لفظة في مكانها الذي يجب ان توضع فيه .

ولم يكتف بذلك وانما انتقل إلى الشواهد المختلفة لأنّه رأى أن التحقيق يجب ان يشملها إذ لا قيمة للمادة اللغوية من غير التفتيش عما يقوّمها ويقويها فالتفت إلى الشاهد الشعري واهتم بنسبته وبيان الاختلاف في نسبته وروايته وعرض للشاهد القرآني فبين القراءات المختلفة واهتم بنسبتها إلى اصحابها ، وعمل مثل ذلك في الشاهد الحديثي فبيّن اختلاف روايته وبيّن مناسبته .

ولما كانت مصادره كثيرة تنوعت موضوعاتها تنوعاً كبيراً ولم تبق المادة اللغوية وحدها هي الواقعة في مجال اهتمامه وانما تعدى ذلك إلى الاهتمام بالاعلام وبخاصة أعلام الصحابة والمحدّثين والفقهاء واهتم بالمدن والمواضع والقُرى والأدواء والأدوية ، وهو في كل ذلك يعرض مادته المنقولة على بساط البحث والمقابلة فيصوّب ويُخطّئ اعتماداً على ما يراه مُجْمعاً على تخطئته أو تصويبه ، وقد يعتمد في قسم من ذلك على معرفته وسماعه ومشاهداته .

وقد استخدم وسائل لتحقيق ذلك أهمّها التنقيب في المصادر والاستشهاد والتوثيق بالقرائن والقياس .

والمقام يقضي بذكر أمثلة لتحقيقه لكي يتبين القارىء مقدار اهتمام الزّبيدي ، فقد نقل عن القاموس المحيط : « الفُدس بالضمّ العنكبوت الجمع فدَسة كقردة وفلان الفَدَسي محركة لايعرف إلى ماذا نسب » قال الزّبيدي هكذا في سائر نسخ القاموس وهو غلط نشأ عن تصحيف وقع فيه الصاغاني فانه ينقل عن الأزهـري : رأيتُ بالخلصـاء رجلاً يعرف بالفَدَسي يعني بالتحريك ـ قال : ولا ادري إلى أي شيء نسب ، فجاء المصنف وقلّده وغيّر رجلاً بفلان الفَدَسي ، ولم يراجع الأصول الصحيحة ، وصوابه على مافي التهذيب ومن نصّه نقلت : رأيتُ بالخلصاء دحلاً يعرف بالفدسي ، قال : ولا أدري إلى أي شيء ينسب . هذا نصُّه بالدال والحاء ولم يعيّن فيه ضبطه بالتحريك وانما أتى به الصاغاني من عنده ، ولو كان أصله الذي نقل منه صحيحاً لم يغيّر دحلاً برجل فكذلك لم نثق بضبطه في هذا الحرف

يقول لعل - هذا الدحل كان كثير العناكب مهجوراً لا ترد عليه الرعاة
إلا قليلاً فسمي بالفدسي امّا بالضّم نسبة الى المفرد او الفدسي بكسر ففتح نسبة
إلى الجمع وعجيب توقف الازهري وكأنه لم يتأمّل أو لم يثبت عنده ما يطمئن
إليه قلبه فتأمّل وأنصف » (٧٧) .

ونقل عن القاموس في مادة (عسجر) بالجيم : « العيسجور الناقة الصلبة
والسريعة » ونقل عنه في مادة (عسحر) بالحاء « عسحر نظر نظراً شديداً »
وعقب الزّبيدي على المادة الثانية بقوله : « هكذا بالمداد الأحمر في سائر النسخ
هو بالحاء بعد السين والصواب انه بالجيم ومثله في اللسان والتكملة للصاغاني
فلا أدري بأي وجه ميّز بين المادتين وفرّقهما وهما واحد ، ففي التهذيب لابن
القطاع : عسجر الرجل : نظر نظراً شديداً وايضاً أسرع ، ومنه اشتقاق ناقة
عيسجور انتهى . قلت : فارتفع الاشكال والحق أحقّ بأن يُتّبع » (٧٨) .

وقد نقل الزّبيدي مادة كتابه من أكثر من خمسمئة مصدر في مختلف علوم الانسانية ، ولا يمكن ان يصّب المؤلف مادة هذه الكتب برمّتها في التاج ، إذ لا بُدّ من الاختصار حتى يستطيع استيعاب خلاصة ما في هذه الكتب (٧٩)

وقد استطاع — بسبب كثرة مصادره — ان يستقصي الألفاظ ويستقصي المعاني ويستقصي ما يدور في ذلك من لغات وشواهد وتفسيرات مختلفة وقراءات واشتقاقات . ولم يكتف بذلك بل أحسّ ان القارئ قد يحتاج إلى تبيان مازاد الزّبيدي على مادة القاموس وما استمدّه من المصادر المختلفة ببحثه واستقصائه لذا اتخذ اسلوب الاحصاء منهجاً مكمّلاً للاستقصاء فكان يذكر المعاني واللغات والاشتقاقات ويتبعها أحياناً بذكر أعدادها مشيراً إلى ما جاء في القاموس وما زاد الزّبيدي عليه . فبعد ان أورد معاني الكريم في التاج قال : « فهذه نيّف وثلاثون قولاً في معنى الكريم ولم أره مجموعاً في كتاب (٨٠)

---

(٧٧) التاج (قدس) .
(٧٨) التاج (عسحر) . وانظر امثلة اخرى لتحقيقه في كتاب الزبيدي في كتابه تاج العروس ٥٣٠ — ٥٤١
(٧٩) انظر الزبيدي في كتابه تاج العروس ٥٤٢ — ٥٤٦ .
(٨٠) التاج (كرم) .

وبعد ان نقل عن الفيروز آبادي جموع لفظة « عبد » عقب عليها بقوله فغاية ماذكره المصنف من جموع العبد خمسة عشر جمعاً » ثم أورد ما زاده ابن القطاع في هذا اللفظ وعقب على ذلك بقوله : فهذه عشرة أوجه فصار المجموع خمسة وعشرين وجهاً » (٨١)

وذكر صاحب القاموس ان لـ (أفّ) أربعين وجهاً ، فنقل الزَّبيدي هذه الأوجه وزاد عليها لغات أخرى فقال « فهذه أربعة وأربعون وجهاً حسبما بيّناه وأعلمنا عليه . وعلى الاحتمال الذي ذكرناه يكون سبعة وأربعين وجهاً فقول المصنف اولا ولغاتها أربعون محل نظر ا يتأمل فيه ، وقد فاته من لغاتها أفه محركة وأفُوه بفتح فضم فسكون الواو والهاء وأفَه بفتح فتشديد الأخير نقله ابن برّي عن ابن القطاع فاذا جمعناها مع ما قبلها من الأوجه يتحصل لنا خمسون وجهاً . . (٨٢) »

ويستفاد من هذا النص ان الزَّبيدي لم يكن يكتفي بذكر الرقم الأخير لما يستوفيه ويحصيه وانما كان يضع الارقام أمام الالفاظ التي يذكرها فقوله « فهذه أربعة وأربعون وجهاً حسبما بيّناه وأعلمنا عليه » تعنى أنه رقّم الألفاظ وقد نبّه على ذلك ناشرو الطبعة الكاملة في المطبعة الخيرية ، واعتذروا عن عدم الترقيم كما رقّم الزَّبيدي في نسخته . (٨٣) .

وقد ألزم الزبيدي نفسه بارجاع مادة القاموس إلى المصادر التي نقل منها ولم يقصد بعمله هذا مجرد النسبة وانما كان يذهب إلى أبعد من ذلك فقد كان يريد تحقيق نصوص القاموس وبيان خطئها من صوابها ، ولم يكن يستطيع دلك إلا بعد إرجاع مادة القاموس إلى مصادرها والموازنة بين الأصول الفروع .

فقد نقل من القاموس : « الأبهر الظهر وعرق فيه ووريد العنق » وعقّب عليه بقوله : « قلت : وهو قول أبي عبيد وتمامه فاذا انقطع لم تكن معه حياة » (٨٤)

---

(٨١) التاج (عبد) .
(٨٢) التاج (أفف) .
(٨٣) المصدر نفسه .
(٨٤) التاج (بهر) .

ونقل عن القاموس في أحكام (إذ) « وللمفاجأة وهي الواقعة بعد بينا وبينما وهل هو ظرف زمان أو مكان أو حرف بمعنى المفاجأة أو حرف مؤكد أي زائد أقوال » . ونسب الزّبيدي كل قول من هذه الاقوال إلى صاحبه فهي ظرف زمان برأي المبرد وظرف مكان برأي الزجاج واختاره أبو حيان ، وللمفاجأة برأي ابن بَرّي واختاره ابن مالك . وهي حرف مؤكد أي زائد برأي ابن يعيش ومال إليه الرضي » (٨٥) .

ومما يؤكد أن الزبيدي لم يكن ينسب الاقوال إلى أصحابها إلا من أجل تحقيق نصوص القاموس ما عقّب به على قول الفيروز آبادي « واللّدة وقت الولادة كالمولد والميلاد » فقد قال الزّبيدي : « اما المولد والميلاد فقد ذكرهما غير واحد من ائمة اللغة واما اللّدة بمعناها فلا يكاد يوجد في الدواوين ولانقله أحد غير المصنف فينبغي التحري والمراجعة حتى يظهر من أين مأخذه » (٨٦)

وقد تكون النصوص التي ينقلها الزّبيدي من مصادره المختلفة واضحة فيوردها على ماهي عليه من غير تعليق او تعقيب ، وقد يعتورها شيء من الغموض فيضطر الزبيدي إلى توضيحه وبيان علته او توجيهه أو إكمال النص بما يكمل معناه .

وقد تنوّعت التوضيحات بتنوع المقاصد التي كان الزّبيدي يهدف إليها فقد ينقل لفظاً أعجمياً فيشير إلى معرّبه ، وقد يجد تلميحاً إلى بيت من الشعر فيورد البيت كاملاً ، وقد يقع على تلميح إلى شاعر فيذكر اسمه الكامل ، وقد يجد إشارة إلى كتاب فيورد اسمه تاماً ، وقد يقع على عَلَم لشخص فيشير إلى هُويّته أو صفته أو لقبه ، وقد يقع على قرية أو مدينة فيشير إلى الموقع أو طبيعة الأرض او الأحداث التي وقعت فيهما (٨٧) .

وقد نبّه الزّبيدي على مسائل كثيرة يقتضيها العمل المعجمي منها التنبيه على المهمل والمستعمل من الالفاظ ، ومنها التنبيه على مواضع الانفاظ في

---

(٨٥) التاج : (اذذ) .

(٨٦) التاج (ولد) .

(٨٧) انظر الزبيدي في كتابه تاج العروس ٥٥٣ ـ ٥٧ فقد نقلت شواهد كثيرة لذلك .

التاج وفي المعجمات الأخرى ، ومنها التنبيه على زيادات القاموس على صحاح الجوهري ، ومنها التنبيه على الكتب المؤلفة في قسم من مواد الكتاب ، وفي قسم من الموضوعات التي عرض لها المؤلف في أثناء شرحه للمواد وكأنه كان يقصد من ذلك حشو كتابه بكل ما يعتقد الفائدة فيه (٨٨) .

وقد ضبط الزبيدي معجمه بالكتابة وكأنّه كان يحذر ان يقع فيما وقع فيه غيره من التصحيف والتحريف بسبب الاعتماد على الضبط بالحركات . ويمكن حصر أساليب الضبط عنده بما يأتي : الضبط ببيان نوع الحرف ، والضبط بالاشارة إلى نوع الحركة ، والضبط بالاوزان ، والضبط ببيان نوع الصيغة والضبط بالاشارة إلى نوع البناء وقد يقيّد بعض الفاظه بالرسم . فهو يقول « والجاديّ بالجيم والدال (٨٩) ، و « اللُّسُن بضمتين جمع لسان » (٩٠) « ويقال امرأة شَحوب على فعول (٩١) » « واللُغَى جمع لغة كبُرة وبُرى (٩٢) » و « المقْرضِب على صيغة اسم الفاعل : الذي لا يدع شيئاً الا أكله » (٩٣) « وضنأت المرأة كسمع وجمع . . كثر أولادها كأضنأت رباعياً » (٩٤) « والثِقاف من أشكال الرمل . . فرد وزوجان وفرد هكذا صورته (٩٥) ورسم الزبيدي صورته . وشواهد ضبطه كثيرة » (٩٦) .

ان تاج العروس اكبر معجم عربي جمع بين اللغة والمعارف العامة ، فهو مَصَبٌ لكتب النحو والصرف واللغة والعروض والتاريخ والانساب والتراجم والأدب ودواوين الشعر وكتب الحديث وعلوم القرآن والفقه وأصوله والتصوف والعقائد والطب والجغرافية والبلدان والانواء وغيرها .

---

(٨٨) انظر الزبيدي في كتابه تاج العروس ٥٥٨ ــ ٥٦٥ .
(٨٩) التاج طبعة الكويت ١ / ٥١ .
(٩٠) التاج طبعة الكويت ١ / ٥٠ .
(٩١) التاج (شحب) .
(٩٢) التاج طبعة الكويت ١ / ٤٩ .
(٩٣) التاج (قرضب) .
(٩٤) التاج (ضنا) .
(٩٥) التاج (ثقف) .
(٩٦) انظر الزبيدي في كتابه تاج العروس ٥٦٦ ــ ٥٧١ .

وقد عرض الزبيدي في كتابه لموضوعات يمكن إجمالها بما يأتي : الموضوعات النحوية والصرفية والموضوعات اللغوية والموضوعات التاريخية والجغرافية والمعارف العامة الأخرى .

وقد عرض لكثير من المسائل النحوية والصرفية التي فرض وجودها ما عرض له الفيروز آبادي في القاموس . وقد عقّب الزبيدي على ما ينقله بتعقيبات نقلها من أئمة النحو والصرف المشهورين ، وكان قسم منها جزءاً من ثقافته النحوية والصرفية .

ونبّه الزبيدي القارئ على كثير من المصطلحات التي طرأت على اللغة فكانت عوامل لنمائها ، ونبّه القارئ أيضاً على الجهود التي بُذلت من أجل هذه اللغة فميزت له الفصيح والنادر والشاذ وأرّخت له هذه اللغة في عصورها التي سبقت نزول القرآن وصورت الخلاف اللغوي بين القبائل . وقد صوّر التطور اللغوي الذي طرأ على العربية بعد الفتح العربي لكثير من بقاع الأرض فظهر المعرّب الذي قبلته اللغة العربية لأنها ادخلته في حدود أقيستها المشهورة ، وظهر المولّد والعامي اللذان يُسجّلان ولا يقاس عليهما ، أما اشهر الموضوعات اللغوية التي نبّه عليها الزبيدي في التاج فهي : الأبدال والترادف والقلب والمجاز والدخيل والمعرّب والفصيح والصحيح والمشهور والمسترذل والنوادر والأصول ولغات العرب

وعرض الزبيدي لاعلام الرجال والنساء وعرض لصفاتهم وصناعاتهم فذكر الرسل والانبياء والصحابة والتابعين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين والحفاظ والزهاد والخطباء والشعراء والرجّاز والفلاسفة والمؤرخين والنحاة واللغويين والقرّاء والخلفاء والملوك والوزراء والامراء والقواد والفرسان والقضاة والشيوخ والأطباء والأولياء الصالحين والمتصوفين والموالي واللصوص والمعمرين وعلماء الانساب والتجار والكتاب والرؤساء والوراقين والمؤدبين وأئمة المساجد والمدرسين والندمان والنساخ والفلكيين والمغنين ونحوهم

وأشار إلى أعلام النساء فذكر الصحابيات والتابعيات والمحدثات والشاعرات والمرضعات والجواري .

والزبيدي لا يكتفي بالاشارة وانما يتناول ذلك بما يناسب المقام فيذكر

العَلَم أحيانا متبوعاً بنبذة قصيرة تعيّن شهرته أولقبه أو كنيته أو سبب تسميته وقد يذكر له ترجمة يختلف طولها عن طول غيرها باختلاف الاعلام وشهرتهم فيذكر اسم العَلَم ونسبه وتاريخ ولادته ووفاته ومصنفاته وشيوخه وأثره في تاريخ أمته ولا ينسى ان يقوّم أعلامه فيذكر من المحدّثين مثلاً من كان ثقة أو صدوقاً او مقبولا أو ضعيفاً أو مشهوراً .

واهتمام الزّبيدي باعلام الرجال واعلام النساء لا يعني إهماله لاعلام الحيوان والجماد ، فقد ذكر في التاج أعلام خيول العرب واعلام سيوفهم إذ كان الحصان والسيف رفيقي الفارس العربي في حروبه .

وعَرَض الزّبيدي لاسماء البلدان والمدن والقرى والمواضع والنواحي والمحلات والخطط والجزر والوديان والجبال والتلال والبقاع والقلاع والحصون والمياه والآبار والأديرة والمخاليف والشُعب والكُور . ومراجعه في ذلك معجمات اللغة وكتب البلـدان المشهورة كمعجم البلدان لياقوت ومختصره المراصد ومعجم ما استعجم للبكري وغيرها .

وهو لا يكتفي بذكر اسماء المدن والقرى والمواضع وانما يذكر أحياناً معلومات مفيدة عنها فينبه على مواضعها وعلى من نسب اليها ولا ينسى ان يذكر شيئاً من مظاهر الحضارة فيها فيذكر مزروعاتها ومصنوعاتها وعمرانها والملامح الثقافية والاجتماعية فيها .

وتحدث الزبيدي عن الأدواء والادوية التي كان قسم منها من مبتكرات العقلية العربية الاسلامية التي أغنت الطب في العالم مُدة فقدمت للانسانية الفكر المبدع والتجارب العلمية لأشهر الأطباء العرب المسلمين الذين أكتشفوا كثيراً من الأمراض وقدموا للانسانية مختلف الأدوية المجرّبة .

وقد ألف علماء العربية في النبات فبينوا أنواعه ومواضع زراعته وظروفها وفوائده ومن أشهر الكتب في هذا الباب كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري الذي يعدّ الدراسة الميدانية الكبيرة للزراعة والنبات الطبيعي عند العرب ، يزاد على ذلك قيمته الطبيّة لأن مؤلفه عرض لكثير من أساليب المعالجة به . وقد ألّف علماء العربية في الحيوان وانواعه المعروفة عند العرب وعند غيرهم من

الأمم ووصفوا الحيوانات وبيّنوا فوائدها وأضرارها وطرائق معيشتها بصورة مفصلة ، وخير شاهد على ذلك كتاب الحيوان للدميري . وقد نقل الزبيدي مادة هذه الكتب ونقل موادّ أخرى في الحيوان والنبات من مصادر أخرى .

وذكر الزّبيدي أموراً تتعلق بالفلك فذكر النجوم وأسماءها وعرض للتغييرات التي تجري في الطبيعة فذكر الرياح وأنواعها .

وتحدث عن كثير من الأحداث التاريخية المشهورة ، فذكر أيام العرب وأشار إلى القبائل العربية ، وذكر انسابها وفصّل الحديث في بطونها واحيائها وتحدث عن الفرق والطوائف السياسية والمذهبية .

وذكر الزبيدي شيئاً عن العروض والقوافي فذكر الأبحر الشعرية المعروفة وذكر الزحافات والعلل وأشار آلى القافية وعيوبها . والحق يقال إن المـادة العروضية في التاج مادة واسعة لأن الزبيدي جمعها من كتب العروض ومعجمات اللغة فاستوفى ذلك وأصبح كتابه مرجعاً وأصبحت المراجع فروعاً .

وعرض الزبيدي لعلوم القرآن والقراءات والحديث النبوي وما يتعلق به من دراسة أحوال الرجال والجرح والتعديل ، وعرض لكثير من مسائل الفقه وأشار إلى التصوف وطرقه وإلى علم العقائد وموضوعاته والى علم الكلام ومسائله ، ولم ينسَ الأدب وتاريخه ونقده (٩٧) .

بعد هذه الجولة في معجم تاج العروس نستطيع ان نقول إن تاج العروس اكبر المعجمات إذ بلغت الكتب التي نقل فيها عدة مئات في مختلف علوم الأنسانية . وبهذا العدد من المصادر أصبح من أكبر الموسوعات اللغوية والعلمية التي عرفتها العربية . ونستطيع ان نقول ايضاً ان تاج العروس أصحّ المعجمات العربية وأدقّها بسبب الوسائل التي اتبعها الزبيدي في تحقيق ألفاظ اللغة وتوثيقها . ونستطيع ان نقول ان تاج العروس يمكن ان يكون نواة جيدة للمعجم العربي التاريخي الذي يضم كل ما نطق به العرب وحفظته كتب اللغة وعلوم العربية وفنونها الأخرى .

---

(٩٧) انظر الزبيدي في كتابه تاج العروس ٥٧٢ ـ ٦٢١ الفصل الثالث الخاص بموضوعات الكتاب .

المـراجـع

١ ــ أبجد العلوم : لصديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري. المطبعة الصديقية في بلدة بهوبال المحمية سنة ١٢٩٥ هـ .

٢ ــ تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيـدي ــ طبعة المطبعة الخيرية ١٣٠٦ هـ ، وطبعة الكويت ٢٦ جزءاً .

٣ ــ دراسة احصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكومبيوتر. عبدالصبور شاهين ، وعلي حلمي موسى . مطبوعات جامعة الكويت.

٤ ــ الزبيدي في كتابه تاج العروس ، للدكتور هاشم طه شلاش ، دار الكتاب العربي بغداد ١٩٨١ .

٥ ــ الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية لاسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، مطابع دار الكتاب العربي مصر ١٩٥٦م.

٦ ــ عجائب الآثار في التراجم والاخبار لعبد الرحمن الجبرتي ، تحقيق وشرح حسن محمد جوهر وجماعة من الاساتذة مطبعة لجنة البيان العربي ط ١٩٥٨ م .

٧ ــ فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات ، لعبدالحي الكتاني الفاسي ــ المطبعة الجديدة بالطالعة ١٩٤٦ م .

تعقيب على البحث الموسوم بـ (تاج العروس في جواهر القاموس) تاليف الدكتور هاشم طه شلاش

للدكتور عبد المنعم احمد صالح

لقد كان التفكير في التأليف المعجمي العربي عملا عظيما وكثيرا ولا غرابة ان يكون نصيب السبق في ذلك للخليل بن احمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥ ، حينما ابتدأ العمل المعجمي العربي للمعجم المعروف باسم (العين) .

فتمكن بطريقة رياضية حسابية من أن يعرض المواد اللغوية العربية لأول مرة في تاريخها ، المستعمل منها والمهمل ، فأستوعبها وحصرها وضبطها، وحفظها لنا فحصنها مما قد يدخلها من التصحيف والتحريف وما قد يلتبس بها من غير الفصيح وغير ذلك .

وكان معجم الخليل نواة لكل المعجمات اللغوية التي ألفت بعيدة عن اختلاف مناهجا وأزمانها . ومنها كتاب (تاج العروس في جواهر القاموس). موضوع بحث الاستاذ الدكتور هاشم طه شلاش الذي سبق ان استمعتم اليه.

لقد كان لتاج العروس أهمية بالغة بين معجمات العربية على الرغم من تأخر مؤلفه في الزمان عمن سبقه من مؤلفي المعجمات البارزين .

فقد كان هذا الكتاب غزيرا في مادته اللغوية التي زاد عددها على عشرين ومائة الف مادة جمعها من اكثر من خمسمائة مصدر في التخصصات المختلفة ، اللغوية والادبية والقرآنية وعلوم الحديث والفقه والانساب وغيرها .

ومما زاد من أهمية هذا الكتاب وضوح شخصية مؤلفه محققا ثبتا ضابطا للمواد التي عرضها ، فتأكد من ضبطها وصحتها ، بعد مقابلة ماتوفر له من نسخ المخطوطات التي اتخذها مصدرا لكتابه ، فضلا عن اللمسات

المضافة من مشاهداته الشخصية وحصيلته الثقافية في العلوم المختلفة .

ولعل هذه الاهمية هي التي دعت الاستاذ الباحث الى تقديم دراسته في هذا الموضوع .

لقد عالج الاستاذ الباحث الموضوع معالجة علمية دقيقة ، غاص منها في اعماق التاج فتلمس جواهره وخواصه ، خلال مدة زمنية استطاع أن يخرج فيها اكثر من بحث واحد في هذا الموضوع . استعان بالدراسات السابقة في الموضوعات المشابهة واضاف اليها خبرته وتجربته الشخصية في كل مايمت الى الموضوع بصلة

لقد عرض الباحث اسباب التأليف في المعجمات واسباب كثرتها ، ثم مميزات كتاب (التاج) موضوع الدراسة ، فكشف عن وضوح شخصية مؤلفه الزبيدي ، وبروزه محققا يعنى بصحة المادة المنقولة من نسخ مصادره المختلفة التي توفرت بين يديه ، سواء أكان ذلك من متنها أم من الحواشي والتعليقات المثبتة عليها .

ذكر الباحث أن المؤلف اتخذ لنفسه منهجا ، من اهم مصادره الاستشهاد والنقد والتحقيق والاختصار والاستقصاء وعزو الاقوال والاراء الى قائليها وغير ذلك . وحصر شواهده بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر وأقوال الفصحاء والامثال والشواهد المصنوعة . ثم فصّل القول في طريقة تناوله لكل مما ذكره مع تقديمه امثلة مناسبة ، حتى ابرز الزبيدي من خلالها رقيبا لغويا على مانقله من مصادره المختلفة ، ولا سيما مانقله من (القاموس) موضوع شرحه ، مبينا المواضع التى رآى أن صاحب القاموس أخلّ بها في منهجه ، أو قصّر فيها ، أو أساء التعبير ، أو غير ذلك .

واختتم الباحث دراسته بابراز اهتمام الزبيدي بالجوانب الاحصائية لعدد من المعاني والالفاظ التي اوردها ، واهتمامه بارجاع مادة (القاموس) الى مصادرها ، واهتمامه بالاشارة الى المهمل والمستعمل من الالفاظ ، وغير

ذلك مما رآه الباحث متميزا في (التاج) • فكـان (التاج) في ذلك آوسع المعجمات اللغوية ، وأهمها •

وبعد هذا ومن باب تبادل وجهات النظر أود أن أبدي الملاحظات الآتية:

١ ـ الملاحظة الاولى تتعلق بما نقله الباحث أن الزبيدي اتخذ لنفسه منهجا، أهم ظواهره الاستشهاد والنقد والتحقيق والاستقصاء وعزو الاقوال الى قائليها والتوضيح والتنبيه والتكميلات واضبط والتقييد •

والذي يبدو لي ان هذا المنهج هو خط عام لم يتفرد فيه الزبيدي ، سار عليه مؤلفو المعجمات في عرضهم للمواد اللغوية التي ضمتها بطون مؤلفاتهم •• لكنهم لم يكونوا متطابقين تمام التطابق في تطبيق هـذا المنهج ، لذلك ارى ان الموضوع كان سيحقق فوائد اكثر واشمل ، لـو ان الباحث عقد موازنة بين منهج الزبيدي ومناهج اصحاب المعجمـات المشهورين الذين سبقوه ، اذ ان ذلك سيكشف لنا مدى التشابهات او الاختلافات الموجودة بين منهجه ومناهجهم ومواطنها ، وسـنضع ايدينا على نقاط القوة او نقاط الضعف في التاج (بشكل واضح) بعيـد عن اللبس •

٢ ـ الملاحظة الثانية : أن منهج الباحث في تناوله للتاج كان تناولا ، لا يميل في شكله العام الى المنهج الوصفي ، حيثوفق الباحث فيتصويره (التاج) ومؤلفه تصويرا دقيقاً ، وأشار الى عدد من الصفات التي وفق فيهـا الزبيدي ، لكنه لم يشر الى مالم يوفق فيه المؤلف او المآخذ العامـة التي يراها في (التاج) •

٣ ـ الملاحظة الثالثة : أن من الممكن أن يكون التاج مصدرا لدراسة عدد من الظواهر اللغوية ، ومن بينها ظاهرة التعريب ، تلك الظاهرة التي لما تزل الدراسات النقدية فيها غير ناضجة ، ولم تُصب منها كبد الحقيقـة • نستفيد من التاج في دراسة هـذه الظاهرة ، لانه اوسـع مـادة من المعجمات التي سبقته وقد اعتنى عناية خاصة بألفاظ الحضـارة حتى

عصره • ثم إن الباحث اشار الى أن من منهج الزبيدي عنايته بايراد الالفاظ العربية التي تقابل المعربات في معناها ، وبذلك لا نعد وجود هذه الالفاظ (اعني المعربة) ضمن الحاجة الحقيقية للغة •

وقد خصّصتْ ظاهرة التعريب من بين الظواهر الاخرى ، لان علماء العربية منذ تناولهم للالفاظ المعربة في المعجمات العربية ، ومنذ أن انشأ ابو منصور الجواليقي أول مؤلف متخصص بجمعها ، أقول بالغوا فيها وفي اعدادها ، حتى ظهر من بين المحدثين من ادعى ان العربية كلّها معربة •

لقد نشأت هذه المبالغة عند القدماء لاسباب مختلفة منها عدم احاطتهم باللغات الاجنبية التي كانت تحيط بهم • ومنها جهلهم بالاصول المشتركة للغات التي اطلق عليها حديثا اسم اللغات السامية مع ملاحظة اختلاف وجهات النظر في التسمية ، ومنها عدم اخراجهم من بين المعربات ماذكروا انه لغة شطر من العرب ، ومنها عدم اكتراثهم بموضوع المشترك اللفظي بين اللغات ، وغير ذلك •

ونرى من المفيد أن نذكر ان عدد الالفاظ المعربة زاد على ثمانمئة لفظة في (معرب) الجواليقي ، وكان من المفيد ان نطلع على عددها عند الزبيدي ايضا •

٤ ــ الملاحظة الرابعة : ارى من الافضل لو ان الباحث عقد فصلا في دراسته لبيان ما تفرد فيه الزبيدي من بين اصحاب المعجمات وما تابع فيه غيره، اذ ان ذلك سيكون كافيا في ابراز شخصيته بشكل واضح وبيان اهمية عمله بين اقرانه •

٥ ــ الملاحظة الخامسة : ان اهم ما يمتاز به العمل المعجمي هو طريقة عرض المادة المعجمية وشرحها • ولم نجد صاحب البحث يتعرض الى طريقة الزبيدي في هذا الجانب من العمل المعجمي ، الذي يعد اساسيا في التأليف المعجمي ، مع ان الباحث تعرض الى وصف المنهج العام

الذي سار عليه الزبيدي في مؤلفه •

وختاما شكري وتقديري للاستاذ الباحث على جهوده القيمة التـــي بذلها في اخراج البحث اخراجا علميا وعلى صبره الطويل وتحمله لاعبـــاء دراسة اوسع معجم عربي •

واسجل شكري وتقديري للسيد رئيس المجمع والسادة الاعضـــاء وللحاضرين كافة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

معجمات دلالية لالفاظ القران الكريم

الاستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن
كلية الآداب بجامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

لاقى موضوع الوجوه والنظائر في القرآن الكريم نصيباً وافراً من الدراسة والتدوين عند القدماء ، ونتبيّن هذا مما أُفرد لهذا العلم من مؤلفات .

وقبل الحديث عن هذه المؤلفات لا بُدَّ من الإشارة الى معنى كلّ من الوجوه والنظائر .

فالوجوه : جمع وجه ، والوجه في الأصل : الجارحة المعروفة . ولمّا كان الوجه أول ما يستقبلك ، وأشرف ما في ظاهر البدن استُعمل في مستقبل كلّ شيء وفي أشرفه ومبدئه (١) .

يُقال : وجه كذا ، ووجه النهار . ووجوه الحقّ : سبله والطرق المؤدية اليـه .

والمتتبع لهذه اللفظة في كتب اللغة والبلاغة والتفسير يجد تفاوتاً في المعنى من مكان لآخر لما تتمتع به من مرونة قابلة للتوسع في أداء المعاني ، فهي تدلّ عندهم على :

١) الطريق والمذهب والسبيل التي يُتوصّل بها الى المقصود (٢) .

---

(١) العين ٤ / ٦٦ ، وتهذيب اللغة ٦ / ٣٥١ ، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن ٥٥٠ ، وبصائر ذوي التمييز ٥ / ١٦٦ .

(٢) ينظر : الكتاب ٣ / ١٧ ، وشجر الدر ١٢٩ ، وأمالي المرتضى ٢ / ٤ ، والطراز ٢ / ٩٥ .

٢) الأنواع والأقسام والفروع للشيء الواحد (٣) .
٣) المعنى أو المعاني المقصودة المتعددة للفظ الواحد (٤) . وهذا يعني أن للفظة الواحدة أصلاً ثابتاً على الحقيقة ، لكنّ وجه الكلام يمكن أن يخرج بها الى معان أخرى على سبيل المجاز ترتبط من قريب أو بعيد بصلات لا تنقطع بدلالة قرائن معروفة في كلام العرب (٥) .

وبهذا المدلول جاءت في كتب الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، كما سنقف عليه .

أمّا النظائر فجمع نظيرة ، مؤنثة ، والمذكّر نظير ، وجمعه نُظراء . وهي المثل والشبه في الأشكال والأفعال والأقوال (٦) . يُقال : فلان نَظير فلان ، أي : مثله .وهذا نظير هذا : أي انّه إذا نظر اليه والى نظيره كانا سواء (٧) .

جاء في كتاب هارون القارىء (٨) في شرح لفظة (الفساد) :

(تفسير الفساد على ستة وجوه : فوجه منها : الفساد : المعاصي ، فذلك قوله عزّوجلّ في البقرة : « لا تفسدوا في الأرض» (٩) ، يعني : لا تعملوا فيها المعاصي . نظيرها في الأعراف : « ولاتفسدوافي الأرض بعداصلاحها»(١٠)، يقول : لا تعملوا فيها المعاصي . ونحوه كثير) .

ويتضح أنّ معنى (نظيرها) : شبيهها ومثيلها في المعنى نفسه .

فمعنى الوجوه والنظائر هو أن تكون الكلمة واحدة ، ذُكرت في مواضع

---

(٣) ينظر : الزاهر ١ / ١٣٨ و ٢٤٨ ، وتفسير الرازي ٥ / ٢١٤ .
(٤) ينظر : العين ٤ / ٤٣٥ ، ومجاز القرآن ١ / ٣٩ ، وتفسير ابن عطية ١ / ٤٠١.
(٥) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، تاريخ وتطور ٩ – ١٠.
(٦) اللسان والتاج (نظر) .
(٧) نزهة الأعين ٥٨٨ .
(٨) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ٤٠ .
(٩) آية ١١ .
(١٠) آية ٥٦ .

من القرآن على لفظ واحد ، وحركة واحدة ، وأُريد بكلّ مكان معنى غير الآخر ، فلفظ كلّ كلمة ذُكِرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر هو النظائر ، وتفسير كلّ كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هـو الوجـوه .

إذن فالنظائر اسم للألفاظ ، والوجوه اسم للمعاني (١١) .

ولا بدّ أن نشير هنا الى معنى الأشباه ، فهي جمع مفرده : شِبْه ، وشَبَه وشبيه (١٢) . والشين والباء والهاء أصل واحد يدلّ على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً (١٣) . والشبه : المِثل ، وشابهه وأشبهه : ماثله . فالأشباه ردف للمماثلة والمضارعة والمشاكلة والمضاهاة (١٤) .

ومن هذا نخلص الى أنّ الأشباه من الألفاظ ما تتشابه وتتماثل في صفة من الصفات أو أكثر ، والأشياء المتماثلة تعد نظائر .

اذن المشابهة والمماثلة والمناظرة بمعنى واحد ، وعلى هذا تكون الأشـباه ردفاً للنظائر يصحّ وضع احداهما مكان الأخرى . لذا يُقال : (الوجوه والأشباه) أو (الوجوه والنظائر) . ولا يصحّ : (الأشباه والنظائر في القرآن الكريم)مراداً به الوجوه والمعاني المتعددة للفظ الواحد (١٥) .

* * *

لقد كان للقرآن الكريم أثر كبير في اعطاء معان جديدة لكثير من الكلمات التي اطلق عليها فيما بعد (الألفاظ الاسلامية) (١٦) ، وهـذا لايعني أنّها وُضعت وضعاً جديداً ، وإنّما كانت على طريقة ما ألفه العرب ووسعته لغتهم مجازاً ونقلاً واشتقاقاً .

---

(١١) نزهة الأعين ٨٣ .
(١٢) اللسان والتاج (شبه) .
(١٣) مقاييس اللغة ٣/٢٤٣ .
(١٤) جواهر الألفاظ ١٢ .
(١٥) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، تاريخ وتطور ١٧ .
(١٦) تنظر : الزينة في الكلمات الاسلامية .

فالألفاظ الاسلامية كانت معروفة عند أهل اللغة بمعناها اللغوي قبل أن يتوسع القرآن الكريم في دلالاتها على المعاني الاخرى ، وهذه المعاني لاتبتعد عن ذلك الأصل ولا تنقطع عنه بل هي جزء منه ووجه له ، وقد ورد أغلبها في القرآن الكريم بمعناها الأصلي في آيات ، وبمعانيها المجازية في آيات أخرى ، وبذلك أصبحت مادة لكتب الوجوه والنظائر في القرآن الكريم (١٧) ، ومن هذه الألفاظ :

الاستغفار (١٨) ، والاسلام (١٩) ، والايمان (٢٠) ، والباطل (٢١) ، والتقوى (٢٢) ، والجهاد (٢٣) ، والحق (٢٤) ، والرحمة (٢٥) ، والركوع (٢٦) ، والصوم (٢٧) ، والصراط (٢٨) ، والطهارة (٢٩) ، والعرش (٣٠) ، والقنوت (٣١) .

---

(١٧) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم تاريخ وتطور ١٢٤ .
(١٨) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ١١٩
(١٩) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ١٢٣
(٢٠) التصاريف ١٠٨ ، ونزهة الأعين ١٤٥ .
(٢١) نزهة الأعين ٤١٩ ، وكشف السرائر ١٣١ .
(٢٢) الأشباه والنظائر ١٦٥ ، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم ١٦٠ .
(٢٣) التصاريف ٣٣٢ ، ونزهة الأعين ٢٣١ .
(٢٤) الاشباه والنظائر ١٧٥ ، ووجوه القرآن ق ٤١ .
(٢٥) التصاريف ١٣٤ ، واصلاح الوجوه ١٩٩ .
(٢٦) وجوه القرآن ق ٦٤ ، ونزهة الأعين ٣١٤ .
(٢٧) وجوه القرآن ق ٩١ ، ونزهة الأعين ٣٨٦ .
(٢٨) الأشباه والنظائر ٢٨٩ ، ووجوه القرآن ق ٩١ .
(٢٩) وجوه القرآن ق ٩٨ ، واصلاح الوجوه ٢٩٨ .
(٣٠) وجوه القرآن ق ١٠٩ ، واصلاح الوجوه ٣٢١ .
(٣١) نزهة الأعين ٤٨٣ ، وكشف السرائر ٨٢ .

الكتب المطبوعة في الوجوه والنظائر *

١) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم : المنسوب الى مقاتل بن سليمان ، المتوفى سنة ١٥٠ هـ . وعدد الألفاظ ١٨٥ لفظة . ولابد من الاشارة هنا الى أنّ المحقق غيّر اسم الكتاب من : الوجوه والنظائر ، الى : الأشباه والنظائر ، وبهذا خالف ما أجمعت عليه المصادر فضلاً عن أنّ (الأشباه والنظائر) بمعنى واحد ، كما سلف .

٢) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : لهارون بن موسى القارئ المتوفى سنة ١٧٠ هـ ، وقيل ٢٠٠ هـ . وعدد الألفاظ التي تكلّم عنها ٢٠٨ لفظة .

٣) التصاريف (تفسير القرآن مما اشتبهت اسماؤه وتصرفت معانيه) : ليحيى ابن سلام المتوفّى سنة ٢٠٠ هـ . وعدد الألفاظ التي ذكرها ١١٥ لفظة .

٤) تحصيل نظائر القرآن : للحكيم الترمذي ، المتوفى سنة ٣٢٠ هـ . وعدد الألفاظ التي ذكرها ٨١ لفظة .

٥) الأشباه والنظائر : المنسوب غلطاً الى الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ . وقد صححنا نسبته في مجلة المورد م ١٥ ع ٢ ١٩٨٦ (*) .

٦) اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : المنسوب الى الحسين بن محمد الدامغاني ، وهو على الصواب لأبي عبدالله محمد بن علي بن محمد الدامغاني المتوفّى سنة ٤٧٨ هـ . وعدد الألفاظ فيه ٥٢٣ لفظة .

(*) ينظر الثبت الذي صنعه تلميذي الشيخ عبدالرحمن مطلك في رسالته الموسومة بـ (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تاريخ وتطور)٥٣ – ٦٢ للكتب المخطوطة والكتب التي لم تصل الينا .

(*) لم نذكر كتاب (وجوه القرآن) للحيري المتوفى بعد سنة ٤٣٠ هـ، والذي انتهينا من تحقيقه ودفعناه الى المطبعة قبل عامين ، وهو أوسع كتاب في هذا الباب ففيه ٥٩٦ لفظة .

ولابد من الإشارة الى أنّ المحقق تصرف بنص المؤلف بالزيادة والحذف والترتيب فمسخه مسخاً ، وهو بحاجة الى اعادة نشره .

٧) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر : لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . وعدد الألفاظ التي تناولها ٣٢٤ لفظة .

٨) منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : لابن الجوزي أيضاً ، وهو مختصر للكتاب السابق ، وهو نفسه كتاب الاشباه والنظائر المنسوب غلطاً الى الثعالبي . وعدد الألفاظ فيه ١٥٣ لفظة .

٩) وجوه قرآن : لحبيش التفليسي المتوفى سنة ٦٢٩ هـ . وعدد الالفاظ التي ذكرها ٢٧٨ لفظة . وقد كُتب باللغة الفارسية ، وكتبت الآيات والشروح والتعليقات باللغة العربية .

١٠) كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر : لابن العماد المصري، المتوفى سنة ٨٨٧ هـ . وعدد الألفاظ المذكورة فيه ١١١ لفظة .

وبعد فهذه الكتب جاءت خاصة بعلم الوجوه والنظائر ، وثمة كتب أخرى تناولت هذا العلم في فصول وأبواب ، وهذه الكتب هي :

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : للفيروز آبادي ، المتوفى سنة ٨١٧ هـ .
- معترك الأقران في اعجاز القرآن : للسيوطي ، المتوفى سنة ٩١١ هـ .

* * *

ولا بد من الإشارة هنا الى كتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) للمبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ ، فعنوانه يدلّ على أنّه في الوجوه والنظائر ، ولكن الواقع أنّ نصيب القرآن الكريم من هذه الألفاظ لا يعدو لفظتي الرجاء والظن ، ولم يذكر للرجاء غير معنى الخوف ، أما الظنّ فذكره بمعنى الشك وبمعنى اليقين ، فهو اذن ليس من كتب الوجوه والنظائر .

* * *

وبعد فهذه هي كتب الوجوه والنظائر في القرآن الكريم والتي تمثل معجمات دلالية لألفاظ القرآن الكريم ، والحمد لله أولاً وآخر

مصادر البحث ومراجعه

- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم : مقاتل بن سليمان . ت ١٥٠ هـ ، تح د . عبدالله محمود شحاتة ، القاهرة ١٩٧٥ .
- اصلاح الوجوه والنظائر : الدامغاني ، أبو عبدالله محمد بن علي ، ت ٤٧٨ هـ ، تح عبدالعزيز سيد الأهل ، بيروت ١٩٧٠ .
- أمالي المرتضى : المرتضى ، علي بن الحسين ، ت ٤٣٦ هـ ، تح أبي الفضل ، القاهرة ١٩٥٤ .
- بصائر ذوي التمييز : الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، ت ٨١٧ هـ ، تح محمد علي النجار ، القاهرة ١٩٦٤ — ٦٩ .
- تحصيل نظائر القرآن : الترمذي ، محمد بن علي ، ت نحو ٣٢٠ هـ ، تح حسني نصر زيدان ، مصر ١٩٦٩ .
- التصاريف : يحيى بن سلام المغربي ، ت ٢٠٠ هـ ، تح هند شلبي ، تونس ١٩٨٠ .
- تفسير الرازي : الفخر الرازي ، محمد بن عمر ، ت ٦٠٦ هـ ، دار الفكر بيروت ١٩٨٥ .
- تفسير ابن عطية : ابن عطية ، عبدالحق ، ت ٥٤١ هـ ، تح أحمد صادق الملاح ، القاهرة ١٩٧٤ .
- تهذيب اللغة : الأزهري ، محمد بن أحمد ، ت ٣٧٠ هـ ، القاهرة ١٩٦٤— ٦٧ .
- جواهر الألفاظ : قدامة بن جعفر ، ت ٣٣٧ هـ ، القاهرة ١٩٣٢ .
- الزاهر في معاني كلمات الناس : ابن الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم ، ت ٣٢٨ هـ ، تح د . حاتم صالح الضامن ، بيروت ١٩٧٩ .
- الزينة في الكلمات الاسلامية العربية : أبو حاتم الرازي ، أحمد بن حمدان ، ت ٣٢٢ هـ ، تح حسين بن فيض الله ، القاهرة ١٩٥٧ — ٥٨ .
- شجر الدر : أبو الطيب اللغوي ، عبدالواحد بن علي ، ت ٣٥١ هـ ،

تح محمد عبدالجواد ، القاهرة ١٩٥٧ .
- الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : العلوي ، يحيى ابن حمزة ، ت٧٤٥ هـ ، مصر ١٩١٤ .
- العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت١٧٥ هـ ، تح د. المخزومي و د السامرائي ، بغـداد ١٩٨٠ — ١٩٨٥ .
- كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر : ابن العماد ، محمد ابن محمد بن علي ، ت٨٨٧ هـ ، تح د. فؤاد عبد المنعم ، الاسكندرية ١٩٧٧ .
- لسان العرب : ابن منظور ، محمد بن مكرم ، ت ٧١١ هـ ، بيروت١٩٦٨.
- ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد : المبرد ، محمد بن يزيد ، ت ٢٨٥ هـ ، تح الميمني ، مصر ١٣٥٠ هـ .
- مجاز القرآن : أبو عبيدة ، معمر بن المثنى ، ت٢١٠ هـ ، تح فؤاد سزكين ، القاهرة ١٩٥٤ — ١٩٦٢ .
- معجم مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصبهاني ، الحسين بن محمد ، ت ٥٠٢ هـ ، تح نديم مرعشلي ، بيروت ١٩٧٢ .
- مقاييس اللغة : أحمد بن فارس ، ت ٣٩٥ هـ ، تح عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٣٦٦هـ — ١٣٧١ هـ .
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر : ابن الجوزي ، أبوالفرج عبدالرحمن ، ت ٥٩٧ هـ ، تح محمد عبدالكريم ، بيروت ١٩٨٤ .
- وجوه القرآن : الحيري ، اسماعيل بن أحمد ، ت بعد ٤٣٠ هـ ، مصورة عن مخطوطة جامعة كمبرج .
- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : هارون بن موسى القارئ ، ت نحو ٢٠٠ هـ ، تح د. حاتم صالح الضامن ، بغـداد ١٩٨٨ .
- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، تاريخ وتطور : الشيخ عبدالرحمن مطلك ، رسالة ماجستير ، بغـداد ١٩٨٦ .

نظرات نقدية في « المعجم الوسيط »

د. حكمة علي الاوسي

للعرب منزلة متميزة في وضع المعاجم اللغوية . فاذا كان الصينيون أسبق الأُمم في هذا المضمار بوضعهم معجماً مشتملاً على (٤٠،٠٠٠) أربعين الف كلمة ، في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، وأقدم معجم لغوي في اللغة اللاتينية وضع باسم Lingua Latina ألفه (وارو) المتوفى سنة (٢٨) قبل الميلاد ، وفي نحو ذلك الزمن ظهر أقدم معجم للغة هوميروس ، ثم ظهر معجم اللغة اليونانية كاملاً سنة ١٧٧ للميلاد ، فإن العرب كانوا السباقين الى وضع المعاجم اللغوية بين كل الأُمم الحديثة التي حملت مشعل حضارتها للعالم بعد ذلك العصر ، قبل أن يظهر في أية لغة أوربية أيُّ معجم بعدة قرون . ولقد كان علم المعاجم العربية هو الأساس الذي قامت عليه المعاجم الأوربية — العربية (١) .

بل إن السبق اللغوي العربي في حقل آخر من حقول العمل المعجمي الحديث كان سبقاً مطلقاً ، ذلك هو حقل معاجم المعاني ، أي : تلك المعاجم المرتبة على أساس المعاني أو المفاهيم ، والتي اعتبرت « من أهم الانجازات التي قدمها علم الدلالة أو (السيمانتيك الوصفي) » (٢) .

ومما يثير الإهتمام ، ويدعو الى العجب ذلك الشبه الكبير الذي يلاحظ « بين معاجم الحقول الدلالية الحديثة ومعاجم الموضوعات القديمة في اللغة العربية ، فكلاهما يقسم الأشياء الى موضوعات ، وكلاهما يعالج الكلمات

---

(١) انظر : « تراث الاسلام » القسم الثاني ، تصنيف شاخت وبوزورث ، ص ١٧٢ (سلسلة عالم المعرفة) تشرين الثاني ١٩٧٨ ودوزي : « تكملة المعاجم العربية » ترجمة : محمد سليم النعيمي ١٤/١ .

(٢) احمد مختار عمر : علم الدلالة . الكويت ١٩٨٢ ص ٨٥ و١٠٨ و١٠٩ .

تحت كل موضوع ، وكلاهما سُبِقَ بنوع من التأليف الجزئي المتمثل في جمع الكلمات الخاصة بموضوع واحد ودراستها تحت عنوان واحد » (٣) .

علماً أن فكرة الإستفادة من نظرية الحقول الدلالية في عمل المعاجم لم تتبلور في العرب إلا في أواخر الثلث الأول من القرن العشرين ، وأن تفكير اللغويين العرب في هذا النوع من المعاجم كان قد بدأ في وقت مبكر لا يتعدى القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). وكان من الطبيعي أن تظهر في المعاجم العربية من هذا النوع نقاط نقص وقصور تؤاخذ عليها ، فقد كانت خطوة أولى لا سابق لها ولابد أن تُطوّرها جهود لاحقة .

وربما كانت هناك علاقة ما بين الفكرة الجوهرية التي انبثق عنها هذا النوع من المعاجم الأوربية الحديثة ، ومعاجم الموضوعات في التراث العربي . عن طريق ما نُقل الى اللغة اللاتينية وبقية اللغات الأوربية ، في العصور الوسطى . من كنوز التراث العلمي العربي في مجالات المعرفة المختلفة .

ويزداد هذا الاحتمال قوّةً إذا ما علمنا أن أضخم وأوفى معجم عربي للمعاني وصل الينا كان اندلسياً هو « المخصص» لابي الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده المرسي الأندلسي المتوفى سنة (٤٥٨ هـ — ١٠٦٥ م) .

أذكرُ هذه الحقائق الناصعة الشاهدة على عِظَم الإمكانات العربية التي توافرت في مجال عمل المعاجم اللغوية ، في القديم ، واستذكر ما هو متوافر منها اليوم في جميع الأقطار العربية من إمكانات علماء اللغة العربية المعاصرين المزوّدين بثقافة عربية تراثية عميقة ، ومعارف ومناهج علمية غربية حديثة ، لأخلص إلى تقرير حقيقة قائمة هي : اننا قادرون ، اليوم ، على إنجازات علمية قادرة على أن تتجاوز ما حققه الأجداد ، وأن تلحق بما وصل اليه العالم الغربي في علم المعاجم وفنونها .

والمعجم الوسيط شاهد صادق على ذلك ، إذ استطاع أن يُساهم مساهمة كبيرة في « أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمةً لحاجات الحياة في العصر الحاضر » (٤) .

---

(٣) المرجع نفسه .

(٤) هذا ما نص عليه قانون انشاء مجمع اللغة العربية في عام ١٩٣٤ . (عن مقدمة المعجم الوسيط) .

فمن مظاهر حفاظه على سلامة اللغة العربية أنه اتخذ من جمهرة المادة اللغوية العربية الفصحى أساساً له ، وانه حافظ على الترتيب الملتزم للأُصول الاشتقاقية للكلمات ، واستعان في شرحه للألفاظ بالنصوص والمعاجم التي يعتمد عليها ، وجعل عماده في الاستشهاد « الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأمثال العربية والتراكيب البلاغية المأثورة من فصحاء الكتاب والشعراء » (٥) .

ومن مظاهر سعيه لجعل اللغة العربية وافية بمطالب العصر من العلوم والفنون والآداب الحديثة ومصطلحاتها ، وحاجات الحياة في العصر الحاضر الى مختلف منتجات الصناعةالحديثة والتقنية المتطوِّرة ، أنه طبق قرار المجمع « أن يُفتح بابُ الوضع للمحدثين ، بوسائله المعروفة من اشتقاق ، وتجوّز ، وارتجال ، وإطلاق القياس ، ليشمل ما قيسَ من قبل وما لم يُقَسْ . وتحرير السماع من قيود الزمان والمكان ، ليشمل ما يُسمع اليوم من طوائف المجتمع ، كالحدادين ، والنجّارين والبنائين ، وغيرهم من أرباب الحرف والصناعات . والاعتداد بالألفاظ المولّدة ، وتسويتها بالألفاظ المأثورة عن القدماء » (٦) .

فكان من ذلك أن تبنّى المعجم الوسيط مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي وضعها المجمع وشاع استعمالها بين الباحثين والاساتذة وسائر الكتاب والمثقفين ، من امثال : مصطلح (الأثير) في علوم الطبيعة والكيمياء ، و (الإثاريّة) في علم الاخلاق وعلم النفس ، و (التأثرية) في النقد الأدبي ، وفن الرسم ، و (البديل) في اصطلاحات السينما ، و (البديلة) في الصناعة للمواد المصنوعة عوضاً عن المواد الطبيعية ، كالمطاط الصناعي ، والألياف الصناعية ، . . . الخ : (٧)

ولسنا هنا في سبيل مناقشة المعجم الوسيط فيما طبّقه من قرارات مجمع

---

(٥) المعجم الوسيط ص ١٠ ـ ١١ .
(٦) تقديم المعجم الوسيط ص ١٠ .
(٧) انظر في هذا : بحث عبدالعزيز مطر ص ٥١٠ ـ ٥١٢ في « في المعجمية العربية المعاصرة ـ وقائع ندوة مئوية : احمد فارس الشدياق ، وبطرس البستاني ، ورينهارت دوزي » ، تونس في ١٥ و١٦ و١٧ نيسان ١٩٨٦ .

اللغة العربية وأفاد منها في إغناء مفرداته وجعلها ميسرة لابناء اللغة العربية في العصر الحاضر ، من امثلة : إجازة الإشتقاق من المعرب ، ومن اسم العين في غير ما ضرورة ،وإطلاق القياس ،وقياسية صيغة (فعيل) للدلاله على المشاركة ، وقياسية صيغة (فعّيل) من مصدر الفعل الثلاثي اللازم والمتعدي ، وقياسية السين والتاء للاتخاذ والجعل ، وقرار المجمع جواز لحوق تاء التأنيث صيغة (فعُول) صفة بمعنى فاعل ، وجواز جمعها جمع تصحيح ، وقراره تأنيث صيغة (فعلان) بالتاء ، وقياسية تضعيف الفعل للتكثير والمبالغة ، وقرار إجازة المجمع ألفاظاً وأساليب لا تجري على القياس ، ولم ترد عن العرب ، ... الخ (٨)

ولكن هذا البحث إنما هو عرض موجز لبعض الجوانب التي نراها سلبية في صفحات المعجم الوسيط ،على الرغم مما تحقق فيه من حسنات كثيرة جعلته من خيرة المعاجم العربية الحديثة في دقّة ترتيبها للمواد والالفاظ ، والشرح والتعريف الواضحين الدقيقين ، في الغالب ، وحسن إخراجه ، وجودة طبعه . وما نرجوه من ذلك إنما هو المشاركة في التنبيه على النواقص التي وقعت فيه ، والتي لا يخلو منها أو من أمثالها معجم ، عسى أن يكون في ذلك إسهامٌ في التقويم والارتقاء به الى ما هو أكمل وأفضل .

إن ما تجمّع لديّ مما أراه جوانب سلبية ينبغي أن يخلو منها المعجم يمكن أن نصنفه تحت العناوين الآتية :

شرح ناقص لبعض المفردات والتعابير ، أو شرح غامض أو غير دقيق ، أو خاطئ . كلمات عربية يصفها بانها دخيلة . كلمات اعجمية حديثة دخيلة ،يجعلها مدخلاً ، مع أن لها مقابل عربياً شائعاً . كلمات معرّبة لم يذكر أصلها . مفردات وتعابير لم ترد في المعجم . كلمات لم تضبط بالشكل ، صيغ مختلفة للكلمة لايذكرها . كلمات محدثه يجعلها مولّدة . استعمال ناقص لبعض الإشارات. اخطاء مطبعية وإملائية . رداءة بعض الصور وعدم انطباقها على المعرّف أحياناً .

---

(٨) ينظر بحث : عبدالعزيز مطر ، المذكور ، ص ٥١١ ــ ٥١٧ ، وشوقي ضيف : مجمع اللغة العربية في خمسين عاما . القاهرة ١٩٨٤ ، ومجمع اللغة العربية : مجموعة « في أصول اللغة » وكتاب « الالفاظ والاساليب ».

وقبل أن أتناول كل جانب من هذه الجوانب السلبيه بالبيان والتعليق ، أود أن أبين أن من المهام الأساسية لكل معجم ذي قيمه ، أن يكون في مقدمته دليل مرشد يتمثل في خلاصة اساسية وافية للقواعد اللغوية التي لها علاقة وثيقة بطبيعة اللغة التي يخدمها المعجم ، ولا سيما القواعد الصرفية وما فيها من احكام قياسية عامة . نجد هذا في كثير من أمهات المعاجم الأجنبية ، كما نجده بصورة وافية الى حد كبير في معجم (المنجد) الويس معارف . ومن المعاجم الأجنبية نكتفي بالإشارة الى قاموس (وبستر) . فلماذا يخلو « المعجم الوسيط » من ذلك ؟ نأمل أن يستدرك هذا في الطبعات المقبلة .

أما الجوانبُ السلبيّة التي اشرنا اليها ، فهذا بيانها ، بإيجاز :

الشرح الناقص :

(الإسقاط) : « في الطب » : « إلقاء المرأة جنينها بين الشهر الرابع والسابع (مج) » أضفى المعجم على هذه اللفظة معنى مجمعياً محدوداً . ورجعت الى بعض المعاجم الانكليزية أفتش عن هذه المعنى ، فلم أجده بهذا التحديد ، بل وجدت في معجم « وبستر » تحت كلمة Miscarriage, abortion أنها : « سقوط الجنين من بطن امه قبل أن يكون قادراً على الحياة وخاصة قبل نهاية ما بين ١٢ ــ ٢٨ اسبوعاً من الحمل » . وهذا المعنى نفسه ورد في : Livingstones Pocket Medical Dictionary ، فليس في اللفظة ، اذن ، تحديده لان يكون الإسقاط (بين الشهر الرابع والسابع» حصراً . وما في هذين المعجمين تحديد « ما بين الشهر الثالث والسابع » وليس الرابع ، فهل هذا عدم دقة ؟ (٩) .

---

(٩) ولم اجد اي شرح لمعنى « الاسقاط » باعتباره مصطلحا طبيـــا في : « المعجم الطبي الموحد » انكليزي ــ عربي . صدر عن « اتحاد الاطبـاء العرب » ، رئيس التحرير : د. محمود الجلياي ، الطبعة الثانية ١٩٧٨ ، مطبعة المجمع العلمي العراقي . وينظر :
Dorland : ILLUSTRATED MEDICAL DICTIONARY BOMBY 1977.
V.R. TINDALL, JEFFCOATE'S : PRINCIPLES OF GYNAECOLOGY. FIFTH EDITION 1987. BUTTER WORTH & CO.

وعلى إي حال فان المسألة اختصاصية طبية ، فليس لنا هنا ، إلاّ أن نبدي هذه الملاحظة فحسب .

(الدُّوَّامة) : « لعبة مستديرة يلُفّها الصبي بخيط ثم يرميها على الارض فتدور » . في هذا التعريف نقص في وصف اللعبة فلم يذكر مادة صنعها (من الخشب) ولم يصف شكلها (كأن يقول : تشبه الكمثرى) مثلاً . ولولا الصورة لما فُهمت . وكنت أتوقع أن أرى معنى (الدوامة البحريّة) والاستعمال المجازي لهذا التعبير ، ولكن المعجم لم يذكره .

(التَّروِيَة) : « يوم التروية : الثامنُ من ذي الحِجَّة » ، انه تعريف غير مفهوم اليوم ، لأن دلالته قديمة . جاء في اللسان (روي) : « ويوم التروية : قبلَ عَرَفةَ وهو الثامن من ذي الحِجَّة ، سُمّيَ به لأنّ الحُجّاجَ يتروون فيه من الماء وينهضون الى منىً ولاماء بها فيتزوَّدونَ رِيَّهم من الماء أي يَسْقُون ويَسْتَسْقُون . » وجاء هذا المعنى مختصراً في مختار الصحاح أيضاً . من هذا يظهر أن تعريف المعجم الوسيط به ناقص مبهم .

(الخَضيمة) : « — الأرض الناعمة النبات » . وما في اللسان والقاموس المحيط « الناعمة المَنْبات » . والفرق كبير بين الشرحين .

(الخَطَر) : « الإشراف على الهلاك ، والرِّهان . ، والعوض ، والنصيب والمثيل في الشرف والرفعة . » ولم يذكر معاني مهمة لهذه اللفظة كثيرة التداول في الكتابة والكلام . وهذه المعاني وردت في اللسان : « الخَطر : ارتفاعُ القدر ، والمالُ والشرفُ ، والمنزلة . ورجل خطير : أي لِه قَدْرٌ وخطر » وهذا نقص يؤاخذ عليه أي معجم .

(الأُخْطُبُوط) : « حيوان مائي ، اسطواني الشكل ، له ثماني أرجل رأسية ، يضرب به المثل في شدّة التشبث بما يمسكهُ » (١٠) .

في هذا التعريف نواقصُ عِدَّة : فهو ليس حيواناً مائياً ، لأن هذا التعبير مطلق يشمل كل انواع المياه : مياه الأنهار ومياه البحار . والحقيقة أنه حيوان بحري لا يعيش في المياه العذبة (x) .

---

(١٠) عن تعريف « الاخطبوط » ينظر : معجم « وبستر OCTOPUS ودوزي : « تكملة المعاجم العربية » : ، و « المنجد » .

(x) ينظر في هذا :

G. ENGEMANN, INVERTEBRATE Zoology. 1968, P. 374

ثم إنه من فصيلة الرّخويّات » ، ولمْ يذكر هذا في تعريف المعجم . ثم إنه «يتغذّى بالحيوانات البحريّة الضعيفة » ، ولم يرد هذا في التعريف ، وهو من الخصائص المهمة في التعريف . ويضرب به المثل ليس في شدة التشبث بما يمسكه فقط ، بل في قدرته على مد أرجله الماسكة الى جهات متعددة تُمكّنه من مسك عدة فرائس في وقت واحد . ثم إنه لم يذكر أصل اللفظة : هل هي دخيلة ؟ أو معرّبة وعن أية لغة عُرّبت ؟

(السَّمَرْجَل) : « شجر مثمر من فصيلة الورديّات » . لم يذكر أنه من الفواكه ، ولا بيّن صفاته في الشكل والطعم ، ولا ذكر مفرد ثمرته ؟

(الإصطلاح) : « اتفاق طائفة على شيء مخصوص » . لم يرد هذا المفهوم في معاجمنا اللغوية . فهو مفهوم حديث ، فلماذا لم يقل إنه (محدث) أو (مجمعي)؟ والتعريف غامض . والتعريف الواضح يمكن أن يكون مثلاً ، « إتفاق طائفة من العلماء أو المتخصصين ، أو من الناس على مضمون أو مفهوم مخصوص لبعض الألفاظ »

(الصولجان) : «الصَّولجُ» و(الصولج ، والصَّوْلَجَةُ) : الصافي الخالص» : وفي اللسان هما : «الفضة الخالصة» ، وليس فيه صفة الصافي الخالص مطلقةً . والصولجان في اللغة : «عصاً يُعطف طَرَفُها يُضربُ بها الكرة على الدواب» ، وهذه لعبة رياضية معروفة اليوم باسم لعبة « الكرة والصولجان » لم يذكرها المعجم الوسيط . وهذا دليل تاريخي على ان اصل هذه اللعبة الرياضية الحديثة في التراث العربي ، وربما طورها الغربيون عن هذا الأصل .

ولم يذكر المعجم معنى آخر مهماً لهذه اللفظة هو « صولجان الملك » . ذُكِرَ في محيط المحيط ولم يشرح معناه ، وهو عصاً ملكية مزينة معقوفة الرأس ، يحملها الملك شعاراً للسلطة (١١) .

(الدلفين) : « دابّة في البحر يقال إنها تُنَجّي الغريق » . هذا التعريف ينقصه أن يذكر صفة الدابّة كأن يقول مثلاً : « إنها تشبه السمكة الضخمة » . ثم إنها كلمة دخيلة أصلها يوناني ، عربيُّها (الدُّخَس) ، ولم يقل هذا . وقال

---

(١١) وانظر في تعريفه معجم « وبستر » (Scepter) المورد .

في تعريفها هنا : « يقال إنها تنجي الغريق » ولفظة (يُقال) تتضمن معنى الشك في ما يقال، وعدم تأييده . في حين أنه عرّف (الدُخَس) ، وهو المقابل العربي ، بقوله إنه « دابة في البحر تنجي الغريق بأن تمكنه من ظهرها ليستعين على السباحة ، يقال لها الدُلفين » ، فساق صفتها بصيغة مؤكّدة . وفي هذا تناقض واضطراب . ولو قال « يقال لها الدلفين ايضاً » أو « وتسمى أيضاً الدلفين » لكان أقرب الى الدقة المطلوبة في تعابير المعاجم .

(السيف) : « نوع من الاسلحة معروف » . هذا اسلوب في التعريف المعجمي كان قدماء المعجميين العرب يستعملونه ، ولم يعد مقبولاً اليوم في المعاجم الحديثة لانها تتطلب الدقة والوضوح ، خصوصاً ، وأن هذه المعاجم لم تعد متصورةً على ابناء العربية يغترفون منها المعاني والاساليب ، وانما هي مرجع لكل طالب للغة العربية من العالم الاسلامي وغيره ، فلا بد إذن من أن يعنى بدقة التعاريف ووضوحها في معاجمنا الحديثة .

وقد تعددت أنواع الاسلحة في هذا العصر ، فلا يصح أن نعرف أياً منها بـ « انه نوع من السلاح معروف » . ويمكن أن يقال في تعريفه ، مثلاً : « سلاح ذو شفرة أشبه بالسكين الطويلة يستعمل للقطع والطعن ، ويرمز في كثير من الأحيان للشرف والقوّة او للسلطة » .

(أُستاذ) : « المعلّم . (معرّب) . و — الماهر في الصناعة يعلّمها غيره . و — لقب علمي عالٍ في الجامعة . . » . المعنى الأخير ناقص ، الأكمل والأدق أن يقال : « هو أعلى لقب علمي في الجامعة . (محدثة) . » ويمكن أن تضاف فوائد أُخرى ، كأن يقال ، مثلاً : « وفي المغرب يقابل هذا اللقبُ الجامعي (أستاذ التعليم العالي) . وتحوّرت هذه الكلمة في العامية المصريّة والعراقية ، الى (اسطه) واطلقت على الماهر في صناعة من الصناعات يعلمها غيره » .

(المِضْمَدَة) : « خشبة تجعل على عُنُقي الثورين في طرفهما ثقبان ، وهي النِّير » . التعريف غير واف ، ولولا أنه ذكر المرادف (النير) لما فُهم ، اذ لم يبين الغرض من وضع الخشبة على عنقي الثورين . وحينما نرجع الى (النير) في المعجم نفسه ، نجد أنّهُ « الخشبة المعترضة فوق عنق الثّور أو عنقي الثورين

المقرونين ، لجر المحراث أو غيره » . فبيّن ، هنا ، الغرض من وضع الخشبة فأفاد بذلك الشرح وضوحاً ، ولكنه لم يقل ، كما قال ، هنا ، « وتسمى المِضمَدَة أيضاً » أو ما هو بهذا المعنى .

(الزَّهَرَةُ) : « إلهة الجمال عند الرومان ، وهي افروديت عند الإغريق..» لماذا قدّم المعنى الروماني والاغريقي ؟ الصحيح أن يقدّم المعنى العربي ، ويُشار الى ما يقابل هذه اللفظة عند الرومان (فينوس) وتعني عندهم إلهة الجمال ، وعند الإغريق هي (افروديت) .

(زُحَل) : اعظم الكواكب السيارة وأبعدها في النظام الشمسي » وهذا تعريف عجيب في خطئه ، فليس زحل باعظم الكواكب السيارة ، ولا هو أبعدها . فهناك ثلاثة كواكب سيارة أعظم وأبعد في النظام الشمسي : أورانوس ، ونبتون ، وبلوتو ثم اننا نلاحظ أن المعجم حينما ذكر اسماء الكواكب السيارة تحت مدخل (الكوكب) لم يذكرها بالترتيب الصحيح حسب بعدها عن الشمس ، فذكر الأرض ، مثلاً ، سادسة الكواكب ، في حين أنها الثالثة في تسلسل بعد ها عن الشمس .

(زَهْرُ النَّرد) : « قطعتان من العظم صغيرتان مكعّبتان حُفِر على الأوجه الأربعة لكل منهما نقط سودٌ من واحدة الى ست » .

يلاحظ أنه وصف القطعتين بانهما (من العظم) ، وهذا غير دقيق ، لأنهما قد تكونان من اللّدائن ، أو حتى من الخشب الصلب في بعض أنواع اللعب غير النّرد . ثم إن النقط ، في هذه اللعب ، قد تكون حمراً أو زرقاً أو أي لون آخر . وأخيراً فان أوجه زهر النَّرْد ستة وليست أربعة كما يقول التعريف .

(الحيّة) : « من الهوامِ » تعريف غير مفيد وحينما نرجع لنرى ما الهوامُّ ، لا نجد لهذه اللفظة ذكراً . فيوغل التعريف في الغموض . ويمكن أن يكون التعريف ذا فائدة ووضوح لو قال ، مثلاً : « واحدة من الزواحف عديمة الأطراف ذات جسم شريطي طويل تكسوه القشور ، ولها غدد لعابية مهيأة ، في الغالب ، لافراز السم من خلال انياب أنبوبية » .

(الإلاهيات) : « كل ما يتعلق بذات الإله وصفاته » وهذا كلام غائم عام لا حدود لدلالته . وأقرب منه الى الدقة تعريف (المنجد) : « علم يبحث عن الله وما يتعلق به تعالى » . وربما نكون أقرب الى الدقة لو قلنا : « الدراسات التي تبحث عن طبيعة الذات الإلاهية وصفاتها وكل ما يتعلق بها » .

(الجَنْزير) : « سلسلة من المعدن تستعمل كالشريط لقياس المسافات الطويلة » . ولم يذكر السلسلة التي تربط بها ، المفاتيح ، كما لم يذكر تعبير (السيارة المجتزرة) .

(الخارجي) : ذكر لهذه اللفظة ثلاثة معان ، ولم يذكر المعنى التاريخي المهم وهو « الذي يذهب مذهب الخوارج ، أو يدين برأيهم » . في حين انه ذكر (الرافضي) وعرّف به .

وتحت لفظة (الخارجي) ذكر (وزارة الخارجية) وعرّفها بانها (في العُرف العام) : «ولايةٌ تُشرف على أمور البلد المتصلة بالبلاد الخارجة عنه » . و (الولاية) تعبير غريب ، اليوم ، عن مفهوم (الوزارة) . ولم ترد لفظة الوزارة مدخلاً معرفاً به ، أما الولاية فلم ترد بمعنى الوزارة ، بل قال عنها انها : « الخِطّة والإمارة . . . والبلاد التي يسلط عليها الوالي » . فكيف يغيب تعريف هذه المؤسسة الرئيسة المهمة في كل دولة حديثة أو متخلفة من دول العالم اليوم ؟

(الصينيّة) : « ما عون من الخزف الصيني أو نحوه يُقَدَّم عليه أواني الطعام أو الشراب » .

وهذه الدلالة لهذه اللفظة قديمة ، ولم يعد لها هذا المعنى المحدود المقيّد بالخزف ، فالصينية ، اليوم ، تصنع من انواع مختلفة من المعادن ، كما تصنع من المدائن وقد توسعت دلالتها منذ القديم فقد جاء في كتاب (تحفة الألباب) لأبي أحمد الغرناطي الأندلسي (طبع باريس ١٩٢٥ ص ٩٦ ــ ٩٩) (*) : « . . والعرب تقول لكل طرفة من الاواني وما اشبهها كائناً ما كانت صينية ، لاختصاص الصين بالطرف . » .

---

* نقلاً عن : د . نقولا زيادة (الجغرافية والرحلات عند العرب) بيروت ١٩٦٢ ص ٤٥

(الجبر) جاء في شرحه من معانٍ متعددة : « وعلم الجبر : من علوم الرياضة » ، فهل هذا تعريف علمي مفيد ؟ ونجد تعريفاً له في (المنجد) أوضح واقرب الى الدقة ، فهو «علم من العلوم الرياضية نستخرج به المجهولات باستخدام حروف وعلامات مشهورة » .

(الإضبارة) : « الحزمة من الصحف ، ضُمّ بعضها الى بعض » . ولم يذكر مرادفها (المِلَف) حيث جاء في تعريفه إنه « الإضبارة تجمع أوراقاً مختلفة في موضوع واحد أو اكثر » فكان شرحه أدق وأوفى . (**)

الدكتور حكمة علي الأوسي
خبير في المجمع
واستاذ في كلية الآداب
جامعة بغداد

(**) هذا البحث جزء يسير من دراسة اوسع .

حاجتنا الماسة الى معجم المعاني

الدكتور جميل الملائكة

معجم المعاني نقيض معجم الألفاظ الشائع المتداوَل . فكما يُشكل علينا لفظ فنبحث عن معناه في معجم الألفاظ ، فإنّنا ، على النقيض من ذلك ، نبحث في معجم المعاني عن اللفظ المناسب او العبارة الملائمة لمعنى نريد التعبير عنه .

وبين أيدينا عدد كبير من معجمات الألفاظ التي وضعت على مدى ثلاثة عشر قرناً من الزمن . وممّا اشتهر منها :

« كتاب العين » للخليل بن أحمد (ت نحو ١٧٤ هـ) ، و « الجمهرة » لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) ، و « البارع » للقالي البغدادي (ت ٣٥٦هـ) ، و « التهذيب » للأزهري (ت ٣٧٠ هـ) ، و « المحيط » للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) ، و « الصحاح » للجوهري (ت ٣٩٣ هـ) ، و « مقاييس اللغة » و « المجمل » لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، و « المحكم » لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) ، و « الأساس » للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، و « النهاية » لابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) ، و « العُباب » للصّغاني (ت ٦٥٠ هـ) ، و « لسان العرب » لابن منظور (ت ٧١١هـ) ، و « المصباح المنير » للفيومي (ت ٧٧٠ هـ) ، و « القاموس المحيط » للفيروزبادي (ت ٨١٧ هـ) ، و « تاج العروس » للزبيدي (ت ١٢٠٦ هـ) .

ومن الحديث منها :

« محيط المحيط » لبطرس البستاني (ت ١٣٠٠ هـ) ، و « أقرب الموارد » لسعيد الشرتوني (ت ١٣٣٠ هـ) ، و « البستان » لعبدالله البستاني (ت ١٣٤٨هـ) ، و « المنجد » للويس معلوف (ت ١٣٦٥ هـ) ، و « معجم متن اللغة » للشيخ أحمد

رضا (ت ١٣٦٧ هـ) ، و «المعجم الوسيط» الذي أصدر مجمع القاهرة أولى طبعاته سنة ١٣٨٠ هـ .

وهذه كلها معجمات تشرح معانيَ الألفاظ المرتَّبة فيها بحسب نظام حروفها ، سواء أكان ذلك بموجَب أصواتها وتقاليبها ، كما في كتاب العين ، أم بحسب تسلسل حروفها الأخيرة ، كما في لسان العرب ، أو تسلسل أوليات حروفها ، كما في محيط المحيط .

وقد بلغ بعض معجمات الألفاظ المتأخرة شأواً بعيداً من الشمول والجودة ، وإن تكن بحاجة مستمرّة الى التنمية والتهذيب لمواكبة التزايد المستمرّ في مستجدّات العلوم والحضارة .

أما معجمات المعاني فلا يبدو أنّها نالت من الاهتمام والعناية ما تستحقّه كما هي الحال مع معجمات الألفاظ . ولم يكن أغلب معجمات المعاني في البدء سوى رسائل صغيرة ، كلّ منها في موضوع محدّد ، مثل خلق الإنسان ، والأنواء ، والمطر ، والبئر ، والإبل ، والخيل ، والغنم ، والوحوش ، والنبات ، والشجر ، والسلاح . . الخ .

أما العامّة منها فعددها محدود جدّاً ، وقد اشتهر منها :

١ — « كتاب الألفاظ »	لابن السكّيت	(ت ٢٤٤ هـ)
٢ — « الألفاظ الكتابية »	للهمذاني	(ت ٣٢٧ هـ)
٣ — « جواهر الألفاظ »	لقدامة بن جعفر	(ت ٣٣٧ هـ)
٤ — « فقه اللغة »	للثعالبي	(ت ٤٢٩ هـ)
٥ — « المخصص »	لابن سيده	(ت ٤٥٨ هـ)

وفي العصر الحديث :

٦ — « الإفصاح » لحسين يوسف موسى وعبدالفتاح الصعيدي (وقد صدرت أولى طبعاته سنة ١٣٤٨ هـ وثانيتها سنة ١٣٨٤ هـ) .

وتختلف هذه المعجمات من حيث حجمُ المادّة والمنهج والمحتوى . ولكنّ « مخصّص » ابن سيده هو أكبر معجمات المعاني القديمة حجما وأغزرها مادة . وقد أعاد مُصنّفا « الإفصاح » تنظيم موادّ المخصص فحذفا منه الموادّ المكرّرة ، وأضافا اليه موادّ من المعجمات الأخرى . ولذا سنتّخذ منه فيما بعد مثالاً للمقارنة

بمعجمات المعاني في اللغات الأخرى باعتباره أحدث معجمات المعاني العربية . وفيما يأتي نبذة مختصرة عن كل من هذه المعجمات :

١ ـ « كتاب الألفاظ » لابن السكّيت (١)

وهو معجم صغير عدد صفحاته ٤٢٣ بالقطع دون المتوسط . وألفاظه مصنفة تحت ١٤٨ بابا .

وقد قدّم المؤلف شرحاً لمعاني أكثرها مُورداً في الكثير من ذلك أقوالاً لأهل اللغة والرواية ومستشهداً بأبيات من الشعر . وهذا مثال من أسلوبه . يقول في « باب : صفة الخمر » :

« هي الخمر ، والشَّمول ، والقَرقَف ، والعُقّار ، والقهوة ، والخندريس ، والمعتّقة ، والشَّموس ، والمُدام ، والمُدامة ، والراح ، والكُمَيت ، والصهباء ، والجريال ، والرحيق ، والخُرطوم ، والخانية ، والسُّلاف ، والسُّلافة ، والماذيّة ، والسُّخاميّة ، والعانيّة ، والإسفِنط ، والقِنديد . . الخ . » وهكذا يستمرّ في تعداد هذه الأسماء حتى تبلغ ٣٥ . ثم يقول : « قال الأصمعي : سميت شمولاً لأنّ لها عصفةً كعصفة ريح الشَّمال . وقال أبوعمرو : سميت شمولاً لأنها شمِلت القوم بريحها أي عمّتهم . يقال شمِلهم الأمر إذا عمّهم . قال [ابن قيس الرقيّات] (٢) .

كيف نَومي على الفراش ولمّا
تشمَلِ الشّامَ غارةٌ شعواءُ

وقال الأصمعي : لا يقال الاّ شمِلت. وحكى الفرّاء : شمِلهم الأمرُ يشمَلُهم وشَمَلهم يشمُلهم .

وسميت قرقفا لأن شاربها يقرقف عنها إذا شربها أي يُرعد يقال : أخذته قرقفة وقفقفة إذا أُرعد من البرد قال [عمر بن أبي ربيعة] :

---

(١) ينظر : « مختصر تهذيب الالفاظ » (وفيه متن كتاب الالفاظ لابن السكيت) ـ تحقيق لويس شيخو اليسوعي ـ بيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ـ ١٨٩٧ م .

(٢) المكتوب بين معقوفين من اضافة التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) في « تهذيب الالفاظ »

نِعم شعارُ الفتى إذا بَرَد الـ (م) ليلُ سُحَيراً وقفقف الصَّرِدُ .

وسميت عُقّارا لأنها. . . الخ . » . وهكذا يشرح أسباب الكثير من هذه التسميات في نحو ٧ صفحات ، ويضيف أسماءاً وأوصافا وشروحا أخرى مما يتعلّق بالخمر قبل أن ينتقل الى « باب النّدام والشراب » .

ومما يلاحظ على منهج ابن السكّيت

(١) إكثاره من الاحتجاج بأقوال أهل اللغة والرواية والاستشهاد بالقرآن والحديث والمأثور من منظوم الكلام ومنثوره .

(٢) حرصه على ذكر جميع ما سُمع من ألفاظ للمعنى المعيَّن من دون استثناء الغريب والمهجور من ذلك . فلا يفوته من أسماء الخمر وأوصافها مثلا : الخندريس ، والجِريال ، والخرطوم ، والسُّخامِيّة ، والإسفِنط ، والقنِديد ، وأمّ زنبق ، والسَّبيئة ، والفَيْهَج ، والخَمطة ، والمُصطار .

(٣) أنه لا يكتفي بذكر الألفاظ الداخلة في باب معيَّن من المعنى ، وإنما يُسهب في شرح معنى اللفظ في الأغلب وسبب تسميته . وكل ذلك ، إضافة الى ما ذُكر في الفِقرتين السابقتين ، يملأ حيّزاً كبيراً من سطور الكتاب وصفحاته ، مما ليس مكانه في معجم المعاني ، وانما مكانه في معجم الألفاظ .

(٤) عدم اتّباعه في ترتيب الأبواب أيَّ نظامٍ منطقيّ صارم من أوّل الكتاب الى آخره . فمن بعض تسلسل أبوابه مثلا :

« . . . باب أخلاق الثوب – باب العضّ – باب الملأ – باب بقية الماء – باب التضييع والإهمال – باب التندُّم – باب التحدث الى النساء . الخ . »

ويقدَّر عدد الألفاظ التي أوردها ابن السكّيت بنحو ٦٠٠٠ كلمة على وجه التقريب . وغير خافٍ أنّ مثل هذا العدد من الألفاظ لا يمكن ان يستوعب أكثر من قدر محدود من المعاني. فعلى سبيل المثال لا يجد الباحث في هذا المعجم باباً لمعنى المعاونة والمناصرة والمؤازرة والمعاضدة والمساندة . . الخ ، كما يجده في الالفاظ الكتابية مثلاً .

وقد رتّب محقق الكتاب لويس شيخو عناوين أبوابه بفهرس ألفبائيّ بحسب مجرداتها الثلاثيّة البالغة نحو ٥٠٠ لفظة . ولكن الباحث يُضطرّ في

أغلب الأحوال الى البحث في جميع الأبواب في محاولة العثور على مادّة أو لفظة قد يجدها أو لايجدها .

٢ ـ « الألفاظ الكتابية » للهمذانيّ (٣)

وعدد صفحاته ٣٠٠ بالقطع الصغير في ٢٨٠ بابا. وهو مثلُ كتاب ابن السكيت من حيث عدمُ تسلسل أبوابه على نحوٍ منطقيّ، وكذلك في عدم استيعابه غيرَ قدر محدود من المعاني . فهو على سبيل المثال لا يُفرد بابا لصفة الخمر كما فعل ابن السكّيت الذي خصص لذلك ثماني صفحات كما مرّ بيانه . وهو يُشبهه أيضا في إيراده بعض المهجور من الألفاظ فمن بين الألفاظ التي يذكرها في باب « الغيظ » مثلاً قوله : « ضَمِد فلان على فلان . . وعَبِد ، . وأغدّ ، واسمغدّ ، وتغذمر . . وتغشمرَ وذُئِر . . الخ » .

ويفضُل كتابُ الهمذاني كتابَ ابن السكّيت بإيراده الكثير من العبارات السائرة idioms وعدم اقتصاره على المفردات . فمن ذلك مثلاً قوله في باب « حسن المنظر » : « .. وتقول : قد سطع نوره، وأشرقت بهجته ، ولمعت زهرته ، وراقت نضارته ، وتلألأت غرّته ، وتألّق حسنه، وله طلعة لا تُمَلّ، ورؤية لا تُجتوَى ، وغُرّة لا تُكرَه ، وصفحة لا تُقلىَ .. الخ » .

والهمذانيّ أقلّ احتجاجاً بأقوال أهل اللغة واستشهادا بمنظوم الكلام ومنثوره من سابقه . وهو يتميّز منه أيضاً باكتفائه بذكر الألفاظ التي يمكن تصنيفها تحت باب معيّن من المعنى من دون الإيغال في شرح معاني تلك الألفاظ وكلّ ذلك مما يُيسّر التوسّعَ في موادّ الكتاب التي يقدّر عدد ما أورده منها بنحو ٩٠٠٠ مفردة وعبارة .

٣ ـ « **جواهر الالفاظ** » **لقدامة بن جعفر** (٤)

وعدد صفحات هذا الكتاب ٤٥٢ بالقطع الكبير في ٣٧٢ باباً .

وموادّ الكتاب تزيد كثيراً على ما في « الألفاظ الكتابية » . وهو يتميّز منه بالامتناع التامّ عن شرح معاني الألفاظ ، وعن الاحتجاج والاستشهاد ،

---

(٣) « الالفاظ الكتابية » لعبدالرحمن بن عيسى الهمذاني ـ المكتبة الازهرية ـ القاهرة (بلا تاريخ) .

(٤) « جواهر الالفاظ » لقدامة بن جعفر ـ بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٧٩ .

وبكونه أكثر منه إيراداً للعبارات السائرة . غير أنه ، مثل سابقيه ، لا يمتنع من ايراد المهجور من الألفاظ . وكثيراً ما يتوخى قدامة بن جعفر وضع الألفاظ والعبارات المسجوعة بعضها بجوار بعض ، لأنّ السجع ، كما يرى في خُطبة كتابه ، من مقتضيات الكلام البليغ . وكان الكلام المسجّع قد أخذ يشيع عند كتّاب أهل زمانه .

ويقدّر عدد الألفاظ والعبارات السائرة الواردة في « جواهر الألفاظ » بنحو ٢٧٠٠٠ . وقد رتّب محقّقه محمد محيي الدين عبدالحميد عناوين الأبواب بفهرس ألفبائيّ لمجرّداتها الثلاثيّة البالغة ٣٥٦ لفظة . ولكنّ هذا الفهرس ، مثل سابقه ، لا يُغني في الأغلب عن تصفّح جميع أبواب الكتاب في البحث عن اللفظ المطلوب ، الذي قد يكون موجوداً أو لا يكون ..

فمن ذلك مثلاً أن الذي يريد ألفاظاً بمعنى (السعادة) لا يجد هذا اللفظ في الفهرس . وكذلك لا يجد فيه ألفاظ (اليُسر – والنُّعمى – والبركة – والفرح – والخير – والإقبال – والرغد) مما قد يخطر على باله . ولا بدّ له ان يَجهد في قراءة الفهرس جميعاً لكي يعثر فيه على المجردات الثلاثية : (وَدَع – ووسع – ويمن) التي تدلّه على أبواب يهتدي فيها الى ألفاظ : (الدَّعة – والراحة – والخفض – والرفاهية – والرخاء – والسَّعَة – والرغَد – واليُمن – والبركة – والسَّعد – واليسر) . ولكنه مع ذلك لا يجد ذكرا لألفاظ : (النُّعمى – والفرح – و – الخير – والإقبال) .

٤ – « فقه اللغة » للثعالبي (٥)

وهذا كتيِّب عدد صفحاته ٥٩٩ بالقطع الصغير . وهو بقسمين أولهما هو المخصص لمعجم المعاني وعدد صفحاته ٤٧٥ في ٣٠ باباً بنحو ٦٧٠ فصلاً . أما القسم الثاني فيتناول أموراً تتعلق بفقه اللغة والنحو والصرف والبيان والبديع مما ليس هو في صميم هذه الدراسة .

ويمكن عدّ عمل الثعالبي أوّل محاولة في تصنيف أبواب الكتاب بمجامع كبيرة يتميّز بعضها من بعض في المعاني على نحو منطقي بعض الشيء . وتسلسل

---

(٥) « فقه اللغة وسر العربية » لابي منصور الثعالبي – المكتبة التجارية – القاهرة – ١٩٣٦ .

الأبواب عنده هكذا : (في الكليات – في التنزيل والتمثيل – في الأشياء تختلف اسماؤها وأوصافها باختلاف أحوالها – في أوائل الأشياء وأواخرها – في صغار الأشياء وكبارها – في الطول والقصر ... الخ .)

وهو يقسم باب الطول والقصر مثلاً على فصول كالآتي : (فصل في ترتيب الطول على القياس والتقريب – فصل في تقسيم الطول على ما يوصَف به – فصل في ترتيب القصر – فصل في ترتيب العرض) .

ولكنّ الثعالبيّ في كتابه يعود الى طريقة التوثيق والاستشهاد بعد أن تركها قدامة بن جعفر ، فيُكثر من قوله مثلاً : (عن الليث)أو (عن ابي عمرو عن ثعلب عن ابن الأَعرابيّ) أو (عن ابن الأَعرابيّ واللَّحيانيّ عن أبي سعد الكلابيّ) ... الخ. وهو يُكثر أيضاً من شرح معاني بعض الألفاظ وإيراد أسباب التسميات ،فيقول مثلاً : (إذا كان الفرس كثير الجري فهو غَمر شُبِّه بالماء الغَمر ، فإذا كان سريع الجري فهو يعبوب شُبِّه باليعبوب وهو الجدول السريع الجري . . . فإذا كان متتابع الجري فهو مِسَحّ شُبِّه بسَحّ المطر وهو تتابع شآبيبه . . الخ) .

وهو لا يهمل مهجور الألفاظ وغريبها، وكثيراً ما يستشهد بأبيات من الشعر ، وقد يسترسل في الكلام فيورد أخباراً مما يتعلق بالألفاظ ، وكلّ ذلك موضعه في معجم الألفاظ لا في معجم المعاني .

ولا تزيد مفردات فقه اللغة وعباراته على نحو ٧٠٠٠ ، ومواد معانيه محدودة ، وليس في آخره فهرس ألفبائيّ .

٥ – « المخصص » لابن سيده (٦)

هو أول معجم معانٍ يمتاز بضخامة حجمه وغزارة مادته . فهو مطبوع بخمسة مجلدات في نحو ٣٤٠٠ صفحة بالقطع الكبير جدا .

وقد جعل ابن سيده المخصص في عدّة كتب متفرعة الى أبواب بلغ مجموعها زهاء ٢٤٠٠ باب . وقسمه قسمين أولهما هو الذي خصّصه لمعجم المعاني، ويقع في نحو ٢٥٠٠ صفحة . وقد جمع موادّه من الرسائل والكتب

(٦) « المخصص » لابن سيده (بخمسة مجلدات) – المكتب التجاري للطباعة والنشر – بيروت (بلا تاريخ) .

التي وضعها من سبقه من أمثال أبي عُبَيدة (ت ٢٠٩ هـ) ، والأصمعي (ت ٢١٦ هـ) ، وأبي عُبَيد (ت ٢٢٣ هـ) ، وابن السكيت ، وغيرهم . ومن أمثلة رسائلهم كتاب « خَلْق الإنسان » و « كتاب الإبِل » للأصمعي ، و « كتاب الخيل » لأبي عبيدة .

وقد رتّب ابن سيده معجمه في كتب عناوينُها مشابهة لعناوين تلك الرسائل ، وتسلسلها كالآتي : (خَلق الإنسانُ — الغرائز — النساء — اللباس — الطعام — السلاح — الخيل — الإبل — الغنم — الوحوش — السِّباع — الحشرات — الطير — الأنواء — النخل — المعدنيّات — الطريق — الموازين والمكاييل — الكلام . . الخ .) . وفي كل كتاب ألفاظ تخصّ جانبا مما يقع تحت عنوانه أو يرتبط بمعناه . ويلاحظ أن ابن سيده لم يلتزم كلّ الالتزام بهذا المنهج ، فقد تتداخل الأبواب فيعود ليورد أبوابا أو ألفاظا سبق أن أورد عنوان كتاب كان من المفروض أنها تنضوي إليه .

وثانيهما ويقع في نحو ٩٠٠ صفحة خصّصه لفقه اللغة على غرار مافعل الثعالبي ، فتناول بعض قواعد الصرف من تذكير وتأنيث ، وإفراد وتثنية وجمع ، ومدّ وقصر ، وإبدال وإعلال ، وتَعَدٍّ ولزومٍ في الأفعال ، وتعديتها بالحرف وبدونه . . الخ . ويلاحظ أنه أدخل الكثير من هذه الأمور أيضا في القسم الأول من المخصّص من خلال استطراداته في شرح معاني الألفاظ وتعليقه على صياغتها واشتقاقها . وقد أفاد في وضع هذا القسم من كتب سيبويه (ت ١٥٣ هـ) ، والسيرافي (ت ٣٦٨ هـ) ، وابي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) ، وابن جنّي (ت ٣٩٢ هـ) ، وغيرهم .

غير أنّ ما يؤخذ على ابن سيده أنه لم يُفد من طريقة قدامة بن جعفر في التخلص من الكثير مما ليس موضعه في معجم المعاني — ولعلّ كتاب هذا لم يقع في يده — فجاء معجمه مثقلا بالتوثيق ، وبالشواهد من الشعر والنثر وبأقوال أئمة اللغة ، والاستشهاد بآي الذكر الحكيم والحديث ، وورد فيه الكثير من شرح معاني الألفاظ وأسباب التسميات ، والأخبار ، والروايات ، والاستطرادات ، وتضمّن الكثير من مهجور الألفاظ وحوشيّها ، فضلاً عما سبق بيانه من تخصيصه قدرا كبيرا من كتابه لفقه اللغة ونحوها وصرفها .

فاختلط فيه معجم المعاني بمعجم الألفاظ وكبر حجمه وصعُب الانتفاع به . ويمكن تقدير عدد ألفاظ المخصَّص ومشتقّاتها وما تصرّف منـها ، بصورة تقريبيّة جدّاً ، بنحو ٦٠٠٠٠ كلمة . وفي طبعة غير التي بين يدي فهرس ألفبائي (٧) لألفاظ أبواب المخصص البالغةنحو ٢٤٠٠ كما سبق بيانه. ولكنّ مثل هذا الفهرس المحدود لاييسّر العثور على كلمة شاردة بين ٦٠٠٠٠ كلمة . وقد سبقت الإشارة الى مثل هذه الصعوبة عند الكلام على الفهرس الألفبائي لأبواب « جواهر الألفاظ » .

٦ ـ « الافصاح » لحسين يوسف وعبد الفتاح الصعيدي (٨)

وهذا أحدث معجم معانٍ عربيّ بين أيدينا . وقد صدر الجزء الأول من طبعته الثانية سنة ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م) ، والجزء الثاني سنه ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) وعدد صفحات الكتاب ١٣٧٩ بالقطع الكبير جدا ، عدا الفهارس .

وكتاب « الإفصاح» صيغة جديدة مهذّبة لمخصص ابن سيده بذل فيها المصنفان جهدهما في انتخاله ، وحذف ما تكرّر من ألفاظه ، والتوسّع في شرح بعضها ، والاستغناء عن بعض المهجور والحوشيّ منها ، والإضافة اليها من ألفاظ بعض المعجمات مثل «القاموس » و « فقة اللغة » و « المصباح » و « اللسان » و « الأساس » ، وتغيير عناوين بعض موضوعاته ، وإعـادة ترتيب أبوابه بالتقديم والتأخير والإدماج والإضافة والحذف ، فجاءت ٢٣ بابا حاولا جعلها متميزّا بعضها عن بعض وأقلّ تداخلاً منها في المخصص . وتحت عناوين هذه الأبواب فصول وعناوين فرعية يبلغ عددها نحو ٢٣٠٠ .

ولئن استغنى مصنّفا الإفصاح عن الكثير مما في المخصص من التوثيق والاحتجاج بأقوال أئمة اللغة والاستشهادات والروايات والاستطرادات ومسائل النحو والصرف ، وكل ذلك مما قلّل من ضخامة الكتاب ، فانهما لم يخالفاه في إيراد الشروح لمعاني الألفاظ وأسباب التسميات ، ونحو ذلك مما موضعه في معجم الألفاظ لا في معجم المعاني .

---

(٧) تنظر « مجلة اللسان العربي » ـ العدد الاول ـ ص ١٣٢ ـ الرباط ـ حزيران ١٩٦٤ .

(٨) « الافصاح في فقه اللغة » لحسين يوسف موسى وعبدالفتاح الصعيدي ـ ط ٢ ـ القاهرة ١٩٦٤ .

ويمكن تقدير ألفاظ الإفصاح ومشتقاتها بنحو ٤٠٠٠٠ كلمة . وقد أضاف مصنفاه ، في طبعته الثانية ، الى فهرس أبوابه وعناوينه الفرعية فهرساً ألفبائيا بالفاظه – عدا مشتقاتها – بنحو ١٣٠٠٠ كلمة .

ولكن مما يؤسف له أن مصنفَي الإفصاح وقفا عند القديم فلم يضيفا الى معجمهما أيّ شيء من الألفاظ المحدثة الكثيرة التي هي قِوام حضارتنا الجديدة . وبهذا لم يجيء كتابهما أكثر من إعادة تنظيم لمعجمات صدرت قبله بمئات السنين . وهكذا لا يجد الباحث في الإفصاح ، على سبيل التمثيل ، ألفاظ : البرقية ، والمبرّدة ، والجامعة ، والمحضر ، والمجمع ، والمختبر ، والمحرِّر ، والحوالة ، والمحافظة ، والمذياع ، والمعرِض ، والاستعمار ، والمقاولة ، والمكيفة ، والكشّافة ، والنظّارات ، والمنظومة ، والهاتف ، ونحوِ ذلك من آلاف الألفاظ الحضارية الجديدة العربية النجار .

٧ – « لآلىء العرب » لسالم رزق(٩)

هذا معجم معانٍ لم يقع في أيدينا . ويبدو أنه مازال مخطوطاً لم يجد سبيله الى الطبع . وقد سبق أن أوردت مجلة « اللسان العربي » سنة ١٩٦٥م وصفالهذا المعجم جاء فيه أنه مؤلّف من ثمانية مجلدات ومجموع عدد صفحاته ٣٧٠٢ بالقياس الكبير ، وعدد فصوله ٩٨١ عدا فصول المجلدات ٦ – ٧ – ٨ التي لم يشَر الى عددها ، وأنّ موضوعات المجلدات الخمسة الأولى موزّعة كالآتي: (الإنسان – الحركة – السياسة والاجتماع والإدارة – الطبيعة والحيوان – المعاني الفكرية المجرّدة) ، وأنّ المجلدين السادس والسابع لموضوعات متفرقة والمجلّدَ الثامن لمستدرك على المجلدات السبعة الأولى ، وأنّ في آخر المعجم فهرساً ألفبائيا مطولاً يُسهِّل على المرء مراجعتَه ، وأنّ مصنِّف الكتاب عمِل له مختصَراً لما هو أكثر استعمالاً وشيوعا من الألفاظ يقع في ٧٣٣ صفحة و ٩٢٩ فصلاً .

ويشير المقال الى أن أسلوب المرحوم سالم رزق اكثر تركيزا من أسلوب ابن سيده وأحسن اتساقاً واكثر دَلالة .

---

(٩) «لالىء العرب » لسالم رزق – مخطوط – مجلة اللسان العربي – ص ٢٥١ – ٢٥٣ – ج٣ – الرباط – آب ١٩٦٥ .

غير أن معرفتنا المحدودة بهذا المخطوط لا تسوّغ لنا أكثر من هذه الإشارة الى خلاصة ما أوردته عنه مجلة اللسان العربي التي هي أيضا لم تطّلع عليه ، وياحبذا لو وجد الكتاب طريقه الى الطبع والنشر لعلّه يسدّ بعض من الفراغ في موضوعه .

٨ ـ معجم المعاني الاجنبي الحديث

تعرّف دائرة المعارف البريطانية معجم المعاني أو المفاهيم conceptual dictionary بأنه الذي تُرتّب كلماته بمجاميع بحسب معانيها(١٠) وهذا التعريف المقتضب يصحّ على كلّ معجمات المعاني قديمها وحديثها . أما المعجم الحديث المطوّر فيمكن أن نعرّفه بأنه « المعجم الذي ترتّب كلماته وعباراته السائرة بمجاميع بحسب تشابه معانيها أو تقاربها، أو ارتباط بعضها ببعض بانتسابها الى أسرة واحدة ، ويكون له فهرس ألفبائي بجميع الألفاظ والعبارات السائرة الواردة فيه . »

ويدعى معجم المعاني بالفرنسية dictionnaire analogique أي معجم الترادف ، وبالألمانية synonym worterbuch أي معجم المترادفات ، ولكنّ الشائعَ الآن تسمية معجم المعاني بالانكليزية thesaurus أي الكنز وذلك لأنّ أشهر معجم من هذا القبيل كان قد وضعه بيتر مارك روجيه Peter Marc Roget (١٧٧٩ — ١٨٦٩) ونشر باسم « كنز الألفاظ والعبارات الانكليزية » ، ثم أطلق اسم thesaurus أي الكنز على كل معجم معانٍ ، كما يطلق الكثيرون عندنا على كل معجم اسم « القاموس» اي البحر ، وأصل ذلك أن الفيروز ابادي كان قد أطلق اسم « القاموس المحيط » على معجمه المشهور .

٩ ـ « الكنز العالي لروجيه » Roget's International Thesaurus (١١)

أصدر روجيه ، وهو طبيب انكليزي ، أولى طبعات معجمه سنة ١٨٥٢ ، ونقّحه في ١٨٥٣ و ١٨٥٥ وأعيد طبعه ٢٨ مرة قبل وفاته سنة ١٨٦٩ .

---

(١٠) Encyclopaedia Britannica - 18 : 282 - Chicogo 1990

(١١) Regie's International Thesaurus- Crowell Co. - New York 1960

ثم أضاف ابنه جون لويس روجيه مواد كثيرة الى الكتاب وأصدر منه طبعة موسّعة سنة ١٨٧٩ . وانتقل إصدار المعجم بعد ذلك من انكلترا الى امريكا وتناولته أيدٍ كثيرة من العلماء والمتخصصين بالتنقيح والإضافات مما يجدّ من التقدم في العلوم والتّقنيّات ، فصدر منه حتى الآن عشرات الطبعات المنقحة والمزيدة وتضاعف حجمه .

غير أن قيمة الكتاب الحقيقية مازالت هي تلك المستفادة من العمل الأصلي لروجيه ، والكتاب من ثمّ لايزال يحمل اسمه .

وتقع الطبعة التي بين يديّ بمجلد واحد في ١١٨٣ صفحة بالقطع الكبير منها ٦٨٠ صفحة للمتن و٥٠٣ صفحات للفهرس الألفبائي ، يضاف الى ذلك فهرس الأبواب والفصول والعناوين الفرعية ، والتصدير ، والمقدّمة المفصّلة ، وقائمة في آخر الكتاب بالرموز المستعملة فيه .

وقد وضع روجيه معجمه في أبواب وفصول وعناوين فرعية وفقرات حاول أن يجعلها تضمّ كل المعاني والدلالات . وهو يشير في مقدمته الى أنه وضع الأساس والقاعدة لتصنيف شامل لحقول المعرفة ، بحيث لا تصعُب تنميته مع نموّ موادّ العلوم والتّقنيّات ، وأنّ بالإمكان الاستفادة منه في تصنيف أبواب معجم المعاني وفصوله في أي لغة أخرى .

وموادّ المعجم مقسّمة على ٦ أبواب أو أصناف classes هي :

(١) العلائق المجرّدة (٢) الفضاء والحركة (٣) العالَم المادّيّ (٤) الفكر (٥) الإرادة (٦) العواطف .

وقسّم كل باب الى فصول أو شعب sections مما ينضوي الى ذلك الباب بلغ مجموعها في الكتاب ٣٩ فصلاً . فالباب الأول مثلا (العلائق المجرّدة) مقسّم الى ٨ فصول :

(١) الوجود (٢) العلائق (٣) الكمّيات (٤) النظام (٥) العدد (٦) الزمن (٧) التغيرات (٨) التأثير

وقسّم كل فصل الى بضع مجاميع groups جعل تحت كل منها عناوين فرعية headings متميزة في معانيها ، وجعل أرقامها في سلسلة واحدة من أول

الكتاب حتى آخره بلغ مجموعها ١٠٠٠ عنوان . ففي الفصل الرابع مثلا (التغيّر) من الباب الأول(العلائق المجرّدة) ١٣ عنوانا فرعيا ضمن التسلسل العام للعناوين هي :

(١٤٠) التغيّر (١٤١) الثبوت (١٤٢) التوقف (١٤٣) الاستمرار (١٤٤) التحوّل (١٤٥) الارتداد (١٤٦) الثورة (١٤٧) العِوَض (١٤٨) التبادل (١٤٩) قابلية التغيّر (١٥٠) الاستقرارية (١٥١) الحدوث (١٥٢) وشك الحدوث

وقسم كل واحد من العناوين الفرعية الى عدد من الفِقرات يَضُمّ كلّ منها مجموعة من الألفاظ والعبارات المترادفة أو المتقاربة المعاني . فتحت العنوان الفرعي ذي التسلسل ١٥٠ (الاستقرارية) مثلا ٨ فقرات ورد في الخامسة منها ، التي هي للصفات من ذلك العنوان ، نحو ٣٠ لفظة وعبارة لمعنى لفظ (مستقرّ) أو ما يقاربه على النحو الآتي :

مستقِرّ – موطَّد – مثبَّت– ثابت – راسخ – متين – عميق الجذور – لايتزحزح – لاتمكن إزالته – سليم – معتمد– وثيق الإسناد. . الخ وفي آخر الفقرة بضعة ألفاظ وعبارات عليها إحالات على عناوين فرعية أخرى لكونها أوثق ارتباطاً بها .

وكثيرا ما يضع المؤلف بجانب اللفظ او العبارة رمزا بحرف أو اكثر للدلالة على كون اللفظ عاميا ، أو دارجا ، او نادرا ، او في احد الاختصاصات العلمية كالفيزياء او الهندسة ،أو من لغة اجنبية كالفرنسية او الالمانية، او انه مما يستعمل في الولايات المتحدة فقط ، او كون العبارة من الأمثال ، ونحو ذلك .

وليس في الكتاب أيُّ شرح لأي لفظ أو عبارة لأن في ذلك تحميلاً للكتاب من الأعباء ماليس من صميم الهدف منه . ويفترض روجيه من القارئ في الغالب أن يعرف معنى اللفظ او يتعرّفه ضمن مجموعة الألفاظ المذكورة معه ، وإلاّ فبامكانه العودة الى معجم الالفاظ لتعرّف المعنى .

وقد توخّى المؤلف ذكر الألفاظ بمعناها الحاليّ لفائدة الذي يريد استعمالها في الكلام اوالكتابة او الترجمة او التأليف . فهو لا يذكر معناها القديم

او ما أصابه من تطوّر ، ولا يذكر المائت المهجور من الألفاظ الاّ نادرا .

وهكذا أمكن استيعاب اكبر قدر من المعاني والمفاهيم والمدلولات في هذا المعجم . وفي الكتاب اقتباسات من أقوال مشاهير الأدباء وائمة الكلام ، ولكنها لم توضع في متن المعجم وانما وضعت في حواشي الصفحات بحروف صغيرة لئلا تؤثر على سلاسة العرض .

وقد رتّب روجيه فهرسه الألفبائيّ الواسع جدّا بأن يُدرِج اللفظ ويضع بجنبه رقم العنوان الفرعي والفقرة التي يجد فيها المراجع مرادفات اللفظ ومقارباته . وكثيرا ما يكون اللفظ من «المشترك» ، أي الذي له أكثر من معنى واحد ، فيُدرِج تحته في الفهرس الألفاظ المختلفة التي تناسب تلك المعاني ومواضع وجودها في المتن مع مرادفاتها وما يقاربها من الألفاظ .

وبهذه الطريقة تمكّن روجيه ومن وسّع معجمه من بعده أن ييسّروا للقارئ العثور بسهولة على أيّ لفظ يناسب المعنى الذي يرد في ذهنه .

ويبلغ عدد الفاظ المعجم وعباراته نحو ٢٠٠٠٠٠ وعدد ألفاظ فهرسه نحو ١٤٠٠٠٠ .

١٠ ــ خاتمة : معجم المعاني الذي نحتاج اليه

انّ ما يقرّر صيغة أيّ معجم هو الغرض المتوخّى منه . فالهمذانيّ مثلاً يشير في مقدمة كتابه الى انه يمكّن من يكتب عدداً كبيراً من الرسائل والكتب من تغيير ألفاظها كلّ مرّة حتى لا تبدو متشابهة .

وقدامة بن جعفر يؤكد في مقدّمته اهتمامه بالألفاظ والعبارات المسجّعة لأنّ « أصلح الفاسدَ ، وألّف الشاردَ ، وسدّد العاندَ » في رأيه خير من « أصلح الفاسدَ ، وضمّ النشرَ ، وسدّد الثلم » مما ورد في كتب الذين سبقوه . وكان السجعُ هو الأسلوبَ الأمثل للكتابة في تلك الحقبة من الزمن .

وابن سيده أيضاً يقول ان كثرة الألفاظ تفيد الكاتب والخطيب والشاعر في تنقّي ما يحتاجون إليه من سجع وقافية .

والصعيديّ وموسى يبيّنان في المقدمة أن ما دعاهما الى وضع كتابهما ما يعانيه مدرّسو الترجمة من صعوبة العثور على الألفاظ العربية الصحيحة لما يريدون ترجمته .

أما الحاجة القائمة اليوم فهي الى معجم معانٍ يَمُدّ يد المساعدة الى المنشىء ، وكاتب المقال ، والبحث ، والتقرير ، والرسالة ، والاطروحة ، والمؤلّف ، والمترجم ، وكلّ من يريد إعداد خطاب أو كلمة يلقيها ، بتذكيره بما يكون قد غاب عن باله من الألفاظ التي تعبّر خير تعبير عما يجول في ذهنه من معانٍ وأفكار .

ولعلّ في الإمكان ، بعد ما سبق من وصف وتقويم لعدد من معجمات المعاني القديمة والحديثة ، الانتهاء الى ما يحسُن أن يكون عليه المعجم الذي نحتاج إليه :

(١) ان يُستفادَ فيه ، بالقدر الممكن ، من أحدث تقسيمات المفاهيم في أبواب معجمات المعاني الحديثة ، وفصولها ، وحتى عناوينها الفرعية في بعض الأحيان ، توخياً لاستيعاب أكبر قدر من المعاني ، والألفاظ التي تناسبها ، مما ينفع المستفيد من المعجم . وتمكن الإشارة بوجه خاصّ الى معجم روجيه في هذا الشأن .

(٢) ان لا يحتوي المعجم على شروح لمعاني الألفاظ وأسباب التسميات ، لأنّ موضع كل ذلك في معجم الألفاظ لا في معجم المعاني ، ولأنه يجعل معجم المعاني ضخماً لا يسهل استعماله وتداوله ان كان يراد له الاستيعاب والشمول ، ولأن مستعمل هذا المعجم ليس بحاجة في الأغلب الى أن يشغل نفسه بدراسة معقّدة لخصوصيات الألفاظ ومميّزاتها ، فهو إنما يعود الى معجم المعاني عندما يكون عنده المعنى ولا يحضُره اللفظ المناسب الذي قد يكون ، كما يقال في لغتنا الدارجة — على رأس لسانه — ولكنه لا يتذكره .

وقد رأينا كيف تمكّن قدامة بن جعفر ، بتجاوزه الشروح والتعليقات والاستشهادات ، من تضمين كتابه الصغير نسبياً نحو ٢٧٠٠٠ لفظ وعبارة . ومثل ذلك يقال في معجم روجيه وبعض معجمات المعاني الأجنبية الحديثة ، مثل معجم المعاني الفرنسي Dictionnaire Analogique تأليف شارل مانيي . Charles Magnis

(٣) أن لا يدرج فيه الكثير من حُوشيّ الألفاظ ومهجورها ، لأن ذلك مما لا يَعني الكاتب المعاصر والمترجم والمتحدث . فهؤلاء في الغالب لا يستعملون اليوم

ألفاظاً مثل : الشَّمْحَط ، والخَجَوجَى ، والشَّجَوجَى ، والجُنْبُخ ، والشَّمَقْمَق ، والهِجَفّ والضُّبارِك ، مما أورده صاحب الإفصاح لمعنى الطويل من الناس . وإنما تُهِمّ هذه الألفاظ المتخصصين في اللغة وهي ليست من أهداف معجم المعاني .

(٤) ليس الغرض من هذا المعجم ان يحويَ الألفاظ العلمية المتخصصة جدّاً ، لأنّ في كل حقل علميٍّ متخصص عشراتِ الآلاف من المصطلحات الدقيقة مما لا يمكن استيعابه في معجم معانٍ عامٍّ ولا في معجم ألفاظ عام . وانما تُخصَّص لذلك معجمات ضخمة في حقولِ الاختصاص ، كما في اسماء المركّبات الكيمياوية ، أو في مصطلحات النبات ، أو التأريخ الطبيعي ، أو الطبّ ... الخ .

(٥) إضافةُ الآلاف من ألفاظ الحضارة الجديدة مما لم يدخل أيّاً من معجمات المعاني العربية التي بين أيدينا . فيمكن مثلاً ان تشمل فقرةُ (المدرسة) مثلاً : الجامعة — الكلية — المعهد — التحضيرية — الإعدادية — الثانوية — المتوسطة — الابتدائية — الروضة — دار الحضانة . . الخ .

(٦) ان يكون لمعجم المعاني فهرِس كامل بجميع الألفاظ الواردة فيه على وجه التقريب . فليس بنافع ان يُذكرَ في الفهرِس لفظ ويُتركَ سائر مرادفاته والألفاظ المقاربة له في المعنى ، لأن اللفظ الذي لم يذكر في الفهرِس قد يكون هو الذي غاب عن ذهن الكاتب ومن ثمّ يتحتّم عليه أن يسلك الطريق الوعر بالبحث والتنقير عنه وعن مرادفاته ومقارباته بين الأبواب والفصول والعناوين الفرعية ، وليست هذه المشقّةُ هي المقصودةَ في معجم المعاني .

* * *

وختاماً : ان حاجتنا ماسّة الى معجم معانٍ عربيّ مستوف لمثل هذه الشروط. وقد يناسب في هذا المقام إيراد ما كتبه أحد الذين صناعتهم الكتابة اذ يقول في معجم روجيه الذي يعدّ من أشهر معجمات المعاني الحديثة : « ... انه الكتاب المرجع الذي لا أجد غِنىً عنه في اقتناص تلك اللفظة الهاربة التي تغيب عن الفكر عند أشدّ الحاجة اليها . إن هذا الكتاب ، بالنسبة لأي كاتب محترف يتعلّق عملُه اليوميّ بالكلمات ، هو ضرورة مطلَقة » (١٢) .

---

(١٢) انظر : ص ٤٨٣ من كلمة الناشر الختامية في كتاب .
Roget's Pocket Thesaurus - Edited by Mawson and Whiting - Cardinal Edition - New York 1960

الفاظ الحضارة العربية
اهميتها ووضع معجمها

الدكتور صالح احمد العلي
رئيس المجمع العلمي العراقي

اللغة العربية

الالفاظ اساس اللغة ، وهي رموز لمحسوسات مادية او افكار يبتدعها الانسان ليعبر عنها لمن يعيش معه وتتوارثها الاجيال ، وهذه الكلمات غير ثابتة ، فقد تتزايد المحسوسات والافكار او تتسع بتوسع الاحوال المادية والفكرية فتتطلب تزايد المفردات ، وتقل بتقلص الحياة فيقل معها استعمال الكلمات •

ولاريب في ان المهد الواسع الاقدم للناطقين بالعربية هو شبه جزيرة العرب، وهي ارض واسعة يبلغ عرضها الف ميل ، اما طولها فيزيد على الف ومئتي ميل ، وهي محاطة من غربيها وجنوبيها وبعض اجزائها الشرقية ببحار تكون لها حدا يحجزها عما وراءها ، غير انها في اجزائها الشمالية والشمالية الشرقية مكشوفة لا تحدها الا جبال طوروس في اقصى الشمال، وجبال المنطقة الكردية وبشت كوه في اطرافها الشمالية الشرقية •

تنوع احوال شبه جزيرة العرب ومظاهر الحياة الحضرية في تاريخها القديم

ومع ان شبه جزيرة العرب تقع في المنطقة المدارية ومعظمها صحارى جُرْد تغطي كثيرا من اراضيها الرمال ، وخاصة منطقة النفوذ في الشمال والصمّان في الشرق ، والربع الخالي في الجنوب الغربي ، الا ان فيها تنوعات جغرافية يتبعها تنوع في المنتوجات المعدنية والزراعية والحيوانية • ففيها جبال تمتد في غربيها (السراة) وفي شماليها (جبلا شمر) وفي الجهات الشرقية من اواسطها (طويق) ؛ وبعض هذه الجبال أجرد ، الا ان بعضها

الآخر ينبت في سفوحه ؛ وفي الأودية التي تخترقها أنواع متعددة من النباتات والشجيرات •

وفي شبه جزيرة العرب مناطق غير قليلة تتوافر فيها المياه الجوفية بكميات تكفي لزراعة واسعة وكثيفة احيانا •

وفيها ايضا مناطق تغزر فيها المعادن ، ولاسيما النحاس في عُمان ، والذهب والفضة في جبال اليمامة وفي شمالي جبال السراة العربية ووسطها وجنوبها ، وفي حمى ضَرِيّة •

وفي السواحل الطويلة شبه جزيرة العرب بِقاع تكون مرافىء للسفن ، وكل هذا يتيح المجال الواسع لأن تكون فيها مجتمعات حياتها منوعة ، ففيها البدو الرحل ، والفلاحون والزراع والعاملون في المعادن وصناعاتها ، كما أن فيها أهل الأعمال والمتاجرات ، ولابد أن كلا من الأعمال رافقتها كلمات تعبر عن جملتها وجزئياتها ، وأكثرها محلية في أصولها واستعمالاتها.(١)

اهل الجزيرة عرب خلص

ان احوال شبه جزيرة العرب لم تشجع الهجرة اليها ، لانها لم تكن منطقة جذب ، ولم تعرف في التاريخ دولة اجنبية خارجية سيطرت عليها وفرضت نظماً سياسية وادارية أو اقتصادية فيها ؛ الا أنها لم تكن منعزلة كليا، ولم تكن الحياة فيها جامدة، فقد كان موقعها الجغرافي متاخماً لاقاليم البحر المتوسط التي كانت مراكز حضارات متنامية يعوزها عدد من منتوجات اقاليم المحيط الهندي والشرق الأقصى ، وكان لابد لهذه السلع من أن تمر بالموانىء الكثيرة في شبه جزيرة العرب ، او تسلك من هذه الموانىء الطرق البرية التي يسير اكثرها في الأودية التي تخترق شبه الجزيرة ، ولابد أن هذه التجارات الخارجية السالكة في الجزيرة انمت عددا من المراكز المونة للقوافل بما

(١) انظر في ذلك الدراسات القيمة التي القيت في ندوات تاريخ الجزيرة العربية في جامعة الامام محمد بن سعود في الرياض ونشرت في ثلاث مجلدات .

تحتاجه ، وربما أسهمت في تجاراتها ، وازدادت صلاتها بالبلاد الخارجية عن شبه جزيرة العرب ، واستوطنوا السواحل الشرقية للبحر المتوسط هيمنوا على الملاحة في ذلك البحر والمتاجرة مع الاقاليم الواقعة في اطرافه حتى القرن الثاني قبل الميلاد ، وقد كشفت شواهد آثارية تظهر وجود المعينيين من اهل اليمن في عدد من مناطق شمال افريقية وجنوبي فرنسة والجزر الواقعة في اواسط البحر المتوسط وغربيه .

والراجح ان العرب هيمنوا على الملاحة في المحيط الهندي، وعلى المتاجرة مع اقاليم شرقي افريقية والهند وما وراءها من البلاد الى الشرق الاقصى .

المؤثرات الخارجية محدودة

ولابد ان هذه التجارات يسّرت للعرب الاطلاع على احوال هذه البلاد ومنتوجاتها واهلها وبعض نظمهم وحضاراتهم ؛ وفي القرآن الكريم بعض الشواهد على آثار هذه الاتصالات ، منها ذكره عدد من المنتوجات باسمائها الاصلية كالسندس والاستبرق والزنجبيل ، واشاراته الى نظم حضارية مثل « ام القرى » و « حاضرة البحر » و « الحاضر » ؛ وكذلك اشاراته الى اقوام كانوا يقطنون خارج شبه جزيرة العرب الى بعض نظمهم السياسية .

وقد انتشرت بعض الاديان في شبه جزيرة العرب وخاصة المسيحية التي وان كانت قد ظهرت اول مرة في فلسطين وانتشرت منها في عدد من مناطق شبه جزيرة العرب ، الا انها امتدت ايضا الى اقاليم خارج شبه جزيرة العرب ، ومنها الحبشة وآسية الصغرى واوربة ، وتبادلت التأثير مع افكار سكانها فكانت من منافذ التيارات الخارجية ، وخاصة في الفكر ، الى شبه جزيرة العرب .(٢)

لا توفر المصادر معلومات تحدد تطور هذه التأثيرات الخارجية

(٢) انظر كتاب « الجزيرة العربية قبل زمن الرسول (ص) » لديلاسي اوليري وانظر « تجارة مكة عند ظهور الاسلام » لمؤلفته كرون بالانكليزية .

ومقدارها ، ولكننا لا نباعد الحقيقة اذا قلنا انها حدثت تدريجيا خلال مدة طويلة من الزمن ، وان حصيلتها لم تكن واسعة ، سواء في الحياة الاقتصادية او الاجتماعية او الفكرية ، وان التطور الحضاري الذي مرت به شبه جزيرة العرب وان كانت معالمه لم تكتمل بعد الا انه قائم بالدرجة الاولى على التطورات الداخلية التي حدثت فيها •

اللغة العربية في القرآن الكريم

ان القرآن الكريم هو الوثيقة الكاملة الوحيدة التي وصلت الينا عن لغة اهل الجزيرة واحوالهم الى ظهور الاسلام ، وقد حرص المسلمون على حفظ نصه الحرفي دون تحريف للفظ ما فيه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وقد نص القرآن الكريم في عدة آيات على انه نزل « بلسان عربي مبين » « لساناً عربياً غير ذي عوج » « حكماً عربياً » •

ولم يذكر القرآن الكريم مايقابل العربية من اللغات غير العجمة «لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين » وكل هذا يدل على ان شبه جزيرة العرب كانت تسود بين اهلها لغة واحدة تتميز بمفرداتها وتراكيبها الصرفية والنحوية ، وكثير من هذه الميزات تتسم به لغات الاقوام القديمة في اطراف شبه جزيرة العرب ، وان قلة المدونات المكتشفة في شبه جزيرة العرب لا يمكننا من تقديم صورة ولو قريبة من الكمال عن تطور هذه اللغة التي لابد ان سيادتها في كل شبه جزيرة العرب يدل على انها موغلة في القدم ، وانها الاصل الذي تفرعت عنه ما تكلمت به مجتمعات محلية في داخل الجزيرة واطرافها من لهجات يسميها الكثيرون تجوزا اللغات •

والقرآن الكريم فيه قرابة ثمانين ألف كلمة أصولها نحو ستة آلاف كلمة، وهو كتاب هداية يعنى بتوضيح معالم الدين وعقائده، فالمفردات المتصلة بهذا الميدان اوسع من حيث تكررها وتنوعها ، غير ان متطلبات الهداية ونشر الدعوة قضت بان تكون فيه مفردات تتصل بعدد من جوانب الاحوال

المادية والاجتماعيـة والاقتصـادية والسياسـية .(٣) ففيه تعابير كثيرة عن مظاهر الفلـك والكـون ، وعـن انواع تضـاريس سـطح الارض ، والمنتوجات المعدنيـة والزراعية والحيوانية ، وعن الاحـوال والعلاقـات الاجتماعية والنشاطات الاقتصادية والمعاشية اضافة الى النظـم الاداريـة والسياسية ، كما ان فيه مفردات متعددة عن مختلف صور الحياة النفسية واساليب المعرفة والفكر بمختلف مراحله من البصر والنظر والادراك الـى التفكر والتبصر والعقل .

ذكرنا ان في القرآن الكريم قرابـة سـتة آلاف جـذر من جـذور الكلمـات التي يتكـرر بعضـها حتى يصـل الى المئـات ، ويقل عـدد كبير منهـا فلا يذكـر اكثـر مـن مـرة ، ومـن الطبيعـي ان اكثـر المفردات المتكررة تتعلق بالعقـائد والعبـادات ، ولكل من كثير من هـذه المفردات اكثر من معنى واحد ، وليس من الواضح لدينا امر التنوع في هذه المفردات أتفرد القرآن فيه ، ام انه كان مما هو شائع ، وعلى اي حال فـان مفرداته كانت مفهومة عند من نزل فيهم « بلسان عربي مبين » « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه » ، غير ان هذا التنوع في معاني بعض المفـردات تطور بعد الاسلام ، وصار الناس يستعملون كثيرا من مفردات القـرآن الكريم بمعاني جديدة ، واصبحت معاني بعض مفرداته غير مألوفة فيما بعد ، وقد ظهر هذا جليا منذ اوائل القرن الثالث الهجري حيث الف علماء مشهود لهم بالتبحر والاخلاص للاسلام كتباً في « غريب القرآن » يشرحون فيها عـددا من المفردات التي وردت في القرآن الكريم ، وقل ادراك الناس لمعانيها الاصلية فالفت الكتب لتوضيح معانيها الاصلية .

---

(٣) يخرج عن نطاق هذا البحث ايراد المؤلفات العربية في القرآن الكريم ويمكن للمستزيد مراجعة ما نشـره المجمع الملكي لبحوث الحضـارة الاسلامية في الاردن من فهارس القرآن الكريم . ولايزال اتقن عرض لهـا هو كتاب « الاتقان في علوم القرآن » للسيوطي .

ان القرآن الكريم كتاب هداية ودين ، نزل بلسان عربي مبين ، وهو لسان قوم الرسول (ص) الذي ظلت الآيات تنزل عليه عشر سنين في بلد الاول مكة « أم القرى » التي كانت بلدة آمنة اهلها عرب منظمون على اسس عشائرية ، يعمل كثير منهم في التجارة ، ومن هنا كثرت المفردات والتعابير المجازية المتعلقة بالمعاملات التجارية مثل الحساب ، والاجر ، والاقراض ، والوزن والميزان ، والمثقال والدرهم والدينار •

ثم هاجر الرسول (ص) وصحبه الى المدينة وهي بلدة اكثر اهلها عرب يعملون في الزراعة ، وفيهم عدد من اليهود الذين يعملون في الزراعة والصناعة وبعض اعمال التجارة ، وبذلك كانت للمسلمين خبرات في احوال التجارة والزراعة انعكست على مفردات القرآن الكريم وتكثفت باستمرار الدعوة في مكة والمدينة عشرين سنة ، ومع ان الاسلام ودولته امتدت في السنوات الست الاخيرة من حياته الى معظم ارجاء جزيرة العرب واهلها البدو ، الا ان احتكاكه كان قليلا مع البدو الذين سماهم «الاعراب» وذمهم في اكثر من ست آيات • وهكذا كانت مفردات القرآن الكريم اكثر تعبيرا عن حياة مكة والمدينة وما فيها من اساليب تفكير •

تلاحم العروبة والاسلام

ولما قضى الخليفة الاول ابو بكر الصديق على حركات الانشقاق والردة واعاد سيادة الاسلام الى شبه جزيرة العرب ، أصبح العرب لاول مرة في تاريخهم موحدين سياسيا في دولة واحدة تعلوها كلمة الله ويمارس السلطة المركزية العليا فيها خليفة واحد ، فكان كل العرب تقريبا مسلمين والاسلام يمتد الى كل عرب الجزيرة ، فقوى التلاحم بين العروبة والاسلام واصبحت الدولة تضم مناطق يجمع سكانها الاسلام واللغة العربية وربما الدم المشترك ؛ غير ان حياتهم منوعة : ففيهم البدو ، والفلاحون ، والصناع والتجار واصحاب الاعمال والملاحون ، ولابد ان حياتهم الاجتماعية والفكرية

كان فيها تنوع غير قليل ، وصار للتراث السابق للاسلام ميدان واسع يسير متساوقا مع الاسلام .(٤)

اهل الامصار العربية وتطور حياتهم الحضارية

واهتمت الدولة بتوسيع رقعتها وتثبيت حكمها واعتمدت في ذلك على المقاتلة العرب المدربين عسكريا ، فتزايد دور الفروسية والقدرة في القتال عند البدو خاصة في مختلف ارجاء الجزيرة ، وكان هؤلاء المقاتلة الاعراب معظم سكان الامصار ، وهي القواعد التي انشأها او أقرها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لاقامة المقاتلة وقت السلم وللاشراف على الامن والسلم ومتابعة التوسع ، ومع ان الادارة العليا بيد الخليفة في المدينة ، الا انه هو والموجهون المحيطون به وكذلك كبار ولاة الادارة اكثرهم من اهل مكة والمدينة الحضريتين .

اولت المتطلبات العسكرية المقاتلة مكانة خاصة كان لها اثر في انماء مثلهم ، غير ان التطورات رافقها نشاط في الحياة الاقتصادية وتطور في الحياة الاجتماعية العربية لا في الامصار الستة فحسب ، ولكن في المراكز العربية الاخرى . وقاد توسع الدولة الى زيادة العناصر الاعجمية فيها ، وازالت الدولة كثيرا من القيود القديمة المعرقلة للصناعة والتجارة والزراعة بما نشرته من أمن واستقرار ، وما يسرته من حرية في العمل والتنقل ، فبدأت تنمو المراكز القديمة ، وتزايد تقاطر الاعاجم على الامصار العربية الاسلامية حيث ازدادت الثروة وكثر الطلب على السلع وارتفع مستوى المعيشة ، وتيسرت فرص اوسع للحياة النشطة .

كان في المدينة مقام الخلافة ، وفي مكة الكعبة التي يتوجه المسلمون اليها في الصلوات الخمس ، وتتم فيها مناسك الحج ، وكلتاهما مركز حضري قديم كما اسلفنا ، ولكن التطورات الجديدة ابرزت السمة

---

(٤) انظر تفاصيل اوفى في كتابنا « دراسات في الادارة العربية وتطورها » .

العسكرية في كل منهما . اما الامصار التي امر الخليفة عمر بن الخطاب باقامتها في البصرة والكوفة والفسطاط ، فكانت كلها مراكز جديدة سكانها من عرب الجزيرة الذين قدموا بنظمهم العشائرية وروحهم البدوية وتدريبهم العسكري ، فهي مراكز عربية تسود فيها البداوة والروح العسكرية ، وظلوا يعتزون بهذه السمات حتى بعد استقرارهم وتناقص الفتوح وتنامي التوجه الاسلامي فيهم ، وكان كل من هذه الامصار مركز ادارة عدد من الاقاليم يقوم مقاتلتها بحفظ الامن وتأمين الجباية ، ويعتمدون على العطاء الذي توزعه الدولة فيهم بالنقد وعلى الرزق الذي توزعه عينيات من المواد الغذائية .(٥)

وقد شيد كل مصر من هذه الامصار الاولى قرب مركز حضري قديم ، فالكوفة ملاصقة للحيرة ،والبصرة متاخمة للابلة ، والفسطاط قرب هيلو بوليس ، ثم شيد العرب في زمن معاوية القيروان في اقليم تونس قرب مركز حضري قديم .

اتخذ المقاتلة العرب منذ زمن الخليفة عمر بن الخطاب لاقامتهم مراكز في عدد من المدن القديمة ، ومنها دمشق وحمص وعدد من المدن الساحلية في بلاد الشام ، ومدنا في الجزيرة الفراتية وفي المدائن والموصل ، وفي عدد من مدن الهضبة الايرانية ، وعدد من مدن خراسان كمرو ومروالرود ونيسابور وهراة وبلخ وطوس(٦)، ولكنهم احتفظوا في كل منها بتنظيماتهم الخاصة وسمتهم العسكرية وتمسكهم بالنظام البدوي ومثله الفكرية والاجتماعية .

ولما استقر توسع الدولة وحدودها في اوائل زمن الخلافة الاموية اصبح اشتراك المقاتلة العرب في الحروب مقتصرا على حملات صيفية يعودون بعدها

---

(٥) انظر تفاصيل اوفى في كتابنا « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة » .

(٦) انظر دراستنا « امتداد العرب بعد الاسلام » .

الى امصارهم التي استقر فيها السلم والامن ، ويسرت الدولة للمقاتلة اسباب المعيشة بما كانت تقدمه شهريا من رزق في المواد الغذائية يكفي لاقامة أودهم ، وعطاء سنوي من النقود لكل فرد قدّر بما يكفي حده الادنى لتأمين متطلبات الحياة المعاشية وحاجاتها • وبذلك تيسّر للمقاتلة العرب المسكن والمأكل ، ويسّر العطاء تأمين حاجاته الاخرى ، التي لم تكن مترفة ، لان المقاتلة الذين جاؤوا من شبه جزيرة العرب لم يكونوا حريصين على حياة الترف المادية في المأكل والملبس ، وانما كانت اهتمامهم كله منصباً على سلوك الحياة الاجتماعية والعناية بالكلم الطيب وتوجهات الفكر التي تهتم بالانسان وتصرفاته •

الحركة الفكرية في الامصار والاهتمام بما يتصل بالعرب

دفعت هذه الاحوال المتطورة الجديدة المقاتلة العرب بعد تأمين الامن واسباب الحياة المعيشية الى الاهتمام بالفكر ، فاخذت الحركة الفكرية تنشط، وكانت مفتوحة للجميع لاتقيدها نظم ولا تحدها اجور ، فشارك العدد الاكبر فيها ، وكانت ميادين الاهتمام واسعة ضمن نطاق الميادين الانسانية • وحظيت دراسة الامور الدينية باهتمام خاص لدى عدد غير قليل ، فنشطت دراسة القرآن الكريم وما يتصل به ، ثم بدأ الاهتمام بدراسة الاخبار وتناقل مايتعلق باعمال الرسول (ص) وسيرته واعماله ، واحكام تصرفات الناس واعمالهم مما يكون الميدان الخاص للفقه ؛ غير ان الكلم والشعر وموروث الحكم ظل يلقى عناية خاصة من العدد الاكبر من الناس •

وفي المراحل الاولى كانت أبرز الامصار اهتماما بامور الفكر الدينية ، المدينةومكة فيالحجاز ، والكوفةوالبصرة فيالعراق•ومن حيثالعموم كانأهل المدينة اكثر توجها نحو دراسة اخبار الرسول (ص) وسيرته واعماله ، والفقه

اما مكة فكان اكثر عنايتها بدراسة القرآن الكريم وما يتصل به من تفسير ومعنى وشرح وتفسير .(٧)

وفي العراق تشابهت اهتمام اهل البصرة والكوفة ، فكانت بعض اهتمامهم بدراسة القرآن الكريم ، ثم الفقه ، واخبار الماضين من العرب في حياتهم ونظمهم واحوالهم ، وشعرهم ، اي تاريخ الجاهلية القريب من الاسلام ، وتداولوا كذلك اخبار الفتوح والاحداث السياسية بعد الاسلام ، وقد حظيت هذه الميادين باهتمام واسع وكانت اساس كثير من الحركات السياسية .

تدوين اللغة العربية ونمو المعاجم « التراثية »

تطلبت كل هذه الاهتمامات الفكرية العناية بدراسة مختلف ما يتعلق باللغة العربية من مفردات وتراكيب صرفية ونحوية ، ولعل حاجة الاعاجم الى هذه اللغة اسهمت في انماء دراستها ، غير ان العرب انفسهم كانت بهم حاجة اليها ، فاللغة العربية واسعة ، ولم يستوعب القرآن الكريم كل مفرداتها كما ان الحكام والولاة والاداريين كانوا يستعملون عددا منها ، ولكن بقيت ثروة كبيرة من المفردات المتصلة بمختلف جوانب الحياة معروفة في الجزيرة وغير شائعة عند اهل الامصار ، فاقبل المختصون يتتبعونها من اهل البادية الذين يؤمون الامصار مؤقتا للامتيار ، ورحل عدد من المعنيين الى مواطن البدو في الجزيرة يأخذون هذه اللغة من « منابعها » الاصلية .

وقد حرص المعنيون على اخذ هذه اللغة من القبائل التي تقيم في الجهات الوسطى والشمالية من شبه جزيرة العرب ، ولاسيما قبائل تميم وأسد وغطفان وعامر بن صعصعة وهذيل ، واستقر في افكار البارزين في المعنيين باللغة العربية ان هذه القبائل احتفظت باللغة العربية « السليمة » و « الاصيلة » فكانوا يجمعونها ويتداولونها ، ثم اخذوا بعد انتشار الورق

---

(٧) انظر كتابنا « دراسات في نشأة الحركة الفكرية وتطورها في صدر الاسلام » .

وتنامي التأليف والتصنيف يدونونها في كتب ذات عناوين متعددة منها « النوادر » و « الامالي » وهي منوعة ، ورافقها تآليف مصنفة تبعا لمواضيع خاصة كالنبات ، والشجر ، وحيوانات الصحراء ، وخلق الانسان وتعدد اسماء اعضاء جسمه .(٨)

وقد ازدادت هذه الجهود نشاطا في العصر العباسي الاول بفضل تشجيع الخلفاء هذه الدراسات ، واغداقهم على المعنيين بها ، وتقريبهم علماءها واتخاذ عدد من هؤلاء العلماء مؤدبين لاولادهم ، وتابعهم كثير من علية العرب في هذه الرعاية والعناية التي برزت باقوى مظاهرها في زمن هارون الرشيد . وكانت حصيلتها ثروة لغوية ضخمة تجلت في مؤلفات الاصمعي وابي عبيد خاصة فضلا عن آثارها في علوم اللغة ونحوها وصرفها ، وفي مجاميع الشعر التي كان من ابرز المعنيين بها حماد الراوية ، والاصمعي ، وابن سلام ، وسيبويه والكسائي ، وغالبيتهم المطلقة من العرب .(٩)

تم بفضل جهود هؤلاء المعنيين تسجيل عدد هائل من مفردات اللغة العربية وتحديد معانيها ، وكان التسجيل تراكميا قائما على السماع دون النقد او التحليل ، وكوّن مادة المصنفات من المعاجم الاولى المختصة والمعاجم التالية التي ازداد تضخمها والعناية بترتيب مادتها .

عناية المعاجم بلغة اهل العرب

لا ريب في ان كثيرا من هذه المفردات كانت عامة معروفة عند العرب، وقد وردت في القرآن الكريم ، واستعملها العرب من سكان الامصار

---

(٨) راجع « الفهرست لابن النديم » ص ٦١ ؛ « البيان والتبيين » للجاحظ ٩٢ . وانظر « الاعراب الرواة » لعبدالرحمن الشلقاني ، و « تاريخ الادب العربي » لمصطفى صادق الرافعي ، وانظر مقالنا « مفردات اللغة العربية : منابع دراستها وتطورها » المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٩٠ .

(٩) انظر « نشأة المعجم العربي » لحسين نصار ، والمقدمة القيمة التي كتبها رمضان عبدالتواب في الجزء الاول من تحقيقه «غريب المصنف »

وغيرهم . غير ان عددا منها استعمل بمعاني خاصة ، كما ان بعضها نادر الاستعمال ، او حوشي غريب لم يكن مألوف الاستعمال في صدر الاسلام وقد تضخمت هذا المعاجم العربية بكثرة ما اورده من كلمات نادرة الاستعمال.

ان هذه المفردات ، بصرف النظر عن دقة ضبطها ومدى انتشارها ،كانت مما هو مستعمل عند اعراب القبائل في اواسط نجد وغربيّها ، فهو لم يشمل ما استعملته وتفردت به جميع قبائل جزيرة العرب ، ومنهم بكر وتغلب وعبد القيس وأزد عُمان وأهل اليمن الذين يكونون عظم عرب الجزيرة والذين في مناطقهم منوعات حضارية ومستويات فكرية متعددة ، ولا يكفي تسويغ عدم الاهتمام بتسجيل ما استعملوه من مفردات اتصالهم بالاعاجم بدرجة اكبر من غيرهم ، علماً بأن ديار معظمهم (بكر وتغلب وإياد) اقرب من غيرهم الى الكوفة والبصرة ، وان عبد القيس وأزد عُمان كونوا نسبة كبيرة من مقاتلة البصرة ، كما كونت المقاتلة المهاجرة من اليمن نسبة كبيرة من سكان الكوفة وسكان عدد من الامصار الاخرى في بلاد الشام والفسطاط .

ان اغلب المادة التي جمعها الرواة من مصادرها في شبه جزيرة العرب او من قدم الامصار دونتها المعاجم الكبيرة التي ألفت منذ اواسط القرن الثالث الهجري ، وابرزها غريب المصنف لأبي عبيدة (ت ٢٢٤) ، والمعاني الكبير لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ومن المتأخرين القاموس المحيط للفيروزبادي (ت ٨١٦ هـ) ولسان العرب لابن منظور (ت ٧١١ هـ)

وصنف اللغويون العرب عددا من المعاجم رتبوا مادتها تبعا للموضوعات، ولاسيما ما يتعلق بخلق الانسان والحيوان ، والنبات والشجر ، والسلاح ، وعدد من النظم والعادات الاجتماعية وعلاقاتها والسلوك ، ومن اوائل المؤلفات الشاملة في ذلك « غريب المصنف » لأبي عبيدة (ت ٢٢٤ هـ) ، غير أن أوسعها كتاب «المخصص» لابن سيده (ت ٤٧٩ هـ) . غير أن مادة هذه الكتب مستمدة من اللغويين الذين انحصر حرصهم على تدوين « الفصيح » من

لغة الاعراب خاصة ، وندر ذكرهم للمولّد او ما استعمله اهل الامصار والمدن ، ولاسيما في العهود العباسية وما بعدها .

ويتجلى من عرض هذه المادة أنها تشمل ما يتعلق بالمظاهر الجغرافية لبيئة شمالي جزيرة العرب ، ومنتوجاتها ، وما يتصل باحوال الانسان وخلقه وسلوكه وعلاقاته الاجتماعية ومستازمات حياته المادية وما يتعلق بمأكله وملبسه وسلاحه واثاثه البيتية ، وغالبيتها المطلقة تتعلق بحياة البدو في الصحراء ، وهي تعبر عن دقة ملاحظاتهم وتنوع استعمالاتهم ولكن قليلا منها يتعلق بحياة المدن وتطوراتها الحضارية ، فهي لاتقدم صورة واضحة لمختلف جوانب الحياة والحضارة في شبه الجزيرة التي كان فيها كثير من مناطق الزراعة والمراكز الحضرية إبانَ القرنين الاول والثاني الهجريين اللذين تم فيهما رصد هذه المفردات وتسجيلها ، اضافة الى أنها قلما تشير الى مدى سعة استعمال هذه المفردات وتطورها .

ومن أبرز هنات هذه المعاجم أنها لم تستوعب كثيراً من المفردات التي استعملها اهل الامصار العربية التي كانت مراكز للحركة الفكرية وللمعنيين بالدراسات الفكرية ، كما كانت مراكز لمختلف الجوانب الحضارية لحياة متطورة ونامية .

تطور حياة العرب في الامصار

أنشئت الأمصار لتكون مقاما للمقاتلة وأُسَرِهم الذين كانت غالبيتهم من الاعراب البدو الذين من ابرز سماتهم التدريب العسكري والاهتمام بالسلوك والتصرف وتقدير الكلمة الطيبة من ادب وحكمة ، والصور الجميلة في الشعر ، فاهتماماتهم فكرية وسلوكية ، ولم يعنوا كثيرا بمظاهر الحياة المادية في المأكل والملبس والسكن ، وكانوا في السنين الاولى منصرفين الى الاسهام في الفتوح والاعداد للقتال . فأما بساطة المساكن فتتجلى في الاخصاص وبيوت القصب التي منها معظم بيوت اهل الكوفة والبصرة ؛

وحتى المسجد الجامع ودار الامارة ، وهما البنايتان العامتان الوحيدتان ، كانتا في اول الامر مشيدتين من الطين ، ولم يتم بناؤهما باللبن ثم بالطابوق الا بعد مرور قرابة نصف قرن على تأسيسهما .

وكان التنظيم المالي الذي وضعه الخليفة عمر بن الخطاب ، وتابع الخلفاء من بعده السير عليه قائماً على جباية الدولة الموارد بالنقود وتوزيع معظمها على المقاتلة العرب بصورة شبه متساوية ، يحصل فيه أهل الحد الادنى مئتين وخمسين درهما للمقاتل ، والحد الاعلى ، وهو شرف العطاء ، ألف درهم وخمسمئة ؛ وهي مقادير بالاضافة الى ما يوزع عليهم رزقا من مواد غذائية ، تكفي لمعيشة عادية غير مترفة . وكان على المقاتل ان يجهز نفسه بالسلاح ، ويحصل من عطائه على حاجاته المادية ؛ ولا ريب في ان هذا لا يؤمن حياة ترف ولكنه يزيد الطلب على السلع الشعبية ، وبذلك اصبحت هذه الأمصار مراكز لحياة اقتصادية نشطة بفضل الأموال التي كانت تصل اليها من الجبايات والعمل في تزويد المقاتلة بحاجاتهم .

غير ان تناقص المعارك بعد استقرار امتداد الدولة رافقه اضعاف للروح العسكرية وسماتها وتنامي الاهتمام بمظاهر الحياة المادية ، وكان هذا اوضح في العدد المتزايد الذي حصل افراده على ثروات بعضها كبيرة عن طرق شرعية من التجارة والاعمال وغيرها .

الاعاجم في الامصار العربية

وقد ادى كل ذلك الى ان تجلب الامصار اعدادا متزايدة من الكسبة ورجال الاعمال والتجار والصناع . ولا ريب في ان عددا غير قليل منهم كان من العرب الذين قدموا من مختلف مراكز الصناعة في جزيرة العرب ليمارسوا حرفهم ويكسبوا منها المال دون ان يسجلوا في المقاتلة ويحصلوا على العطاء والرزق من الدولة .

غير ان اعدادا ثم اكبر جاءت من المناطق القريبة من الامصار ومن الاعاجم الذين جلبتهم مجالات الكسب المتزايدة في هذه الامصار ، ولا تيسر

المصادر معلومات عن تفاصيل خطوات هجرة هؤلاء الاعاجم ، غير انه وردت اشارات الى سعتها منذ وقت مبكر ، ففي المدينة المنورة ، وهي مقام الخلافة، لاحظ عمر بن الخطاب والناس أن الاعاجم غلبت العرب على سوقهم ، وأنه ادرك وجوب الحد من تقاطرهم ، لكنه لم يتخذ تدابير لتحقيق ذلك ، لان العرب في المدينة لم يتحمسوا في تأييده بالعمل على الحد من هجرتهم لانهم هم الذين جلبوا الاعاجم الى المدينة ، ولابد انهم جلبوهم للافادة من اعمالهم ماليا وللخدمات الاخرى لان « المدينة لا تقوى على العمل بدونهم » .(١٠)

وقد حدث ما يشبه هذا التطور في الأمصار العربية الاخرى ، ولاسيما في البصرة والكوفة حيث بدأ استيطان الاعاجم في كل منهما في قوات عسكرية أعجمية استسلمت للعرب فأوطنوهم هذين المصرين كالاساورة والسيابجة في البصرة وحمراء الديلم في الكوفة ، ولابد انه تلا هؤلاء هجرة اعداد من طالبي العمل والصناع ورجال الاعمال ، وتزايدت اعدادهم فكان لهم دور مؤثر في الحركات السياسية .(١١)

ان تعبير «السوق» يقصد منه بالدرجة الاولى مكان معاملات البيع والشراء ويشير الى توسع التجارة وتزايد السلع التي كانت تستورد من مختلف ارجاء الدولة . غير انه لابد من شموله صناعات ومنتوجات نشطت في هذه الامصار .

ويجدر ان نشير الى اعداد غير قليلة من العرب تزوجوا اعجميات ، من الأرقاء ، او الاحرار ، وكانت لهن اساليب في الحياة والمعيشة تقلن بعضها

---

(١٠) انظر : « تاريخ المدينة » لابن شبه ٨٨٧/٣ ، ٨٩٣ ، ٩٠٤ وانظر ، ابن سعد ٣٤٥/٣ ، وانظر القول « غلبتنا هذه الاعاجم على سوقنا ومراجعها في كتب الحديث » المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي مادة (عاجم) .

(١١) انظر كتابينا « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة » و « خطط البصرة ومنطقتها » .

الى بيوت العرب التي عشن فيها والى الاولاد الذين نَسكَنَ ، وهكذا تزايد احتكاك العرب بمظاهر الحضارة المادية الاعجمية .(١٢)

ولما انشئت بغداد استوطنها منذ بدء تأسيسها عدد من الاعاجم وتقاطرت اليها اعداد كبيرة للعمل ولاغراض اخرى ، وافادت من النظرة الواسعة التي سادت بغداد منذ اول نشأتها . وكان تأسيس بغداد ونموها حدثا بارزا في تاريخ الحضارة العربية بالنظر لحياة السلم التي توطدت والازدهار الاقتصادي وتزايد الاهتمام بمظاهر الحياة المادية في الملبس والمسكن وعدد من المظاهر الاخرى (١٣)

تنافس المدن في الحياة المدنية

كان تنامي المدن والحياة الحضرية عاما وواضحا منذ تولي العباسيين الخلافة ، ومما زاد في تعميمها ورفعها من المستوى المحلي او الاقليمي الضيق تثبيت السلم والامن ، وتوسع النشاط التجاري ، وتزايد التنقل الموقت او الدائم ، فالمنسوجات التي كانت تصنع في مصر مثلا اصبحت معروفة في الحجاز والعراق وكثير من الاقاليم الاخرى للدولة . ومثل هذا ينطبق على منتوجات الاقاليم الاخرى في المنسوجات والمصنوعات والمنتوجات المعدنية والزراعية والصناعية .

لم يقتصر التنامي والانتشار على المنتوجات والسلع ، وانما امتد الى كثير من مظاهر الحياة المادية ، ومنها المآكل والملبوسات والمساكن وما يتصل بها من صناعات ومظاهر . وظل لهذا التطور مجال الانتشار والتعميم حتى في الازمنة التي تعرضت فيها البلاد الى اضطرابات سياسية وركود في الحياة المادية والاجتماعية .

---

(١٢) انظر « فجر الاسلام » والجزء الاول من كتاب « ضحى الاسلام » للاستاذ احمد امين .

(١٣) انظر دارستنا « بغداد مدينة الاسلام » ودراسة ليسز . وانظر عن احوالهم ودورهم في الكوفة « الشعر في الكوفة » ليوسف خليف

ولم تقتصر مظاهر الحضارة على الانتشار والتعميم فحسب وانما حدثت خلال مسيرتها تغيرات واسعة من ازدهار وركود ، ونمو وجمود ، ومن ابداعات مستجدة تضيف الى السائد وتنميه ، وغالبيتها المطلقة من التطور الذاتي لهذه لدولة الواسعة ، وقليل جدا من المؤثرات الخارجية، حيث كانت الحياة في الدولة الاسلامية وصلتالى مستوى عال من التقدم ، في حين كان معظم اقاليم العالم الاخرى اما نائية (كبلاد الشرق الاقصى والهند) واما متأخراً حضاريا (كأوربة وافريقية) .

توسع انتشار استعمال اللغة العربية في الادارة والفكر والحياة

كانت اللغة العربية السمة الرئيسة التي تميز العرب ، وكانت في مستوى عال من النمو بكثرة مفرداتها وقابليتها على الاشتقاق . وقد اعتز القرآن الكريم بنزوله « بلسان عربي مبين » « قرآنا عربيا غير ذي عوج » و « حكما عربيا » وقد حافظ العرب بعد ضمهم الى حظيرة الاسلام وقيامهم بتوسيع دولته على اعتزازهم بالعربية وتمسكهم باستعمالها ، فكانت لغة الخلفاء والقادة والولاة والمقاتلة ، وكانت مكانتها لاتمارى في الجزيرة العربية والامصار التي أنشؤوها لاقامة المقاتلة في مختلف ارجاء الدولة . ولما تم تعريب الدواوين في اواسط عصر الخلافة الاموية ، ثم توسعت حركة نقل العلوم في العهود العباسية الاولى خاصة ، اصبحت لغة الادارة والعلوم الصرفة والتطبيقية ، اضافة الى ما كانت عليه منذ البداية ، لغة الادب والشعر والفقه وعلوم القرآن والحديث والفقه .

وكانت سيطرة العرب في حكم الدولة وادارتها وغنى لغتهم واعتزازهم بها من عوامل تثبيتها وانتشارها ، فلم يعرف في تاريخ العرب حتى من غلاة الشعوبيين من طعن في ميزاتها أو دعا الى استعمال غيرها ، وساعد تعريب الدواوين ونقل كتب العلوم الاعجمية الى العربية ان تصبح اللغة العالمية للعلم ، فمعرفتها وحدها تيسر الاطلاع على ثمار النتاج الفكري العالمي مما لا تيسره اية لغة اخرى في عهود الازدهار

الاسلامي • قد دعت كل هذه الامور الى ان يقبل الاعاجم ولاسيما المتصلين منهم بالعرب او الراغبون في الاستزادة من المعرفة على تعلمها حتى ظهر منهم كثير من المتبحرين فيها ، والفوا عدداً من خيرة الكتب في توضيح معالمها وعرض خصائصها ومزاياها •

وقد واجه التطور الحضاري المتنامي الذي شهده العرب صورا جديدة من مظاهر الحياة المادية والاجتماعية والفنية والفكرية وحرصوا على تسميتها باسماء عربية ، وبذلك توسع استعمالها في الحياة • وكانت لمكانة العرب ومواقف الخلفاء ، ومنهم العباسيون الاوائل ، أثر في التسميات العربية لكثير من المظاهر الحضارية • ولم يتوان العرب في استعمال المفردات العربية للمستجدات التي واجهتهم كلما وجدوا الى ذلك سبيلا ، وبذلك ضاق مجال انتشار المفردات الاعجمية في حياة الناس ، وفي جملتهم الاعاجم في اصولهم •

مؤلفات في مفردات العلوم

غير ان المعنيين باللغة ومفرداتها ، من اهل القرون الثلاثة الاولى خاصة ، لم يحرصوا على ادخال «المولّد» و «الدخيل» ، وما لم يقل به اهل البلدية ، في معاجمهم ، كما أن العلماء ، ما خلا بعض المؤلفين الاولين في الفقه ، تابعوا استعمال المفردات العربية المألوفة في اوساطهم العلمية ، ولم يظهر من العامة واصحاب الحرف علماء دونوا مفردات ما يعرفونه من فنون الصناعات ومظاهر الحياة المادية على الرغم من امتدادها الى جوانب واسعة من الحياة وانتشارها بين اعداد كبيرة • وقد ادى ذلك الى ما نحس به من نقص واضح في المعاجم التي ألفت ابان العهود العباسية قصرت على تدوين مفردات « الفصيح » في زمنهم في الغالب •

وقد احس بعض الاقدمين بهذا النقص وآثاره فالفوا كتبا جردوا فيها بعض المفردات الي اغفلت ذكرها المعاجم « المعتمدة » ومن اشهر هذه

الكتب « المعرّب » للجواليقي ، و « شفاء الغليل بما في العربية من دخيل » للخفاجي ، وهذه كتب قليلة العدد وغير مستوفية في البحث .

وألّف عدد من العلماء كتبا اشبه بالمعاجم فيها جرد للمفردات المستعملة في عدد من ميادين المعرفة ، ففي الدواوين الفت كتب من اشهرها « مفاتيح العلوم » للخوارزمي ، و « ادب الكاتب » لابن قتيبة ، و « البرهان في علوم البيان » لابن وهب ، و « الالفاظ الكتابية » لعبدالرحمن بن عيسى ، اضافة الى الكتب الواسعة المتأخرة وابرزها « التثقيف » و « نهاية الارب » للنويري ؛ وفي ميدان التعليم تشغل الكتب التالية مكانة مرموقة و « تذكرة السامع والمتكلم » للخطيب البغدادي و « المقدمة » لابن الصلاح ، و « معيد النعم ومبيد النقم » للسبكي . وألفت كتب في مصطلحات الطب واشهرها كتاب القمري ، وكذلك في مصطلحات الفقه ، علما بأن معظم كتب العلوم تشرح معاني المفردات التي تشملها .

ان هذه الدراسات ألصق بتاريخ الفكر العلمي العربي، ومع انه وثيق الصلة بالحضارة الا ان سماته الخاصة تحملنا على التوقف عن التوغل في تفاصيله .[١٥]

مفردات في الحياة العامة : مصادرها

اما المفردات المستعملة في الحياة العامة ، فأمرها أعقد ، والاحاطة بها أصعب ، وذلك لان هذه الحياة ، وهي التي نطلق عليها « الحضارة » واسعة وغير واضحة الحدود ، فهي تشمل مظاهر الحياة المادية المتعددة من صناعات وحرف ومواد مستعملة في البيوت وفي السوق ، كما تشمل بعض

---

(١٥) انظر كتابنا « تاريخ العلوم وكتبها في العهود الاسلامية الاولى » اما قوائم المؤلفات فابرز الكتب الحديثة فيها « تاريخ الاداب العربية » لبروكلمان ، و « تاريخ التراث العربي » لفؤاد سزكين ، وكتابا اولمان في « تاريخ الطب الاسلامي » و « تاريخ العلوم الاسلامية » وقد نشرت حديثا معاجم مختصة في كثير من ميادين العلوم الصرفة والتطبيقية .

اساليب الحياة وانماطها ومثلها • وتمتد الى بعض الجوانب الفنية والفكرية وكل منها منوع ، بعضها عام وبعضها مقصور على منطقة محدودة او فئة معينة ، أو على اشخاص مفردين ، ثم ان كل هذه الظواهر لم تكن جامدة ، وانما عرضت لها تطورات من النمو والجمود ، واحتفظ بعضها باسمه على الرغم من تبدل صوره ، او احتفظ بصورته على تعدد اسمائه وتنوعها .

ومما يزيد الامر تعقيدا ان كثيرا من مفردات هذه المظاهر متصلة بحياة العامة من الناس ، وبعيدة عن اوساط العلماء ورجال الفكر الذين قل من حرص منهم على تسجيل تلك الحياة التي وان لم تكن غريبة كليا عليهم ، الا انها لم تكن مقدرة كثيرا عندهم ، فضلا عن ان هذه المفردات لا تتصل بما تجمعه المعاجم المتعارفة •

فمفردات الفاظ الحضارة في عهود ازدهارها متفرقة مشتتة في ثنايا عدد كبير من الكتب المنوعة الموضوعات • ومن النادر أن نجد كتابا واحداضم عددا كبيرا منها ووضعها في مكان واحد او اماكن متقاربة كالذي فعله الوشاء في كتاب « الموشى » أو مؤلف كتاب « حكاية ابي القاسم البغدادي » ، وكالذي فعله المؤلفون في الاطعمة وابرز ما وصل الينا منها كتابا كشاجم والنديم ، وكلاهما مما طبع حديثا،وكذلك كتب الاحجار والمعادن التي من اوسع ما وصل الينا منها « الجماهر في معرفة الجواهر » للبيروني ، و « ازهار الافكار » للتيفاشي

وفي كتب المتأخرين عن الجيش وتجهيزاته معلومات غنية عن الاسلحة والمعدات العسكرية لم تذكر المعاجم التراثية التقليدية كثيرا من مفرداتها •

وفي كتب الطب والادوية مجموعات كبيرة من مفردات النباتات والادوية والامراض والاغذية وتركيبات بعضها واستعمالاتها •

وفي كتب الفقه ، ولاسيما مؤلفات الاولين وابرزهم محمد بن الحسن الشيباني ، ومالك بن أنس ، والشافعي ، وابن أبي شيبة ، مفردات واسعة مما كان مستعملا في القرنين الثاني والثالث • ويكملهما ما في كتب الشروط

والنوازل من معلومات قيمة ومفردات كثيرة .(١٤)

وفي بعض اصناف الكتب المختصة بميادين محددة من المعارف مفردات كثيرة لعدد من جوانب الحضارة ، ففي بعض كتب البلدان معلومات عمّا تنتجه الاقاليم والبلدان او تصدره او يشيع استعماله فيها ، نخص بالذكر منها كتاب « احسن التقاسيم » للمقدسي ، و « البلدان » لابن الفقيه ، و «الاعلاق النفسية » لابن رسته ، و « المسالك والممالك » لابن خرداذبه الذي كان معتمد كتاب « الخراج » لقدامة بن جعفر ، وكذلك كتاب «المسالك والممالك» للاصطخري الذي يُروى انه نقل مادة كتابه عن ابي زيد البلخي ونقله ابن حوقل في كتابه « صورة الارض » .

ولكتب بعض الرحالة العرب مكانة خاصة فيهذا الميدان نظرالاهتمامهم بتدوين مالم يألفوه مما يشاهدونه في البلاد التي يزورونها ، واكتفي هنا بالاشارة الى اهمية ما ذكره ابن بطوطة عن خصائص الاقاليم التي زارها في المنتوجات والعادات ونظم الحياة ، وكذلك ما ذكره ابن فضلان في رحلته الى بلاد الخزر ، واشير الى المعلومات الغنية عن المؤلفات الجغرافية العربية التي عرضها باتفان كراتشوفسكي في كتابه « الادب الجغرافي عند العرب » والى المعلومات المتفرقة القيمة التي اوردها ميجيل في كتابه « الجغرافية البشرية للعالم الاسلامي » وكل من الكتابين يتميز بغناه عن الكتب الكثيرة التي الفها العرب عن البلدان وخصائصها واوردوا فيها كثيرا من الفاظ الحضارة .

ولابد من الاشارة الى الاهمية الخاصة في هذا الميدان لكتب الاسمار والحكايات ، واشهرها « ألف ليلة وليلة »(١٥) و « قصة عنترة » و « تغريبة بني هلال » وادخل في هذا « خيال الظل » لابن دانيال .

---

(١٤) انظر تفاصيل اوفى في مقالنا « التاريخ الاجتماعي واهمية كتب الفقه في دراسته » المنشور في مجلة الرسالة الاسلامية ص ٥٢ وما بعدها .

(١٥) انظر « الف ليلة وليلة » لسهير القلماوي .

ففي كل منها مفردات واسعة كانت تعرفها « العامة » و « الجماهير » في ميادين متعددة من الحضارة ، ولا تتوافر في المعاجم الخاصة .

ولابد ان الفاظ الحضارة التي لم تدخلها المعاجم التقليدية ولم تشرح معانيها التي استعملها عامة الناس في العهود المتأخرة ، موجود منها مقدار كبير في كتب التاريخ والاداب والشعر وغيرها من اصناف المصادر واكثر هذه المفردات متفرقة ، وتذكر عَرَضاً ، وقد تكون في سياق لا يلفت النظر ، ويتطلب جردها جهدا كبيرا وخبرة خاصة لمن يقوم بالعمل ، فقد لا تحصل من كتاب يضم مئات من الصفحات على اكثر من بضع مفردات ، وقد تحسب فيما تجرد كلمات عادية ، وهي عند المتتبع المتمرس ذات دلالة حضارية مهمة .

ولكتب الجاحظ مكانة متميزة في رصد الفاظ الحضارة ومعرفة دلالاتها ذلك ان الجاحظ تميز بسعة الاطلاع ودقة الملاحظة وتدوين جوانب متعددة من الحياة الحضرية ، ولاسيما ما استعمل في البصرة وبغداد في القرن الثالث الهجري الذي عاش فيه ، اضافة الى المعلومات الواسعة التي عرضها عن التراث اللغوي والفكري العربي . وقد وصل الينا معظم كتبه الكثيرة كاملة او باختصار عبدالله بن حسان ، وهي تختلف في حجمها ومادتها . فبعضها يبلغ مجلدات ، وبعضها رسائل قصيرة ، وكثير منها بين ذلك . وقد نشر فريق من المُحْدَثِين ، وأخصهم : عبدالسلام محمد هارون ، وحسن السندوبي ، وطه الحاجري ، عددا من كتبه بتحقيق دقيق مرفق بفهارس لغوية وعمرانية وحضارية . وكانت كتبه مصدراً لدراسات حديثة قيمة ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : « الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء » لشارل بيلا ، و « الجاحظ والحاضرة العباسية » لوديعة طه النجم ، و « الموروث الشعبي لآثار الجاحظ » الذي أصدره المركز « الفولكلوري » العراقي ، وكذلك المقالات التي نشرت في العدد الخاص عن الجاحظ من مجلة المورد .

ويقرب من الجاحظ ، مؤلفان من رجال القرن الرابع الهجري ، وإن لم

بلغا مكانته ، هما : أبو حيان التوحيدي (ت ٤٠٠ هـ) ، وابو علي المحسن التنوخي (ت ٣٨٤ هـ) • فاما التوحيدي فعاش حياة دخلت عليه فيها الفاقة والترف ، وألف كتبا اشهرها «الامتاع والمؤانسة» الذي جعله على شكل ليالي عرض فيها صورا منوعة من الحياة الاجتماعية والفكرية ، وفيها الفاظ وتعابير حضارية كثيرة مما كان مستعملا في زمنه • وينسب عبود الشالجي الى التوحيدي حكاية ابي القاسم البغدادي المتميزة بغنى مفرداتها في ما يختص بمختلف جوانب الحضارة •

اما التنوخي فأصل موطنه بلاد الشام ، فقد ولد في انطاكية ، ثم انتقل في مطلع شبابه الى بغداد ، وولى القضاء في عدد من مدن العراق وبلدانه ، ولقي في السنين الاخيرة من حياته كثيرا من الشدائد والمحن ، والف عددا من الكتب ابرزها « المستجاد من فعل الاجواد » و « الفرج بعد الشدة » ثم « نشوار المحاضرة » وهو اوسعها واغناها • وكانت اكثر اتصالاته بالبيئات الادارية ، وقد اورد في كتبه روايات واخبارا فيها مفردات ادارية وحضارية كثيرة ، بعضها مما انفرد بذكره او بدلالته •

وفي « رسوم دار الخلافة » تعابير حضارية وادارية كثيرة افردها ميخائيل عواد في فهرس خاص ملحق بهذا الكتاب الذي طبعه •

وقد تتابعت حديثا دراسات غير قليلة ، بعضها مستوعب ، عن جانب او اكثر من الحضارة العربية ، ولاسيما الحياة الاقتصادية والاجتماعية والمعاشية ، ومنها المأكل والملبس والمسكن ، والنشاطات الاقتصادية ، والمعاملات المالية والعلاقات الاجتماعية في عدد من مدن العالم الاسلامي واقاليمه ، وحظيت كل من بغداد والقاهرة ودمشق بنصيب اوفى من هذه الدراسات التي عرض في كل منها مؤلفوها معلومات وافية مما جمعوه من المصادر التراثية ، مع شروح وتعليقات توضح ماهية ما درسوه واهميتها في زمنها ، ودونوا فيها المفردات ، كما وردت في المصادر التراثية ، ونشر المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية في الاردن عدة مجلدات بعناوين اكثر هذه

الابحاث التي نشرت عن كل مفردة ودلالاتها في الحياة الاقتصادية.
ويتابع بيرسون اصدار الفهرس الاسلامي ، وفيه قوائم بما يجري نشره
من كتب وابحاث عن تاريخ العرب وجوانب حضارتهم .

ولا ريب في ان هذه الابحاث تقدم مادة غنية عن كثير من الفاظ
الحضارة وتحديد تقريبي لزمن استعمالها ، فهي تساعد على تيسير جمع
الفاظ الحضارة

وقد حظيت الادوية والامراض وعلاجاتها باهتمام واسع
متميز في رصد مصادرها ونشرها واعداد فهارس وشروح لبعضها ، كما
حظيت العمارة والابنية باهتمام كبير ولكنه لا يفوق الاهتمام بدراسة
المنسوجات والالبسة التي نشرت عنها دراسات قيمة من اميزها دراسة
لومبارد عن «المنسوجات الاسلامية» ، ودراسات سارجنت في نفس الموضوع.
وكذلك « معجم الملابس العربية » لدوزي ، و « الملابس المملوكية » لماير
و « الملابس العربية » لصلاح العبيدي ، و « ملابس العرب في الجاهلية »
ليحيى الجبوري ، ودراساتي عن الالبسة العربية والوانها ومراكز النسج
في صدر الاسلام .

رصد الفاظ الحضارة يتطلب جهودا استثنائية

ان تعقد بحث مفردات الحضارة يرجع بعضه الى سعة مدلول
الحضارة وشمولها جوانب متعددة من مظاهر الحياة المادية والمعاشية
والسلوكية والاخلاقية والفنية لمختلف الفئات المتعددة للشعب بجماعاته
المتفرقة في مساكنها والمتباينة في عدد افرادها . ويرجع التعقيد ايضا الى تباين
مدى انتشار هذه المفردات في المكان وديمومتها في الزمان ، فبعض هذه
المفردات عم استعمالها في مجتمعات كثيرة ومناطق واسعة واستمرارها مددا
طويلة ، وبعضها الاخر كان استعماله محصورا في جماعات محدودة العدد
وفي مكان معين . ومن المؤكد ان ذكر مصدره لمفردة حضارية هو دليل على
استعمالها في زمن تأليف المصدر ، غير انها لا توضح وحدها مدى سعة

انتشارها وديمومتها .. وهي امور تجدر مراعاتها ، وضبطها مهم لفهم المتفرد والعام ، والمؤقت والدائم في المؤسسات الحضارية .

الاهتمام الحديث برصد الفاظ الحضارة

معاجم الفاظ الحضارة

ازداد الاهتمام في الزمن الحديث بدراسة تاريخ الحضارة العربية وتطورها ، ورافق ذلك اهتمام بجرد مصطلحاتها.وكان رائد ذلك دوزي الذي نشر مجموعة كبيرة من مصطلحات حضارية لم تستوعبها المعاجم المألوفة ، وسمّى كتابه « تكملة المعاجم العربية » .

ونشر مجمع اللغة العربية في القاهرة معجماً مقتضبا قيما لمحمود تيمور ، كما نشر عبدالعزيز بن عبدالله مجموعة غنية من المعجم الحضاري الذي اعده.

ونشر مكتب تنسيق التعريب في المغرب عددا من المعاجم في كل منها مفردات ومصطلحات حضارية في احد جوانب الحضارة .

فهارس الفاظ الحضارة في كتب التراث

وعني عدد من المحدثين بنشر كتب تراثية ارفقوها بفهارس في المصطلحات الحضارية الواردة في الكتاب الذي ينشره . وكان ابرز رائد في هذا المضمار المرحوم الاب انستاس الكرملي الذي كان يرفق كل كتاب ينشره بفهرس للالفاظ الحضارية الواردة فيالكتاب ، ويضع احيانا مقابلها الاعجمي، ويذكر احيانا معلومات اضافية تشرح المصطلح .

ونشيد في هذا المقام بما قام به الدكتور محمد مصطفى زيادة ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، وجمال الدين الشيال ، وهم ابرز طلابه ، بالفهارس الغنية في مفردات الحضارة في الكتب التي نشروها ، واكثرها مما يتصل بتاريخ مصر في القرن الرابع الهجري وما تلاه من القرون .

ونشير ايضا الى فهارس الالفاظ الحضارية التي الحقها عدد من المستشرقين في ما نشروه من الكتب ومنها تاريخ الرسل والملوك للطبري ،

وفتوح البلدان للبلاذري ، وكتب الاصطخري والمقدسي في الجغرافيا حيث افردوا لها مجلدا خاصا من مجموعتهم « المكتبة الجغرافية العربية » .

ونوه ايضا بالفهارس الحضارية التي الحقها الاستاذ عبود الشالجي في نشره عددا من الكتب التراثية عن تاريخ العراق ، وابرزها « نشوار المحاضرة » للتنوخي ، و « الفرج بعد الشدة » ، و « حكاية ابي القاسم البغدادي » التي سبق أن نشرها آدم متز .

ان الاهتمام برصد الالفاظ الحضارية حديث ، مرجعه توسع الاهتمام بدراسة الجوانب الحضارية ، ولابد ان هذا الاهتمام سيستمر متزايدا لما له من دور في توضيح معالم الحضارة العربية وتطورها في الماضي ومما ضاعفه حرص عدد كبير على الاحتفاظ اللغوي بمظاهر الهوية العربية في هذه الازمنة المعاصرة التي تميزت بتوسع كبير في حياة الحضارة، وتزايد تأثير الحضارة الغربية التي توسعت في جوانب الحياة المادية وزادت آثارها في حياتنا . ولما كانت المعاجم العربية المتداولة لم تول اهتماماً برصد وتسجيل اكثر هذه المفردات ، فلابد من معالجة قصورها بجهود كبيرة واسعة تتناسب مع اهمية هذا العمل وتعقده .

تنظيم العمل

(١) جمع ما انجز عمله

ان الخطوة الاولى لتحقيق معجم مستوعب لالفاظ الحضارة هي جمع ما تم انجازه وتنظيمه . وقد ذكرنا ان المعاجم التي نشرت قليلة وغير مستوعبة، وانه جرت انجازات فردية كثيرة ولكنها متفرقة واكثرها نشر ملاحق لعدد من الكتب التراثية ، فرصد ما تم نشره وجمعه هو عمل اساسي غير هين ، لان عددها كبير ، وكثير منها نشر في كتب او دوريات لم تلق عناية اعلامية كبيرة . وان متابعة الرصد يتطلب جهودا يسهم فيها العدد الاكبر من المعنيين للتعريف بهذه « الفهارس » كيما يتيسر استيعابها وتنظيمها .

(٢) التدقيق والاكمال

ومهما كان مقدار ما تم نشره فانه لا يمكن القول بانه مستوعب في مقداره او نطاقه ؛ اذ ان الافراد القائمين به متباينون من حيث سعة آفاق فهمهم ودقتهم ، فبعضهم دقيق في الملاحظة مستوعب في الرصد ، وعدد منهم لا يفوته تسجيل عدد من المفردات في ميدان اختصاصه فحسب ، وانما يفوته ايضا تسجيل الفاظ حضارية قد تكون ذات اهمية اساسية في جوانب حضارية خارجة عن نطاق اهتمامه . لذلك لا يصح اعتبار ما تم انجازه كاملا او مستوعبا ، وانما يحتاج الى اعادة النظر في الكتب التي تمت فهرسة ما تحتويه من مصطلحات حضارية لاكماله بما فات فهارسها المنشورة ، اضافة الى اكمال فهارس ما لم يتم نشره .

قام المجمع العلمي العراقي بمحاولة اولية جمع فيها فهارس الفاظ حضارية نشرت مع عدد من الكتب التراثية المحققة حديثا . وان العدد المحدود مما جمعه من فهارس يكفي لابداء ملاحظات تصلح ان تكون اساسا لمقترحات تساعد على تيسير الاعمال المشابهة في المستقبل . ويلاحظ ان هذه الفهارس هي لكتب متباينة في مادتها ، مختلفة في تاريخ اصولها . وبعضها متقاربة في ميدان اهتمامها ، وكثير منها يعنى بالادوية والمنتوجات الزراعية ، وكذلك فيما يتعلق بالنظم الادارية والحياة الاقتصادية ، وأكثر الالفاظ الحضارية فيها تتكرر في فهارس أكثر من كتاب ، وهذا يتطلب تنسيقها بحذف المكرر منها والاكتفاء بالاشارة الى مكان ذكره في المصادر التي ذكرتها .

ووضعت المقابلات الاجنبية ، ولاسيما الانكليزية والفرنسية ، لعدد من المفردات التي ذكرتها هذه الفهارس ، ولاسيما فهارس كتب الطب والادوية المفردة ، واكثر هذه المقابلات معتمدة على عمل (ديموليه) الذي نشره في المجلة الاسيوية في اواخر القرن التاسع عشر ، ولقي على أثر نشره انتقادات وتصويبات غير قليلة . والواقع أن دراسات كثيرة نشرت منذ ذلك الحين، منها

كتب الطب والادوية التراثية ، كما نشرت دراسات واسعة مسحت فيها نباتات بلاد الوطن العرب ، ومقدار ما نشر ودقته يكفي ليكون اساسا شاملا معتمدا لضبط ماهية هذه المفردات ، وهي الصق بعلوم النبات ولكن علاقتها الوثيقة بالتراث الحضاري العربي ، وخاصة في الطب والادوية والاطعمة والحياة الاقتصادية : كل ذلك يسوّغ ادخال دراستها ضمن التراث الحضاري .

ذكرت ألفاظ الحضارة في هذه الفهارس مجردة من الشروح والتعليقات. يتطلب لها هذا شروحا توضيحية تراعى تنوع مدلولاتها تبعا للزمان والمكان. وهذا تكون وثيقة الصلة ومادة أساسية للمعجم التاريخي الذي يزداد تقدير اهميته وتجرى دراسات لوضع اسس تنظيمه ومحاولات لتحقيقه كليا او جزئيا .

رتبت الالفاظ الحضارية على وفق التسلسل الالفبائي العربي او الاعجمي، وبذلك كان ترتيبها عاما شاملا دون ان يراعى تنوع الموضوعات او مناطق انتشارها او زمن استعمالها.ان هذا الترتيب ييسر المراجعة ، ولاسيما اذا كان عدد هذه المفردات محدودا ، غير انه يكون رابكاً اذا تضخم العدد وشمل جوانب حضارية متعدة .

ان هذا يثير قضية اساس تنظيم النشر ، فهل نعمل لاعداد معجم شامل لالفاظ مختلف جوانب الحضارة ، او نعد معاجم يختص كل منها بميدان او جانب خاص من هذه الحضارة المتعددة الجوانب ؟ ان الاخذ بالمقترح الاول يعين على تقديم معجم شامل ، ولكنه قد يكون واسعا يَرْبكُ من يراجعه . أما المعاجم الاختصاصية ، فهي اكثر تيسيرا للمراجعين، ولكنها كثيرا ما تؤدي الى التكرار ، لان اللفظ الواحد قد يحمل اكثر من جانب حضاري .

ولابد من جهة ، أو جهات محدودة تقوم بمتابعة الاعمال المتفرقة وجمعها وتنسيقها واعدادها للنشر ، وهذا يتطلب أن يتوافر فيها العدد الكافي

من الباحثين المتمرسين المعنيين بهذا العمل ، وان توفّر لها امكانات مادية من كتب وأجهزة ، وأن يكون لها من الموارد المالية ما يمكنها من الصرف لتحقيق هذه الاغراض •

خلاصة اجمالية

١ ــ حرص العرب على لغتهم التي تتميز بغنى مفرداتها ومرونتها وقابليتها للاشتقاق والتوسع •

٢ ــ ان شبه جزيرة العرب واسعة، فيها منوعات في السطح والتربة والمنتوجات المعدنية والنباتية والحيوانية ، كما انه تتعدد فيها اساليب الحياة ومظاهر الحضارة ، ولكل منها تسميات عربية •

٣ ــ توسع نمو الحضارة وازدهارها على اثر الفتوح الاسلامية ، وشمل حياة العرب والاعاجم في الامصار العربية والمراكز الاخرى • ودفع اعتزاز العرب بلغتهم الى استعمال مفرداتها للتعبير عن معظم مظاهر التطور ، ولكنهم استعملوا ايضا مفردات اعجمية استعمالا محدودا •

٤ ــ عُنِيَ مؤلفو المعاجم التراثية بتسجيل المفردات المستعملة في عدد محدود من القبائل العربية التي ديارها في الطريق بين الكوفة والمدينة وفي الاطراف الغربية من نجد (تميم وأسد وغَطَفان وعامر بن صعصعة وهُذَيل) ، ولم يحرصوا على تسجيل المفردات التي اختص بها كثير من القبائل وأهل المناطق الاخرى ، ومنها اطراف العراق (إياد وتغلب وبكر) وشرقي الجزيرة (عبد القيس ، وأزد عمان ، وحنيفة) وفي اليمن ، كما اغفلوا عن عمد الالفاظ الحضارية التي شاع استعمالها بين العرب وغيرهم من اهل الامصار العربية •

٥ ــ توسع استعمال المفردات العربية بعد الفتوح بالتوسع الحضاري وتنوعه•

٦ ــ عرضت للتعابير الحضارية تطورات واسعة رافقت التطورات الحضارية ، ولم يؤلف معجم شامل يرصد هذه التطورات ، فظلت مفرداتها متفرقة في أصناف عديدة من المصادر •

٧ ــ تزايد الاهتمام حديثا برصد الالفاظ الحضارية مرافقا التوجه الحديث في العناية بدراسة الحضارة وتطورها •

٨ ــ نشرت دراسات فردية متفرقة تختلف في دقتها وشمولها ، وهي تصلح اساسا لمحاولات اوسع •

٩ ــ ان الحاجة الى توسيع الجهود في رصد الالفاظ الحضارية ملحة • وهذا يتطلب اشراك اكبر ما يتيسر من الباحثين للرصد ، كما يتطلب ايجاد مركز او مراكز محدودة فعالة تنسق الاعمال وتعدها للنشر والافادة باوسع نطاق •

١٠ ــ من المفضل استعمال التقنيات الحديثة في جمع الالفاظ الحضارية وتنسيقها ، على أن يشرف على توجيهها ذوو الاطلاع الواسع والمرونة الفكرية •

١١ ــ ان رصد الفاظ الحضارة هو جزء اساسي من دراسة الحضارة العربية وتطورها ، وهو وسيلة لتوضيح معالم هذه الحضارة وغاية في انماء المعاجم العربية وسد النقص الملحوظ في المعاجم اللغوية التراثية الغنية في مفردات بعض جوانب الحضارة وخاصة حياة البدو ، ويعوزها بمفردات بعض جوانب الحضارة ، ولاسيما حياة البدو ، وتعوزها مظاهر حياتهم •

توحيد المصطلحات العسكرية العربية
في الجيوش العربية
التجربة والعبرة

اللواء الركن محمود شيت خطاب

المقـــدمة

كان الحافز المباشر بالنسبة لي ، للتفكير جديـاً في توحيد المصطلحات العسكرية العربية في الجيوش العربية كافة ، هو زيارة وفد عســكري مــن احدى دول المغرب العربي الشقيق للعراق سنــة ١٩٥٤ ، فزار هذا الوفــد وحدات الموصل العسكرية ، ويومها كنت آمرا لاحدى تلك الوحدات ، فلم أستطع ولم يستطع غيري التفاهم مع هذا الوفد الا بلغة أجنبية .

كان الوفد يتكلم اللغة الفرنسية بطلاقة ، وكانت مصطلحاته العسكرية فرنسية مائة بالمائة ، فاستعنت بأحد القسس في الموصل ، للتفاهم مع أفراد ذلك الوفد ، وكان منظر رجل الدين ، في ميدان العرض العسكري ، في وسط مجموعة كبيرة من الضباط،تستعصى عليه ترجمة المصطلحــات العسكرية العربية ، لانه غريب عنها ، فيكثر الشرح والتوضيح ، ويضيع الوقت عبثا ، دون أن يطمئن العراقيون والوفد المغربي الزائر الى ان القس توصل الــى تفهم المصطلح العسكري حقا ، وانه قد نقل ما فهمه الى الوفد الشقيــق . ولم اكن أعرف ، أن التناقض في مصطلحات الجيوش العربية شديد

الى هذا الحدّ ، قبل تلك الزيارة ، فأخـذت أدقق في مصطلحات الجيوش العربية ، من خلال زياراتي للكليات العسكرية العربية ، ومشاركتي في قسم من التدريبات العسكرية للجيوش العربية الأخرى ، ودراسة معجماتهـا العسكرية المتيسّرة ونشراتها وكتبها ومجلاتها العسكرية ، فوجـدت أن التناقض شاسع جداً ، كالتناقض بين اللغة العربية ولغة أجنبية أخرى .

ولكي نـدرك مدى التناقض بـين الفاظ المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية ، اضرب لكم مثلا بجزء يسير من المصطلحات العسكرية بين الجيش العراقي والجيش المصري ، لتصوير البون الشاسع في المصطلحات العسكرية بين الجيشـين العربيين الشـقيقين ، مع ان هـذه المصطلحات في هذين الجيشين ، هي أقلّ اختلافاً عند مقارنتها بالمصطلحات العسكـرية في الجيوش العربية الاخرى :

نوع المصطلحات	في الجيش العراقي	في الجيش المصري
(١) ــ اجزاء الاسلحة	السبطانة	الماسورة
	الزناد	التتك
	الشعَيْرة	الدبانة
	النابض	الزنبرك
	التصويب	النيشان كاه
	المِدفع	الطوب
	الهاون	المورتر
	الغدّارة	الستن
(٢) ــ الرتب العسكرية	المسدس	الطبنجة
	العريف	الشاويش
	الرائد	الصاغ
	المقدّم	البكباشي

نوع المصطلحات	في الجيش العراقي	في الجيش المصري
(٣) ـ مصطلحات الفن العسكري	العقيد	القائممقام
	سَوْق	استراتيجية
	تعبئة	تكتيك
	رَتَل	طابور
	ثُكْنَة	قشلاق
	قاعة	عَنْبر
	حَرَس	قره‌قول
	مرافق	ياور

ان تناقض المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية ، ادى الى صعوبة التعاون العسكري العربي في المجالات الثقافية والتدريبية والفنية ، وفي السلم والحرب .

فالكتاب العسكري المطبوع في قطر عربي من الأقطار العربية ، يستعمل في جيش ذلك القطر وحدة ، ولا يستعمل في الجيوش العربية الأخرى .

والمعاهد والمدارس والكليات العسكرية في قطر عربي من الأقطار العربية ، تخرج ضابط صف وضباطاً لذلك القطر العربي وحده ، والطالب العسكرية الذي يتخرج في كلية عسكرية لقطر عربي ما ثم يعود الى قطره بعد تخرجه ، عليه أن يعيد تدريبه مبنى ومعنى ، كالذي يتخرج في كلية عسكرية أجنبية ، فيعود الى قطر ليعيد النظر في المصطلحات العسكرية الأجنبية ، ويتعلم ما يقابلها من مصطلحات عسكرية مستعملة في بلده .

والقائد العسكري الذي يصدر أوامر عسكرية في الميدان يصعب على العسكريين من غير جيشه فهم أوامره ، ويصعب عليهم تنفيذها نتيجة لذلك.

والذين يشهدون التدريب العسكري في جيش غير جيشهم من الضباط

والمراتب ، يعجزون عن تفهم كثير من المصطلحات العسكرية ، ويحتاجون الى ضباط من ذلك الجيش العربي ، ليشرحوا لهم معانى تلك المصطلحات ، ان استطاعوا الى ذلك سبيلا •

حافز التوحيد غير المباشر

ان توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية ، يشيع الانسجام الفكري بين العسكريين العرب بخاصة ، وبين المثقفين العرب بعامة ، ويضع التعاون العسكري على أسس رصينة ، ويكون القاعدة الثابتة للوحدة العسكرية العربية المنشودة •

وتوحيدها والالتزام بتطبيقها ، عاملان حاسمان ، من عوامل مهمة وضع التعاون العسكري العربي ، فكرياً وعسكرياً ، موضع التنفيذ •

واذا كان التعاون العسكري ضرورياً للعرب ، قبل خلق الكيان الصهيوني العنصري التوسعي ، فقد أصبح بعد خلقه قضية حياة أو موت ، بالنسبة للعرب •

والتعاون العسكري يمكن أن يتم على النطاق العربي ، اذا بدأت الخطوط الأولى الحاسمة في توحيد المصطلحات العسكرية العربية في الجيوش العربية ، لأن اشاعة الانسجام الفكري بين منتسبى الجيوش العربية ، يجعل التعاون بينها ممكنا ، ولا تعاون بدون هذا الانسجام •

وهذا التوحيد ، يقضى قضاء مبرماً على الكتب العسكرية القطرية ، ويجعل من الكلمة العسكرية المكتوبة بشتى أنواعها وصورها في القطر العربي ، كلمة عسكرية عربية ، تشيع الانسجام الفكري والتعاون الثقافي والتدريبي بين أفراد الأمة العربية في قضايا الثقافة العسكرية والعلوم والآداب والفنون العسكرية •

وهذا التوحيد ، يجعل الكليات والمعاهد والمدارس العسكرية القطرية ، كليات معاهد ومدارس عسكرية عربية ، تغذى كل العسكريين العرب ،

بالتدريب العسكري الفني ، وبالثقافة العسكرية الموحدة .

وهذا التوحيد أيضاً ، يجعل الأوامر التي يصدرها قائد من قادة العرب العسكريين ، مفهومة من العسكريين العرب في كل مكان ، وقابلة للتطبيق والتنفيذ من جراء ذلك .

وتوحيد الجيوش العربية ، هو الحجر الأساس للوحدة العربية الشاملة ، فلا وحدة للعرب بدون قوة ضاربة ، ولا قوة ضاربة اذا بقيت الجيوش العربية متفرقة بثقافتها وفكرها وتدريبها .

ولا تقتصر أهمية توحيد المصطلحات العسكرية على الجيوش العربية حسب ، بل تشمل تأليف وترجمة الكتب الثقافية التي لاتخلو من المصطلحات العسكرية ، وتشمل أجهزة الاعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة ايضا .

بل تشمل جميع انواع العلوم المختلفة ، فالمهندس والطبيب والكيمياوي والفيزيائي ، وغيرهم من العلماء ، لهم علاقة مباشرة بالمصطلحات العسكرية ، وهؤلاء بحاجة ماسة الى معجم عسكري موحد .

والمذيع والصحافي والمؤلف والمترجم ، لهم صلة مباشرة بالمصطلحات العسكرية اذ كيف تكتب الاخبار العسكرية بدون اتقان المصطلحات العسكرية ؟

والثقافة العسكرية العامة، ضرورية لكل مثقف عربي ، يريد ان يستكمل ثقافته العامة ، وبخاصة ان العرب في حرب مصيرية على العدو الصهيوني الذي له اهداف توسعية استيطانية في الوطن العربي : من النيل الى الفرات .

والثقافة العامة لا يمكن استيعابها بشكل سليم صائب ، بدون معرفة المصطلحات العسكرية العربية الموحدة .

وقد قرأت ترجمة لمذكرات احد قادة الحرب العالمية الثانية ، نقلها الى العربية قبل صدور المعجم العسكري الموحد ، استاذ جامعي ، يتقن اللغة الاجنبية التي ترجم عنها ، ويتقن اللغة العربية التي ترجم اليها ، ولكنه لا يتقن

المصطلحات العسكرية السليمة ، فجاءت ترجمته تافهة هزيلة متهافتة ، قلبت معاني تلك المذكرات رأسا على عقب ، ومسخت المعلومات الواردة فيها مسخا شنيعا •

مثلا ، ترجم كلمة : Section الانكليزية الى كلمة : (فرقة) العربية ، وملاك الفرقة نحو خمسة عشر الف مقاتل في جيوش الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) بين ضابط وضابط صف وجندي وتابع •

والترجمة الصحيحة لهذه الكلمة الانكليزية هي كلمة : (حضيرة) وملاك الحضيرة بين ثمانية مقاتلين الى عشرة مقاتلين ، من ضباط الصف والجنود فقط •

وشتان بين خمسة عشر الف مقاتل فيهم عدد ضخم من الضباط ، وبين ثمانية مقاتلين او عشرة مقاتلين من ضباط الصف والجنود فقط ، ليس بينهم اي ضابط •

ولست بصدد نقد هذا الاستاذ الجامعي ، ولكنني بصدد تبرئة ساحته من التقصير ، لانه لم يكن يملك معجما عسكريا موحدا ، والمعجمات العسكرية القطرية متناقضة تناقضاً شديدا ، لذلك سقط في اخطاء لاتخفى ولو انه حاز على معجم عسكري قطري ، لفهم ترجمته عسكريو قطره فقط ، وكان لعسكريي الاقطار الاخرى على ترجمته مآخذ كثيرة ، هذا اذا فرضنا انهم فهموا ترجمته • والنتيجة ، ان الاستاذ ترجم مذكرات القائد العسكرية بمصطلحات مدنية بحسب اجتهاده ، فماتت ترجمته في مهدها ، ولم يكتب لها البقاء •

وكانت هذه الصورة السلبية ، التي هي واقع العسكرية العربية ، وواقع الاعلام العربي والثقافة العربية ، تطالعني صباح مساء ، وتلح علي الى حد الالحاف ، ان اسعى ما استطعت من اجل استبدال الايجابية بالسلبية

خدمة للعربية الفصحى ، وكل جهد في خدمة لغة القرآن الكريم يهون .

خطة توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية وتنفيذها

في مؤتمر مجمع اللغة العربية المصري والمجمع العلمي العراقي ، الذي عُقد في بغداد من ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) من سنة ١٩٦٥ ، الى ٣٠ من الشهر المذكور ، أُلقي بحث عنوانه : اهمية توحيد المصطلحات العسكرية العربية ، وكان هذا البحث الخطوة الاولى العملية في خطة توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية .

وكان من جملة مقررات ذلك المؤتمر : « تشكيل لجنة من المختصين ، تحت اشراف جامعة الدول العربية والقيادة العربية الموحدة ، لتوحيد المصطلحات العسكرية ، على ان يعاونها بعض اللغويين » .

وبعد عودة أعضاء مجمع اللغة العربية المصري الذين شهدوا المؤتمر من بغداد الى القاهرة ، كتب الامين العام لمجمع اللغة العربية المصري رسالة رسمية الى الامين العام لجامعة الدول العربية ، يبلغه فيها بقرار مؤتمر مجمع اللغة العربية المصري والمجمع العلمي العراقي الخاص بتوحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية [1] .

وبعد مخابرات رسمية واتصالات شخصية عديدة ، انتهت بتاريخ ٢٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٧ ، تقرر ارجاء توحيد المصطلحات العسكرية العربية الى اشعار آخر !!

وقصدت القاهرة ، فاكتشفت امر هذا الارجاء ، بمراجعة الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، كما اكتشفت ان الذي قرر ارجاء التوحيد، موظف ثانوي صغير في الادارة الثقافية ، تثاقل عن متابعة المكاتبات الورقية ، وظن ان امر هذا التوحيد لا يستحق متابعة ولا عناء ، فلم يكلف نفسه حتى

---

(١) كتاب الامين العام لمجمع اللغة العربية المصري المرقم ٦٠ والمؤرخ ١٩٦٦/١/١١ .

باخبار مجمع اللغة العربية في القاهرة بهذا الارجاء ، ولم يعرف عنه المجمع العلمي في بغداد شيئا •

وحملت ملف اوراق التوحيد ، الى امين عام جامعة الدول العربية ، وشرحت له اهمية توحيد المصطلحات العسكرية لحاضر العرب ومستقبلهم ، وبعد محاولات كثيرة ، وافق الامين العام على ان تجتمع لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية في مبنى جامعة الدول العربية بتاريخ ٣٠ مايس (مايو) سنة ١٩٦٨ •

وقصدت القاهرة من جديد ، واجتمعت بالامين العام لجامعة الدول العربية اكثر من مرة ، فسألني ان اقترح عليه تفاصيل تأليف لجنة توحيد المصطلحات للجيوش العربية ، فاقترحت عليه تأليفها استنادا على تجاربي في هذا العمل ، من ممثلين لكل من :

(١) ممثل من مجمع اللغة العربية بالقاهرة •

(٢) ممثل من كل جيش عربي •

(٣) ممثل من القيادة العربية الموحدة •

وقدم ممثل مجمع اللغة العربية المصري في اللجنة تقريرا الى الامين العام لجامعة الالدول العربية ، اوضح فيه الطريقة المثلى لتشكيل اللجنة واسلوب عملها •

ووافق السيد الامين العام لجامعة الدول العربية على هذا الاقتراح الذي تقدمتُ به ممثلا لمجمع اللغة العربية ، وتحدد يوم ٣٠ آذار (مارس) سنة ١٩٦٨ لاجتماع اللجنة ، ولكن ارجيء هذا الاجتماع الى يوم ٣٠ مايس (مايو) سنة ١٩٦٨ لاسباب طارئة •

وكان تشكيل اللجنة وتحديد موعد لاجتماعها ، هي الخطوة الثانية في خطة التوحيد •

وقصدت القاهرة قبل اسبوع من موعد اجتماع اللجنة ، فاكتشفت هناك ، ان رئيس اركان الجيش المصري الفريق عبدالمنعم رياض كان مؤيدا

للتوحيد ، وان وزير الدفاع المصري الفريق محمد فوزي لا يؤيد التوحيد ، بحجة ان الوقت غير مناسب ، لان القوات المصرية مشتبكة مع العدو الصهيوني !

ويومها قلت له : ان تخصيص ضابط واحد من الجيش المصري ، يشارك في اللجنة لا يؤثر مطلقا في المجهود الحربي ، وان عرقلة التوحيد من مصلحة العدو الصهيوني وحده ، فما ازداد الا عنادا .

وقصدت الرئيس جمال عبدالناصر ، واطلعته على الجهود المكثفة من اجل التوحيد ، وان املي في مصر ان تدعمه لا ان تفرط فيه ، وقد اجمعت الدول العربية على التوحيد ، وسيصل ممثلو جيوشها القاهرة ، فماذا نقول لهم اذا افتقدوا ممثل الجيش المصري ؟

ومدّ الرئيس يده الى الهاتف ، وقال بالحرف الواحد : « فوزي ! ابعث ممثل جيش مصر الى اللجنة ، فلا ينبغي ان تتخلف عن هذه العملية » .

وقال لي عليه رحمة الله : « انا مع التوحيد ، فاذا صادفتك عراقيل ومشاكل ، فاتصل بي لمعاونتك ، فلا تتردد بالاتصال بي فورا » .

وشكرته كثيرا ، وشكرت الله على توفيقه ، ولا اتذكر انني فرحت بشيء فرحي بهذه الموافقة وهذا التأييد .

ولعل دروس الماضي ، في اخفاق توحيد المصطلحات العسكرية العربية هي التي اوحت بتشكيل لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، بهذا الاسلوب ، وهذه الطريقة .

واجب ممثل مجمع اللغة العربية في اللجنة ، هو اقرار المصطلحات العسكرية القديمة والمستعملة في الجيوش العربية ، مادامت ملتزمة بالعربية الفصحى ، ونبذ المصطلحات العسكرية القديمة ما دامت غير ملتزمة بالعربية الفصحى ، ووضع المصطلحات العسكرية الجديدة بلغة عربية سليمة ، وتطهير المصطلحات العسكرية العربية من الكلمات الاجنبية والعامية والدخيلة وحمل اللجنة على الالتزام باللغة العربية الفصحى التزاما صارماً .

وواجب ممثلي الجيوش العربية ، هو عرض المصطلحات العسكرية المستعملة في جيوشهم للاخذ بالمصطلحات العربية ، ونبذ المصطلحات غير العربيه ، والمشاركة في وضع المصطلحات الجديدة ، والمصادقة على قرارات اللجنة في توحيد المصطلحات العسكرية العربية ، وجعل هذه القرارات نابعة من ممثلي الجيوش العربية كافة ، لا من ممثل عربي واحد ، او جيشين عربيين شقيقين لوحدهما ، حتى تلتزم الجيوش العربية كلها بالمعجم العسكري الموحد الذي اقر مصطلحاته ممثلوها في اللجنة •

وواجب ممثل القيادة العربية الموحدة ، هو واجب اي ممثل لجيش عربي ، مع اضفاء الصفة العربية الشاملة على المعجم العسكري من الناحية العسكرية •

وعقدت اللجنة اجتماعاتها في كنف جامعة الدول العربية ، كي يكون للمعجم العسكري الموحّد صفة عربية شاملة من الناحية السياسية •

وهكذا حاولت اللجنة في تشكيلها وفي عملها ، ان تخرج مهمة توحيد المصطلحات العسكرية العربية من النطاق القطري الضيق الى النطاق العربي الشامل ، وان تجعل لهذا التوحيد قوة لغوية ، وقوة عسكرية ، وقوة سياسية تحمل الجيوش العربية على الالتزام به في مصطلحاتها •

وفي يوم ٣٠ مايس (مايو) من سنة ١٩٦٨ ، بدأت اللجنة عملها في كنف جامعة الدول العربية ، وفي ٣٠ آذار (مارس) سنة ١٩٧٣ ، اكملت اللجنة عملها ، بعد ان اصدرت المعجمات الاربعة التالية :

(١) المعجم العسكري الموحد (انكليزي ــ عربي) •
(٢) المعجم العسكري الموحد (فرنسي ــ عربي) •
(٣) المعجم العسكري الموحد (عربي ــ انكليزي) •
(٤) المعجم العسكري الموحد (عربي ــ فرنسي) •

وربما يتبادر الى الاذهان ، ان هيئة ادارية ضخمة ، اعانت اللجنة في

عملها ، والواقع ان هذه الهيئة كانت مؤلفة من موظفين اثنين فقط : احدهما موظف للآلة الكاتبة ، والثاني موظف لترتيب كلمات المعجم بحسب الحروف الهجائية وكان كل عضو في اللجنة يعمل في اعداد المعجم تنفيذا لواجبه ضمن الواجبات الموزعة على الاعضاء ، كل حسب كفايته وقابليته .

واستمرت اللجنة في عمل دائب منظم متواصل حثيث ما يقرب من خمس سنوات ، كانت خلالها تجتمع كل يوم ، فيبدأ عملها مع بداية الدوام الرسمي ، وينتهي غالبا بعد انتهاء الدوام الرسمي بساعات ، وحتى في ايام الاعياد الرسمية ، حرصت اللجنة على العمل فيها كسائر الايام ، وكان شعارها : الاحتفال في الاعياد بالعمل .

فاذا انقضى يوم من ايام العمل ، حمل كل عضو من اعضاء اللجنة معه الى مستقره عملا يؤديه اوقات راحته ، ويطالب به صباح اليوم التالي .

وتعلمت من تجربة العمل في توحيد المصطلحات العسكرية العربية للجيوش العربية ، ان النجاح لابد ان يتحقق للمرء ، اذا عرف واجبه معرفة تامة ، وخطط لتحقيق هذا الواجب تخطيطا سليما ، وعمل على تنفيذ خطته بحرص واخلاص ، ونظم اعماله تنظيما دقيقا ، واعتمد العلم والارادة في التخطيط والتنفيذ سبيلا ، حتى ولو صادفته العراقيل والمعضلات ، فحلها مضمون بلا شك .

واخيرا حرصت اللجنة على مراجعة المعجم العسكري الموحد من مجمع اللغة العربية المصري ، فنهض بالمراجعة ثلاثة من أعضائه ، بالاضافة الى ممثل المجمع الذي جرى اختياره بالاجماع من أعضاء المجمع ، كما اختاره بالاجماع أعضاء اللجنة رئيساً لها ، لكي تكون المراجعة المجمعية للمعجم الموحد قوة لغوية تحول دون تنصل اي جيش عربي من الالتزام به بعد صدوره .

وقام رئيس اللجنة بتشكيل كلماته بالتفصيل ، وقام اعضاء اللجنة ، بتصحيح كلماته العربية والأجنبية في أثناء طباعته بدار المعارف في القاهرة في طبعاته الأولى .

جهود توحيد المصطلحات العسكرية العربية الاولى

لقد بذلت جهود كثيرة لتوحيد المصطلحات العسكرية العربية ، ولكنها باءت كلها بالاخفاق الذريع • فقد عقدت اجتماعات بين لجان عسكرية من الجيشين العربيين الشقيقين : جيش الجمهورية المصرية ، وجيش العراق ،اكثر من مرة ، وكان آخر اجتماع لممثلي هذين الجيشين عام ١٩٦٥ ، أثمر المعجم الموحد ، ولكن جيوش الدول العربية لم تلتزم به ، بل لم يلتزم به حتى الجيش المصري •

وعقدت اجتماعات بين لجان عسكرية من جيش سورية ومصر من عام ١٩٥٩ الى عام ١٩٦١ ، في أثناء الوحدة بين القطرين الشقيقين ، وكان من ثمراتها صدور المعجم العسكري السوري ، ولكن جيوش الدول العربية لم تلتزم به أيضاً ، ومنها الجيش المصري ، لأن صدور هذا المعجم كان بعد انفصام الوحدة بين هذين القطرين الشقيقين •

وحاولت اللجنة العسكرية الدائمة في جامعة الدول العربية عام ١٩٥٣ أن تضع معجماً للمصطلحات العسكرية العربية ، ولكنها عجزت عن ذلك • والغريب انها حاولت ان تضيف الى المعجم العسكري الموحد ما استجد من مصطلحات عسكرية بعد صدوره ، واعلنت عزمها على الملأ في مختلف اجهزة الاعلام العربية ، فلم تستطع ان تضيف الى المعجم العسكري الموحد كلمة واحدة ، واكتفت باعادة طبعه من جديد ، وهكذا تمخض الجبل فولد فأرة•

وألفت القيادة العربية الموحدة لجنة من ضباطها عام (١٩٦٤ ــ ١٩٦٥) لتوحيد المصطلحات العسكرية العربية ، فأصدرت نشرة تضم (٢٨٥) مصطلحا عسكريا عربيا ، ولكن جيوش الدول العربية لم تلتزم بها لاسباب كثيرة ، منها كثرة الاخطاء فيها وضعف مصطلحاتها العربية •

وهكذا اخفقت كل المحاولات التي بذلت لتوحيد المصطلحات العسكرية

العربية ، التي بدأت من سنة ١٩٤٨ في جامعة الدول العربية ، وانتهت في سنة ١٩٦٥ في ظل القيادة العربية الموحدة ، ثم ولدت من جديد سنة ١٩٨٤ في ظل جامعة الدول العربية ، فماتت في مهدها ، لان ارادة التوحيد وعناصره لم تكونا متيسرتين ، وكان المتيسر شعار التوحيد لا روحه .

كما اخفقت معظم المعجمات العسكرية العربية القطرية التي اصدرتها الجيوش العربية ، في اقرار المصطلحات العسكرية الموحدة في جيوش الوطن العربي الكبير .

وكان تعدد المعجمات العسكرية ، ومحاولة كل جيش عربي لا يملك معجما عسكريا ، ان يكون له معجم عسكري خاص به ، عاملا من عوامل تناقض المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية . فقد كان المفروض ان يقتبس واضعو المعجمات العسكرية الجديدة ، المصطلحات العسكرية القديمة ، التي اقرتها الجيوش العربية من قبلُ ، ولكن هؤلاء في اغلب الاحيان وقفوا موقف الناقد من تلك المصطلحات العسكرية القديمة ، واجتهدوا ان يضعوا مصطلحات عسكرية جديدة ، حتى لو كانت المصطلحات العسكرية القديمة متينة في مبناها ، رصينة في معناها .

ان اسباب اخفاق المعجمات العسكرية القطرية كثيرة .

من هذه الاسباب ، اقتصار وضع المصطلحات العسكرية على العسكريين وحدهم في قسم من الجيوش العربية ، مما ادى الى ان تكون تلك المصطلحات ضعيفة من الناحية اللغوية .

ومنها ، تأليف لجان من قسم من الجيوش العربية ، يغلب عليها طابع علماء اللغة ، مما ادى ان تكون ضعيفة من الناحية العسكرية ، فيها كثير من المفردات اللغوية الادبية والالفاظ العربية الحوشية الصعبة ، التي عفى عليها الدهر واصبحت قليلة الاستعمال ، لا يدركها الا اصحاب الاختصاص في اللغة العربية الفصحى .

ثم ايضا ، من هذه الاسباب ، اقتصار اللجان على ممثلي جيشين عربيين مما ادى الى عدم التزام الدول العربية الاخرى التي لم تشارك في اعداد المعجم العسكري به •

ويضاف اليها ، اغفال تمثيل القيادة العربية الموحدة في لجان توحيد المصطلحات العسكرية ، مما ادى الى عدم اضفاء الصفة العربية الشاملة عليها •

ثم كذلك ، اغفال اشراف جامعة الدول العربية على لجان توحيد المصطلحات العسكرية ، مما ادى الى عدم اضفاء الصفة العربية الشاملة عليها ايضا •

ومنها أيضاً ، اغفال تمثيل المجامع اللغوية والعلمية في لجان توحيد المصطلحات العسكرية ، مما حرمها من القوة اللغوية التي يمكن أن تضفيها المجامع على المعجمات العسكرية العربية •

كما أن ترك أمر المصطلحات العسكرية لكل مَن هَبَّ ودَبَّ ، يزيد المصطلحات العسكرية العربية تناقضاً واختلافا ، لذلك كان لابدَ من اتخاذ تدابير أخرى ، تضع الأمور في نصابها ، فوضعت هذه التجارب نصب عيني في محاولة تلافي تلك الأخطاء في المستقبل •

وبالاستفادة من تلك التجارب التي أدت الى إخفاق المعجمات العسكرية العربية في أداء رسالتها محلياً من جهة ، وتوحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية من جهة ثانية ، كان بناء لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية وعملها ، فنجحت في مهمتها والحمد لله ، فنشر المعجم العسكري الموحد وانتشر بين الناس ، فلا عذر للعسكريين في عدم الالتزام به ، ولا عذر للمدنيين في استعمال المصطلحات العسكرية الدخيلة ، بينما تيسر فيه مايقابلها من المصطلحات العسكرية السليمة ، (الدوشمة) وهي (المَنْعَة) ، و (الاستراتيجية) وهي (السَوْقِيَة) ، و (التكتيكية) وهي

(التعبوية) ، و (البطارية) وهي (النضيدة) ، و (القشلاق) و(الثكنة) ، وفي (الطابور) وهو (الرتل) و (المورتر) وهي (الهاون) و(المجنزرة) وهي (المسرفة) ، و(نصف المجنزرة) وهي (نصف المسرفة)، و(الشفل) وهي (الجرافة) ، مما يصك أسماع العرب ويؤذي ذوقهم ويصم لغتهم بالتقصير ومثقفيهم بأنهم لايقرأون .

ولست أشك في أن الالتزام بالمعجم العسكري الموحد ، سيشمل سائر الجيوش العربية ، وأن الجيش الذي لم يلتزم به حتى اليوم لسبب أولآخر، سيلتزم به اليوم أو غدا ، لأنه ليس من المعقول أن يفضل قائد سياسي أو عسكري عربي لغة المستعمر على لغة القرآن الكريم ، لغة الآباء والأجداد ، وحسبي أن أذكر أن جيشا عربيا كان غارقا في مصطلحاته العسكرية بالمصطلحات الاجنبية ، فأصبح خلال عامين من صدور المعجم العسكري الموحد لايستعمل مصطلحا أجنبيا واحدا .

ولكنني لاأرضى بالتزام الجيوش العربية وحدها بالمعجم العسكري الموحد ، فطموحي يصل الى التزام المثقفين المدنيين العرب في كل مكان به ، وأجهزة الاعلام العربية هي التي تستطيع أن تحث على هذا الالتزام ، وهي اليوم مدعوة الى أن تؤدي واجبها في هذا المجال .

عبر المعجم العسكري الموحد

ان تجارب اعداد المعجم العسكري الموحد ومراجعته وطبعه واخراجه للناس ، والسعي لنشره والالتزام به ، يجب ألا تضيع سدى ، أو يقتصر نفعها على لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية رئيسا وأعضاء ، بل يجب اشاعتها على النطاقين القطري والعربي ، لعل فيها ما يفيد القائمين على تعريب التعليم وتوحيد مصطلحاته ، والساهرين على العربية الفصحى أفرادا وجماعات ومكاتب ومقرات ومؤسسات ووزارات .

وأبادر الى ذكر حقيقتين ثابتتين : الاولى ، هي أن كل القوانين

والتشريعات ، ومنها القوانين الصادرة للحفاظ على سلامة اللغة ، على جلالة قدر تلك القوانين وأهميتها وفائدتها ، مهما تكن متميزة ، تبقى حبرا على ورق ، مالم يتكاتف المسؤولون وغير المسؤولين ، لوضعها في حيز التطبيق العملي ، بقوة وأمانة وصدق واخلاص وحرص شديد .

والثانية ، هي أن المجامع اللغوية والعلمية العربية وغير العربية أيضا ، لايمكن أن تحتكر وضع المصطلحات العلمية والادبية والفنية ،لان ذلك فوق طاقتها أولا ، ولان ماتضعه من مصطلحات لايمكن أن تجبر أحدا على الالتزام بها .

وبحكم صلتي وصلة أعضاء هذا المجمع الموقر الوثيقة بالمجامع اللغوية والعلمية العربية كافة منذ سنوات كثيرة خلت ، نستطيع أن تقرر : أن معظم المصطلحات التي وضعتها المجامع ، بقيت في مجلاتها ومجامعها ورفوفها محدودة الانتشار والاستعمال .

والذين يريدون أن تنهض المجامع وحدها بمهمة وضع المصطلحات ، يحملونها من الامر مالاتطيق ، فهي قادرة على قيادة التعريب والاشراف عليه والمعاونة والتوجيه ، كما تنص على ذلك قوانينها وانظمتها ، وعلى كل مسؤول قادر أن يتعاون معها ويعاونها للنهوض بهذا العبء المصيري الثقيل .

أما أن نلوم المجامع ، دون أن نكلف أنفسنا أي عناء ، حتى في الاطلاع على انتاجها ، فظلم يترفع عنه المنصفون من العلماء والمثقفين .

وأشهد أن المجامع كافة بدون استثناء ، لم تقصر بواجباتها في وضع المصطلحات العلمية والادبية والفنية ، ولجانها دائبة دأبا حثيثا على وضع المصطلحات المختلفة ، ولكن ليس لها سلطة تفرض بها مصطلحاتها على الاخرين . ووضع المصطلحات مهم ، والاهم منه التزام المعنيين بها ، فما درجة التزام هؤلاء المعنيين بمصطلحات المجامع ؟

ان الاتكال على المجامع وحدها ، دون أن يبذل كل قادر قصارى جهده، لايعتبر اتكالا بل تواكلا !

وقد تطرقنا الى الاسلوب الذي اتخذته لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، في التعريب والتوحيد ووضع المصطلحات ، فكان المعجم العسكري ثمرة من ثمرات هذا الاسلوب .

والمعجم العسكري الموحد ، صدر في ثمانين ألف مصطلح ، فكم كان يستغرق إعداده في مجمع لغوي او مجمع علمي ، أو في المجامع كافة ، وهي تعمل بأسلوبها البطيىء الرتيب ، كما هو معروف ؟

والاسلوب السليم على النطاق القطري ، هو ان تؤلف الجامعات لجانا من ذوي الاختصاص في المادة التي تحتاج الجامعات الى وضع المصطلحات وتعريبها ، مع الاستعانة في كل لجنة بخبير او اكثر بالعربية الفصحى ، ويمكن الاستعانة بعضو من اعضاء المجمع للعمل في تلك اللجان .

فاذا اكملت كل لجنة عملها ، فمن الضروري عرض ما انجزته من مصطلحات على المجمع ، لاقرارها في صيغتها النهائية ، وبذلك ينهض المجمع بمهمته في قيادة عملية المصطلحات وتصويبها واقرارها .

إن هذا الاسلوب ، يحمل المعنيين بالامر ، على الالتزام بالمصطلحات ، لانهم المسؤولون بالدرجة الاولى عن وضعها او تعريبها ، خاصة اذا كانت خبرتهم في هذا المجال فوق الشبهات .

كما ان هذا الاسلوب ، يؤدي الى حشد جهود عدد كبير من اللجان ، كل في ميدان اختصاصه ، مما يسرع خطوات وضع المصطلحات وتعريبها ، ولا يبقى سيرها وئيدا في المجامع لقلة طاقاتها في تشكيل اللجان .

والاهم من ذلك ، ان اللجان المنبثقة عن الجامعات اعرف من غيرها بالمصطلحات التي هي بحاجة اليها ، فاذا وضعت مصطلحاتها او عرّبتها ، فانها تكون اكثر التزاما بها ، من مصطلحات تضعها او تعرّبها لجان من المجامع ، فالالتزام ضروري للغاية ، ولا فائدة من مصطلحات توضع على الرف او تنشر على نطاق ضيق ، ولا يلتزم بها احد كما ينبغي ، او يكون الالتزام بها محدودا .

ان وضع المصطلحات وتعريبها ، يجب ان يتم من (القواعد) ثم تقر في (القمة) ، ان يضعها الذين يحتاجون اليها ، وتقر في المجمع ، قائد مسيرة المصطلحات • لا ان يتم وضعها في (القمة) وتطبق في (القواعد) ، فكل امر تؤمن به القواعد وتؤيده القمة يبقى ويفيد ويثمر ويستمر ، لان سيطرة القمة قد تدوم ساعة ، ولكنها لا تدوم الى قيام الساعة •

اما الاسلوب السليم لوضع المصطلحات وتعريبها على النطاق العربي ، فهدفه الاول والاخير هو التوحيد • ويكون التوحيد بحشد اللجان لمختلف العلوم والآداب والفنون ، على ان تؤلف كل لجنة من ممثل او اكثر لكل قطر عربي ، وعلى ان تعمل تلك اللجان تحت راية جامعة الدول العربية او تحت راية رئاسة المجامع اللغوية والعلمية العربية •

وعلى كل عضو ، ان يحمل معه المصطلحات التي أُقرت في قطره ، ان وجدت ، لاختيار افضل المصطلحات واثباتها في المصطلحات الموحدة ، تماما كما جرى في لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية •

واختيار الاعضاء في اللجان القطرية ، واللجان العربية ، ليس سهلا ولا هينا ، فلا بد من ان تتوفر في العضو شروط كثيرة ، لعل اهمها :

اولا : ان يكون العضو مؤمنا اعمق الايمان بلغته ومقدرتها على استيعاب مختلف المصطلحات في مختلف المجالات العلمية والادبية والفنية ، كما استوعبتها في ايام عز العرب • اما الذين يعتقدون ان العربية الفصحى ليست قادرة على استيعاب المصطلحات الحديثة ، فلا يصلح ان يكون عضوا في اللجان ، حتى ولو نال ارقى الشهادات العلمية ، واصبح عضوا في المجامع اللغوية والعلمية •

وقد اجرت مجلة : (اللسان العربي) التي يصدرها مكتب التعريب التابع لجامعة الدول العربية ، استفتاء مؤداه ، هل تصلح العربية الفصحى للعلوم ؟ ومن المؤسف حقا ، ان الاجابات على هذا الاستفتاء، كانت متهافتة

جدا ومخالفة للحقيقة • وقد سألت احد الذين اجابوا : « ان العربية الفصحى لا تصلح للعلوم » هل اطلعت على المصطلحات العلمية في كتاب : (المخصص) لابن سيده المتوفى سنة ثمان وخمسين واربعمائة الهجرية (١٠٦٥م) ؟! فتبين لي انه لم يسمع حتى باسم هذا الكتاب !

وكان جوابي على هذا الاستفتاء : « الضعف ليس في العربية ، ولكن في العرب » فقد كان حتى الذين لا يتقنون العربية من الاجانب ، يتظاهرون بترديد قسم من الفاظها للتظاهر بأنهم يتقنون اللغة العربية اثباتا لثقافتهم الاصيلة ، وحتى الذين لا يحسنون قراءة العربية وكتابتها ، يقتنون المؤلفات العربية ، تظاهراً منهم بأنهم مثقفون على ايدي علماء العرب ، ومتخرجون في جامعاتهم العريقة ، وكان احد مشاهير البابوات لا ينفك يردد متباهيا : « لما كنت في جامعة قرطبة ••••• » كل ذلك في ايام عز العرب وسيادتهم ومجدهم•

ان وجود عضو واحد ، في اية لجنة من لجان وضع المصطلحات وتعريبها القطرية والعربية ، قد يخرب اللجنة ويدمر جهودها ، اذا لم يكن مؤمنا بعبقرية العربية الفصحى وطاقاتها الفذة ، فحذار من العرب المستغربين •

ثانيا : ان يكون العضو عالما بالفصحى ، متقنا للغة الاجنبية ، له قابلية تنفيذية فكرا وارادة ، والناس على اربعة اصناف من ناحية التخطيط والتنفيذ : صنف له قابلية على التخطيط والتنفيذ ، وهؤلاء هم خير الاصناف ، وصنف له قابلية على التخطيط ولا قابلية له على التنفيذ ، واكثر الجامعيين من هذا الصنف كما يدعى برناردشو ، وصنف له قابلية على التنفيذ ولا قابلية له على التخطيط ، وهو الصنف التنفيذي الاجرائي من أصحاب التجربة العملية غالبا وصنف لا قابلية له على التخطيط ولا على التنفيذ ، وهذا هو شر الصنوف • والمسؤول الحق ، هو الذي يعرف كفاية اصحابه حق المعرفة ، فيختار الرجل المناسب للعمل المناسب ، وما اقل المخطط المنفذ ، الذي يتحلى بالعلم المكتسب والتجربة العملية ، وارادة العمل •

فهناك علماء اعلام ، لا يحسنون كتابة رسالة شخصية ، فهو غني نظريا ، فقير عمليا • وهناك من يحسن اللغة الاجنبية ، ولكنه لا يحسن صياغة الترجمة عربيا ، فيكون النص الاجنبي مفهوما ، والنص العربي غير مفهوم • وهناك من يتحدث الساعات الطوال عن العربية الفصحى في جانبها النظري ، ولا يقدر على تنفيذ حرف واحد مما يقول ! وهناك المبتلى بالكسل المزمن على علمه وفضله ، وامثال هؤلاء لا يصلحون اعضاء في اللجان ، وهم كالصخرة العاتية في مجرى النهر ، تعرقل الجريان ، وتصد السفن ، وتنهك السفن ، ثم لا تفيد شيئا •

ان العضو يجب ان يكون عالما ، عاملا بعلمه ، مخلصا بعمله ، ذا ارادة تذلل له العقبات وتحل له المعضلات •

ثالثا : ان يكون العضو له (قضية) يريد تحقيقها ، فهو يعمل من اجل تحقيق (قضيته) لا من اجل (الارتزاق) •

وقد كان السلف الصالح يعتبر العلم (عبادة) من اجل العبادات ، لذلك اثمر علمهم اينع الثمرات ، فلا ينبغي ان نعتبر العلم (تجارة) من اربح التجارات ، فقد تفيد التجارة اصحاب الجيوب ، ولكنها لا تفيد اصحاب القلوب •

ان (قضية) العضو الذي يريد تحقيقها ، هي تنقية الفصحى من كل لفظ دخيل ، ومن كل مصطلح اجنبي ، ما دام في الفصحى ما يملأ فراغ الالفاظ الدخيلة والمصطلحات الاجنبية •

اما اغراق الفصحى في خضم المصطلحات الاجنبية التي يمكن ان نجد مكانها الفاظا عربية تؤدي معناها ، فتخريب للفصحى ، واتهام لها بالعجز ، دون مسوغ •

ان الذي لديه (قضية) مصيرية تهمه ، مستعد للتضحية من اجلها بالدأب والسهر ، اما الذين يشاركون في (اللجان) من اجل المال او السفر على نفقة الدولة للترفيه ، فلا فائدة من وجودهم في اللجان ، بل ان وجودهم

من مصلحة اعداء العربية لغة لا من اجل مصلحة سدنتها .

رابعا : ان يكون العضو (متفرغا) للعمل في مجال المصطلحات ، حتى يتم واجبه كاملا ، ثم ينصرف من بعد ذلك الى واجبه الاصلي .

والتفرغ يضمن استمرارية العمل ، والاتصال المباشر به ، فمن الصعب ان يعمل عضو اللجنة استاذا او موظفا ، ويعمل في نفس الوقت في مجال المصطلحات ، وبخاصة اذا كانت تلك المصطلحات جديدة من نوعها ، كثيرة في عددها ، فيستغرق انجازها وقتا طويلا .

وقد حرصت جامعة الدول العربية على توحيد مصطلحات إدارية لايزيد عددها على ألف مصطلح ، فبدأت عملية التوحيد قبل سنوات من سنة ١٩٦٨ وهي السنة التي بدأت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية فيها عملها ، ولكنها لم تنجز تلك المصطلحات القليلة حتى اليوم ، واكبر الظن انها لن تنجزها ابدا .

والسبب في ذلك ، هو ان جامعة الدول العربية تدعو كل عام تقريبا وفدا من كل دولة عربية ، فتحضر الوفود ، وتبدأ عملها لمدة اسبوع او اسبوعين على الاكثر ، ثم تعود الوفود دون ان تنجز شيئا من التوحيد ، لعدم تفرغ الاعضاء اولا ، ولانهم يعتبرون مدة عملهم للترفيه عن النفس ، فلا يحضر اكثرهم الاجتماعات الا نادرا .

وما هكذا يجري توحيد المصطلحات ، ولا يمكن توحيدها بهذا الشأن.

ان وضع المصطلحات وتوحيدها ، يحتاج الى جهد صادق ، وحرص شديد ، وتفرغ كامل ، واخذ الامور بجدية كاملة .

وعدم التزام المسؤولين باختيار أعضاء لجان المصطلحات بالشروط الضرورية التي ينبغي أن تكون في العضو ، حرم العرب من توحيد مصطلحاتهم العلمية والادبية والفنية ، واضافة مصطلحات جديدة اليها حتى اليوم .

وتوحيد المصطلحات العسكرية على النطاق العربي ، دليل قاطع على

امكان توحيد المصطلحات العربية المختلفة كافة .

وقد أصدر الاجانب معجمات للمصطلحات المختلفة ، واعتماد تلك المعجمات يسهل أمر وضع المصطلحات وتعريبها وتوحيدها ، مع اضافة المصطلحات العربية الاصيلة الى ماتضم تلك المعجمات .

تلك هي مجمل تجارب لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية التي أدت الى اكمال اللجنة مهمتها الصعبة، أقدمها للمعنيين بالمصطلحات العربية ، الحريصين على العربية الفصحى ، لتكون دليلا للعاملين قد تفيدهم في تذليل العقبات التي تصادفهم ، وكل جهد في سبيل العربية الفصحى يهون.

الخاتمة

تطورت العلوم العسكرية بعد الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ـ ١٩١٨) تطورا تدريجيا ، ثم أصبح هذا التطور سريعا مذهلا بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) ، فأصبحت العلوم العسكرية لها صلة وثيقة مباشرة بما لايقل عن ستين علما من العلوم المختلفة الاخرى ، وأصبحت المصطلحات العسكرية لاتقتصر على المصطلحات العسكرية الفنية ، بل شملت مصطلحات تلك العلوم كافة ، ولم يعد احراز النصر يعتمد على الجيوش الكثيفة والشجاعة الشخصية والحنكة القيادة الاولى ، بل أمسى النصر يعتمد على العلم بعامة والعلوم التطبيقية بخاصة بالدرجة الاولى ، وأصبح للعلماء مكانة مرموقة في صفوف ضباط الجيوش وقادتها ، وأصبحت كلتهم مسموعة من القادة في القمة ، والضباط والمراتب الاخرى في القاعدة .

لاعجب أن يضم المعجم العسكري الموحد بين دفتيه ثمانين ألف مصطلح عسكري ، تغطي المصطلحات العسكرية الفنية ومصطلحات العلوم الاخرى التي لها صلة مباشرة بالعسكرية الحديثة ، فهو أضخم من كل معجم علمي آخر كماً وكيفاً .

ولعل من أخطر الاتهامات للعربية الفصحى ، تلك التهمة الظالمة التي روجها أعداد العرب في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر ، وهي أن العربية الفصحى لغة الادب لالغة العلم والفن ، ومن المعروف أن الاستعمار كان وراء ترويج هذه التهمة لاسباب كثيرة : منها اسباغ الشرعية على نشر لغة المستعمر في البلاد المستعمرة لتكون لها المكانة الاولى وتكون للغة الشعوب المستعمرة المكانة الثانية ، ولولا أصالة اللغة العربية الفصحى ، لانهارت كما انهارت لغات قومية أخرى ، نسيها أهلها واتخذوا عوضا عنها لغة المستعمر ، واحتفظوا بلغة العدو حتى بعد تخلصهم من الاستعمار .

أما بالنسبة للعربية الفصحى ، فقد انتصرت على لغة المستعمر بعد جهاد مرير بفضل القران الكريم ، لان الكتاب العزيز هو كتاب العربية الاول ، كما هو كتاب الاسلام الاول . ولكن الخطورة البالغة بالنسبة للعرب ، تكمن في أبنائهم الذين درسوا في الغرب قبل أن تكون لهم أسس راسخة في لغتهم الفصحى ، وقبل أن يطلعوا على أسرارها وعبقريتها . فعادوا من الخارج وهم يتقنون اللغة الاجنبية ويجهلون لغتهم القومية . فأخذوا يرددون ماكان يردده (دانلوب) وأضرابه خدمة للاستعمار واهدافه التخريبية ، واذا كان هناك ما يسوغ أباطيل (دانلوب) ومدرسته من الاجانب ، فليس هناك مايسوغ صدى تلك الاباطيل ، الا اذا اعتبر جعجعة (الصدى) الجهل المطبق مسوغا مقبولا .

ان صدور المعجم العسكري الموحد ، دليل قاطع على أن العربية الفصحى قادرة على النهوض بأعباء المصطلحات العلمية والفنية تعريبا وتوحيدا ، وأن بالامكان توحيد المصطلحات العربية بمختلف أنواعها واخراجها من نطاقها القطري الى نطاق الوطن العربي الكبير .

كما أن صدور هذا المعجم ، دليل قاطع على كذب (الدانلوبين) وعلى خطأ زمرة (الصدى) ، وقد نشرت الفصحى العلوم والفنون قرونا طويلة في

الماضي ، بفضل أبنائها الذين عرفوا لها قدرها ، وهي قادرة على نشرها في الحاضر والمستقبل ، بشرط أن يعرف لها أبناؤها قدرها ، ويعملوا على نشرها في الداخل والخارج •

والمعجم العسكري الموحد أسوة بالمعجمات العسكرية في سائر جيوش العالم ، ليس سرا من الاسرار العسكرية يقتصر استعماله على العسكريين حسب ، لانه معجم لغة ، فكلمة مدفع ليست سرا ، ولكن عددها وانواعها ومواضعها سر من الاسرار • وحين عملنا في اعداد المعجم العسكري الموحد استوردنا من المكتبات المعجم العسكري البريطاني والامريكي والكندي والروسي ، وهي تباع في المكتبات ، فلا يجوز أن نحدد من نشر المعجم العسكري الموحد بحجة أنه من الاسرار العسكرية ، فهي حجة باطلة والمثقفون العرب وبخاصة الاعلاميين منهم بحاجة اليه لاتقل عن حاجة العسكريين اليه ، فلا ينبغي أن نحرم منه من يستفيد منه ويحرص على اقتنائه.

والله أسال ، أن يصون العربية الفصحى من أعدائها الكثيرين في الداخل والخارج ، وأن يفيد بالمعجم العسكري الموحد ، وبهذا البحث ، ويجعلهما خالصين لوجهه الكريم ، انه سميع مجيب •

وصلى الله على سيدنا ومولانا رسول الله،وعلى آله وأصحابه أجمعين.

* * *

تعقيب اللواء الطبيب راجي عباس التكريتي

على بحث اللواء الركن الحاج محمود شيت خطاب

(توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية)

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين

الحضور الكرام

بعد ان استلمت الدعوة الكريمة للمشاركة في هذه الندوة الرائـدة ، وجدت نفسي في موقف اقض مضجعي واطبقت علي فكرة اولى ان اركـب المركب الوطيء ، واعتذر وكما يقول المثل العربي : السهل مركبه وطيء • وانقذ ذاتي من مغبة الاحراج او ان البي هذه الدعوة الكريمة التي خصـني بها المجمع العلمي العراقي •

وهكذا وجدت نفسي منصاعا للاخذ بالميسم الثاني مع كل ما يضعنـي فيه من موقف صعب وانا ارسل دلوي في اعماق جب لا ادرك عمقه ومحتواه•

فان وفقني الله في المسعى فاشكره على نعمائه ، اذ هداني سواء السبيل وان جنف بي الطريق عن جادة الصواب ، فمعذرة من الحضور الكـرام والعلماء ، وعذري اني حاولت ما استطعت ، واجتهدت لما قدرت عليه •

ومعذرة خاصة من الشيخ الحاج محمود شيت خطاب ، فقد كنت ولما ازل ذلك التلميذ والصديق منذ ان جمعتنا ظروف قاهرة قاسية منذ ثلاثـة عقود من السنين يضاف اليها ثلاث سنوات اخرى لتكتمل الحكاية فـي ٢٩ اذار القادم وتجمعني والشيخ الحاج محمود مسيرة طريق ونظرة متقاربـة نحو الحياة بمفرداتها وصفاتها ومراميها والتحديات التي تحيط بعالمنـا العربي وامتنا الاسلامية •

ومع هذا اجد نفسي شمعة في سناء شمس ساطعة يمثلها شيخنا الجليل وتتقارب او تتطابق وجهات النظر بين الشيخ وبيني ونحن نتحدث بالم دفين عن تناقض الحياة وتنافرها المشين في تشرذم شعبنا العربي في اقطاره المختلفة واصبحت اللغة العربية وهي مصدر حياة ووحدة واذا بنا نغرق في الفرقة .

وقد هجرنا اللغة العربية لنتكلم الانجليزية هنا والفرنسية هناك .

قبل اشهر معدودات حضرت مؤتمرا طبيا عربيا في تونس الخضراء .. وتسود اللغتان الفرنسية للمغرب العربي والانجليزية لمشرقه وتبقى اللغة العربية هامشية .

وجانب اللجنة المنظمة التوفيق ووضعوا الاطباء العراقيين والتونسيين للكلام في قاعات محاضرات واحدة ، وكنا نجلس لنسمع محاضرة العراقي ـ بالانجليزية طبعا فنضطر ان نسمع محاضرات التونسيين بالفرنسية من غير ان نعي منها شيئا او نفقه حتى الجداول والرسوم التوضيحية .

وكذا يقال بالنسبة للاطباء التونسيين وهم لا يعرفون اللغة الانجليزية التي تحدث بها العراقيون . وحكم عليهم اما بمغادرة القاعة او ان يجلسوا ويشغلهم همس الحديث مع زملائهم .

ان الهموم واحدة سواء كان المجال في الجيوش العربية او العلوم الطبية او الهندسية وحتى السياسية والادارية والاقتصادية .

ان توحيد المصطلحات العسكرية ، وبكل ما تحمله من انسجام فكري بين العسكريين العرب وان تتسع لتكون جزء من تكامل في توحيد المصطلحات العلمية في جميع فروع العلوم وقد غدت العلوم العسكرية تعتمد اعتمادا كليا على العلوم الصرفة الاخرى كالفيزياء والكيمياء والحاسبات والرياضيات والهندسة والطب والتقنيات الحديثة .

فاذا ما انعدم الانسجام والتوافق والتكامل في المسميات فسنجد كل فرع من فروع المعرفة يستخدم مصطلحات بذاته وربما مختلفة عن فروع العلوم الاخرى .

ومثال بسيط لتباين المعاني العامة بين المعجم العسكري الموحد ، وبين معجم الفريق الركن محمد فتحي والمعجم الطبي والمعجم الهندسي ومعجم اللغات لجردان السابق حول كلمة SECTION واشير اليها انها تمثل فرقة والبعض يستخدم Division على انها فرقة وفي الطب نستخدم SECTION لقطع من عضو او نسيج •

والكتاب يطلقون الكلمة على قطعة من موضوع ومثال آخر THERTER حيث يفهمها الطبيب انها صالة عمليات ، ويفهمها الضابط على انها ساحة معركة ويفهمها الفنان على انها صالة عرض وكذلك كلمة FEIND يفهمها الفلاح والمهندس الزراعي انها الحقل ويفهمها الضابط انها ساحة العرض او ساحة المعركة •

وحتى في المعجمات المتداولة تضع مقابلها (حقل ، ميدان ، ساحة ، مهبط ، مجال) وان كانت جميعها مفهومة بمعناها العام ولكنها قد تختلف بالمعنى الخاص الدقيق ،•

وعندما تقول قلم — فالقلم لدى الطالب والكاتب — قلم الكتابة ، ولكن للحداد والنجار يعني شيئا آخر ، ولدى التاجر يعني القلم شيئا يختلف كليا عن هذا وذاك اي ان مصطلحا معينا في فن معين قد يكون له معنى ومدلول في فنون اخرى •

وقد اصاب المعجم في جوانب كثيرة لاحظتها • واذا اخذنا السنوات التي مر بها المعجم في مسيرته المتباطئة منذ ١٩٤٨ — الجامعة العربية ١٩٥٣ جامعة الدول العربية مرة اخرى ١٩٥٩ — ١٩٦١ المعجم العسكري السوري ١٩٦٤ معجم القيادة الموحدة ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ مكاتبات الامين العام ١٩٦٦ مجمع اللغة العربية المصري ١٩٦٧ قرار الجامعة العربية بارجاء الموضوع وكذلك اعتذار الفريق محمود فوزي فاذا علمنا ان جميع هذه السنوات

وبما فيها من نمطية العمل والتي تعرقلها النظرات القطرية ومن ثم السؤال الذي يفرض نفسه :ـ

لولا متابعة الشيخ الحاج محمود الشخصية وقناعته الذاتية وجلسه وصبره ولولا منزلة الحاج محمود لدى الرئيس الراحل جمال عبدالناصر ـ ولولا تفهم المرحوم عبدالناصر لنام المشروع مرة اخرى او ربما غلفه النسيان ان لم تدفنه المجرات •

والسؤال ـ هل من المنطق والحكمة ان تخضع هكذا مهام جسام وامور حيوية واسس علمية للاعمال النمطية والمراسلات العقيمة والمساجلات المتنافرة بين الاقطار ومن ثم نشملها ونرعاها بخلافاتنا وتباين وجهات نظر لا تعتمد على منطق ولا تنتهي بين الاقطار العربية •

واذا ما وضع معجم مشترك او موسوعة علمية وحدث تجاف بين الاقطار العربية او انفصال او انقسام بين الساسة العرب ، ان ندير قفانا الى الموسوعة او المعجم ونسحقه بحقدنا وغضبنا •

وكأننا نلقي لائمة الخلاف على المعجم والقاموس والعلم والثقافة ، وتسود النظرة الضيقة بان يضع كل قطر معجما عسكريا خاصا بقواته المسلحة • شيء يدعو الى الاسى والم النفس اكثر مما يدعو الى الاحباط •

وهذه المعاجم والقواميس ليست ادوات زينة او قصصا مسلية او انها كماليات وترف توضع على رفوف المكتبات وانما هي مسميات علمية وادارية وطبية وهندسية وعسكرية • انها انجاز كبير في توضيح وتوحيد وتفهيم الطاقات العسكرية العربية بالفكر والعلم والقوة • كما انها وسائل لفهم الانسان وهضم الموضوع وليس للتعقيد والتشويش اي انها لا تشكل هدفا بحد ذاتها وانما هي آلة مساعدة لفهم واستيعاب المادة العلمية فان قاموس شرف العلمي على نواقصه وقلة المصطلحات العلمية فيه ، قد اسدى لنا خدمة جليلة في فهم المسميات العلمية ونحن في باكورة تحصيلنا العلمي وحتى قاموس حتي الطبي على اضطراب وعدم دقة الكثير من المصطلحات الطبية فيه ولكنه

حقق هدفين على اقل تقدير •

اولهما توضيح المادة والتعابير الطبية لطلبة الطب وحتى للاطباء •

وثانياً وضع فهماً مشتركاً في الاقطار العربية للمصطلحات العلمية والى ان يتم انجاز المعجم الطبي الموحد الذي وجد قبولا حسنا في الاوساط الطبية حيث حقق اغراضا عدة الدقة العلمية في وضع المصطلح وتسهيل استيعاب المادة العلمية ، وتوحيد الفهم المشترك بين الاطباء العرب •

في السابق كانت مفردات الكلمات تسخر لمصلحة الشعر والنثر ـ وحتى مرحلة بداية النهضة العلمية العربية الاسلامية في صدر العصر العباسي حيث وضعت الكثير من المصطلحات العلمية التي تخص الطب والفلك والرياضيات والفلسفة والنباتات ولان العصر عصر علم وتقنية وصراع عسكري ـ علينا ان نسحب الكلمات من انسيابها خلف خيال الشعراء لتوظيفها في خدمة خيال العلماء وان المصطلحات لا يوافقها التوفيق والنجاح اذا لم تستند على معرفة وثقافة علمية وان العلماء والمكتشفين والمخترعين اعمق غورا وفهما للمصطلحات في مجال علمهم من الادباء بالتناسق الداخلي في حقل العلوم وهذا سر نجاح وموفقية الشيخ محمود شيت وجماعته في انجاز معاجم المصطلحات العسكرية لانهم جمعوا بين عمق المعرفة العلمية والممارسة العملية للحياة العسكرية ومسك ناصية اللغة العربية •

وفي اعتقادي ان هذه العوامل الثلاثة مهمة لانجاز اي مشروع من هذا القبيل يضاف عامل حاسم رابع وهو الايمان المطلق بالهدف القومي الذي يكمن في انجاز هكذا مشروع يخدم اللغة والعلم ووحدة الثقافة العربية • وربما اضفنا عاملا خامسا ايضا وهو الارادة التي لا تلين في بلوغ الهدف •

في بداية الستينات بعد رجوعي من دراسة الاختصاص كنت الاحظ مصطلحات رائجة تشكل نشازا في الترجمة ورعبا للمريض ، وعلى سبيل المثال لا الحصر Spondolylosis (التهاب الفقرات التآكلي الانحطاطي)

وكان المريض يصدع وينهار من هذه التسمية ووضعت لها (سواف الفقرات) Scobiosis ومن ثم وجدت ان العرب تسمي ذلك (جسأة) وكلمة اخرى ميلان العمود الفقري أو التواء العمود الفقري واسميتها ابتداء ــ تجانب الصلب ــ ومن ثم بعد حين ــ جنف الصلب • وهكذا وضعت وحُورت الكثير من الكلمات التي اعتقدتها اسهل لفظا وابسط تداولا وادق تعبيرا للمعنى • كالظهار ــ وتعاجز الصلب ــ وتقاطن الفقرات • وان اللغة العسكرية ــ لغة علمية دقيقة ومعبرة كالمصطلح الطبي لا تقبل الاجتهاد والتأويل انهما علمية وواضحة ورشيقة وتختلف عن اللغة والمصطلحات الادبية حيث يجتهد الكاتب ويطاوع الالفاظ وربما نظر الى جمالية الاطار اكثر من نظرته الى محتوى الصورة • في اللغة العسكرية يوجد اسلوب واحد للتعبير ويختار الكلمة او المصطلح الواحد ذات المعنى المحدد الواحد وماذا سيحدث لو ان كل قطر او مجتهد او باحث او مترجم ــ ان عرّب او وضع مصطلحات كما يشاء ويختار واذا بنا بعد سنوات طالت او قصرت نجد انفسنا في خضم واسع من المسميات والمصطلحات ــ واذا بعملية الترجمة او التعريب تزيدنا فرقة وتباعدا في وقت نحن احوج ما نكون فيه الى التقارب والتفاهم وبلغة عربية واحدة سليمة •

وشيء آخر في المعجم قد اصاب منه واضعوه هو الاعتماد على المتداول من الكلمات والمصطلحات الراسخة في التراث او انها مستعملة ورائجة في المجال العسكري • او الاختصاصات العلمية الاخرى • ووجدت الموافقة بالايجاز في المصطلحات وذات دلالة مباشرة وتوافق بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي العلمي • فمثلا نلاحظ الفرق الكبير عندما نستعمل كلمات كانت سائدة في الفترة العثمانية ولما تزل في بعض الجيوش العربية يوزباشي ــ اومباشي ــ اميرآلاي • ومجافاتها للذوق اللغوي العام واستعيض عنها بمسميات تراثية لها معنى في اللغة ، ومن ثم انسبها للذوق العام • عقيد ،

مقدم ، عريف وكذلك بالنسبة للكثير من الكلمات التي اوردها الشيخ في بحثه ولا داعي لاعادة سردها •

وقد كان الجيش محصور المسميات بتنظيم وحداته ومحدودية معداته وقلة مفرداته ، وقد اصبح الان من السعة وتعدد الصنوف ، ويضاف الى ذلك ان الجيوش الحديثة غدت تعتمد كليا على العلوم الحديثة المتطورة كالكيمياء والفيزياء والهندسة والطب والحاسبات • والمعدات الفنية والمدرعات والطيران والبحرية • ولكل صنف او وحدة من المسميات والمصطلحات القديمة والمضافة حديثا والتي ستضاف تجعل من المتعذر بل ومن المستحيل ان يضبطها ضابط او ان يلم بها عالم • يضاف الى ذلك ان مفردات اللغة العربية من السعة والشمولية بمسمياتها ومفرداتها وتشابه معانيها العامة وتباين مراميها الدقيقة • ونحن نضع اقدامنا على بداية طريق النهضة العلمية والحضارية فلابد ان تعزز مسيرتنا بالاطلاع الواسع على علوم العالم وتقنيته الحديثة وقد غذت من الشمولية والاتساع بما لا يمكن لدولة من الدول او امة من الامم ان تحيط بالتطور الهائل للعلوم والمعرفة بما في ذلك العلوم العسكرية الصرفة وتلك التي تعزز القدرات العسكرية •

وقد تختلف المسميات والمصطلحات في المدينة الواحدة فكيف في القطر او الاقطار العربية ومن هنا تظهر اهمية المعاجم المتخصصة لوضع وتوحيد المسميات والتثقيف الموحد والتداول الصحيح على مستوى الجيوش والعلوم ومن ثم عموم الناس وبخاصة الشرائح المثقفة منها والتي يعنيها الامر • اما اذا تركت الاجتهادات غير المتخصصة ومن ثم غير قواميس ومعاجم موحدة فسنجد انفسنا بعد فترة من الزمن طال او قصر باننا بحاجة الى قواميس توضح المسميات بين الاقطار العربية — وبخاصة السرعة الهائلة التي تتلاحق فيها الاختراعات والاكتشافات في الامم الاخرى مما يشكل نقلها عبئا او استيعابها ضربا من المستحيل ان تنهض به دولة عربية لوحدها او مؤسسة بذاتها واصبح اختيار المسميات العربية يشكل جهدا ثقيلا على كاهل علماء

تلك العلوم اولا ومن ثم على علماء اللغة ثانيا وعموم المثقفين بعدئذ واصبح الاجتهاد هو المحير والمربك وربما زاد الامر تعقيدا والموضوع تشابكا ويجد الدارسون انفسهم في حيرة من امرهم وتعجزهم لغتهم الاصلية للحاق بالعلوم الاخرى ولذا تلجئهم الصعوبة والمعاناة الى ان يتابعوا المواضيع باللغات التي كتبت فيها ولا نعفي المجامع اللغوية والعلمية في اقطارنا العربية من بعض المسؤولية سواء كبرت تلك المسؤوليات ام صغرت .. ومن هنا تأتي اهمية وضع المعاجم والقواميس الموحدة في الوطن العربي وفي شتى مجالات العلوم، وان يكون هناك تكامل وتنسيق بين تلك المعاجم حتى لا يحدث تباين وتباعد في الفهم بين شرائح العلوم المختلفة .

فلا يختلف اثنان على اهمية المعاجم في توضيح المهم من الكلمات والغامض من العبارات والحديث عن المصطلحات سواء العربية منها او الاجنبية ، حيث تساعد العالم وتأخذ بيد المتعلم وبخاصة تنوع اللغات الاجنبية وعلومها وثقافاتها ، وسعة وعمق اللغة العربية . وكثرة مفرداتها بحيث لا يمكن ان يحيط بها عالم ولا يلم باطرافها متعلم مهما حباه الله من المعرفة وسعة الاطلاع وحتى المتخصص منهم . هذا من جهة ومن جهة اخرى فان توحيد المعاجم وضبط القواميس يجعل توحيد الفهم المشترك لمعاني الكلمات وتفاسير التعابير والجمل بين الاقطار العربية بعامة وهذا ما يحقق التكامل المعرفي والثقافي وهي الركيزة الرئيسية في توحيد الامة العربية علميا وثقافيا على اقل تقدير لتحقيق نهضتها المرتقبة لان اللغة ووحدة الثقافة تيسر الفهم المشترك بين الاقطار العربية وهذا ما كان سائدا في الدولة الاسلامية الواحدة فالكتاب الذي يكتب في بغداد قد يقرأ في القاهرة او قرطبة قبل بغداد . ولم تكن آنذاك وسائل الاتصال المقروءة والمرئية والمسموعة ـ ولا وسائل النقل السريع المتوفرة الان . ومع هذا كانت هناك لغة علمية واحدة ولغة ادبية واحدة والاهم من هذا وذاك كان هناك فكر واحد وثقافة واحدة ولكن لم تكن هناك دول استعمارية حرفت وفرضت لغاتها الاعجمية ـ

الاسبانية والانجليزية والفرنسية • وادخلت مفردات لغاتها الاعجمية مما عسر الفهم المشترك بين ابناء الشعب العربي الواحد • يضاف الى ذلك وكنتيجة حتمية لفرض الثقافات الاجنبية ــ اصبح الكثير من مثقفينا يفخرون بكلامهم الاجنبي وبتجاوزهم وتجاهلهم اللغة العربية •

شيء حسن ومطلوب ان يتقن العالم المثقف لغة اجنبية او اكثر ولكن ان لا يكون ذلك على حساب اللغة العربية •

وشيء آخر مهم وهو جهل الكثير من المثقفين والمتعلمين بقواعد اللغة العربية حتى لقد اصبح الواحد منا يخطيء ويلحن بابسط الامور ــ ولا نضع اللوم على انفسنا ، وانما اسلوب التدريس والتعليم والسليقة المتداولة في حياتنا اليومية • وقد ادرنا ظهرنا للغة القرآن والحديث والشعر والكلام العربي البليغ •

قبل سنتين اشتركت في مناقشة اطروحتين في كلية الاداب •• وكان في الاطروحتين الكثير من الاخطاء النحوية واللغوية • واوصلتها في حينه الى السيد العميد ــ وعن الاكثار باستخدام الكلمات الاعجمية فيهما ومحاولة تقريبهما فجاء بما ينافي الذوق اللغوي • اذكر على سبيل المثال كلمة ميكانيزم وجمعها ميكانزمات ــ فلو استخدم آليات لاراح واستراح ، مما جلب انتباهي مع اقراري بمحدودية تبحري في علم النحو • واذكر اني قلت في حينها لو ان هذه الاطروحة قدمت في كلية العلوم او كلية طب او هندسة لهان الامر • ولكن ان تقدم وتخرج عن كلية الاداب فالامر يختلف ولا يجوز عرض الاطروحتين مجددا على خبير اللغة العربية •

ان توحيد المصطلحات العسكرية عمل جبار ويخدم هدفا نبيلا ــ وقبل ذلك او بعدها تم انجاز المعاجم الموحدة ــ الطبية والهندسية والادارية مما يشيع الانسجام الفكري بين المثقفين العرب والعلماء العسكريين وتكون القاعدة الراسخة للوحدة العربية العسكرية والعلمية والثقافية • وان توحيد المصطلحات والمعاجم والقواميس يقضي قضاء مبرما على الكتب القطرية في

شتى مجالات المعرفة • واتفق مع الشيخ محمود شيت بهذا ، واتفق معه بالكامل حول اختيار المصطلحات العسكرية او الهندسية او الطبية القديمة ان كانت سائدة ومثبتة في مبناها او رصينة في معناها فلا داعي لادخال مسميات او مصطلحات جديدة • وان يؤخذ دور المنظرين والمثقفين العسكريين والعلماء ليضعوا المصطلحات وان لا يتغلب علماء اللغة على اصحاب الحاجة الفعلية لان المصطلحات الان تستخدم ، والذين يستخدمون الالات هم اقدر على فهمها والتعامل معها من واضعها من اللغويين • وعلى علماء اللغة المشاركة والارشاد والتوجيه والتصحيح لانهم ابعد غورا في اعماق اللغة وان يضعوا كنوز اللغة ومفرداتها واسلوب التعامل معها امام العلماء والباحثين • لان علماء اللغة يعلمون ــ والعلماء لا يعلمون اساليب اخراج وتقليب وتقديم وتأخير الحروف مما يجعل ثروة مفردات اللغة بما يزيد على ستة ملايين كلمة ــ وان المستعمل منها يقل عن ستة الاف كلمة فقط •

اذن هناك مخزون من مفردات اللغة تقدر باكثر من خمسة ملايين كلمة في انتظار من يخرج مكنونها ويحسن اخراجها وتداولها في مفردات العلوم والثقافة وبذا نكون قد بعثنا الحياة في الكثير من المسميات المهملة او التي لم تستعمل لحد الان واثرائها بالمصطلحات العلمية والتقنية وان يساعد اللغويون العلماء ويسيروا معهم سوية لوضع المصطلحات العلمية ــ ومن ثم يتولى اللغويون والمجمعيون التوجيه والتصويب لا التعقيد والحجر والتثبيط •

والله من وراء القصد

اللواء الطبيب
راجي عباس التكريتي
١٩٩٢/٢/١٨

المراجـــع

١ ــ احمد بن عيسى ــ الدكتــور ــ التهــذيب في اصــول التعــريب ــ القاهرة ١٩٢٣ •

٢ ــ احمد مطلوب ــ الدكتور ــ حركة التعريب في العراق ــ ١٩٨٣ •

٣ ــ احمد بن فارس بن زكريا ــ معجم مقاييس اللغة تحقيق عبدالســـلام محمد هارون ــ دار الفكر •

٤ ــ ابن منظور الافريقي المصري ــ لسان العرب دار صاور ج١ •

٥ ــ اتحاد اطباء العرب ــ المعجم الطبي الموحد الطبعة الثالثة ١٩٨٣ •.

٦ ــ اتحاد المهندسين العرب ــ المعجم الموحد الشامل للمصطلحات الفنيـــة للهندسة والتقنية والعلوم الطبعة الاولى ١٩٨٦ •

٧ ــ جردان السايق ــ مجمع اللغات ١٩٧١ •

٨ ــ راجي عباس التكريتي ــ الحكيم ــ تعريب الطب •• دار الشـــؤون الثقافية ١٩٩١ •

٩ ــ محمد فتحي امين ــ الفريق الركن ــ قاموس المصطلحات العسكريــة الطبعة الثانية ١٩٨٣ •

١٠ ــ محمود شيت خطاب ــ اللواء الركن ــ المصطلحات العسكرية فـــي القرآن الكريم ١٩٦٦ •

١١ ــ محمود شيت خطاب وجماعته ــ معجم توحيد المصطلحات العســكرية في الجيوش الاسلامية •.

١٢ ــ خلف رشيد نعمــان ــ الدكتور ــ نظرة عــامة في المعاجم العــربية والافادة منها ١٩٨٢ •

المعجمية الانكليزية
نشأتها وتطورها

الدكتور عبد العزيز البسام
عضو المجمع

تمهيد :

تعنى هذه الدراسة بالمُعْجَمِيَّة الانكليزية بمعنى تأليف المعجمات علماً وفناً فيها ، وتمهد لذلك بعرض مجمل لتطور اللغة الانكليزية نفسها ولخصائصها الرئيسة خلال تأثرها باحوال مجتمعها وأمتها ، تأكيدا للصلة المتبادلة بين اللغة ومعجميتها ، وهي صلة اقوى ما تكون في الانكليزية ، كما يكشف عن ذلك تطور الجانبين في الواقع . فانما عرفت الانكليزية المعجمات بمعنى وافٍ من معانيها ، عندما أصبحت لغة قومية تستعمل في الثقافة وفي العلم والتعليم بعد أن كانت اللاتينية هي السائدة في هذه المجالات . والمشكلات التي واجهها المعجميون تعكس خصائص الانكليزية في تطورها الحضاري ، بما في ذلك تعدد اصولها ولهجاتها ، وتجدد مفرداتها ودلالاتها وبعض المفارقة بين هجائها ونطقها ، فلا تفهم المعجمية حق فهمها الا بالاحاطة بالخصائص اللغوية نفسها .

فلا جرم ان يأتي تناول المعجمية تاليا لعرض تطور اللغة بمراحلها الثلاث ، وان يبدأ ذلك التناول من البدايات الاولى لجمع الفاظها في صيغة مسارد أشبه بقوائم مفردات محدودة في عددها وفي تفسيرها عند القرن الثالث عشر الميلادي ، وهي قوائم بدأت ثنائية اللغة يكون للاتينية موضع الصدارة فيها ، حتى اذا تنامت اللغة الانكليزية من أثر عوامل حضارية يبرز فيها عصر النهضة الاوربية وسبق إنكلترا في الثورة الصناعية،

لتصبح لغة قومية خلال القرن السابع عشر ، شهد القرن الثامن عشر ظهور المعجمات بالمعنى الحق من معانيها ، فتطورت المعجمية حتى بلغت ذروتها في معجم « أكسفورد » للانكليزية ، وقد استغرق اعداده قرابة خمسة وخمسين عاما حين صدرت طبعته الاولى باثني عشر جزءا مع ملحقها سنة (١٩٣٣) ، ولم تغفل الدراسة جهود المعجميين في الولايات المتحدة الامريكية منذ أواخر القرن الثامن عشر ، حتى القرن العشرين وظهور معجم « وبستر » الدولي بطبعته الثالثة سنة ١٩٦١م ، وكان ختام الدراسة عرض الطبعة الثانية من معجم « اكسفورد » للانكليزية بطبعته الثانية سنة ١٩٨٩م ، وهي كفاء سابقتها في ترسيخ مكانة ذلك المعجم أو في ما عرفته الانكليزية من المعجمات ، متميزا بالدقة والشمول وتحقيق مبدأ التطور التاريخي للكلمات .

ومع مراعاة ما بين اللغة العربية واللغة الانكليزية من اختلاف في النشأة وفي الأصول وفي الخصائص والتطورات الحضارية ، فلقد يكون في ما اتبع في الأخيرة من معجمية ، ولا سيما ما يتعلق بالمبدأ التاريخي في تحديد دلالات الألفاظ ، ما عسى أن ينتفع به في وضع المعجمات العربية الحديثة ، مواصلة للجهود القيمة التي كان المعجميون العرب روادا فيها فتركوا تراثا غنيا في مجالاتها ، ومحافظة على أصالة لغة القرآن الكريم وفصاحتها ، وتمكينها من مواكبة التطور الحضاري الذي تنشده الامة العربية والوفاء بمتطلباته ،كما وفت به إبان ازدهار حضارتها ، مستوعبة ثقافات الامم السالفة متوجة لها بإبداعها الانساني الرفيع في الآداب والفنون وفي الفلسفة والعلوم وفي ألفاظ الحضارة للشؤون العامة في الحياة .

نشاة اللغة الانكليزية :

نشأت اللغة الانكليزية لهجات جرمانية تفرعت عما يسميه علماء اللغة « الجرمانية البدائية » او « التيوتونية » ، وقد كانت سائدة عند مطلع التاريخ المسيحي بين القبائل الجرمانية التي كانت تقطن الشمال الغربي من

أوربا ، ويعد أولئك العلماء « الجرمانية البدائية » شأنها شأن اللغـــات الاوربية عامة ، فرعا من اللغات الهندية ــ الأوربية ، وهو تصنيف ينسـبها الى مواطنها وذلك خير من نسبتها الى الأصول العرقية المدعاة لها .

ويبرز بين تلك اللهجات الجرمانيـة مجموعتان ، ما لبثت كل منهما أن تطورت وتمايز بعضها عن بعض، بحكم ما حصل بين المتكلمين بها من تفرق وانعزال وتبدل في أحوال الزمان والمكان ، فأصبحت لغات متميزة ، حيث نشـأت عن إحدى المجموعتين اللغات الاسكندنافية وهي الدانماركية والسـويدية والنرويجية والاسلندية ، ونشـأت عن المجموعة الثانية اللغات الألمانيـة والهولندية والانكليزية ، فهذه ذات اصول مشتركة مع اللغات السـالف ذكرها عامة ، ولكنها اقرب الى اللغتين الأخيرتين في مفرداتها وخصائصها .[1]

وقد نقلت قبائل جرمانية ــ أهمها قبائل الانكلو ساكسون والجوت ــ لهجاتها الى أكبر الجزر البريطانية خلال القـرن الخامس والسادس بعـد الميلاد ، عند استيطانها لها أولا : في هجرة زمر تتسلل الى سواحلها الجنوبية والشرقية مسالمة تارة وفي عصابات من المغامرين تقتحم تلك السواحل عنوة تارة اخرى ، وثانيا : في غزوات أوسع بدأت عند منتصف القرن الخامس (٤٤٩م) .

وظلت تلك القبائل الجرمانية توطد سيطرتها على أجزاء الجزيرة فسميت باسم احداها England او انكلترا كما نعرفها في العربية المعاصرة ، وقد أخذت تلك اللهجات تتداخل وتقترب أحداها من الاخريات في معظم الحالات حتى تألفت منها لغة واحدة اشتهرت تسميتها بالانكليزية ، وهي التسمية التـي غلبت على الارض نفسها .[2]

مراحل تطور اللغة الانكليزية :

يميز علماء اللغة ثلاث مراحل في تطور اللغة الانكليزية ، تمتد الأولى

من العهد الذي حفظته عنها الوثائق عند نهاية القرن السابع للميلاد حتى عام (١١٥٠م) وتسمى في هذه المرحلة بالانكليزية القديمة ، وتمتد الثانية بين عام (١١٥٠م) وعام (١٥٠٠م) وتسمى بالانكليزية الوسيطة ، وتمتد الثالثة بين عام (١٥٠٠م) الى العصر الحاضر وتسمى بالانكليزية الحديثة . ولا تعدو تلك التواريخ أن تكون مواعيد تقريبية ليست فاصلة في خصائص اللغة ومفرداتها ، وإنما كان اختيارها لاتفاقها مع أحداث ذات أهمية تاريخية ، فالعام (١١٥٠م) يقرب من الفتح النورماندي لانكلترا وله تأثير واسع والعام (١٥٠٠م) يقترب من عصر النهضة في اوربا وما أدت اليه من حركة إحياء العلوم ومن دخول الطباعة الى إنكلترا ، ويميل بعض الباحثين الى تقسيم كل مرحلة الى طورين مبكر ومتأخر .[٣]

المرحلة القديمة (٧٠٠ م ـ ١١٥٠ م) :

وهي الانكليزية القديمة فإن ما عثر عليه من مدونات اللغة فيها عند نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن للميلاد لا يزيد عن أسماء الأعلام وأسماء الأماكن في مواثيق مكتوبة باللغة اللاتينية، تبعتها وثائق مكتوبة بين (٧٣٧م و٧٤٦م) اشتملت على أبيات من الشعر ونقوش على الحفريات وقوائم من الكلمات المفردة . وإنما تعددت الوثائق التي دونت فيها الانكليزية خلال القرن التاسع حتى كثرت عند ختامه فكان تكاثرها بداية الطور المتأخر من المرحلة . وكانت الانكليزية اذ ذاك تتوزع في أربع لهجات ، لعلها تمايزت بحكم الاختلافات الاقليمية التي استوطنتها القبائل المهاجرة او الغازية .

وتميزت الانكليزية في هذه المرحلة عامة باتباعها قواعد صرفية ونحوية على حظ من التعقيد ، تتجلّى في تغيرات تطرأ على أواخر الكلمات على وفق ماترد فيه من السياقات وتختلف الكلمات في الانكليزية القديمة بين التذكير والتأنيث والحياد بينهما ، وتتابع الصفات هذه الاختلافات كما تتابعها أداة

التعريف ، وقد تخلت الانكليزية الحديثة عن كثير منها ، وانما استبقت اللغة الالمانية بعضها .

وانفتحت الانكليزية القديمة على اقتباس المفردات من لغات اخرى لاسيما اللاتينية ، ومنها مااقتبس قبل غزوها لبريطانيا ، وتكثر فيها الكلمات المتصلة بالفلاحة والحرب وبالتجارة وبالاغذية وادواتها وعملياتها ، ومنها مااقتبسته بعد غزوها لبريطانيا ، وأخذت الكثير منه عن طريق انتشار المسيحية بين قبائلها .(٤)

وقد أبادت القبائل الجرمانية الغازية كثيرا من سكان الجزيرة في شرقيها وجنوبيها ولكنهم واجهوا من بقي من (السلتيين) في اسكتلندا وويلز وإيرلندا وتعاملوا معهم واعتنقوا المسيحية على أيديهم واستدخلوا كثيرا من ألفاظهم ولاسيما أسماء الاماكن والجبال والانهار ، وألفاظ شؤون المعيشة (٥) .

وكان لغزو الاسكندنافيين من الدانمارك والنرويج للجزيرة البريطانية ، بين القرن التاسع والحادي عشر تأثير كبير في اقتباس الانكليزية من الفاظهم، وتجلت هذه الألفاظ في الانكليزية الوسيطة بعد استقرار اولئك الغزاة في مواقعهم وظهور أعمال أدبية فيها ، وكثير منها يبدأ بالحرفين SK : ويتصل بأحوال البحار والسفن .

ويبدو ان الشعر كان في الانكليزية القديمة هو الفن الادبي الذي يحظى بالعناية والاهتمام ، كالشأن في العصر الجاهلي من عصور العربية ، فتطورت له أساليب أدبية لم تخل من آثار الصنعة ، ومنها ما يظهر عليه التكلّف والمبالغة .(٦)

الانكليزية الوسيطة :

وأما الانكليزية الوسيطة (١١٥٠م ـ ١٥٠٠م) ، فقد كان الفتح النورماندي ـ الذي أتى بانتقال عرش إنكلترا الى الأسرة النورماندية التي

تحكم شمال فرنسا ـ وذلك بتوجيه من الملك ادوارد بحكم غياب الوريث الجدير بتولي العرش بعده ـ، علامة بارزة فيها، وكان من نتائجه التأثير الكبير للغة الفرنسية في الانكليزية ، وهو تأثير يسري في نسيج اللغة الى عهود طويلة ، ويمكن تمييز طورين في هذا التأثير الفرنسي لعل سنة (١٢٥٠م) تؤلف حدّا فاصلا بينهما ، فقد كان الاقتباس من الفرنسية في الطور الأول من لهجة مقاطعة نورماندي بحكم نفوذ رجال البلاط ومن يتبعهم من الكتبة والعاملين في دواوين الحكومة ونفوذ القسس الفرنسيين الذين تولوا مهمات الوعظ والارشاد في الكنائس الانكليزية وكانت الألفاظ المقتبسة في هذا الدور أقرب الى ألفاظ الحياة العامة ، وبما هو ذو صلة بالعبادات . فمن الأولى ألفاظ الأطعمة والالبسة والاحتفالات ومن الثانية كلمات دالة على الحج والمواكب الدينية والصور والتماثيل والمعجزات . فاصبح الاقتباس في الطور الثاني من لهجة باريس في وسط فرنسا ، وشمل شؤون الفكر والحضارة ، ومنها الألفاظ القانونية والتشريعية والعسكرية ، وعبارات الفنون والآداب ، وكان اقتباسا أغنى في الكم والنوع على السواء .(٧)

الانكليزية الحديثة (١٥٠٠م ـ ...)

وبينما كانت التأثيرات على الحياة عامة في بريطانيا وعلى اللغة الانكليزية خاصة في المرحلتين القديمة والوسيطة ذات سمات قطرية في الغالب تأتي من غزوات القبائل اليها او انتقال العروش بين الأسر الحاكمة فيها ، فان مرحلة الانكليزية الحديثة اتسمت بتأثيرات حضارية أوسع في مداها شملت القارة الاوربية عامة ، وتجاوزتها الى الصعيد العالمي على مدى العصر الحديث في كثير من الحالات والاتجاهات .

فهذه المرحلة الحديثة تتزامن مع دخول الطباعة الى بريطانيا في الربع الاخير من القرن الخامس عشر (١٤٦٧م) ، وتتقارب مع ما هو اشمل وهو

انطلاقة عصر النهضة في أوربا ، والطباعة أثر من آثار تلك النهضة وأداة رئيسة في نشرها .

فلا خلاف في أن عصر النهضة في أوربا بما تولد عنه من تغييرات حضارية كبرى يؤلف حقبة تحولات واسعة وعميقة التأثير خرجت منها أوربا من القرون الوسطى الى العصر الحديث .

ولعل أبرز ما يمثل ذلك العصر من حيث انقضاء العصور الوسطى في أوربا ، انحلال الامبراطورية الرومانية ، وضعف الكنيسة البابوية ، وتهاوي نظام الاقطاع وهي المؤسسات الثلاث الكبرى التي ظلت تسيطر على شعوب أوربا خلال تلك القرون ، في مجالات السياسة والاقتصاد ومجالات الاجتماع والاعتقاد ، وتفرض عليها سلطانها في صيغ من الوحدة الزائفة ، وتشيع فيها نزعات العبودية والاستسلام وحالات الجهالة والظلام مما توصف به القارة الأوربية في تلك القرون على أسوأ احوالها .(٨)

ويقابل انهيار تلك المؤسسات الثلاث ، ويمثل طوالع العصر الحديث نشوء اتجاهات ذات قيم حضارية جديدة ، تجلت خاصة في حركة إحياء العلوم بالعودة الى تراث اليونان والرومان من ناحية ، وبظهور نظرية فلكية جديدة رأى فيها (كوبرنيكس) (١٤٧٣م ـ ١٥٤٣م) كروية الارض ودورانها حول الشمس ، فألغت النظام الفلكي القديم من ناحية ثانية ، وفي ظهور صيغة الدولة القومية وتطور لغاتها وتوثيق الروابط بين أبنائها ، وفي ظهور مخترعات جديدة من بواكيرها آلات الطباعة وما صاحبها من تطور صناعة الورق ، فأدت الى انتشار الثقافة والتعليم بين جماهير أوسع ، واختراع البوصلة في تحديد الاتجاهات وقد يسرت اكتشاف اميركا والاتصال البعيد بأقاصي القارات(*) .(٩) وهي اتجاهات تواصلت بها الحركات الفكرية في

★ شهدت أوربا على مدى قرن من الزمان احداثا مهمة آذنت بانقضاء القرون الوسطى وانطلاقة عصر النهضة ، كان من ابرزها انهيار الدولة البيزنطية =

الآداب والفلسفة والعلوم ، وتولد عنها كثير من الثورات ذات الصفات القومية ، كما تولدت عنها الثورة الصناعية سمة بارزة من سمات العصر الحديث •

لقد كانت حركة إحياء العلوم والعناية بتعلمها Revival of Learning ظاهرة رئيسة من ظواهر عصر النهضة ، تجاوزت بعث التراث اليوناني والروماني في مجالات الآداب والفنون الى النظر مجددا في تلك الآثار وتعمق ما في كنوزها من الفكر والتأملات ، مما أسهم في توليد حركة تحرر تؤكد الثقة بالانسان وبقدراته على الابداع والايمان بتواصل الحضارات وتلاقحها ، والدعوة الى استكشاف خصائص الطبيعة والحياة بما يفضي الى الفتها والتعامل معها في واقعها • وجاءت هذه الدعوة متساوقة مع نظرية (كوبرنيكس) في النظام الفلكي الجديد ، مؤدية الى اعتماد منهجيات علمية مستندة الى ملاحظة الظواهر واستقراء وقائعها واخضاعها للتجريب ، مما أكده (روجر بيكون) و (فرانسيس بيكون) متأثرين بما تعرف كل منهما عليه من آثار الحضارة العربية الاسلامية •(١٠)

وقد انطلقت تلك الحركة من إيطاليا فهي المهد الذي ولد فيه عصر النهضة ، فكانت رائدة للبلاد الاوربية في تكوين الجامعات وإنشاء

=

بسقوط القسطنطينية على ايدي الاتراك العثمانيين سنة (١٤٥٣م) ، واختراع آلة الطباعة على يدي (كوتنبرغ) في المانيا سنة (١٤٤٠م) واكتشاف اميركا بقيادة (كولمبس) سنة (١٤٩٢م) : وبروز اسبانيا في صيغة الدولة القومية وهيمنتها على ايطاليا مقر الامبراطورية الرومانية بجانبها الغربي سنة (١٥٣٠م) وظهور حركة الاصلاح الديني في المانيا ماثلة في ثورة (مارتن لوثر) من سنة (١٥١٧م وسنة ١٥٢١م) وهي الثورة التي ادت ظهور المذهب البروتستانتي في مواجهة المذهب الكاثوليكي ، الذي تسيطر عليه (البابوية) في روما ، وكشف نظرية كوبرنيكس : ويختلف المؤرخون في اي من هذه التواريخ هو الاجدر بالابراز بوصفه انطلاقة عصر النهضة على وجه التحديد ، ولكنها جميعها علامات بارزة على تغير العصور .(٩)

(الاكاديميات) التي عنيت بتنمية اللغات المحلية ووضع معاجمها ، فكان لهذه الحركة بوادرها فيها مبكرا قبل عصر النهضة بدلالة ظهور نابغين من أبنائها على رأسهم (دانتي) صاحب الكوميديا الالهية (وبترارك) وله إنجازاته في الشعر وتراجم الاعلام و (دافنشي) وله أعماله البارزة في الفنون شعرا ورسما ونحتا وفي المخترعات العلمية ، أعانها على ذلك وراثتها للتراث الروماني وصلتها بالحضارة العربية الاسلامية واستيعابها لما حفظته من التراث اليوناني ، وتعاملها مع اقطار البحر الابيض المتوسط واستقرارها السياسي والاقتصادي .(١١)

وقد كان للحضارة العربية الاسلامية فضلها على عصر النهضة في اوربا عامة فيما صانته من تراث الحضارة اليونانية وفيما أضافت اليه في ميادينها لاسيما في الفلسفة والمنطق والعلوم والطب وفيما أرسته من منهجيات علمية في الاستقراء والتجريب ، وكانت كتب الطب والفلسفة وغيرها المنقولة من العربية الى اللاتينية مما اعتمدته الجامعات الاوربية في دراساتها على مدى قرون طويلة .

وقد أفضى عصر النهضة في أوربا الى العصر الحديث ، فكان من أبرز سماته اعتماد المنهجيات العلمية وتطور العلوم والاختراعات وما تولد عنها من الثورة الصناعية ، وما صاحبها من الثورات لاسيما في فرنسا وفي الولايات المتحدة الامريكية ، وقد أسهمت في إرساء صيغة الدولة القومية ، وما تولد عنهما جميعا من نشأة الاستعمار الاوربي واستشرائه في استغلال الشعوب بثرواتها المادية والبشرية .

وقد كان لانكلترا نصيب كبير من هذه الأحداث والحركات ، فقد كانت سباقة في تبني الثورة الصناعية واستثمارها في استعمار بلاد واسعة في القارات ، حتى أصبحت دولة الاستعمار الكبرى ، وقيل عنها عند مطلع القرن العشرين إن لها امبراطورية لا تغيب الشمس عنها ، وشملت سيطرتها أجزاء من الوطن العربي وهي التي مهدت للاستيطان الصهيوني في فلسطين

وواصلت تأييده ودعمه • وقد كان للثورة الصناعية آثارها السيئة في كثير من الأمم والشعوب ، كما كان لها آثارها السيئة على الطبقة العاملة في الدول الصناعية نفسها في سوء احوالها وشيوع البؤس والفاقة بين ابنائها •

وشهد القرن العشرون حربين عالميتين ، كما شهد تفجر الثورات العلمية والتقنية والمعلومات ، أسهمت في توليدها إنكلترا ، وقد انحسرت دون ان تكون في الصف الاول من القوة ، وكسبت اللغة الانكليزية من هذه الثورات وانتشرت بين القارات ، وكان للولايات المتحدة الاميركية اسهامها في هذا الكسب والانتشار •

تلك بعض التأثيرات الحضارية التي شملت أجزاء واسعة من أوربا في عصر النهضة وسرت فيها الى العصر الحديث ، وكان من أبرز معالمها فيانكلترا من حيث صلتها باللغة الانكليزية خاصة ما يأتي :

كان من آثار تعزيز الثقة بالانسان وإطلاق قدراته على الابداع وتنامي اللغات القومية ، ان انبثقت حركة أدبية في اللغة الانكليزية ، واخذ ابناؤها يستعملونها في التعبير عن ألوان من إبداعهم في الشعر والنثر وتعددت الأثار الادبية في فنون الرواية والمسرح وقصائد الملاحم والغناء ، فشهد العصر الاليزابيثي (١٥٣٣م ــ ١٦٣٣م) ازدهار الحركة الادبية حتى ليعد من أزهى عصو رالانكليزية ، ونبغ فيه عدد من الشعراء والروائيين وعلى رأسهم (وليم شكسبير) (١٥٦٤م ــ ١٦١٦م) أعظم شعراء الانكليز غير مدافع ، بما أتيح له من نفاذ في تحليل الشخصيات في رواياته على تعدد ألوانها بين الرجال والنساء ، باسلوب لغوي رفيع ، وماتزال تلك التحليلات مما يعتد به في الدراسات الادبية والنفسية في العصر الحديث ، فرسخت مكانة اللغة الانكليزية لغة غنية بين اللغات الاوربية الحديثة ، وتواصل غناها على مر الايام ، وساعد على ذلك انتشار الطباعة ورواج المطبوعات بعد دخول هذه الصناعة الى انكلترا (١٤٧٦م) وانتشار التعليم •[١٢]

وتبع ازدهار الانكليزية لغة ادبية ، سعي علمائها في نطاق جامعاتها

وخارجها الى نشر أبحاثهم العلمية فيها ، بعد ان كانت اللاتينية أداتهم فيها ، واستخدامها لغة للتعليم في المدارس والجامعات ، فاصبحت لغة العلم والتعليم على نطاق واسع بعد كونها لغة الفنون والاداب ، ومن ذلك نشر ترجمة كتاب (اسحاق نيوتن) عن مبادىء الفلسفة الطبيعية سنة (١٧٢٩م) .

وتعززت مكانتها لغة قومية بنماء الروح القومية ونماء القوة العسكرية، وليس ذلك فحسب ، بل أصبحت لغة عالمية بانتشارها في بقاع العالم ، فهي بلا شك من أوسع اللغات انتشارا في القرن العشرين .

وقد اخذت الطبقة المتوسطة من ارباب الصناعة والتجارة بالتوسع والازدهار بعد تمكنهم من امتلاك ناصية الثورة الصناعية وتكوين اسطول تجاري وعسكري يجوب القارات ويستولي على المستعمرات ويستغل ثرواتها ، وتنامت الثروة في ايديهم ، وعنوا بنشر التعليم بين ابنائهم فارتفعت مستوياتهم الثقافية وازدادت عنايتهم بتجويد لغتهم ، فاصبحت لهجتهم تنافس لهجة طبقة النبلاء ورجال البلاط ، حتى اصبحت هي اللغة المعيارية التي يقاس عليها .[١٣] وازدادت الفوارق الطبقية اتساعا ، في مستوى المعيشة وفي مستوى الثقافة والتعليم ، فازدادت الفوارق بين اللهجات واصبحت ذات دلالات اجتماعية وثقافية بعد ان كانت تقتصر على الاختلافات الاقليمية بين المناطق الريفية[١٤] .

وشهدت الانكليزية في مرحلتها الحديثة فيضا متواصلا من الكلمات الأجنبية تقتبسها بوفرة لتؤلف جانبا كبيرا من خزينها اللغوي ، ففضلا عما اقتبسته من اللاتينية والفرنسية ومن اللغات الاسكندنافية في مرحلتها القديمة والوسيطة ، فإن عصر النهضة فتح لها مسارب جديدة للاقتباس من اللاتينية واليونانية ، وكان من دواعي ذلك في الطور الاول من المرحلة الحديثة حاجتها الى لتعبير عن المعاني المجردة والأفكار الدقيقة لاسيما في الفلسفة والعلوم ، ثم أصبح من دواعي ذلك في الطور الثاني من تلك المرحلة الحديثة الحاجة الى التعبير عن دلالات المصطلحات العلمية ، وهي حاجة

لاتزال متواصلة في القرن العشرين • ذلك ان النمو المتسارع للعلوم ومـا يصـدر عنهـا مـن مفاهيم دقيقة وحاجتهـا الى مصطلحات ، يحمـل العلماء على تجنب اصطناع الكلمات الدارجة على الألسنة في التعبير عن تلك المصطلحات ، لما عسى ان يلحق بها من ظلال معانيها المألوفة والاتجاهـات الوجدانية التي تصاحبها ، وبذلك تسيىء الى المفاهيم العلمية ، واللجـوء بدلا من ذلك الى اقتباس الكلمات من اللاتينية واليونانية ، وقد أصبح عامة الناس على جهل بهما ، التماسا للدقة وتجنبا للخلط بين الدلالات • ويؤيـد هذا النهج أن الانكليزية من اللغات التي تكثر فيها الكلمات المجمعة والمركبة التي تتألـف من ضـم الكلمـات بعضهـا الى بعـض والصـاق السوابق واللواحق بها •

ولم يقتصر الاقتباس على هاتين اللغتين ، بل شـمل كثيرا من اللغـات الاوربية الحديثة ، ومن اللغات الشرقية ، فاستمر الاقتباس من الفرنسـية في مجالات متعددة ومنها شؤون السفارة (الدباوماسية) ومن الايطاليـة لاسيما في الفنون كالموسيقى والرسم والعمارة ، ومن الألمانية في مجـالات الكيمياء وأسماء المعادن ومصطلحات الفلسفة ، ومن العربية ومنها ما اقتبسته الانكليزية منذ عصر النهضة من مصطلحات الفلك والرياضيات وما نقلته من ألفاظ الحاية العامة ، ومن الأسبانية ومن اللغات الهندية مثلها[١٥] ، فلا جرم ان توصف الانكليزية بهذه الوفـرة من اقتباس الكلمـات باللغة المُهَجَّنَة Hybrid تتعـدد مصـادر أصول كلماتها ، وقد اتضـح من دراسـة إحصائية لمعجم أكسفورد الوجيز ، وهو معني بالكلمات المتداولة أن قرابـة (٥٤) بالمائة من الكلمات مقتبس من اللغات الرومانية وهي اللاتينية وتفرعاتها الحديثة كالفرنسية والايطالية والأسبانية ، وأن قرابة (١١) بالمائة مقتبس من اليونانية ولا تزيد نسبة الكلمات ذات الاصول الجرمانية الاولى على قرابة (٣١) بالمائة •[١٦] وتقل هذه النسبة لو اجريت الدراسة على المعجم الوسيط أو الكبير ، وتكبر نسب المقتبسات •

وقد نمت ألفاظ الانكليزية باطراد متواصل فمن حوالي خمسين الى ستين ألف كلمة من الالفاظ الانكلوساكسونية في مرحلتها القديمة الى مائة وخمسة واربعين الفا في عصرها الوسيط والى ما يزيد عن نصف مليون في العصر الحديث . (١٧)

وتنامت أهمية (لندن) خلال المرحلة الحديثة عاصمة لبريطانيا وتعاظمت هذه الاهمية على الصعيد الدولي منذ أن اصبحت عاصمة الامبراطورية شملت المستعمرات ، وأصبحت لهجتها ــ وقد اخذت من لهجة الجنوب ولهجة الشرق ــ وكثرت فيها اعمال الطباعة والنشر والصحافة والاذاعة هي اللهجة التي تمثل الانكليزية المعيارية Standard English التي يقاس عليها في فصاحة المفردات نطقا ودلالات ، وفي سلامة الاساليب في التنظيم والتركيب .

ويمكن أن يقال إنه اصبح للانكليزية في الجزر البريطانية ثلاثة أنماط رئيسة من اللهجات هي الانكليزية المعيارية المهذبة وهي التي تتلقى بالتنشئة السليمة والتعليم ، وهي لهجة لندن وما يجاورها في اكسفورد وكمبردج ولاسيما في مستوى الجامعات ، ولهجات إقليمية هي مزيج من اللهجة المهذبة ومما يخالطها من لهجات الأقاليم على تعددها ، ولهجات إقليمية خالصة في المناطق الريفية من ناحية ولهجات ذات انتماءات مهنية تتمايز بين اصحاب الحرف والصناعات .(١٨)

وتعددت لهجات الانكليزية خارج الجزر البريطانية ، لاسيما في الولايات المتحدة الامريكية ، وأصبحت لها فيها سمات عامة وسمات إقليمية عنيت بها المعجمات ، وللدول التي تجمعها الرابطة البريطانية مثل كندا واستراليا ونيوزلاند وجنوب افريقيا والهند وباكستان وغيرها لهجاتها ، مما يعزز للانكليزية على تعدد هذه اللهجات مكانتها على الصعيد العالمي ، وتقدر دائرة المعارف البريطانية في طبعتها (الخامسة عشرة) وقد صدرت اعادة لها سنة (١٩٩٠م) أن عدد المتكلمين بالانكليزية من ابنائها

الذين ينشأون على النطق بها في أواخر الثمانينات من هذا القرن بلغ مائتين وخمسة وثمانين مليون ، وهي بذلك تصبح ثاني لغة في الانتشار في العالم بعد الصينية ، وذلك غير المتكلمين بها من غير أبنائها . (١٩)

وقد طرأ على قواعد النحو والصرف في الانكليزية الحديثة كثير من التعديل مال بها الى اليسر والسهولة ، فتخلصت من تصريف الأسماء والصفات بتعديل أواخرها على وفق مواقعها في نظام الجملة ، مما كان سائدا في الانكليزية القديمة والى حد ما في الوسيطة،وماتزال الالمانية الحديثة تستبقي بعض قواعده ، كما تخلصت من حالات التذكير والتأنيث ، ولم تعد تستبقي من تغيير أواخر الكلمات إلا النهايات التي تلحق بصيغ الجموع القياسية باضافة S او S والا اضافة ES مسبوقة بعلامة خاصة للدلالة على الملكية في الأسماء وإضافة S الحرف نفسه الى الافعال للمفرد الغائب في صيغة المضارع ، وأدى الخلاص من تعدد الصيغ في الأسماء والصفات بتغيير أواخرها الى تعيين نسق اكثر ثباتا في تتابع الكلمات في نظام الجملة ، ويغلب على الأساليب الجملة الاسمية في العبارات الاخبارية ، وانما كثر في الانكليزية الحديثة إلحاق حروف الجر بالافعال لتغيير دلالاتها كثرة وفيرة ، كما تعددت ازمنة الفعل وكثر فيها صيغ الاستمرار والتمييز بين الماضي القريب والماضي البعيد .(٢٠)

وقد كان هجاء الكلمات كثير التعدد يتفاوت بتعدد اللهجات ، فاسهمت الطباعة والمعجمات في تثبيته الى حد ما ، ولاتزال الانكليزية الحديثة تحفل بالمفارقة بين هجاء الكلمات وطريقة نطقها ، فيختلف النطق في حروف العلة بين حالة واخرى ، ويحتفظ بحروف صائتة في الهجاء من دون ان تنطق، ويتفق النطق مع تعدد الهجاء ، فيعول على السماع ويتعرض لاختلافات كثيرة بين تعدد اللهجات .

تعريف المعجمية والمعجمات :

يجدر ان نمهد لعرض تطـور المنهجية الانكليزية ببعض التعريفـات نقتبس بعضها من المعاني السائدة في العربية ومما أصبح سائدا في الانكليزية.

فالمعجم في العربية من الاعجام ومن أصول مادة هذه الكلمة الاخفـاء والابهام ، فالكلمة بهذا الاصل ضد البيان . غير ان كلمة المعجم اسـتعملت بمعنى النقط بالسواد ومنه نقط الحروف ، وحروف المعجم تعني حروف الخط العربي المعجم ، وكان هذا الخط يوصف بالمعجم لانه لا يبين الا بالاعجـام تنقيطا وشكلا ، ذلك ان نقط ما يستحق النقط من حروفه يؤدي الى تمايـز بعضها عن بعض فبيانها ، ويقال أعجمت الكتاب اذا أزلت استعجامه بتنيقط حروفه وتمييز بعضها عن بعض . وأصبح المعجم في الاصطلاح يطلق علـى الكتاب يؤلف بترتيب حروف الخط العربي أياً كانت موضوعاته .»[٢١]

ويكاد يكون من المتفق عليه أن رجال الحديث هم الاوائل الذين ألفوا الكتب بترتيب حروف الهجاء ، ومنهم الامام البخاري صاحب الصحيح ، وقيل إنه كان اول من أطلق لفظة المعجم عنوانا لكتاب من كتبه ، وتوالت هـذه التسمية على كثير من كتب المحدثين وشملت معجمات الأعلام من الصحابـة ومن الشيوخ والشعراء وغيرهم .

غير أن علماء العربية وهم الذين حددوا مفهوم المعجم بهذا المعنى لـم المعجم بصورة او اخرى ، فكان من تلك التسميات (العين) للخليل و(لسان العرب) لابن منظور ، وسـمى الفيروزابادي معجمـه (القاموس المحيط) ، وشاعت على ألسنة المعاصرين في كتاباتهم ولاسيما في المعجمات ذات اللغتـين كلمة (القاموس) وصفا لها ، وهي انما تعني البحر أو البحر العظيـم أو وسطه أو معظمه . وإنما استعمل كلمة (المعجم) مجمـع اللغة العـربية في القاهرة عنوانا لمعجمه (المعجـم الوسيط) وقد صـدر في ثلاث طبعات ، و (المعجم الكبير) ولايزال العمل فيه متواصلا .[٢٢]

ويقابل كلمة المعجم العـربية كمـا اصطلح عليها الكلمة الانكليزيـة

Dictionary وهي مقتبسة فيها من اللاتينية وصيغتها فيهـا Dictionarium و Dictionarius وهي مشتقة من كلمة Dictionem وتعني كلمة وعبارة وكلام ، واصبحت تلك الكلمة تعني مؤلفا يجمع الفـاظ اللغة بصورة مرتبة على وفق توالي حروف الهجاء ، ويورد معانيها وبعـض معلومات عنها ، وتوسع في استعمال الكلمة لتشمل المؤلفات التي تجمع بـين ألفاظ لغة وما يقابلها من ألفاظ لغة او اكثر من لغة اخرى ، كما تشـمل المؤلفات التي تأتي موادها مرتبة على وفق حروف الهجاء وتتناول موضوعات مثل المصطلحات في مختلف الميادين او تراجم الأعلام أو فـروع المعـارف والعلوم والآداب والفنون .

وجاء في معجم « أكسفورد الوسيط » في تحديد معنى الكلمة الانكليزية Dictionary ما يأتي :

(١) كتاب يتناول الكلمات في لغة من اللغات ، فيعرض أصولها وطريقة نطقها ودلالاتها واستعمالاتها ومرادفاتها واشتقاقاتها وتاريخها ، او في الاقل بعض هذه المعلومات ، وتأتي الكلمات مرتبة بنظام محدد ، وهو في الغالب نظام حروف الهجاء .

(٢) وعلى سبيل التوسع : كتاب من المعارف والمعلومات ومـرجع لأي موضوع من الموضوعات أو فرع من فروع المعرفة مثل معجم العمارة ومعجم الموسيقى .[٢٣]

وجاء في معجم « وبستر » الامريكـي (ط ١٩٨٣) الموضوع لطلبـة الكليات تحديدا لمعنى الكلمة الانكليزية ما يأتي :

١ ــ كتاب مرجعي يشتمل على كلمات مرتبة في الغالب على وفق حروف الهجاء تورد عنها معلومات عن بنيتها ونطقها ووظائفها وأصولها ومعانيهـا واستعمالاتها في سـياقاتها وعن المصطلحـات العلمية والفنية التـي استخدمت فيها .

٢ ــ كتاب مرجعي يرتب على وفق حروف الهجاء لمصطلحات أو أسماء ذات اهمية في موضوع من الموضوعات او نشاط من الانشطة ، ويورد مناقشة لمعانيها وتطبيقاتها •

٣ ــ كتاب مرجعي يورد كلمات لغة من اللغات وما يقابلها في لغة اخرى

٤ ــ قائمة من (العبارات او المرادفات او التعليمات) تخزن في آلة مقروءة ، كالاقراص ، يمكن الرجوع اليها في نظام آلي كالحسابات .(٢٤)

وفي هذا التعريف توسع يشمل استخدام الحسابات في ترتيب الكلمات وما يتصل بها من معلومات •

وتستعمل في الانكليزية كلمة Glossary بمعنى أضيق من كلمة المعجم Dictionary وهي منقولة عن اللاتينية Glossarium وتعني قائمة من الكلمات الصعبة او الفنية او اللهجية او القديمة مع تفسير يسير لمعانيها وقد يورد ما يقابلها بلغة أخرى على سبيل التفسير لها وتقريب معانيها لمن يعرف كلمات هذه اللغة وقد يأتي التفسير بين سطور الكتاب أو على حاشيته:وأصل اللفظة في اللاتينية Glossa وقد اصبحت في الانكليزية Gloss وتعنى كلمة وقد اصطلح على كلمة مَسْرَد لتقابل كلمة Glossary وذلك من السَّرْد ويعني تقدمة شيء الى شيء يؤتى به متسقا بعضه الى بعض متتابعا ، كما جاء في« لسان العرب »ومنه سَرَدَ الحديث يسرده اذا تابعه •

والمسرد بهذا المعنى أضيق من المعجم سواء من حيث اقتصاره على أنواع من الكلمات كالتي وصفت آنفا ، أو من حيث اقتضاب ما يتضمنه من تفسير ، فهو معجم مجزوء •

ويراد بالمعجمية في هذه الدراسة خاصة مايشتمل عليه وضع المعجمات من علم وفن ، بما في ذلك القواعد المتبعة في ترتيب المواد وتبويبها وتنسيقها وضبطها ، وفي الجوانب التي يتناولها التعريف بها ، ومنها في المواد اللغوية

مايتصل بأصولها وهجائها ونحوها وصرفها وطريقة نطقها ودلالاتها على اختلافها وتاريخها على تعدد أزمنتها، والشواهد على استعمالاتها، حيثما قصد ان تأتي المعلومات عنها على حظٍ وافٍ من الشمول والتكامل وفي الدقة والاتقان ، ويتبع ذلك ما يتطلبه إخراجها من حيث جودة الطباعة ويسر التناول والمراجعة وحسن المظهر والايضاح بالتعبير وبالرسم والتصوير .

مراحل تطور المعجمية الانكليزية :

تذهب هذه الدراسة الى عرض تطور المعجمية الانكليزية في خمس مراحل ، بدأت أولاها سنة ١٢٢٥م في صورة مسارد ثنائية اللغة تجمع بين اللاتينية والانكليزية ، ثم اخذت هذه المسارد بالاقتصار على الانكليزية نفسها في مرحلة ثانية ، وإنما ظهرت المعجمات بمعناها الوافي عند مطلع القرن الثامن عشر ، وازدادت غنى واستيفاء لمطالب المعجمية بعد منتصف القرن التاسع عشر وخلال القرن العشرين ، فهي حديثة بالقياس الى المعجمات العربية ، ونفصل القول في هذه المراحل الخمس على الصورة الاتية :

المرحلة الاولى : (١٢٢٥ م ـ ١٥٧٣ م) المسارد الثنائية اللغة

كانت اللغة اللاتينية خلال القرون الوسطى في أوربا هي لغة الثقافة والتعليم في البلاد الأوربية كما كانت لغة التعامل التجاري بينها ، وظهر أول مؤلف في إنكلترا لجمع كلماتها سنة (١٢٢٥م) وحمل في عنوانه لفظة المعجم بصيغتها اللاتينية Dictionarius ، ألفه جون كارلاند J. Garland وجمع في مخطوطته كلمات لاتينية بقصد أن يحفظها التلامذة عن ظهر قلب ، ورتبها على وفق موضوعاتها وبترتيب أوائل حروف الهجاء في كل موضوع، ولم يزد ما فيه من كلمات انكليزية على بعض ألفاظ لتفسير بعض الكلمات اللاتينية وتقريبها الى أذهان التلامذة ، أورها في متن المخطوط ، فهذا مؤلف أشبه بالمسارد بالرغم مما جاء في عنوانه ، وهو ثنائي اللغة تأتي الانكليزية فيه تالية للاتينية لأغراض تعليمية ، وقد ألف في طليعة مسارد

على غراره ثنائية اللغة تعنى باللاتينيـــة ، وتـــورد الألفـــاظ لتفســـيرها وتقريبها الى أذهان المتعلمين .»(٢٥)

فقد تكاثرت هذه المسارد الثنائية اللغة خلال القرنين الخامس عشـــر والسادس عشر وكان وضعها لاغراض تعليم اللاتينية نفسها ، وكان من أوائل هذه المجموعة مخطوط ألفه سنة (١٤٤٠م) قس من فرقة (الدومنيكـــان) يســـمى (كالفـرديـــس النحـــوي) Galfridus Grammaticus وجعـل عنوانـه « مسـتودع الصـغار » Promptorium Parvulorum واشتمل على نحو (١٢٠٠) كلمة إنكليزية تقابل مثيلاتها اللاتينية ، وقد طبع سنة (١٤٩٩ م) بعد دخول الطباعة الى لندن سنة (١٤٧٦م) ، وتلاه مسرد آخر ترد فيه الكلمات اللاتينية يتبعها مايقابلها من الكلمات الانكليزية بوصفهـا اللغة المحلية المحكية بين صغار المتعلمين لتعينهم على فهم الكلمات اللاتينية التي كانوا يقبلون على تعلمها وقد ألفه (وينكن ورد) Wynken de Worde وسماه في اللاتينية Ortus vocobulorum وتعني « بستان الكلمات » وقد نشر سنة (١٥٠٠م) عند مطلع القرن السادس عشر وكان المقصود منـه تعليم اللاتينية .»(٢٦)

ولعل أول مؤلف يقرب من طبيعة المسارد في الانكليزية بما يورد مـن كلماتها مع حظ من تعريفها متبوعة بما يقابلها من اللاتينية ، كتاب وضـــعه (ريشـارد هيـولـوت) Richard huloet وجعـل عنوانـه Abecederium Anglo - Latinum وتعني (ألفباء إنكليزية لاتينية) يبدو ان المقصود منه تيسير تعلم اللاتينية ، وانما هو أقرب إلى طبيعة المسرد الانكليزي لابتدائه بالكلمات الانكليزية وتعريفاتها الوجيزة وإيراد ما يقابلها من الكلمات اللاتينية ، ويبدو ان التعريفات التي وردت فيه لم يراع فيهـا الالتزام بالقواعد المنطقية وانما روعي فيها السهولة ولم يخل بعضها من روح الدعابة ، فالاعزب من لم يتزوج أو من لا زوجة له ، والأسود والأزرق إنما

يُعرف من البقعة على وجه الزوجة تأتي من ضربة ، كما يحصل حين تتعثر فتقع على كف زوجها ! وقد اشتمل المسرد على نحو (٢٦٠٠٠) كلمة ونشر سنة (١٥٥٢م) فاستحق ان يعد اول مسرد في الانكليزية ، مهما جمع بينها وبين اللاتينية ، وقصد منه تعليم هذه ، وقد لقي حظا من الشهرة بين المثقفين ولكنه اقتصر على الموسرين ، ذلك انه كان على جانب من الضخامة في حجمه وثمنه فحرم منه المعوزون ، وقد ادرك (پيتر ليڤنز) Peter Levins وهو معلم وطبيب ، الحاجة الى إعداد مؤلف اصغر يمكن لغير الموسرين اقتناؤه فاختصره في نحو تسعة ألاف كلمة وأسماه « قبضة من الكلمات » ورتب فيه الكلمات على المقاطع الاخيرة منها ، مراعيا تمكين الشعراء النظامين من اختيار ما يناسبهم من القوافي عند نظم القصيد ، وقد كان مراعاة اعتدال السعر في نشر هذا الكتاب فاتحة نهج ظل متّبعا الى العصر الحاضر في طبع المعجمات وبعض الكتب طبعات رخيصة .[٢٧]

وقد وجد (جون باريت) J. Baret وهو معلم حاذق ما يواجهه طلبته في كمبردج من صعوبة في تعلم اللاتينية فألف لهم مسردا يفسر لهم كلماتها ، فكان يدرج الكلمة الانكليزية المألوفة لديهم مع ما يقابلها من اللاتينية وكثيرا ما يتبعهما بالكلمة الفرنسية ، وقد جمع مادته بمعونة طلبته إذ كان يطلب اليهم تدوين الكلمات اللاتينية على وفق أوائل حروفها أثناء مطالعتهم للمؤلفات فيها ثم يساعدهم على التماس معانيها بما يقابلها من الانكليزية ، حتى اكتمل له على مدى السنوات حصيلة وافية من الكلمات في اللغتين او اللغات الثلاث في بعض الحالات فنشر هذا المسرد الثلاثي اللغة واسماه « خلية النحل » Alvearie اعترافا منه بما بذله الطلبة أنفسهم في جمع مفرداته من النصوص المأثورة كما يجمع النحل الرحيق من الأزهار ، وكان نشر هذا المسرد سنة (١٥٧٣م) .[٢٨]

فالسمة البارزة على المؤلفات المعنية بجمع مفردات اللغة الانكليزية في

هذه المرحلة الاولى ، إنما هي كونها مسارد ثنائية اللغة تجمع بين اللاتينية والانكليزية وتؤلف لاغراض تعليمية ويكون تعليم اللاتينية هو المقصود منها في أغلب الحالات •

المرحلة الثانية : (١٦٠٠ م – ١٧٠٠ م) المسارد الاحادية اللغة

وإنما نشأت المؤلفات التي تخصص لمفردات اللغة الانكليزية دون لغة ثانية غيرها في القرن السابع عشر ، وكانت تقتصر خلال ذلك القرن على عدد محدود من كلمات اللغة هي في الغالب كلمات صعبة في دلالاتها محدودة في شيوعها ، فهي مؤلفات أقرب الى طبيعة المسارد منها إلى طبيعة المعجمات مهما اتخذ بعضها هذه التسمية في عناوينها ، وكان الكثير منها مازال يعكس الاهتمام باللاتينية بإيراد الكلمات المشتقة منها ، لاسيما وقد ظلت اذ ذاك لغة العلم والثقافة والتعليم أكدتها حركة احياء العلوم في عصر النهضة ونشر التراث اللاتيني اليوناني والتعرف على روائعه في المدارس والجامعات بين أوساط المثقفين •

ومن أول هذه المسارد مؤلف يحمل اسم « قائمة ابجدية للكلمات الصعبة » A Table Alphabetical of Hard Words جمعها (روبرت كودري R. Cawdrey واشتملت على قرابة (٢٥٠٠) الفين وخمسمائة كلمة نشره سنة (١٦٠٤ م) ، وكان كودري ، من المدرسين وقد جمع كلماته من مصادر سابقة بدون اعتراف بالاقتباس كالشأن في مثل هذه المسارد في ذلك الزمان ، فقد كانت حقبة نقل عن الآخرين وسرقات أدبية مما لا يقبل في العصر الحديث ، مهما اشتمل التأليف على بعض إضافات هنا وهناك ، ومنها تأكيد هذا المؤلف التقيد بالترتيب الألفبائي ، منحياً باللوم على بعض سابقيه لمجافاتهم ذلك •(٢٩) وكثيرا ما يشار الى هذا المؤلف باعتباره اول معجم يوضع في الانكليزية على سبيل الترخص في تعريف المعجم • وأصدر مؤلف (جون بولكار) J. Bullokar مسرداً بعنوان «المفسر

الانكليزي » The English Expositor سنة ١٦١٦م مشتملا على ستة الاف كلمة ، مع ذكر انتماء الكلمة الى فرع من فروع المعرفة او من فروع المهنة .[٣٠]

وكان أول مؤلف يحمل عنوان المعجم الانكليزي The English Dictionery هو ما وضعه (هنري كوكرام) H. Cockram سنة ١٦٢٣م ، وكان عنوانه الثانوي ينص على كونه شرحا للكلمات الانكليزية الصعبة ، ففيه اعتراف بانتمائه الى طبيعة المسارد ، وإن اشتمل على معلومات تخص أسماء الأعلام وتتعداها الى أساطير عن الأرباب والشياطين والأحجار والأشجار وبعض الحيوانات ، ومن تعريفاته التي تكشف عن نوع المحاولات المعجمية اذ ذاك ، ما يأتي تحت مادة « التمساح » .

« حيوان يخرج من بيضة ، إلا أنه قد يكبر حتى يبلغ حجمه ما يقرب من عشرة أو عشرين أو ثلاثين قدما ، له أسنان مفترسة وتغطي ظهره الخراشيف وله مخلب في أرجله ، واذا رأى انسانا خائفا فانه يهاجمه بنهم ، وعلى العكس من ذلك ، إذا هاجمه مهاجم فانه يخاف منه ويتجنبه ، وبعد ان يأكل جسم انسان ، يبكي فوق رأسه ، ولكنه ما يلبث ان يلتهم الرأس ايضا، ومن هناك جاء المثل في وصف الدموع الكاذبة ، إنها دموع التماسيح ».[٣١]

وصدر سنة ١٦٥٦م مؤلف وضعه توماس بلاونت Thomas Blount وصفه بالمسرد The Glossographia وقال عنه إنه تفسير للغريب من الكلمات ، وكان أول من اورد أصول الكلمات مع شروحها وبيان دلالاتها .[٣٢]

وأصدر سنة (١٦٥٨م) مؤلف أورد اسمه على سبيل الاختصار E. P. وهو (ادوارد فيلبس) E. Philips وسماه العالم الجديد للكلمات New World of Words وهو مأخوذ من

سابقه الى حد بعيد ، بما في ذلك العناية بتأصيل الكلمات وردها الى اللغات الاجنبية التي اقتبست منها .(٣٣)

وتأكد اتجاه تأصيل الكلمات في مؤلف وضعه (سكنر) سنة (١٦٦٧م) Skinner وجعل عنوانه « تأصيل اللغة الانكليزية » Etmylogican Lingua Anglicanae وتبعه بعد عشر سنوات (١٦٧٧م) مؤلف بتسمية مماثلة Etmylogican Anglicanum وضعه العالم الهولندي فرانسيس جانيوس F. Janius فكان ثالث ثلاثة (بلاونت وسكنر وجانيوس) من الرواد في تأصيل الكلمات الانكليزية .(٣٤)

ووضع اليشا كولز Elisha Coles سنة ١٦٧٦م وكان معلما يعلم تلامذته طريقة الاختصار في إيراد الكلمات ، مؤلفا بعنوان « معجم انكليزي » An English Dictionary ، عرض بين مختاراته كلمات لهجية وعامية وكلمات قديمة Archaic ، فكان له حظ السبق في هذا ، وفي حظ من الدقة في تحديد معاني الكلمات ، وبيان اعتماد بعضها في سياق استعمالاتها ، وقد استعيد طبع معجمه بعد وفاته سنة (١٦٨٠) عدة مرات (٣٥) .

ويغلب على المؤلفات في مفردات اللغة الانكليزية خلال القرن السابع عشر طبيعة المسارد في اقتصارها على عدد من الكلمات ، واختلافها بين مايورد من الكلمات الصعبة ولاسيما تلك المشتقة من اللاتينية واليونانية او التي تتسم بالندرة أو بانتمائها الى لهجة من اللهجات أو باستعمالات أهل الحرف والصناعات أو بالقدم والغرابة ، والغالب على تلك المؤلفات استخدامها وسائل في التعليم وشيوعها بين أوساط المثقفين .

وظهر من تطوير المعجمية في تلك المسارد نسبة الكلمات الى فروع المعرفة أو أنواع المهن التي تنتمي اليها ، وإدخال الكلمات اللهجية والمصطلحات

العلمية والفنية ، وإضافة بعض المؤلفين الى ألفاظ اللغة أسماء الأعلام والأماكن كما عني بعضهم بتأصيل الكلمات وردها الى أصولها ومنها ماينتسب الى لغات أجنبية ، وعني بعضهم برصد ما يطرأ على الكلمات من تغيير في دلالاتها وتطبيقه في تسجيل الكلمات بالطريقة التي كانت تلفظ وتستعمل بها ، وإن كان ذلك قد حدث على أساس من الملاحظة الذاتية لا الموضوعية ، وجميعها سمات تعد اضافات في تطور المعجمية الانكليزية ، أغناها من أتى بعدهم من أصحاب المعجمات في القرن الثامن عشر •

فالسمة البارزة على المؤلفات المعنية بجمع مفردات اللغة الانكليزية في هذه المرحلة الثانية ، إنما في كونها مسارد أحادية اللغة تقتصر على الانكليزية وتورد منها كلمات صعبة محدودة في عددها وفي التعريف بها تؤلف لاغراض تعليمية بالدرجة الاولى ومنها ما عني بتأصيل الكلمات او ما عني بنسبة الكلمات الى الفرع الذي تنتمي اليه من فروع المعرفة أو نوع من أنواع المهنة ، أو بإدخال الكلمات اللهجية والمصطلحات العلمية مما يتيح اعتبارها نوعا يتجاوز المسارد لتؤلف جسرا يربط بين المسارد والمعجمات •

المرحلة الثالثة (١٧٠٠م ـ ١٨٥٠م) نشأة المعجمات

كان من آثار عصر النهضة وما تلاه من الثورة الصناعية فاتحة العصر الحديث واستثمار انكلترا لها في الاستيلاء على المستعمرات واستغلال ثرواتها وتنامي قوتها العسكرية ، أن رسخت للانكليزية مكانتها لغة قومية في الثقافة والعلم والتعليم خلال القرن السابع عشر ، مما جاءت الاشارة اليه آنفا، وقد توسعت بالاقتباس من اللغات الاخرى ، فتولدت لها مشكلات لغوية وظهرت الحاجة الى الحفاظ على سلامتها ، واخضاعها للتنظيم والتنميط على وفق قواعد تتسم بالعقلانية والموضوعية في تأصيلها وهجائها ونطقها وفي استعمالاتها ، فكان من دواعي ذلك الحاجة الى وضع معجمات بالمعنى الوافي من معانيها وقد شهد القرن الثامن عشر تطورات مهمة في معجميتها ،

انعكست فيها الأحوال الحضارية التي بلغتها انكلترا اذ ذاك .

فقد صدر في مطلع القرن الثامن عشر سنة (١٧٠٢ م) مؤلف في مفردات الانكليزية بعنوان معجم انكليزي جديد من صنعة (جون كيرسي) J. Kersey ويعد من ذوي الموضوعية والانفتاح على التجديد ، ويتسم معجمه بالجودة من حيث عنايته بالدقة في تعريف الكلمات ومن حيث شموله للمصطلحات العلمية من ناحية وللكلمات الدارجة في الحياة اليومية ، مما كانت المسارد السابقة لاتتسع لها ، فعاب (كيرسي) ذلك عليها. وقد أضاف (كيرسي) الى جهوده في وضع هذا المعجم ، جهدا آخر في تنقيح مؤلف (فيلبس) وتوسيعه وقد كان هذا قد أسماه (العالم الجديد من الكلمات) فأصدره سنة (١٧٠٦م) ثم نشره مختصرا بعد عامين .(٣٦)

معجم بيلي

وأصدر (ناثانيال بيلي) N. Bailey سنة (١٧٢١ م) وهو من المدرسين المعنيين بفقه اللغة معجما بعنوان « المعجم الشامل لتأصيل اللغة الانكليزية » Universal Etymological English Dictionary

فكان أوسع مما عرفته الانكليزية قبله من المؤلفات المعنية بتفسير مفرداتها ، ثم أتبعه سنة (١٧٣٠ م) بمعجم اكبر منه جعل عنوانه باللاتينية Dictionarium Britannium لم يقتصر فيه على تفسير معاني الكلمات وردها الى أصولها ، بل أضاف الى ذلك شواهد من كتابات الأدباء على استعمالات بعضها ، بلغت خمسمائة شاهد ، وقد وسع فيه من حيث المفردات ومن حيث تفسيرها وتأصيلها سنة (١٧٣٦ م) وكان له توجه نحو التأملات الفكرية والروح الفكاهية ، الى جانب براعاته اللغوية، مما كان يحمله على بعض الاستطراد في تفسير الكلمات ، ومن ذلك ما جاء في تناوله لمادة النساء « فهن الاناثي في النوع البشري ، ولهن ميزتان

إحداهما حسنة والأخرى سيئة ، فهن إما نعمة وإما نقمة على وفق ما نستشره منهن » • ويتبع هذه العبارة بقرابة ٣٠ سطرا من التعليقات المتسمة بالدعابة ![٣٧]

لقد جاءت جهود (بيلي) لتؤلف نقلة نوعية في المعجمية الانكليزية ، ويعد من الرواد في تطويرها ، فكان من تجديداته فيها :

- الاهتمام البالغ بالالفاظ الدارجة على الالسن وفي الكتابات الادبية وبمصطلحات العلوم •
- الاهتمام بتأصيل الكلمات بطريقة منهجية •
- كان أول من استعمل تقسيم الكلمات الى مقاطعها لبيان تركيبها ، وأول من عني بطريقة نطقها بوضع النبرات الارتكازية على تلك المقاطع •
- كان رائدا في إيراد الشواهد من كبار الأدباء ومن الأمثلة الشائعة بقصد تحديد دلالاتها ومواضع استعمالها •
- بذل جهودا كبيرة لبناء أسر كاملة من الكلمات المتصلة برباط القرابة Cognates ورتبها بطريقة منهجية متسلسلة •
- بذل جهودا كبيرة في الاحاطة بمزيد من مفردات الانكليزية حتى بلغت في معجمه ستين الفا ، فاستحق ان يوصف بالشامل كما جاء في عنوانه ، بالقياس الى المؤلفات التي سبقته •[٣٧]

وقد خضع معجم (بيلي) لمزيد من التنقيح والاضافات وتحسنت تعريفاته بتعدد طبعاته ، ولقي ترحيبا بين أوساط المثقفين ، فلا عجب ان يعده (وايتهول) بتلك المزايا والريادة في تطوير المعجمية الانكليزية ، مستحقا للتقدير ولمزيد من الاعتراف له بالفضل والسبق وبعد التأثير في من تلاه من المعجميين ، وقد كان معجمه في حجمه الكبير بين يدي (صموئيل جونسون) وهو يؤلف معجمه عند اقتراب منتصف القرن الثامن عشر •[٣٨]

معجم جونسون :

ويأتي بعد معجم (بيلي) معجم (صموئيل جونسون) Samuel Johonson (١٧٠٩م — ١٧٨٤م) بعنوان « معجم اللغة الانكليزية » Dictionary of English Language وقد صدر سنة (١٧٥٥م) ومؤلفه من كبار أدباء الانكليزية ، له إسهامات قيمة في نظم الشعر ونقده ، وبراعة في فن المقالة ، ومعرفة وافية باللاتينية واليونانية وبعدد من اللغات الاوربية ، الى جانب تبريزه في تعمق الانكليزية معرفة بمفرداتها وتراكيبها وتذوقا لخصائصها والصحيح من اساليبها ، وهو من فقهاء اللغة المتخصصين بها ، ويعد معجمه معلما بارزا في تطور المعجمية الانكليزية ولا يزال بين مراجعها الرئيسة . [٣٩] وكان بارزا في أسلوب حياته وفي غنى أحاديثه وملاحظاته ، كما كان بارزا في أفكاره وكتاباته .

وقد نشأ (جونسون) متأثرا بحركة (إحياء الكلاسيكية) او (بالكلاسيكية الجديدة) كما توصف في بعض تعريفاتها ، وقد بلغت ذروتها عند مطلع القرن الثامن عشر ، وعرفت بين مؤرخي الادب والفن بالعصر (الاوغسطي) نسبة الى (أغسطس) القيصر الروماني الذي اشتهر عهده باتسام الادب والفن بالبساطة والتناسب والاناقة وضبط العواطف ، وكان من سنن تلك الحركة كما تجلت في إنكلترا وفي البلاد الاوربية عامة ، إضفاء العقلانية والنظام على الافكار والاعمال . ويأتي هذا الاتجاه رد فعل للروح الفردية المتمردة والاستقلال الجامح التي ميزت القرن السابع عشر وانبثقت من خلالها في انكلترا الثورة التي قادها (اوليفر كرومويل) ضد الملكية فلم يمتد عمرها (١٦٥٣م — ١٦٥٨م) اذ ما لبثت الملكية ان عادت الى مكانتها Restoration كابحة لغلوائها ، فبرزت تلك الدعوة الى العقلانية والنظام والسعي الى إرساء أساليب الحياة والتفكير واللغة استنادا الى أسس تحكمها معايير محددة جديرة بالاقتداء . [٤٠]

وكان على رأس المسائل اللغويـة ذات الطبيعة العامة التي واجهها (جونسون) وهو يتصدى لوضع معجمه مسألة الحاجة الى الحفاظ على نقاء اللغة الانكليزية بالعودة الى عهد من عهود ازدهارها ، بما فيه من نمـاذج الفصاحة وأساليب التعبير السليم ، والحاجة الى استخلاص قواعد عامة منها تظل جديرة بالاعتماد عليها والاحتكام اليها والاقتـداء بها ، في وجـه التغييرات المتلاحقة التي تتوالى على اللغة جيلا بعد جيل .

وقد كانت تلك مسألة واجهت المعجميين في بعض اللغات الاوربية ، التي اشتد الاهتمام بها والعناية بتنميتها من تأثير عصر النهضة الاوربية وما نشأ عنه من بروز الروح القومية وما أدت اليه من أغناء اللغات المحلية لتصـبح لغات قومية تستوعب إبداع الأدباء في الشـعر والنثر وإبداع الفلاسـفة والعلماء من أبنائها ، واعتمادها لغة قومية وأداة للتعبير في الثقافة والعلـم والتعليم . وقـد نهض بهـذه التنمية اللغوية عـدد من الجمعيـات عرفت بالأكاديميات ، كان من اشهرها (أكاديمية ديلاكروسا) (١٥٨٢م) في فلورنسا بايطاليـا وقـد عنيـت بوضـع معجـم اللغـة الايطاليـة بعنـوان Vocabolario Della Crusca (*) وقـد نشـر فـي البندقيـة (ڤنيـس) سـنة (١٦١٢م) وكانـت الوجهـة السـائدة في وضعه الحفاظ على نقاء اللغة الايطالية في لهجة مأثورة من لهجاتهـا ، وجرت على هذه الوجهة (الاكاديمية الفرنسية) وقد تأسست سنة (١٦٣٥م) فأصدرت معجمها بعنون « معجم الاكاديميـة الفرنسية » سنة (١٦٩٤ م) Dictionaire de L'Academie Francaise ورائدها الحفاظ على نقاء الفرنسية .(٤١)

★ كانت ايطاليا رائدة في انشاء الاكاديميات المعنية باللغة ، وبلغ عددهـا قرابة سبعمائة خلال القرن السادس عشر ، وتابعتها فرنسا فأنشأ (رشليو) الاكاديمية الفرنسية ١٦٣٥ وكانت عرضة للالغاء والتغيير حتى اعيد انشاؤها سنة ١٨١٦ بالتسمية الاولى لها ، ولم تفلح الدعوة المبكرة الى انشاء أكاديمية لغوية في انكلترا ، فتأخر انشاؤها حتى سنة ١٩٠١م)٤١(

وفي إنكلترا لم تفلح دعوة (ادموند بولتون) E. Bolton بين عامي (١٦١٦م ــ ١٦١٧م) في انشاء (اكاديمية) تعني باللغة الانكليزية وآدابها ، وذلك بسبب وفاة الملك جيمس الاول الذي كان يراد منه رعايتها ، ولو تأسست لسبقت الاكاديمية الفرنسية في نشأتها ، وقد تجددت الدعوة الى تأسيس مؤسسة على غرارها في كتابات كبار الادباء بين القرن السابع عشر والثامن عشر من امثال (سبرات ودرايدن وديفو واديسون وسوفت ، من دون ان يكتب لها النجاح ، وانما نشأت « الجمعية الملكية » في ادنبرة معنية بالأدب ، كما نشأت الجمعية الملكية في لندن معنية بالعلوم (١٦٦٢م) وهي التي اكتسبت مكانة كبيرة في مهماتها على الصعيد العالمي ، ولم تنشأ اكاديمية للغة والادب الا في مطلع القرن العشرين سنة (١٩٠١م) باسم الاكاديمية البريطانية British Academy (٤٢)

وتعددت شكوى الأدباء من الفوضى السائدة في الأساليب وغياب القواعد والاسانيد التي يحتكم اليها في الفصاحة وسلامة التعابير ، وشددوا على الحاجة إلى مقاييس يركن اليها في أحكام النقد والتعبير ، وإلى معجم ثبت يعتمد عليه في الاختيار بين الخضم الواسع من الكلمات .

واختلف الأدباء بشأن اي عصر من عصور مراحل تطور الانكليزية هو الأجدر بالتفضيل من حيث نقاء اللغة وفصاحتها وصلاحها للاحتكام اليها والاقتداء بها في سلامة المفردات واساليب التعبير . فكان من رأي (درايدن) أنه عصر (شوسر) (١٣٤٠م ــ ١٤٠٠م) أكبر شعراء القرن الرابع عشر ، ومن رأي (سويفت) (١٦٦٧م ــ ١٧٤٥م) أنه العصر (الاليزابيثي) (١٥٣٣م ــ ١٦٣٣م) فهو العصر الذهبي للانكليزية وفيه نبغ (شكسبير) (١٥٦٤م ــ ١٦١٦م) أعظم شعرائها على الاطلاق ، وأنها اخذت تفقد نقاءها مع بداءة ثورة (كروميل) وعودة الملكية بعدها ، ويبدو ان

هذه هي وجهة نظر (جونسون) فقد قال في مقدمة معجمه إنه حاول جاهدا وبعناية فائقة ان يجمع شـــواهده من كتـــاب ما قبل عودة الملكيـــة Restoration (١٥٥٨م) .[٤٣]

وفي مقابل هذا الاتجاه في الحفاظ على نقاء اللغة ، والعودة الـى عصر سابق في تطورها ، كان هناك من الكتاب من يرى تقبل التغييرات الجديـدة والسماح للمستحدثات الجديدة أن تخضع لاختبار الزمن والانتشار علـى ألسنـة المتحدثين وأقلام الكتـاب ، وبذلـك برزت الخصومة المألوفة بين المحافظين والمجددين ، فأولئك يشهدون ما خضعت له الانكليزية من التغير والتبديل جيلا بعد جيل ، ومن وفرة الاقتباس من اللغات الاخرى وكثـرة الدخيل ،وما هي عليه من الفوضى وفيهم من يخشى أن تصبح الآثار الأدبية بعد قرنين أو ثلاثة من كتابتها ، مهملة ومنهم من يخشى أن تصبح تلك الاعمال الادبية يعسر فهمها ، وهؤلاء يرون أن اللغة كائن حي يتطور وان الابداع ليس وقفاً على جيل من الاجيال ، وإنما العبرة في التذوق والاستحسان .[٤٤]

وكان (جونسون) بما له من مكانة ادبية وبراعة لغوية وثقافة واسعة، هو الذي تتجه اليه الأنظار في الحفاظ على ما للانكليزية من نقاء ، أسـوة بما أنجزته (الاكاديمية) الايطالية و (الاكاديمية) الفرنسية في اللغتيـن ، وتكررت الدعوة إليه للنهوض بهذه المهمة في بعض الأوساط الثقافية .[٤٥]

تلك هي المسائل الرئيسة التي كانت تواجه (جونسون) وهو يسعى الى الاضطلاع بوضع معجمه ولم يكـن مسبوقا بمنهجية شاملة لمواجهتها، سوى ما جاء مجزأ في المعجمات الأخيرة لاسيما معجم (بيلي) ، وما قامت به (الاكاديمية) الايطالية و (الاكاديمية) الفرنسية في اللغتين ، ولهمـــا خصائصهما المتميزة عن الانكليزية ، التي كان عليه ان يختار بين مفرداتهـا المتنوعة واساليبها المتعددة ، من دون ان يسعفه في ذلك الركون الى قواعد لغوية واضحة في تمييز الدخيل وتحديد الفصيح من المفردات والأسـاليب ، فشرع في وضع خطته ، منطلقا فيها من تحديد الأهداف المتوخـاة ، ومـن

تعيين العمليات اللازمة لتحقيقها ، فأما الأهداف فهي :

ـ تنظيم الهجاء والعمل على تثبيته .

ـ تنظيم البناء اللغوي وضبطه .

ـ تأكيد وجود مواد المعجم في اللغة ، والسعي الى تحديد دلالاتها .

وأما العمليات فهي :

ـ فحص الكلمات وتمحيصها ، مهما تطلب ذلك من جهد وعناء .

ـ الغوص في أغوار اللغات الجرمانية (التيوتونية) وآدابها تقصيا لأصول الكلمات الانكليزية المشتقة منها .

ـ دراسة العلوم السائدة في عصره والتعمق فيها ، وفحص موادها اللغوية قبل إدخالها في المعجم .

ـ عرض مفردات الفنون والاداب ، وما خضعت له من تخصيص الدلالات .

ـ الاكثار من الشواهد المختارة من كبار الأدباء والكتاب .

ـ تعريف كل كلمة تعريفا منطقيا وافيا بتحديد دلالاتها .(٤٦)

وقد عكف (جونسون) على قراءة أعمال الكتاب الانكليز قراءة دقيقة متمعنة ، فكان يدون الكلمات ويتبعها بالشواهد التي توضح دلالاتها بالاستعمال ، فتجمعت لديه ذخيرة وافية من المفردات غير ما استوعبته المعجمات السابقة ، وظل يخضعها للتصنيف ، استنادا الى ما بينها من صلات الاشتقاق والتركيب والتصريف ، وكان من أثر إهتمامه بتثبيت الهجاء العناية بأصول الكلمات متابعة لتعدد مصادرها ، اقتباسا من اللغات الاخرى ، واستتبع ذلك ايضا الالتفات الى التطور التاريخي لبناء الكلمات وتغير دلالاتها ، وان لم يبرز ذلك عن قصد في ترتيبه لها وفي متابعة متضمناته والتعويل عليه في تفسيرها ولاسيما أنه كان يميل الى الانتقاء من كتابات من يعدون من عصر النقاء فلم يتوسع في شواهده لتشمل تتابع التطور في سائر العصور .

وقد سعى (جونسون) الى الموازنة بين اتجاهين في تثبيت الهجاء والنطق هما مبدأ التوحيد والاتساق وتبني أنماط تستند إلى المنطق في الاستقراء والاستنتاج ومبدأ مراعاة العرف والشيوع مما يتيح التسامح بشأن الشذوذ والاعتماد فيه على السماع ، فاسهمت جهوده في تثبيت جوانب من الهجاء وساعدت الطباعة في تداولها ، حتى إن كثيرا من الصيغ التي اختارها قد أصبحت هي الأنماط السائدة في العصر الحاضر .

وأنصبت عنايته في تأصيل الكلمات على تمييز مصدرين رئيسين : المصدر الجرماني (التيوتوني) الذي تفرعت منه اللجات (الانكلوساكسونية)، والمصدر اللاتيني وما تفرع عنه من اللغات الرومانية كالايطالية والفرنسية والاسبانية ، ومن هذه كان يعنى بالمصدر اللاتيني في أصله اكثر من عنايته باللغات القومية التي تفرعت عنه .(٤٧)

ويعترف (جونسون) أنه استبعد كثيرا من مصطلحات العلوم والفنون والصناعات والفئات المهنية ، مما لم يتيسر له الوقوف عن كثب وبالمشاهدة والعيان عند استعمالاتها ، وعزز ذلك عنده ان منها كلمات ذات خصوصية عند الافراد والجماعات مما توحي به دواعي الحياة اليومية ، وقد تكون عارضة لا تستقر على الاستعمال .

وقد واجه (جونسون) تعدد الدلالات للكلمة الواحدة ، وتعدد الكلمات للمعنى الواحد ، وأدرك ما في تحديد المعاني والدلالات من صعوبات ، فلا يتيسر شرح الكلمات بالمرادفات ، وكثيرا ما تكون طبيعة الأشياء غير معروفة ، تختلف مفاهيمها في شتى العقول ، ومهما يكن من أمر فان التعريفات تتفاوت في حظها من الدقة ومن الحصر والشمول ، فلا يتاح تحقيق الهدف المنطقي من تعريفها تعريفا مانعا جامعا في كثير من الحالات .

ومهما يكن من أمر فإن (جونسون) يعد من أبرع من تصدى لتعريف الكلمات ، فقد كان يدرك بنفاذ الخصائص الجوهرية في دلالاتها ، وفي تفسيرها بوضوح ، والاستشهاد باستعمالاتها مستمدة من خيرة الكتاب ،

ثمرة بحث واستقصاء تحمل ما فيهما من أعباء .

ولقد كان (جونسون) يتوقع ان يتم مهمته في وضع المعجم حين بدأه سنة (١٧٤٧م) في ثلاث سنوات فأمتد العمل به إلى ثمان فصدر سنة (١٧٥٥م) ، وظل مرجعا يعتد به في ما أعقبه من معجمات ، كما يعتد به الباحثون المتخصصون .(٤٨)

وقد وصف (جونسون) ما وجده من العناء في جمع الكلمات واختيار الشواهد عليها ، وقد نهض بهذا العبء بمفرده ولم يظفر الا بمساعدة ضئيلة تكاد تنحصر في نسخ الشواهد من مظانها كما يختارها ، فجهوده مما تعيا به العصبة أولو القوة ، ولا تنهض بها في تنظيمات العصر الحاضر الا هيئة يتعدد العاملون في مهماتها حتى يبلغ عددهم المئات .(٤٩) وقد شبّه عمله بما قامت به (الاكاديمية) الايطالية و (الاكاديمية) الفرنسية في وضع معجميهما ، ولعل ذلك يدعو الى المقارنة بين المعجمات الثلاثة على الوجه الآتي :

- وقف واضعو المعجمات الثلاثة مواقف الشك ازاء التغير اللغوي من حيث تأثيره في نقاء اللغة ، وحاول كل منهم منعه او تأخير حدوثه، وهوّن جونسون من هذا الموقف بعد معاناته وضع المعجم مقدرا بعد المعايشة والخبرة قدرة اللغة على مواجهة التغيير ، وقد قال في مقدمة معجمه « لا يستطيع باحث يعمل في وضع المعجمات من تحنيط لغته وحمايتها من الفساد ... فليس هناك معجم من المعجمات يبلغ حد الكمال ، فما ان ينتهى من وضعه حتى تكون كلمات جديدة قد ظهرت واخرى قد اختفت » .
- بعد اتفاق على عصر النقاء في انتقاء المواد وتحديد دلالاتها ، واختيار الشواهد من أبرز كتابه ، امتنع معجم الاكاديمية الفرنسيّة عن إراد الشواهد بنصوصها ، خلافا للمعجم الايطالي والمعجم الانكليزي .

ـ اختيرت معاني كل مادة في كل معجم ودونت مع مستويات الاستعمال .

ـ أخضعت أساليب عرض مادة المعجم في كل من هذه المعجمات لتمحيص في تنظيمها ، لاسيما من حيث الهجاء وبناء المفردات.(٥٠)

يميل كثير من علماء اللغة الى تقدير جهود (جونسون) في وضع معجم يؤلف مَعْلَماً بارزا في تطور معجمية اللغة الانكليزية ، مهما تفاوتوا بين الاسراف في الاطراء والتحفظ فيه ، ومنهم من يرى أنه لم يول النطق ما يستحقه من عناية ، وربما كان ذلك بسبب أن علم الاصوات لم يكن قد تقدم في زمنه ، كما أنه لم يقارب مشكلة التراكيب اللغوية وتقدير استعمال الكلمات في سياقاتها ماثلة في شواهدها ، و (جونسون) نفسه يرى أنه لم يستطع أن يحقق جميع ماكان يصبو اليه حين وضع خطة عمله فجاء معجمه دون طموحه فيها ، ومهما يكن من أمر فإن معجمه يقارن بما حققته (الاكاديميتان) الايطالية والفرنسية ، نهض به بمفرده ، واعتمد عليه من أتى بعده من المعجميين في الانكليزيةواذا ذكرت له جهوده في تطوير المعجمية الانكليزية ، ومنها تثبيت الهجاء وتأصيل الكلمات علىوفق منهجية محددة ، فان إنجازه الأكبر إنما كان في تعريف الكلمات وتحديد دلالاتها على تعددها واختلاف استعمالاتها بحظ من متابعة تطورها التاريخي مؤيدة بالشواهد المختارة من النصوص الادبية والعلمية المأثورة في لغتها وفي عهد نقائها .

وقد قالت دائرة المعارف البريطانية عنه « إن جهود (جونسون) في إغناء

وقد قالت دائرة المعارف البريطانية عنه « ان جهود (جونسون) فياغناء المعجمية علما وفنا جهود ضخمة وذات قيمة باقية ، وقد بلغت مستوى عاليا اعتد به من أتى بعده من الباحثين » .(٥١)

واختتم القرن الثامن عشر في بريطانيا بمعجم جدير بالتنبيه اليه والتنويه به ، صدر سنة (١٧٩١م) بعنوان«المعجم الحاسم في نطق الانكليزية وتفسيرها»

Critical Pronouncing and Expositor Dictionary of the English Language

وضعه جون ووكر J. Walker وكان ممثلا في المسرح من أصل إيقوسي (اسكتلندي) تدرب على حسن السماع وإدراك أصوات الكلام بدقة ونفاذ ، وتعددت إهتماماته بنماذج النطق في الانكليزية ، وكان يستجيب لظاهرة برزت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وهي ظاهرة العناية بالنطق السليم باعتباره من سمات المجتمع المهذب كما تنشده الطبقة الوسطى (البرجوازية) بعد تنامي الثروة بين اصحابها من أرباب الصناعة والتجارة واستمتاعها بثمار التربية والثقافة في مؤسساتها ، وكان احترافه للتمثيل مما صقل موهبته في العناية بالنطق وحسن النغيم للكلام ، فَعُنِيَ بوضع أصوله وتجلى ذلك في معجمه مما كان له تاثير واسع في انكلترا وفي أمريكا ، وتعددت طبعاته حتى بلغت أربعين طبعة ، وظل عمدة في هذا الجانب من جوانب اللغة فاقتدى به واستفاد منه (پتمان) وهو من الثقات في علم الأصوات ، حين كان يضع نظام الاختزال في الكتابة سنة ١٨٣٧م ، بعد وفاة (ووكر) بقرابة (ثلاثين) عاما ، فجاء هذا المعجم يسد في مسألة النطق بعض النقص في معجم (جونسون) ويغنى المعجمية الانكليزية [٥٢] .

وتابع جهود (جونسون) في إحساسه التاريخي باللغة واعتماده على الشواهد للتحقق من معاني كلماتها معجمي آخر هو (تشارلس رتيشاردسون) ch. Ridchardson ــ ١٧٨٥م ــ ١٨٧٥م)، فمضى أبعد من (جونسون) في تطبيق المبدأ التاريخي لتطور اللغة فأصدر معجمه بعنوان «المعجم الجديد للغة الانكليزية» سنة (١٨٣٦م) بطبعة شاملة تناول فيه تطور معاني الكلمات في تتابع استعمالاتها على مر السنين معتمدا على الشواهد في كتابات الأدباء المعروفين ، وتعددت طبعات المعجم ، وكان موضع عناية جمعية (فقه اللغة) وهي تستعد لاستيفاء مبدأ التطور التاريخي للكلمات في معجمها الجديد الذي عرف عند استكماله بمعجم أكسفورد مما سيأتي تفصيل الحديث عنه في المرحلة الرابعة من تطور المعجمية الانكليزية[٥٣]

معجمات امريكية :

انطلقت في الربع الأخير من القرن الثامن عشر جهود في وضع معجمات للغة الانكليزية في الولايات المتحدة الامريكية ، وكانت بواكيرها استجابة للسياسة التربوية التي اعتمدتها تلك الجمهورية عند إنشائها في نشر التعليم والتوسع في توفير فرصه تمهيدا لتحقيق الالزام فيه وتمكين المواطنين من اقتنامها في مرحلة الدراسة الابتدائية مما تنامت الجهود في سبيله خلال القرن التاسع عشر ، فكانت المعجمات الاولى لأغراض تعليمية بدءا من مستوى الدراسة الابتدائية نفسها ينهض بها بعض المعلمين من ذوي البراعة اللغوية .

ومن أوائل هذه المعجمات معجم وضعه صموئيل جونسون (الصغير) (١٧٥٧م ــ ١٨٣٦م) وهو ابن (صموئيل جونسون) الاديب الانكليزي الكبير صاحب المعجم المعروف ، وكان هذا الابن من رجال التعليم في الولايات المتحدة الاميركية تولى إدارة كلية الملك التي أصبحت فيما بعد (جامعة كولومبيا) الشهيرة نفسها ،[٥٤] وقد صدر المعجم بعنوان « المعجم الشامل » وأضيف إلى عنوانه بالتعريف به أنه على أحدث ما جاء في المعجمات وانه يتضمن منهجا سهلا ومختصرا لتعليم الاطفال المعاني الصحيحة للكلمات ، وأنه مزود بقواعد المفردات المشتقة والمركبة.وقد لقيإهتمام رجال التعليم وراج في مؤسساته . وبعد هذا المعجم واصل (جونسون) الصغير جهوده المعجمية شاركه فيها مؤلف آخر هو (جون اليوت) J. Elliot وهو من القسس يتولى رعاية كنيسة في احدى المدن الناشئة على الساحل الشرقي للولايات المتحدة الامريكية ، فأصدرا سنة (١٨٠٠م) معجما معنيا بالنطق اشتمل على قرابة عشرة ألاف كلمة وقد ظهرت في المعجم العناية برصد بعض الكلمات ذات الخصائص الامريكية في نشأتها او في ظلال معانيها ، وحظي المعجم بتقدير عدد من المعنيين بالشؤون اللغوية ومنهم (نوح وبستر) الذي ستأتي الاشارة الى جهوده المعجمية الضخمة والشهيرة .[٥٤] و[٥٥]

وصدر سنة (١٨٠٠م) أيضا معجم أكبر وضعه (كالب ألكسندر) بعنوان « معجم كولومبيا » اشتمل على قرابة اثنين وثلاثين ألفا من الكلمات وتميز بادراج مزيد من الكلمات ذات اللهجة الامريكية وباعتماد اساليب في تهجئة الكلمات تميل الى التقريب بين هجائها ونطقها بأصوات حروفها ، وتحذف ما تراه من الفضول فيها ، كما تميز بإيراد الكلمات السهلة الشائعة في الحياة اليومية فلم يقتصر على الصعبة منها ميلا الى مبدأ الشمول .(٥٦)

وقد اعلن (نوح ويبستر) N. Webester قبل إصدار معجم (ألكسندر) عزمه على إصدار سلسلة من المعجمات ، ظهر أولها سنة (١٨٠٧م) بعنوان (معجم وجيز للغة الانكليزية Compendium Dictionary of English Language صحح فيه بعض أخطاء المعجمات السابقة في النطق والهجاء ، وعني بالتعريفات وبرصد تاريخ استعمال الكلمات ، وأشار الى الاستعمالات السائدة في اميركا ، وأضاف اليه بعض معلومات تاريخية وجغرافية ، وقد أمضى (وبستر) سنوات طويلة في البحث والاستقصاء أصدر بعدها معجمه الكبير بمجلدين سنة (١٨٣٢م) وجعل عنوانه (معجم اميركي للغة الانكليزية) مؤكدا عنايته بالاستعمالات الامريكية ساعيا الى اصلاحها في النطق والهجاء ، والى تقصي أصولها ، وكان أبرز ما حفظ لهذا المعجم الكبير من أثر إنما هو في التعريفات التي اعتمدها ، ومنها تعريفات المصطلحات العلمية ، وفضلا عن جهوده البارعة في وضع المعجم الذي قاربت كلماته أربعين ألفا ، فقد أصاب نجاحا في التدريس وفي الصحافة وفي المحاماة ، وله مواقف مشهودة في السياسة ، واعتمد معجمه أساسا لسلسلة من المعجمات توالى صدورها خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين تولتها هيئات تحرير واسعة ، ستأتي الاشارة إليها ، واحتفظت تلك السلسلة باسم (وبستر) بين عناوينها .(٥٧)

وقد أصدر (ووريستر Worcestor سنة (١٨٣٠م) معجما

بعنوان « المعجم الشامل في نطق اللغة الانكليزية وتفسيرها »
Comprehensive Prouncing and Explanatory Dicaionary of English
واتخذ فيه موقفا وسطا في الهجاء بين الصيغ الشائعة في بريطانيا وبين تلك التي أخذت تنتشر في أميركا وتميل الى اختصار الحروف وكان (وبستر) من الداعين اليها ، وتميزت تعريفاته بحسن الصياغة والايجاز ، وقد عني بمعالجة النطق وأورد النماذج المتعددة لنطق الكلمات ، وقد أعاد (وورستر) نشر معجمه سنة (١٨٤٦م) بعنوان المعجم الشامل الحاسم (للغة الانكليزية) ثم صدرت له طبعة مختصرة سنة (١٨٥٠م) واخرى سنة (١٨٦٠م) ولكنه لم يثبت للمنافسة أمام معجم (وبستر) لظفر هذا بشركات كبيرة عملت على تطويره .(٥٨)

بعد هذا الاستعراض للمعجمات التي اشتملت عليها المرحلة الثالثة من تطور المعجمية سواء تلك التي صدرت في بريطانيا وتوجها معجم (جونسون) ومعجم (ووكر) ومعجم (ريتشاردسون) وتلك التي صدرت في الولايات المتحدة الامريكية وتوجها معجم (وبستر) ومعجم (وورسستر) لابد من ان نومىء الى الدراسات اللغوية التي اخذت تتكاثر خلال القرن التاسع عشر وكان لها تأثير واسع وعميق في تطور المعجمية لكثير من اللغات الاوربية لاسيما الانكليزية .

فقد ظلت البحوث اللغوية في اللغات الاوربية حتى أواخر القرن الثامن عشر محدودة لا تتعدى مسائل النحو والأساليب ، ولم يكن تناول هذه مستندا الى منهجيات علمية وافية ، وقلما التفت الباحثون الى مسألة الأصوات وإلى مسألة البحث عن أصول الكلمات ، على ما بين تلك اللغات من التداخل والتشابك في المفردات . وإنما حدثت عند أواخر ذلك القرن حركة علمية في دراسة اللغات على أثر الكشف عن اللغة (السنسكريتية) وحل رموزها ، على أيدي باحثين كان على رأسهم العالم الالماني (شليكل) الذي نبه الى ما بين هذه اللغة القديمة وبين اللغات الاوربية من صلات

التشابه ، مما أفضى الى عدها جميعا من فصيلة واحدة سميت بالفصيلة (الهندية ــ الاوربية) .

وقد أخذ الباحثون في دراسة هذه الفصيلة دراسات علمية متعمقة ، يكشفون عن تلك الصلات في قواعد الصرف والاشتقاق وتنظيم الكلام ، فأغنوا علم الدراسات اللغوية المقارنة ، وكان على رأس هذه الفئة عالمان من المانيا هما (فرانس بوپ Bopp) و (جاك لويس كرم Grimm ومهدت هذه الدراسات الى بحوث في (علم القواعد التاريخي) وفيها انتقل العلماء من الموازنة بين اللغات الهندية الاوربية بعضها وبعض ، الى الموازنة بين أطوار اللغة الواحدة وما طرأ عليها من تغييرات خلال العصور ، وما يمكن ان يستنتج عن تلك التغييرات من قواعد واتجاهات عامة ، فجاءت هذه الدراسات دعما للمبدأ التاريخي في تطوير المعجمية على وفقه وإرهاصا لاعتماده في معجم أكسفورد للغة الانكليزية ، ولاسيما بعد تطبيقه على صورة ما في معجم (ريتشاردسون) . (٥٩)

ولعلنا ان نجمل التطورات التي اتبعت في المعجمية الانكليزية عند ختام المرحلة الثالثة بالاتجاهات الرئيسة الاتية :

- التوسع في استيعاب مفردات اللغة الانكليزية وفي معالجاتها انطلاقا من المسارد ــ ذات الاغراض التعليمية الثنائية اللغة المعنية بتيسير تعلم اللاتينية ، والمسارد أحادية اللغة التي تقتصر على الانكليزية وحدها وعلى الكلمات الصعبة فيها ، الى المعاجم التي ظلت تتوسع فيما تستوعب من المفردات وفيما تتناوله من جوانب لغوية في بيان طبيعتها وخصائصها .
- الاعتماد على الشواهد مستمدة من المؤلفات لاسيما في عصر نقاء الانكليزية في بيان معاني الكلمات على تعددها وتعدد استعمالاتها مما كان ماثلا على خير وجه في معجم (جونسون) الذي صدر لأول مرة سنة ١٧٥٥م .

ـ السعي الى اعتماد المبدأ التاريخي في نشأة الكلمات وفي تطـــور معانيها واستعمالاتها استنادا الى الشواهد المستمدة من المؤلفات التي وردت فيها ، وقـد ألمـح اليـه (جونسون) وعمـــل (رتشاردسون) على تطبيقه في معجمه بعض التطبيق الذي نشر في فصلات متوالية في احدى الدوريات منذ سنة ١٨١٩م ، وصدر في كتاب مستقل بذاته سنة ١٨٣٦م .

ـ نشأة المعجمات في الولايات المتحدة الامريكية وتطورها ، حتـى ظهر منها معجم (وبستر) سنة ١٨٢٨م بمجلدين معنيا باللهجـة الأمريكية وبتأصيل الكلمـات وتعريفاتها . وصـــدر معجـم (ورسستر) وقد عني بالنطق وإصلاح الهجاء .

ـ تقدم الدراسات اللغوية في اوربا لاسيما فيما يتصل بلغاتها وفصائلها بين اللغات ـ الاوربية ، وبالمقارنة بين المراحل التاريخية لتطور اللغة الواحدة .

المرحلة الرابعة : (١٨٥٨م ـ ١٩٣٣م) معجم اكسفورد للانكليزية

يكاد يستبد معجم جمعية (فقه اللغة) الانكليزية الذي عرف فيما بعد باسم معجم (أكسفورد) للانكليزية بهذه المرحلة الرابعة من تطور المعجميـة الانكليزية ، سواء من حيث سلامة الأسس التي اســتند اليها في وضـعه واعتماد مبدأ التطور التاريخي في متابعة معاني الكلمات فيه ، ومن حيـــث ضخامة الجهود التي بذلت في تحقيقها باسهام مئات من القـــراء المتطوعين لجمع الشواهد من المؤلفات في الانكليزية ، وبالمستوى الرفيع في تحريره ، او من حيث ما تحقق فيه من الانجـازات ماثلة في شـموله لمفـردات اللغة الانكليزية على مدى ثمانية قرون من تاريخها وبيان خصائصها واستيعابـه لها استيعابا يعكس تطور بريطانيا الحضاري حتى بلغ ذروته خلال القـرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين قوة عالمية كبرى ، على مـا في ذلك التطور من سيئات الهيمنة وشرور الاستعمار ، ولعل في تناول هـذا

المعجم بحظ من التفصيل ما يساعد في جلاء ما أسهم به في إغناء المعجمية الانكليزية في أنموذجها الرفيع .

نشأة فكرة المعجم ووضع خطته :

وقد انبثقت فكرة وضع المعجم في نطاق جمعية (فقه اللغة) البريطانية في لندن ، ويبدو انهذه الجمعية ــ فيغياب مجمع لغويفي بريطانيا إذ ذاك، خلافا لما نشأ من تلك المجامع في بعض البلاد الاوربية الاخرى ــ هي أحرى الهيئات بالاضطلاع بالمهمات المجمعية في اللغة الانكليزية ، فلا جرم ان تعنى بمعجمية هذه اللغة وبنقد ما صدر من المعجمات فيها وبالسعي لاصدار معجم واف بها ، وجاء التفكير في ذلك في سياق مناقشات الجمعية حول الحاجة الى استدراك ما فات ان يدون من مفردات اللغة الانكليزية في معجم (جونسون) ومعجم (ريتشاردسون) في آخر مالهما من الطبعات ، وما لحق بها من طبعات (وبستر) و (ووروسستر) ، وقد صدرت في الولايات المتحدة الامريكية .

وقد كان التفكير في ذلك الاستدراك قد ورد في اقتراح تقدم به السيد F. Furnivall (فردريك فرنفال) الى الدكتور (ريتشارد شفنكس ترنتش) Dr. R. Ch. Trench أسقف كنتدرائية (وستمنستر) في وسط لندن ، وقد أفضت مناقشات الجمعية الى إصدارها قراراً في ١٨ حزيران (يونيو) سنة (١٨٥٧) يتضمن تأليف لجنة ثلاثية تضم اليها السيد (هربرت كولردج) تتولى الاشراف على جمع الكلمات التي يراد أن يستدرك بها ما فات المعجمات السابقة . على ان تقدم اللجنة تقريرا بهذا الشأن في شهر تشرين الثاني من السنة نفسها . غير أن اللجنة استعمت خلال اجتماعها في الخامس من تشرين الثاني إلى دراسة بعنوان « بعض جوانب النقص في المعجمات الانكليزية » تقدم بها الاسقف (ترنش) Trench تلتها تكملة لها عرضها

على الجمعية في التاسع عشر من الشهر نفسه ، حين قررت الجمعية نشر الدراسة كاملة تقديرا منها لما اشتملت عليه من آراء قيمة جديرة بالاهتمام ، وجاء في مقدمة معجم (أكسفورد) للانكليزية بعد نشره بهذه التسمية في صيغته الاولى كاملة سنة (١٩٣٣م) بصدد هذه الدراسة ما يأتي : (ماتزال دراسة الاسقف (ترنش) إلى يومنا هذا بعد انقضاء مدة ثلاثة أرباع القرن عليها وتقدم الدراسات عن اللغة الانكليزية خلالها ، تحتفظ بقيمتها باعتبارها بيانا لما ينبغي ان يكون عليه معجم للغة الانكليزية • وما من أحد يقرأها إلا وهو واجد أنها قد تشوفت الى الخطوط العامة التي سار عليها العمل في معجم الجمعية ، حتى تم وضعه في نهاية المطاف ــ وجميعها نتيجة تترتب بالضرورة على المبدأ التاريخي الذي اعتمده كاتبها بوصفه وحده الاساس السليم لذلك العمل » •(٥٩)

وعرض تقرير اللجنة في الموعد المقرر له ــ ٣ كانون أول سنة ١٨٥٧م ــ فاطلعت عليه الجمعية وأضافت في قرارها بشأنه « ان توضع خطة أوفى لمعجم جديد للغة الانكليزية لعلها ان تقدم الى الجمعية في موعد قريب » • ويتضح من ذلك القرار اقتناع الجمعية بما جاء في دراسة الاسقف (ترنش) بان قرارها الاول بشأن استدراك المفردات التي فاتت المجمعات الانكليزية ، غير واف ، وان الامر يستلزم القيام بعمل جديد كل الجدة ، ومن هنا نشأ وصف المعجم الذي تعتزم الجمعية على وضعه بـ « المعجم الجديد للغة الانكليزية » The New English Dictionary

ولم تضع الجمعية الوقت في متابعة ما اعتزمته إذ أصدرت في السابع من كانون الثاني سنة (١٨٥٨م) قرارا ينص على تأليف لجنتين لوضع معجم جديد ، يعتمد على مبدأ التطور التاريخي للكلمات ، وهو تاريخ يعتد به في بدء مشروع المعجم ، واشتمل القرار على توجيهات بشأن مهمات

اللجنتين وما تقتضي من اجراءات وصلاحيات .(*)

وتوالى تنقيح الخطة واغناؤها مرة بعد مرة بجهود اللجنة وجهود مؤتمنها (سكرتيرها) السيد (كولردج) الذي عين محررا للمعجم وبمناقشة الجمعية لها حتى نشرت مطبوعة بعنوان (قوانين المعجمية) وهي قواعد يقتضي مراعاتها في تحرير « المعجم الجديد

★ نص القرار على التوجهات الآتية :

١ ـ يعد معجم جديد للغة الانكليزية باشراف جمعية (فقه اللغة) بدلا من اعداد ملحق يستدرك به ما فات المعجمات الانكليزية من مفردات .

٢ ـ يوكل العمل في المعجم الى لجنتين : الاولى ادبية تاريخية وتتألف من الدكتور (ترنش) أسقف كانتدرائية (وستمنستر) والسيد (فرنيفال) والسيد (كولردج) مؤتمناً (سكرتيراً) وتعنى اللجنة الثانية باستقصاء اصول الكلمات (التأصيل) تتألف من السيد (هنشلي ويدجوود) والاستاذ (مالدين) وحيثما نشأ شك في الكتابة عن اية مادة يكون قرار اللجنة الادبية حاسما للشك .

٣ ـ تعبر الجمعية عن تقديرها للمساهمين في المشروع الذين تطوعوا لعون لجنة جمع الكلمات غير المدونة في المعجمات وترجو منهم بذل مزيد من العون للمشروع وتدعو متطوعين آخرين للاسهام فيه .

٤ ـ يخول السيدان (فرنيفال) و (كولردج) صلاحية ابرام اتفاق مع السيد (نت) الناشر في لندن والسيد (أشر) الناشر في برلين او غيرهما من الناشرين ممن يكون مؤهلا لنشر المعجم .

٥ ـ توضع مشاركات اعضاء الجمعية ومشاركات غيرهم ممن سيقبلون اليها في المستقبل وممن التحقوا بلجنة جمع الكلمات غير المدونة في المعجمات او بلجنة المعجم الجديد تحت تصرف اللجنتين اللتين تم تأليفهما في الفقرة (٢) وذلك للانفاق على شؤون الطباعة وغيرها من المصروفات .

٦ ـ تقدم جمعية فقه اللغة كل ما يسعها من المساعدة للجنتيها في سبيل وضع معجم جديد باللغة الانكليزية والاشارة الى المتطوعين في فقرة (٣) تعني ما كان من اثر قرار سابق للجمعية حين كانت تعتزم استدراك ما فات المعجمات السابقة من مفردات ، والمهمة في رصد الكلمات في سياقاتها في مؤلفات الحقب الثلاث مازالت مطلوبة . وقد تصدت اللجنتان لوضع خطة للنهوض بالمهمات التي نيطت بها واستغرق وضعها قرابة عام وتضمنها تقرير صدر عن الجمعية سنة (١٨٥٩م) ويبرز في الخطة المضي في استكمال الاتجاهات الثلاثة التي سبق ان رصدتها هذه الدراسة بشأن المعجمية

=

للغـة الانكليزيـة » الذي يوضع باشـراف جمعيـة فقـه اللغـة ١٨٦٠م
Canones Lexicographici or Rules to be Observed in Editing the New English Dictionary of the Philological Society

وتكررت الدعوة في أوساط المثقفين في الجزر البريطانية وفي الولايات المتحدة الامريكية وفي غيرها الى التطوع لقراءة المؤلفات المختارة في اللغة الانكليزية ، وانتخالها لاستخراج الشـواهد عن الكلمـات واستعمالاتها وتدوينها بسياقاتها في جزازات معدة على وفق ترتيب معين وقواعد متفق عليها باعتبار ذلك سبيلا لا يستغنى عنه في ضبط تعدد دلالاتها في تتابع تطورها في أزمنة ظهورها ، مما يستدعيه التطبيق السليم للتطور التاريخي للغة وانفتاحها على التبدل سنة للحياة • وقد استجاب للدعوة متطوعون يعدون بالمئات •(٦١)

فاما المؤلفات التي اعتمدت لاستخراج الشواهد فقد تم اختيارها من حقب ثلاث في تطور اللغـة الانكليزية : الاولى بين سنة (١٢٥٠م) وسنة (١٥٢٦م) والثانية بين هذه السنة الاخيرة وسـنة (١٦٧٤م) والثالثة بين هذه السنة الاخيرة وسنة (١٨٥٨م) وهي موعد إقرار مشروع المعجم • ومع أن هذه الحقب لا تتطابق تماما مع المراحل الثلاث التي يعتمدها علماء اللغة في وصف تطور الانكليزية ، فان لاختيارها مسـوغاتها لاسيـما فيمـا يتعلق

=

الانكليزية وهي مبادىء : التوسع ، والاعتماد على الشواهد ، ومراعاة التطور التاريخي لمدلولات الكلمات والبلوغ في تلك الاتجاهات الى غايات بعيدة فـي تحقيقها فأكدت الخطة :

- ان المطلب الاول في وضع معجم لاية لغة وجوب اشتماله على كـل كلمة ترد في المؤلفات بها .
- ان تعالج الكلمات على اسس تاريخية بصورة مطردة .
- ان يستند في المعالجة الى الشواهد المستمدة من المؤلفات .

ويتبعها قواعد ذات طبيعة اجرائية في آليات العمل .

بالمنشورات .(*) (٦٢)

واختيار المؤلفات لتمثيل الحقب الثلاث إنما يستند الى الرأي القائل بان من خير المعايير في تحديد معاني الكلمات ومتابعة ما يطرأ عليها من تغييرات التماسها في شواهد من كتابات الأدباء ومن مؤلفين جديرين بالثقة ، واستنباط معانيها في سياق استعمالاتها في هذه الشواهد ، ورصد أي تغيير في دلالاتها بتتابع زمني على مر السنين . فاما الشواهد عامة فمما راعاه (جونسون) في معجمه ، وقد ألمح الى أهمية تطور الدلالات ، وقد راعى (ريتشاردسون) هذه الناحية في معجمه الى حد ما ، ولكن كلا منهما كان انتقائيا في اختيار الشواهد ، سواء من حيث الحقبة أو من حيث الاقتضاب ، وشأن المعجم الجديد أن يطمح الى الشمول من حيث الأمد ومن حيث الوفرة وتتابع التغييرات في الدلالات ، فيورد بين دفتيه كلمات اللغة الانكليزية أوسع ما تكون معززة بالشواهد من الثقات

★ يتفق ابتداء الحقبة الاولى مع منتصف مرحلة الانكليزية الوسيطة (١٠٦٦م ــ ١٥٠٠م) ، ذلك انه لم يكن من المتيسر الايغال في مرحلة الانكليزية القديمة لندرة المدونات عنها من ناحية ، ولما طرأ على اللغة الانكليزية بعدها من تطورات واسعة حتى اصبح الكثير من مفرداتها مماتا قد بطل استعمالها ومن تغييرات في قواعدها حيث طرح الكثير من نحوها وصرفها مما تطلب معالجتها منهجيات تختلف عن تلك التي اعتمدت للمعجم من ناحية ثانية . وكان لا معدى من تحديد عهد يبدأ فيه اختيار المؤلفات ، فكان ذلك عام (١٢٥٠م) لاتفاقه مع تأثيرات الغزو الاسكندنافي وتأثيرات الفتح النورماندي وكلا الحدثين امد الانكليزية بمفردات وتغييرات لغوية كثيرة ومتميزة لاتزال ملحوظة في العصر الحديث .

ويتفق العام (١٥٢٦م) مع مطلع مرحلة الانكليزية الحديثة في طورها الاول (١٥٠٠م) وهو عصر يعده الكثيرون عصر ازدهارها ونقائها ، ويعرف بالعصر (الاليزابيثي) وظهر فيه عدد من النابغين في آدابها كما يتفق مع العام الذي صدرت فيه الطبعة الاولى لترجمة الانجيل (العهد الجديد) الى اللغة الانكليزية ولهذه الترجمة اهميتها من حيث مكانتها الدينية واللغوية ومن حيث سعة انتشارها وتأثيرها .

وتبدأ الحقبة الثالثة سنة (١٦٧٤م) وهي السنة التي توفي فيها الشاعر السياسي العظيم (ملتون) وله تأثير كبير في تطور اللغة وآدابها .

في الحقب الثلاث ، مهما كان رسم الحدود الزمنية امرا يفرضه الواقع لا مراء .

تنظيم العمل في المعجم وتطوره :

أسهم في صنع المعجم عدد كبير من العاملين والمعنيين باللغة الانكليزية ، على اختلاف ما لهم من وظائف ومهمات ومما يملكون من مهارات وكفايات، وبينهم عدد من المتخصصين على أعلى المستويات ، ويمكن تصنيفهم الى الفئات الاتية :

- القراء المتطوعين — Volunteer Readers
- المهدين للتحرير — Sub — Editors
- مساعدي المحررين — Assistant Editors
- المستشارين — Advisers
- المحررين — Editors

فأما القراء المتطوعون فهم الذين استجابوا للدعوات المتكررة التي صدرت عن جمعية (فقه اللغة) ، وقد جاءت الاشارة الى هذه الدعوات في القسم السابق .

وتنصب مهمات اولئك القراء على انتخال المؤلفات المختارة وتعيين الكلمات التي يراد استقصاؤها فيها واستخراج الشواهد على استعمالاتها ، وادراج البيانات عنها في جزازات على وفق ترتيب معين ، حيث تأتي الكلمة المنتقاة الى اليسار من أعلى الجزازة تتبع بالبيانات عن الكتاب الذي استخرجت منه الكلمة بتاريخه وعنوانه واسم مؤلفه وأرقام الصفحة والسطر الذي يرد فيه الشاهد ، جميعها في سطر واحد . وحيثما كثرت الشواهد من بعض الكتب فان المعلومات عن الكتاب الخاصة بتاريخه وعنوانه واسم مؤلفه تطبع على الجزازات تسهيلا للقارىء ودفعا للملل ان يعتريه من تكرار كتابتها مرة بعد مرة .(٦٤)

وتضمنت التعليمات لاختيار القراء للكلمات في سياق شواهد استعمالاتها بعض قواعدها محددة : (*) (٦٥)

وكان إسهام القراء يأتي عن طواعية واختيار من قبل المئات من القراء والقارئات ، مصدرا غنيا بالمعلومات ، لا يستغنى عنه في التحقق من تطور معاني الكلمات ، فجهودهم ماثلة في كل مادة رئيسة من مواد المعجم .

واما الممهدون للتحرير(*) Sub — Editors فقد ظهرت الحاجة اليهم مبكرا في تنظيم العمل ولاسيما حينما أخذت الجزازات تتدفق موجة بعد موجة حتى تجاوزت مئات الالاف ، وبلغت في نهاية المطاف أكثر من ثلاثة

★ تنص هذه القواعد على ما يأتي :

ـ اقتبس شاهدا لكل كلمة تعتقد انها نادرة اوميتة بطل استعمالها Obsolete او قديمة Old Fashioned او جديدة او غريبة Peculiar او مستعملة بطريقة غريبة .

ـ وجه اهتمامك للفقرات التي تدل على أن الكلمة المنتقاة اما جديدة مستعملة استعمالا مبدئيا Tentative واما انها بحاجة الى شرح وتفسير في ذلك الاستعمال واما انها مماتة او قديمة مهجورة Archaic وذلك لتيسير تحديد تاريخ دخولها اللغة او تاريخ بطلان استعمالها .

ـ اقتبس اكبر عدد ممكن من الشواهد للكلمات العادية المتداولة Current ولاسيما حين تستعمل استعمالا مميزا ، وتفسر نفسها او توحي بمعناها من خلال سياقها .

ومن الواضح ان هذه القواعد يتفاوت تطبيقها باختلاف المؤلفات ، وان بعض القراء يواجهون بعض الصعوبات على وفق ما يتصدون له من تلك المؤلفات .

وقد استجاب للدعوات مئات من القراء ، على ما بينهم من التفاوت في الثقافة والمهارات اللغوية والمنزلة العلمية ، ومن التفاوت في الحرص والدقة والجهد والاجتهاد ، فكان بينهم من طلبة الجامعات واساتذتها ولاسيما الكليات والجامعات في الولايات المتحدة الامريكية ، مما استحق التنويه والتقدير ،وكان منهم من بلغ اسهامه ايراد عشرات الالاف من الشواهد ، وكثير منهم تجاوزوا الالاف .(٦٥)

★ التسمية الانكليزية توحي بانهم بمنزلة دون منزلة التحرير ، وفضلنا التعبير عنها بالتمهيد للتحرير وبالقائمين به بانهم الممهدون للتحرير .

ملايين ونصف مليون من الشواهد على استعمال الكلمات • وقد شملت مهماتهم ترتيب الجزازات على وفق حروف الالفباء وترتيب شواهدها بحسب تواريخها ، وتعيين المواعيد الاولى لاستعمال الكلمات والمواعيد الاخيرة السابقة لبطلان استعمال المماة منها ، وخزنها في مواضعها من الخزانات ، ومن ثم اعدادها للطباعة بعد تحريرها • وجميعها مهمات لا يستغنى عنها في مشروع ضخم تواصل العمل فيه على مدى عقود من السنين • وكان (فرثال) أول من أحس بالحاجة الى عون هذه الفئة من العاملين ، فاستخدم عددا منهم في المراحل الأولى من توليه مهمات التحرير •(٦٦)

وأما مساعدو التحرير فكان لهم إسهام كبير وبلغ عددهم العشرات ومنهم من واصل العمل في المعجم على مدى عشرات السنين ، فعمل بعضهم عشرين او ثلاثين أو أربعين سنة ، وكان مقدرا أن يكفي ستة منهم للنهوض بالمهمات ، ولكن ذلك كان تقديرا متواضعا فقد بلغ عددهم خمسة وستين على مر السنوات واحتاج معظمهم الى التدريب الوافي بمطالب العمل وتوزعوا على وفق استعداداتهم واهتماماتهم وماكتسبوا من المهارات ، فكان منهم من اختص باعداد مسودات المواد المختلفة ، ومنهم من عني بالتميز بين معاني الكلمات من شواهدها وبين ما يكون لتلك المعاني من الظلال والتفرعات ، ومنهم من تولى التمييز بين تطور تلك المعاني على مر السنين ، ومنهم من كان يتولى مراجعة المسودات كما تصدر عن المطابع ويقترح ماتحتاج اليه من تعديلات ، وتخصص بعض المساعدين في تحقيق المراجع والتأكد من صحة ماأوردته جزازات القراء من الشواهد المستقاة منها ، والبحث عن مزيد من الأمثلة أكثر ملاءمة وصحة للدلالة على التطور التاريخي للكلمات •

ومهما يكن من أمر فان ماكشف عنه مساعدو التحرير من كفاية ودقة وحرص وما بذلوا من جهد متواصل قد سهل العمل على المحررين ، وكان (موري) المحرر الرئيس للمعجم قد أكد الحاجة الى هذه الفئة من المتخصصين

ومنهم ثلاثة ارتقوا الى مرتبة المحررين ، وضمن حسن اختيارهم وحسن تدريبهم وكفايتهم هذه الترقية .

وأما المستشارون فكان منهم من اختارتهم جمعية (فقه اللغة) في بواكير العمل في المشروع ، ومنهم من كان محررو المعجم يرجعون اليهم في كثير من المسائل اللغوية ، ومنها ما يتصل بتأصيل الكلمات ومنها مايتعلق باختيار نظام لطريقة تعيين نطق الكلمات في المعجم وما يحتاج اليه من رموز وعلامات ، ومنهم من كان ينظر في المادة المحررة كما هي ماثلة في مسودات الطباعة فيتولى نقدها ويقترح تصويبات لها او تعديلات في محتوياتها . (٦٧)

غير أن أعلى مستويات العمل في المعجم انما كان من مهمات المحررين(*)

★ تولى التحرير بقرار من جمعية فقه اللغة السيد (هربرت كولردج) وقد كان المؤتمن في اللجنة الادبية التاريخية التي الفتها جمعية (فقه اللغة) ، فاسهم منذ مطلع سنة ١٨٥٨ م في وضع خطة العمل ووضع القواعد التي اعتمدت في توجيه القراء المتطوعين لجمع الكلمات مع شواهدها في سياق استعمالاتها وفي وضع الاسس لتحريرها ، وظل يتلقى من اولئك القراء ما يجمعون من كلمات ويعمل على تنظيمها وتصنيفها ، ووضع بحثا في اسس المقارنة بين مواد الحقبة الثانية ، كما اعد ثبتا بمؤلفات ما نشر من آداب القرن الثالث عشر وحرر مواد بعض كلمات صالحة للنشر من حرف A وان لم تكن مما يعتبر تحريرها مستكملا وقد وافته المنية في ربيع سنة (١٨٦١م) على اثر نزلة برد المت به وهو في خضم العمل في المعجم فكانت وفاته خسارة للمشروع لما بشر به من كفايات ومن استعداد لبذل الجهود والمثابرة عليها .

وقد تلاه في التحرير زميله في اللجنة الادبية والتاريخية (فورنيفال) وكان في السادسة والثلاثين من عمره ، فراى ان يبدأ بوضع معجمين موجزين ، احدهما للحقبة الاولى والاخر للحقبة الثانية ، ليكونا اساسا للمعجم الكبير وتجربة في تحريره ، وما لبث ان قصر جهوده على وضع معجم موجز واحد ، وعني بجمع الشواهد ، واحتاج الى معونة مساعدين في تصنيفها وتحرير مسودات عددمن مفرداتها ، كما انشغل في تاليف جمعية لتحقيق النصوص الادبية واخرى تعنى بالشاعر (شوسر) واصدر بعض دراسات في فقه اللغة ، وعلى ما في هذه الجهود من صلة بمشروع المعجم ، فانها ربما اسهمت في تراخي العمل في مبدانه ، حتى تضاءل في اواخر السبعينيات من القرن التاسع عشر ودب اليأس الى بعض اعضاء الجمعية .

ومن الطبيعي أن يكون اختيارهم لها بفضل مالهم من العلم باللغة الانكليزية والتعمق في أسرار مفرداتها وأساليبها ، فتوالى على هذه المهمات الثلاثة الاول منهم فرادى (كولردج ، فورنيقال ، موري) على التوالي وانضم الى آخر الثلاثة (موري)(*) باختياره في تتابع وتلاحق ثلاثة آخرون هم (برادلي (وكريجي وأونيونز) ، فتألفت منهم هيئة محررين شملت أربعة استقل كل منهم بجزء من تحرير المعجم ، قبل أن تخترم المنية أولهم (موري) وتخترم بعده (برادلي) ليظل في التحرير اثنان عند اختتام العمل ، يتولى أحدهما اكمال المسيرة باصدار ملحق للمعجم سنة ١٩٣٣م. وكان أول من تولى التحرير (كولردج) فتلاه بعد وفاته زميله (فورنيقال) ، كما جاءت الاشارة الى ذلك آنفاً .

وقد كان معظم الجهود خلال الستينيات والسبعينيات من القرن التاسع عشر منصبة على جمع الشواهد ووضع الدراسات ، حتى تراخى العمل في أواخر السبعينيات ، وانما كان التوفيق حليف مشروع المعجم لحدثين مهمين : أحدهما تولي (جيمس ا . هـ . موري) S. A. H. Murray مهمات تحريره ،وقد كان مدرسا في احدى المدارس الثانوية بلندن منذ سنة ١٨٧٠م، وله دراسات قيمة في فقه اللغة ، وثانيهما تولي دار النشر لجامعة اكسفورد عملية النشر واستعدادها للانفاق عليه(*) (٦٨) .

★ كانت دار (ماكميلان) قد فاوضت (موري) نيابة عن شركة (الاخوان هارپر) في نيويورك بشأن توليه تحرير معجم ينافس معجم (وبستر) ومعجم (ورسستر) اللذين نشرا في الولايات المتحدة الامريكية في النصف الاول من القرن التاسع عشر كما جاء ذكرهما آنفا ، وعرضت عليه جزءا من المادة الاولية المتوافرة لدى (جمعية فقه اللغة) وما اشتملت عليه من الشواهد في الحقب الثلاث، فاخذ في تحرير نماذج منها ،ورأى ان الامر يتطلب وضع معجم شامل واف يتفق مع تصورات جمعية فقه اللغة ، ويتجاوز ما يرنو اليه الناشر الامريكي ، فامتنع عن الاتفاق واياه .

وكان عرض النماذج التي وضعها (موري)باعثاً على تجديد اهتمام الجمعية بمشروع المعجم ، وتجلى ذلك في مفاوضات بينها وبين دار النشر بجامعة اكسفورد بشأن الانفاق على نشره ، وطالت المفاوضات على مدى سنتين =

ولم يكن (موري) يفكر في الاضطلاع بمهمات التحرير ، على الرغم من إيمانه بأهمية مشروع المعجم وجلالة الاهداف التي يتوخاها حتى كان من أكبر دعاة إنجازه ، وإنما اتخذ قراره في تولي المهمة حين وجد أن تحقيقها يقتضي تصديه لها ، مهما كان عليه أن يجمع بينها وبين مواصلة عمله في التدريس • ولم يفته ماكان يتطلبه العمل من جهود ومقومات ، ومنها توفير المكان الملائم ، فتطوع ان يجعل من بعض الفراغ في منزله مكانا يجد فيه المشروع مأواه ، مع مايتطلبه من هياكل حديدية تظلله ، يتوافر فيها خزانات ورفوف لصناديق الجزازات ، ومناضد الكتابة والتحرير ، وصفت بالمكتب Scriptorium ، ونقلت الى المكتب مئات الالاف من الجزازات وقد كانت متفرقة في بيوت بعض العاملين من فئة مساعدي التحرير •(٦٩)

ولاحظ (موري) نقصا في جوانب من المادة الاولية ، فصدرت دعوة سنة (١٨٧٩م) للاستعانة بمزيد من القراء المتطوعين ، ولقيت الدعوة استجابة باعثة على الرضا والتقدير •(*) (٧٠)

=

ولكنها انتهت عند منتصف سنة (١٨٧٩م) بالاتفاق على النشر بشرط ان يتولى (موري) مهمة التحرير وان تكون الارباح الصافية مناصفة بين دار النشر والجمعية ، ووقعت الدار عقدا بهذا الشأن مع الجمعية وعقدا آخر مع (موري) بشأن توليه مهمة التحرير فكان الاتفاق بجانبيه انقاذا للمشروع ، ووجد مشروع المعجم في (موري) القوة الدافعة والكفاية الغالبة ، اذ كان محررا يعز نظيره بين المعجميين استطاع ان يجعل من الامكانات المتوافرة في خطة المعجم وما اشتملت عليه من المبادىء والتصورات وما توافر لها من ذخيرة المادة الاولية من الشواهد ، ومن الاسهام الواسع من القراء والمحررين الاوليين حقيقة ماثلة للعيان ، كما برهن على ذلك تواصل العمل على مر الاعوام.

★ فتطوع في (السنة الاولى (١٦٥) من القراء بينهم (١٢٨) قارئا اختاروا الكتب التي يطالعونها : وارتفع عدد المتطوعين في السنة الثانية الى (٧٥٤): والى (٨٠٠) في السنة الثالثة (١٨٨١م) . وبلغت الجزازات الموزعة عليهم اذ ذاك اكثر من ثمانمائة الف جزازة ، اعيد منها اكثر من ستمائة وستة

=

وقد ابتدأ نشر المعجم في فصلات كلما اكتمل تحريرها ، ارسلت اول فصلة منها الى المطبعة سنة ١٨٨٢م ، وتكاملت فصلات الجزء الاول فصدر في شباط سنة (١٨٨٤م) ليأخذ مكانه الرفيع بين المؤلفات في الانكليزية « يفوق في سموه ما سبق انجازه في ميدان المعجمية ويتجاوز حتى مسا تصوره الاحلام منها » كما جاء في التعريف به .

واستدعت الحاجة الى تعجيل النشر بعض الاجراءات منها :

ـ انتقال المحرر الاول (موري) الى (اكسفورد) ليكون قريبا من مطابع دار النشر ، ولينصرف الى مهمات التحرير دون غيرها وكان ذلك سنة ١٨٨٥م والتحاق المحرر الثاني (برادلي) به سنة ١٨٩٦م .

ـ تعيين محرر ثالث وهو السيد (وليم الكسندر كريجي وكان محاضرا في جامعة (سانت اندووز) ، وقد سبق ان عمل مساعدا في تحرير المعجم يساعد السيد (برادلي) ، منذ صيف ١٨٩٧م ، وكان تعيينه بمرتبة محرر سنة (١٩٠١م) فاصبح المحررون ثلاثة ،

وخمسون الفا مكتملة بشواهدها ، فكان ذلك دليلا ناصعا على الاهتمام الواسع بالمشروع وعلى الثروة الضخمة من المعلومات المتوافرة للعاملين عليه . وغلبت اللهجة الانكليزية في بريطانيا على الشواهد المختارة حتى بين القراء المتطوعين في الولايات المتحدة الامريكية ، وجاءت الاشارة الى وفرة اسهامهم ، فنشأت الحاجة الى متخصص او متخصصين اثنين لاستيفاء الشواهد من اللهجة الامريكية مراعاة للتوازن المطلوب بين اللهجات . (٧١)

وقد وجد (موري) أنه بحاجة الى كفايات بعض المتخصصين في آللغة وفقهها ، في مرتبة ساعد محرر ، وكان من التوفيق في حشد هذه الكفايات ان ياتي اولهم بعد مقالة كتبها في مراجعة الجزء الاول عند صدوره سنة (١٨٨٤م) نشرتها احدى المجلات وبدت في المقالة معالم الفهم المستقيم والنقد فاستدعاه (موري) سنة ١٨٨٥ م ليصبح مساعدا في التحرير وابدى من النافذ والتقويم الصحيح ، وكان برادلي Bradley هو ذلك الكاتب الكفاية ما دعا (موري) الى تعيينه بعد ثلاث سنوات محررا يعمل الى جانبه مستقلا باجزاء من المعجم يعاون كل منهما فريق من المساعدين في التحرير ، وتكاثر عدد هؤلاء حتى تجاوزوا العشرات على مر السنوات . (٧١)

ولحق بهم الدكتور Dr. C. Talbot Onions سنة (١٩١٤م) وقد سبق ان كان مساعدا للتحرير منذ سنة (١٨٩٥م) فاصبح المحررون أربعة .(٧١)

وبهذه القيادة الرباعية في تحرير المعجم لا جرم ان يتطلع (موري) الى النهاية القريبة لاستكمال المعجم عند بلوغه الثمانين بعد ثلاث سنوات ، غير ان المنية وافته في تموز (يوليو) سنة (١٩١٥م) بعد قرابة ستة وثلاثين عاما كان له الاشراف الرئيس على تحرير المعجم ، وكان نتاج قلمه يتواصل من دون كلل او فتور فيصل الى المطبعة باستمرار منذ سنة (١٨٨٢م) من دون انقطاع ، فلما اكتمل طبع آخر الفصلات من الطبعة الاولى سنة ١٩٢٨م كان عدد صفحاته (١٥٤٨٧) صفحة كان حوالي نصفها (٧٢٠٧) صفحة من تحرير (موري) نفسه وكان من تسميات المعجم التي تجري على الألسنة والأقلام تسميته بمعجم (موري) واجماع النقاد منعقد على الاعتراف له بالفضل الكبير الذي لا يبارى ، وضوحا في تصوره لاهداف المعجم وطبيعة مهمات تحريره ، وكفاية عالية في القدرة على تحقيقها ، واجتهادا في بذل الجهود المتواصلة في انجازها ، فكانت وفاته خسارة كبيرة للمعجم ، أضافت اليها سنوات الحرب العالمية الاولى (١٩١٤م ــ ١٩١٨م) صعوبات التحاق أعداد كبيرة من العاملين في المشروع بالقوات المحاربة ، فلما عادوا فالتحقوا به بعد انتهائها خسر التحرير محرره الثاني (برادلي) الذي وافته المنية سنة (١٩٢٣م) ، ولم يحل التحاق المحرر الثالث (كريجي) بجامعة (شيكاغو) دون مواصلته العمل في المعجم ، فصدر جزؤه العاشر والأخير في ربيع (١٩٢٨م) .(٧٢)

طبيعة تحرير المعجم ومعالم محتوياته :

نقف في هذا القسم عند طبيعة مهمات تحرير المعجم من حيث خصائصها واتجاهاتها العامة ، ومن حيث معالم ما أثمرت من محتويات ، بعد أن أجملنا معالم خطتها وتطور العمل لانجازها في الصحائف السابقة .

ويلمح المتأمل في المعجم ثلاثة مبادىء أو إتجاهات عامة روعيت في

تحريره ، استكمل فيها تطوير المعجمية الانكليزية ، وأكسبته خصائص متميزة لا بالقياس الى ما سبقه من المعجمات فحسب ، بل بالقياس الى ما تبعه منها في هذا الميدان ، أشار اليها المحرر في مذكرة بعنوان « تفسيرات عامة » وردت في مقدمة المعجم ، على تفاوت في التصريح عنها ، تلك هي مبادىء : الشمول والتطور التاريخي للكلمات ، واعتماد منهجيات علمية ذات دقة واستيفاء للجوانب الرئيسة للكلمات .(٧٣)

فأما الشمول فان المحرر انطلق في تصوره لطبيعة تحقيقه في مذكرته من ان اللغة الانكليزية وقد تطورت بين عصر وعصر تطورا واسعا واستوعبت معاني حضارية غنية حفل بها تاريخها ــ اصبحت تضم ثروة لفظية ضخمة Vocabulary وأن على من يتصدى لوضع معجم واف بها ان يتحرى الشمول في ما يتناوله منها ، مهما كان عليه أن يقف عند حدود لا يتعداها وهو يشبه هذه اللغة بالمجرة من النجوم يغشاها السديم من جوانبها ، فتلتمع النجوم في وسطها ثم يأخذ بعضها في تضاؤل اللمعان تدريجا حتى تندمج في الظلام ، فيصعب على الفلكي ان يرصدها . ويشبهها مرة اخرى بأنواع الأحياء من الحيوانات والنبات ، يشتمل النوع الواحد منها على نماذج تتمثل فيها خصائصه أقوى ما تكون ، ثم تأخذ هذه الخصائص في التناقص تدريجيا فيما يتشعب له النوع من تشعبات بما فيها من تعدد الحالات ، تبتعد عن تلك النماذج الوافية بمقوماتها ومنها ما يقترب من انواع اخرى ويتداخل واياها . واذا كانت الطبيعة لا ترسم حدودا تفصل بها تلك الحالات الشاذة عن نوعها ، فان عالم الاحياء في علم الحيوان او علم النبات ، لا معدى له من رسم تلك الحدود .

ويترتب على هذه النظرة ان ينطلق المعجمي من اللغة المتداولة ، ذات الخصائص المشتركة Common Language من مصدريها: ألفاظ المحادثة والخطاب، Spoken Language وهي لغة الكلام بالمعنى المحدود من معانيه ، ولغة الكتابة في المدونات Writen Language فأما ألفاظ المحادثة

فمنها ما يرقى الى مستوى الفصاحة على ألسنة بعض المتحدثين ويكـــون معيارا يقاس عليه في سلامة تلك الالفاظ ، مهما صدر في عفوية وارتجـال غير أن الكثير منه ينحدر الى العامية Colloquial ويجري مجراها .

وأما ألفاظ الكتابة فالكثير مما تسيل بها أقلام المؤلفين في الآداب والعلـوم يتسم بالفصاحة لا مراء ، مهما هبط بعضها دون ذلك في مستواه . ومبـدأ الشمول يقتضي من المعجمي ان يحيط بجميع هذه الألفاظ المتداولة المشتركة او العامة من مصدريها : الملفوظ والمكتوب يتألف منهما خضم واسع يرتقـي جانب منها الى مستوى عال من الفصاحة كتابة ومخاطبة ، ويهبط بعضهـــا الى العامية . وليس ذلك مما يتصدى له المعجمي فحسب ، بل عليه ان يدرج في معجمه مايتصل بلغة الكتابة من الكثير من مصطلحات العلوم والفنون ومن بعض الألفاظ في اللغـــات الاجنبية الدخيلة ولاسيما تلك الألفاظ الشائعة على الصعيد العالمي من ألفاظ الحضارة وان يدرج ايضا ما يتصل باللغة العامية من اللهجات المحلية في الاقاليم واللهجات الفئوية في بعض الاعمال والاوساط ومصطلحات الحرف والصناعات .

ويصور المحرر هذه النظرة الى اللغة الانكليزية برسم في شكل بيضي واسع يضم الالفاظ المتداولة العامة بمصدريها الفاظ الكتابة في اعـــلاه وألفاظ المحادثة في أدناه ، ويندمج النوعان عند ألفاظ المحادثة الراقية بـين بعض اوساط المثقفين وهي الألفاظ الفصيحة المشتركة في الكتابة والمحادثة على السواء ، وتتفرع عن الشكل البيضي خطوط على جانبيه في اعـــلاه تؤلف امتـــدادات تشـــير الى مصـــطلحات العلـــوم والفنـــون والألفـــاظ الاجنبية ذات السمات الحضارية ، كما تتفرع عنه خطوط جانبية عند أدنـــاه تؤلف امتدادات تشير الى اللهجات الاقليمية واللهجات الفئوية ومصطلحات الحرف والصناعات ، وجميعها يجب ان يعنى بها المعجمي الذي يتصـــدى لتحقيق مبدأ الشمول ، مهما اضطر ان يقف عند حدود في تلـك التفرعات التي تتجاوز الالفاظ المتداولة من مصدريها ، ومن ذلك ان يستبعد مـــن

المصطلحات العلمية ما يقتصر استعماله على القلة من المتخصصين في فرع من فروع العلوم ، ولم يتح لها بعد ان تسري بين الكثرة منهم ، وأن يستبعد تلك اللهجات المحلية او الفئوية او المهنية الضيقة ، فيرسم حدودا يقف عندها كما يفعل عالم الاحياء في رسم حدود الانواع من الحيوان والنبات التي يدرجها في هذا النوع او ذاك .

ولاشك ان الافراد الذين ينتمون الى لغة من اللغات الحية يتفاوتون في ما يملكون من ثروة لفظية يستعملونها او يفهمونها منها على وفق ما لديهم من ثقافة وخبرات ومن تخصص واهتمامات ، فليست لغة الواحد منا هي لغة الاخر بتمامها . والمعجمي بتحقيقه الشمول في معجمه كما وصفناه آنفا ، حري ان يستجيب لمعظم حاجات جميع الافراد ، مهما ندّ عن معجمه بعض ألفاظ من ادق مصطلحات العلوم او من اضيق اللهجات ، يعني بها بعض الافراد ، وان تتجاوز ألفاظ معجمه ما يملكه اي منهم من ثروة لفظية لا مراء . وهذا هو الشمول الذي تحراه محرر المعجم في واقع اللغة فبلغ منه غاية مداه في قياس السابق واللاحق من المعجمات . وسيتضح من استعراض تطبيق المحرر لمبدأ التطور التاريخي ان هناك حدودا لا معدى من فرضها بشأن ماضي اللغة ومدى الايغال فيها مما يقيد مبدأ الشمول في مجال الزمان بعض التقييد .

وأما مبدأ التطور التاريخي للغة فان محرر المعجم قد انطلق في تطبيقه من ان ألفاظ اللغة الحية لا تؤلف كيانات ثابتة لا تتغير بتبدل الزمان ، فليست هي في يومها مثل ماكانت عليه في أمسها ، ولن تصبح في مستقبلها مثل ماهي عليه في حاضرها ، فان اللغة الحية خضم واسع يعج بالحركة والحياة ويتغير بين التكون والتجدد وبين الانحلال والتبدد في تواصل واستمرار فكلمات قديمة تتضاءل حتى تندثر وتموت،وكلمات جديدة تولد ويكتب لها التداول والانتشار ، وكما يصدق ذلك على الالفاظ بتمامها يصدق ايضا على مايطرأ على معانيها من تغييرات ، بالزيادة والتجدد حتى الشيوع والانتشار

او بالنقص والتحدد ، حتى مرحلة الموت والاندثار وانما يأتي تضاؤلها تدريجا حتى لايحس بنهايتها من عاصرها وألم بها بعض الالمام ، ومن هنا يقوم الشك أحيانا بشأن بعض الالفاظ أهي من الممات فلا يستخدمها أحد أم هي مازالت تدب فيها أنفاس ضئيلة من الحياة ؟

فاعتماد مبدأ التطور التاريخي للغة والسعي الى تحقيقه في المعجم يستند الى الايمان كما جاء التلميح الى ذلك آنفا بان اللغة كائن حي ينطوي على التغير والتبدل بين جيل وجيل، فهي لا تثبت على حالة واحدة لاتتعداها ، يأتيها التغير والتبدل من تبدل المتكلمين وما يطرأ عليهم من أحوال الحضارة في شتى المجالات بين الترقي والتقدم من جانب أو الانحطاط والتدهور من جانب اخر • ولابد للمعجمي أن يرصد ما طرأ على الالفاظ من التطور على مر الاجيال ، وما شمله ذلك التطور من تغير في بنائها وهجائها أو معانيها ودلالاتها وفي سائر خصائصها • وهو في هذا الرصد لايقف عند مايشتمل عليه المعجم من الكلمات الحية في الحاضر ، سواء كانت من الالفاظ المتداولة أو من المصطلحات أو اللهجات المعاصرة فحسب ، بل يتجاوز ذلك الى رصد الالفاظ التي كانت متداولة في الماضي فأصبحت مماتة أو مهجورة في الحاضر، مهما اضطر ان يرسم له حدا في العودة الى الماضي ، كما رسم له حدا دون ادراج بعض المصطلحات او اللهجات،وقد وقف محرر المعجم عند المدونات في القرن الثالث عشر (١٢٥٠ م) ، وهي التي يفرض أن مادون فيها هو ماكان متداولا في لغة المحادثة ان لم يكن في لغة الكتابة خلال القرن السابق لتدوينه ، أي خلال القرن الثاني عشر الميلادي وانما وقف عند هذا لان ماتجاوز هذا الزمن لم يظهر بتدوين واف من ناحية ، ولان ماطرأ عليه من تغييرات جعلته مختلفا اختلافا بينا عما تلاه ، فلا يتيسر تناوله في المنهجية المعتمدة في المعجم فهو خارج عن نطاقها ، يصعب ان لم يتعذر الاحاطة به وتطبيق مبدأ الشمول عليه •

وحسب المعجم ان يلم بتطور اللغة بحظ كبير من التفصيل لالفاظها

الحاضرة والماتة على مدى قرابة ثمانيـــة قرون شهدت خلالها اللغة تبدلات حضارية واسعة ، أغنتها أيما إغناء •

وأما المنهجية العلمية التي اتبعت في تناول المفردات فستوعب ماطرأ على الدراســات اللغــوية من تطورات ، وتنطلق من التمييز بين طبيعة المفردات وتصنيفها على وفق بنائهــا وتتابع تحليلها وبيان خصائصها من حيث تأصيلها ونطقها وانتماءاتها الثقافية والاجتماعية ونحوها وصرفها ، ومن حيث تطور معانيها بدءا من نشأتها وتفرعها وتبدل معانيها وتعددها ، والاستناد في ذلك الى الشواهد المستقاة من المدونات على مر العصور ، ومن الألفاظ المتداولة في لغة الخطاب المشهودة في حاضرها وقد اصبحت بالأدوات المعاصرة ممـا تشتمل عليه السجلات ، ويسهم في التحقق منه المحررون أنفسهم •

وتطبيق هذه المنهجية العلمية يقضي أن تصنف الكلمات في تنـــاول المعجم لها الى اربعة انواع : (١) الكلمات الرئيسة او الاساسية (٢) الكلمات الثانوية (٣) الكلمات المُجَمَّعَة (٤) الكلمات المشتقة •(٧٤)

فاما الكلمات الاساسية Main Words فتشــمل (أ) الكلمـــات المفردة سواء اقتصرت على جذرها الاصلي او خضعت للاشتقاق (ب) الكلمات والعبارات المركبة Combinations التي تتطلب معانيها او اهميتهـا او تاريخها ان تعالج بشرح مستقل قائم بذاته و(ج) السوابق واللواحق والصيغ الواصلة التي يتولد عنها كثير من المشتقات والكلمات المركبة • ان جميـع هذه الكلمات الاساسية بانواعها الثلاثة تكتب لكل منها مقالــة Article على حظ من الاستفاضة ، وجميعها يوصف بالمقالات الرئيسة •

وأما الكلمات الثانوية Sub - Ordinate Words فتشمل صيغا اخـرى من كلمات اساسية لاتزال دارجة ولكنها تختلف عنها في هجائها ، او صيغا منها اصبحت مهجورة او مماتة ، كما تشمل كلمات محرفة فـي بنائهـا ، او انها موضع شك في وجودها او في استعمال مزعوم لها ، ثم يكون هناك

من الاسباب ما يستدعي تدوينها • وترد الكلمات الاساسية والكلمات الثانوية على وفق تسلسل حروف الالفباء في سياق واحد ، وانما يختلف صنف عن صنف في ما لتناولها من نصيب ضمن المقالة الرئيسة •

واما الكلمات المجمّعة Combinations وهي المؤلفة من ضم كلمة الى كلمة او كلمات اخرى ، سواء وضعت بين واحدة واخرى شرطة توصل بينهما او لم توضع فانها تعالج ضمن الكلمة الاساسية الكبرى التي تتألف منها • ذلك اذا كانت تلك الكلمة المجمعة تتسم بالوضوح ولا تحتاج الى تفسير مفصل ، وفي هذه الحالة يأتي تناولها في القسم الختامي للمقالة عن الكلمة الاساسية ، ويصدق ذلك على المشتقات ، فانها ان كانت واضحة وسهلة وقياسية جاء تناولها ضمن المقالة الرئيسة عن الكلمة الاساسية التي تشتق منها • وبخلاف ذلك فان الكلمات المجمعة والمشتقة تكون لكل منها مقالة خاصة بها • وكل كلمة أساسية إن كانت متداولة يأتي تفسيرها تحت صيغتها المعاصرة او الصيغة الاكثر شيوعا في الوقت الحاضر ، فان كانت مماتة ، فترد تحت آخر صيغة تمثلها خير تمثيل ، وتعد هذه الصيغة هي الصيغة الاساسية لها وتأتي الصيغ الاخرى للكلمة سواء كانت متداولة او مهجورة باعتبارها كلمات ثانوية واذا كانت الكلمة مما ينتمي الى اكثر من قسم واحد من اقسام الكلام ، فانها تعامل على انها كلمة واحدة ، ويعالج انتماؤها الى كل قسم تنتمي اليه في فقرة او فقرات خاصة به وفي تسلسل متواصل (أ ، ب ، جـ) •

ويشتمل تناول الكلمات الأساسية على الجوانب الاتية لكل منها :

أ ــ هوية الكلمة : Identification وتشمل :

١ ــ شكلها الهجائي المألوف او الانموذجي : وحيثما كان لها شكلان في التهجئة فيوردان على التتابع في سطر واحد ، فان كانت مماتة فتوضع أمامها علامة مميزة • كما توضع علامة للكلمات التي لم تكمل (نكلزتها) بمعنى اضفاء خصائص اللغة الانكليزية عليها ، كما نقول في (تعريب)

الكلمة بمعنى من معاني التعريب وذلك باضفاء خصائص العربية عليها .

وتصنف الكلمات الاساسية الى ثلاث فئات : مواطنة natural ومجنسة (منكلزة) denizens وعارضة Casual

وتشمل الكلمات المواطنة كل كلمة ذات اصل (انكلوساكسوني) native وكل كلمة اكتملت (نجلزتها) شكلا واستعمالا ، اما الكلمات (المجنسة) فهي التي اكتملت لها المواطنة من حيث الاستعمال دون الشكل فهي لاتزال تحتفظ بهجائها الاجنبي كما يحصل في كثير من الكلمات المقتبسة من اللاتينية او الفرنسية او غيرهما . وتنتمي الكلمات العارضة في الغالب الى كلمات أجنبية يقتصر ورودها عرضا على أقلام أبناء تلك اللغة او على ألسنتهم دون ان تشيع ، فاذا شاعتو (تنكلزت) تغيرت صفتها.

٢ ــ النطق ويوضع بين قوسين ، وقد عني (موري) باستشارة عدد من المتخصصين ومنهم (اسحاق بتمان) حتى انتهى الى وضع نظام رمزي للتعبير عن طرائق نطق الكلمات ، ويعني بنطق الكلمات المعاصرة بحظ من التفصيل ، اما الكلمات المماتة فيكتفي بوضع نبرة على المقطع الرئيس حيثما تأكد موضعه .

٣ ــ الصفات النحوية : من حيث انتماء الكلمة الى قسم من اقسام الكلام والى فروعه .

٤ ــ الصفات النوعية : بمعنى انتماء الكلمة الى نوع معين من الاستعمال مثل فن من الفنون او فرع من العلوم .

٥ ــ المنزلة الاجتماعية او الثقافية للكلمة من حيث كونها فصيحة او عامية او لهجية او من حيث كونها مماتة او قديمة مهجورة او نادرة ، او مؤقتة في استعمالها .

٦ ــ تحديد تاريخ أشكال الكلمة وهجائها المبكر ، وما طرأ عليهما من تغيير خلال عصور تطورها .

ب ــ التأصيل : Etymology ويعني بالكشف عن اصل

الكلمة واشتقاقها التاريخي ، وما طرأ على اشكالها خلال العصور من تغييرات ، ومنها التغييرات الصوتية في نطقها مما قد يجري على الالسنة بصورة لا شعورية ، وما خضعت له في هجائها من انكماش أو إدغام أو تحريف ، وعرض مختلف المعلومات المتعلقة بتاريخها واستعمالاتها ونطقها وبطلان استعمالها او استمرار بقائها يصدق ذلك على الكلمة بتمامها ، وعلى ما يتفرع عنها من صيغ وتركيبات وتجميعات .

جـ ـ الدلالات The Signification او المعاني Senses فان لبعض الكلمات دلالة واحدة لا تتعداها ، غير ان أغلب الكلمات تتعدد دلالاتها وتتنوع معانيها ، ولاسيما تلك التي يتواصل استعمالها في الزمان ويتسع في المكان ، ومن المعاني ما يتفرع عن المعنى الاصلي لمناسبة من المناسبات ، ويتوسع فيها على سبيل المجاز أو القياس . واكثر ما يكون التعدد في المعاني بين الكلمات التي تشير الى العلاقات كالحروف وظروف الزمان والمكان ، ويكثر في الافعال والصفات اكثر منه في الاسماء ، ويكثر من هذه في الاسماء الدالة على الحدث ، وعلى الخصائص العقلية ، اكثر منه فيما يتصل بالمسميات والدالة على أسماء المواد الجامدة ، وحتى هذه فقد تتعدد معانيها.

وترتيب هذه المعاني على وفق ما حصل لها من التطور أمر على جانب كبير من الاهمية ، والتحقق منه يؤلف مهمة صعبة للمعني بوضع المعجم . وحيثما اكتملت الشواهد المستقاة من الوثائق في تتابعها التاريخي ، فان استعراضها بذلك التتابع كفيل بالكشف عن تطورها على اسس عقلانية ومنطقية . وقد لاتكتمل الشواهد على هذه الصورة ، ولكنها تفي بتمكين واضع المعجم من استنتاج الترتيب الحقيقي . وعليه ان يبدأ بايراد المعنى الاصلي كما جاء مبكرا في تاريخ الكلمة ، ويتبعه بما حصل له من تطورات من حيث تعدد المعاني بترتبها الزمني ، وإنما تنشأ الصعوبة حين يكون هناك تشعب كثير في المعاني ، بعضها متوازية وبعضها متباعدة بحيث يعسر ايرادها متسلسلة في خط متتابع في الزمان ، ويتطلب ذلك تصنيفها من حيث تقارب

معانيها ، وإجراء التسلسل ضمن كل صنف رئيس لها ، مع ما يقتضي من التفريعات .

ويراعى ذلك عند تناول الكلمات ذات الأصل الانكليزي ، وانما تنشأ الصعوبة في الكلمات المستقاة من لغة اجنبية كاللاتينية مثلا ، ولاسيما حين تكون الدلالة التي اقتبستها الانكليزية منها ذات ترتيب متأخر في تاريخها مهما كان الاقتباس قد جاء على سبيل المجاز او التخصيص باعتباره من مصطلحات فرع من العلوم كالقانون او الشريعة او الطب او غيرها ، فلا معدى ان يأتي ترتيب هذا المعنى في الكلمة المقتبسة مبكرا في المعجم الانكليزي ، لانه اول ما استعمل لها . ويثبت لها ذلك الترتيب ، حتى اذا اقتبس من معاني الكلمة اللاتينية في مرحلة تالية معاني اقدم منه فيها ، ويوضع ازاء الكلمات المماتة العلامات التي تميزها ، مع ترتيب معانيها حسب تواريخ تطورها جيلا بعد جيل ، ويعين تاريخ اندثارها .

ويتحدد تفسير معاني الكلمات وتعريفاتها على هدي دراسة للشواهد حيث تعرض جميعها في روية ودقة ، ولا تغفل في هذه الدراسة ما أنجزه الباحثون السابقون من تحديد لمعاني الكلمات وتطور معانيها سواء في المعجمات او في الدراسات المتفرقة ، ولاسيما التفسيرات والتعريفات التي أوردها (جونسون) وساعده في تحريرها (تود) التي كثيرا ما يحصل تبنيها بتمامها ، وتلك التي أوردها (بيلي) قبلهما ، وغيرهم من العاملين في وضع المعجمات الانكليزية ، مما يقتضي الاعتراف بفضلهم ، وقد أصبحت انجازاتهم الاصيلة تراثا غنيا لمن تلاهم من الباحثين .

د ـ الشواهد ، وهي التي يأتي جمعها واقتباسها لعرض أشكال بناء الكلمات وتعدد معانيها ، وللكشف عن تاريخ هذه الاشكال والمعاني خاصة، حيث يراعى في إيرادها في المعجم ترتيب تطورها بتواريخها ، ولاسيما أول استعمال للكلمات التي لاتزال حية ، وآخر استعمال للكلمات المماتة ، فهذان التاريخان مما تختار الشواهد له في جميع الحالات . ويأتي تتابع الشواهد

في المعجم على وفق تطورها التاريخي ، ومهما كان هناك من الدواعي مما يؤدي الى تعدد الشواهد ، فلابد من شاهد واحد للكلمة لكل قرن من قرون استعمالها ، ويحتفظ بصيغة بنائها الاول ـ هجائها ـ جزءا لا يستغنى عنه في تطورها .. ويلاحظ ان الشواهد لا تقتصر على الامثلة من حالات اكتمال هجاء الكلمة وحالات معانيها الخاصة ، وانما تشمل ايضا اصلها الاول ، وتميزها المتدرج عن اشكال ومعان مقاربة لها ، ولقد كان يحسن التعليق على الشواهد بذكر الاغراض المتوخاة منها ، لولا ان ذلك يتجاوز الحيز المقدر للمعجم لاسيما وهي معروضة بنسق يكشف عن تلك الأغراض بل ان ضيق الحيز كثيرا ما استدعى ايراد الحد الادنى من تلك الشواهد على وفرتها وايرادها بايجاز غير مخل بمقاصد كاتبها ، مع تيسير الرجوع الى مصادرها وذلك بذكر اسم الكاتب وعنوان الكتاب وموضع الشاهد فيه ، وفي المعجم قوائم لتفسير ما يرد فيه من المختصرات • وتورد الشواهد من الطبعات الاولى للكتب ، فان حصل خلاف ذلك جاءت الاشارة الى الطبعة بين قوسين •

وتشمل الكلمات الثانوية : Sub - Ordinate (١) الاشكال المماثلة والمتنوعة للكلمة الاساسية ، حين تبتعد كثيرا عنها ، (٢) الكلمات الشاذة التي أوردتها المعجمات الاخرى أو جاءت في شواهد مقتبسة ولكنها لم تصبح معترفا بها بين ألفاظ اللغة •

وتشمل الكلمات المجمعة Combination لتلك الكلمات التي يجمع فيها بين كلمتين أو أكثر ، ويكون استعمالها بهذا الجمع ذا دلالة خاصة،سواء وضعت بينهما شرطة تجعلها قريبة من الكلمة المركبة أولم توضع، ولاسيما حين يكثر استعمالها ويكون له تاريخ طويل في اللغة ، ومن أمثلة ذلك Black Bird فهي كلمة مجمعة من كلمتين Black ومعناها أسود وكلمة Bird ومعناها طائر ،

ولها دلالة خاصة لانها تعنى نوعا معينا من الطيور يسمى بالطائر الاسود ، دون أن يكون المقصود منها في هذا التجميع أي طائر أسود على وجه الاطلاق • ومثلها كلمة Afternoon وتعنى بعد الظهر ، وهي مؤلفة من كلمة after وتعنى بعد وكلمة Noon وتعنى الظهر ، فأصبح لجمع الكلمتين معنى خاص هو ذلك الوقت المحدد من النهار • فالمعجم يتناول هذه الكلمة المجمعة في مادة مستقلة ، بتسلسلها الألفبائي مع تناوله للكلمتين اللتين جمعت بينهما ، كل منهما في موضعها من التسلسل الالفبائي • فاذا تعدى جمع الكلمات الى صياغة العبارات مثل on account of ، فان تناولها يأتي تحت مادة الكلمة الرئيسة في العبارة وهي Account •

ويتناول المعجم الكلمة المشتقة Derivative بصورة مستقلة والمشتقات تألف من كلمات أساسية أضيف اليها بعض اللواصق ، أو جرى عليها تعديل بحذف لاصقة من الكلمة الاساسية وهذا نادر الحدوث ، وهي تقع وسطا بين الكلمات المجمعة حيث يكون لكل كلمة منها معنى يدل عليها ، وبين تصريفات الكلمة وهي التغيرات التي تطرأ عليها بسبب القواعد النحوية التي تخضع لها في سياق العبارات التي ترد فيها ، وتناول هذه المشتقات بصورة مستقلة يصاحبه الاحالة على الكلمات الاساسية التي اشتقت منها •

ويجري ترتيب الكلمات في المعجم على وفق حروف الالفباء كما هي مستعملة في الانكليزية وبتتابع تلك الحروف تصنف معاني الكلمة حيثما تعددت على وفق اقسام الكلام كما تقتضيها التصنيفات النحوية ويرمز لها بحروف الالفباء على تتابعها A. B. C. ... وتحت كل قسم من اقسام الكلام تصنف معاني الكلمة حيثما تعددت مراعى في ذلك تطورها التاريخي ويرمز لها بالارقام العربية 1,2,3...

وقد وضع (موري) نظاما لطريقة تحديد نطق الكلمات ، بعد

استشارات وافية مع المتخصصين في هذا الجانب من علم اللغة ، ويطبق في المعجم على النطق المعاصر للكلمة ، لا على نطقها كما كان ، والنطق المعاصر هو ما يكون المحرر نفسه من الشهود عليه .

ومن الامثلة التي استشهد به على ما في تناول الكلمات من الدقة والاستيفاء ، وعلى العمل بين المحررين ومساعديهم ما جاء عن كلمة Set وهي تستعمل اسما وصفة وفعلا على السواء ،[٧٥] ولها في كل منها عدة معان ، ولاسيما حين تتصل الحروف بالفعل فمعروف ان الانكليزية الحديثة اكتسبت إلحاق الحروف بالافعال بصورة وافرة إلحاقا يغير من معانيها . وقد تسلم (موري) من أحد مساعدي التحرير ما صنعه باستقصاء معاني هذا الفعل ، فوجد انها بلغت (٥١) معنى من دون إضافة الحروف ، واورد شواهد بلغت (٨٣)من عبارات تضم الى الفعل بعض الحروف،فاصبحت ظلال المعاني (١٣٤) فرعا ، قضى في مسودة تحريرها اربعين ساعة ، ولم يعجب (موري) لانه يعلم ان معجم (وبستر) الدولي الامريكي في طبعته الأولى اذ ذاك تناول هذا الفعل في عمودين فخمن انه سيتطلب (في المعجم الجديد) بصفحاته الكبيرة ثلاثة اعمدة ، فلما انتهى المحرر من تحريره بعد اكثر من ثلاثين سنة ، ظهر انه تطلب منه عمل اربعين يوما بدلا من اربعين ساعة قضاها مساعد المحرر في عمله وان تناول المحرر لها تجاوز (١٨) صفحة بعمود آخر بعدها ، وان المعالجة شملت إلحاق حروف (الالفباء) كلها ومنها ماتكرر له اكثر من معنى واحد . ويسري هذا الاستغراق في تناول المعاني المتداولة منها في مثل الافعال get, give, go, put, وان لم تبلغ معالجتها من التفصيل والاسهاب ما بلغته معالجة الفعل Set .

وبلغ عدد الكلمات الاساسية التي تناولها المعجم اكثر من ربع مليون كلمة ، يضاف اليها الكلمات الثانوية والكلمات المجمعة والمركبة .

نشر المعجم :

امضى (موري) بعد توليه تحرير المعجم سنة (١٨٧٩م) قرابة ثلاثة

أعوام يجمع فيها ما توافر خلال السنوات من جزازات الشواهد ويستزيد منها بدعوة مجددة للقراء المتطوعين حتى بلغ عددهم المئات ، يرتبها ممهدو التحرير باشرافه ، ويضع الاسس لتناولها ويستشير المتخصصين في نظام من الرموز للتعبير عن طريقة نطقها ، حتى أكمل وضع ذلك النظام وأخذ في تحرير الكلمات من حرف 'A' أوفى ما يكون التحرير بالمبادىء الثلاثة المتخذة بشأنه - الشمول والتطور التاريخي والمنهجية العلمية ، كما وصفناها فكان من مدعاة سروره ان أعلن في ربيع سنة ١٨٨١م لجمعية « فقه اللغة » استعداده لنشر الفصلة الاولى من المعجم في نحو اربعين صفحة تمثل انموذجا لعمليات التحرير ، فكان ذلك ايذانا في اخراجه ، وتوالى طبع الفصلات حتى اكتمل منها الجزء الاول فصدر في شباط (فبراير) سنة (١٨٨٤م) وهو تاريخ يعتد به في تاريخ نشر المعجم .(٧٤)

وقدر (موري) بعد نشر الجزء الاول انه بمعونة ستة من مساعدي التحرير في مقدوره اصدار جزئين كل عام ، وبذلك يكتمل نشر المعجم في قرابة احد عشر عاما ، وكان ذلك من اخطاء التقدير ، ربما كان من اسبابه ان حرف 'A' لم يكن من الحروف الانموذجية في وفرة كلماتها من ناحية ولفيض من المعلومات عن شواهد الكلمات ظلت تتواصل على مدى السنوان لا يجوز اغفالها من ناحية ثانية . وظل النشر يتواصل في فصلات تقرب في مجموعها من (٣٥٢) صفحة ، وفي مواعيد متفاوتة وتباع باثني عشر شلنا ونصف الشلن ، وعلى هذه الصورة نشرت اجزاء المعجم للحروف الاربعة (A. B C E) .

وأثار نشرها اهتمام الاوساط الثقافية وازداد ترقب ظهورها واشتدت اللهفة للمزيد منها ولانتظام صدورها ، فتقرر أن تكون مواعيد النشر منتظمة ودورية تظهر أربع مرات في العام الواحد وتضم (٦٤) صفحة او ضعفها او ثلاثة أمثالها كل مرة وكان ذلك سنة (١٨٩٤م)(٧٥) ، وأدرج بين هذه النشرات الدورية تسمية جديدة للمعجم هي تسميته « معجم

أكسفورد للانكليزية » ، وان لم ترد هذه التسمية بعد في صفحته الاولى حين أول صدورها في يناير (١٨٩٥) .

وكانت وفاة (موري) في تموز (١٩١٥ م) خسارة فادحة للمعجم، تبعتها ظروف الحرب العالمية الاولى ودعوة الكثيرين من شباب العاملين فيه الى الخدمة العسكرية ، ولحق بهم من هم أكبر عمرا في مراحل تالية من الحرب، فتعطل العمل بصورة ملحوظة حتى استؤنف بعد انتهائها ، وأضيف الى هذه الصعوبات في العمل وفاة المحرر الثاني (برادلي) سنة (١٩٢٣ م) ، فلم يكتمل نشر المعجم مجزأ الا في ربيع سنة ١٩٢٨ م ، فكان صدوره اذ ذاك في عشرة اجزاء وبعنوان « المعجم الجديد للغة الانكليزية على اساس المبدأ التاريخي »

وكان مقرراً في وقت مبكر من تحرير المعجم أن يستدرك عليه من الألفاظ ما يستجد على اللغة الانكليزية سواء ما كان جديدا كل الجدة ، لاسيما مايتعلق منها بمصطلحات العلوم وهي تتدفق باستمرار ، أو ماكان تبديلا للكلمات المتداولة في دلالاتها وظلال معانيها . وظل القراء المتطوعون يرصدون مايحصل في المؤلفات من الالفاظ الجديدة والالفاظ المتبدلة ، فضلا عما اشتملت عليه المعجمات الجديدة ومنها المعجمات المتخصصة بمصطلحات العلوم وباللهجات لاسيما اللهجة الامريكية التي اخذت في التكاثر في الولايات المتحدة الامريكية وفي البلاد التابعة لبريطانيا اذ ذاك .

فصحّت العزيمة في نطاق دار أكسفورد التابعة لجامعة أكسفورد على تحرير جزء يستدرك به ما استجد او تبدل من الالفاظ لاسيما فيما يتعلق بالحروف الاولى من المعجم التي جاء نشرها في اواخر القرن التاسع عشر ، يضاف اليها ما ورد على هيئة التحرير من تصويبات طباعية او غيرها ومن مزيد من المعلومات عن بعض الالفاظ التي كشفت عنها البحوث الحديثة ، وتولى تحرير هذا الملحق الاستاذ (تالبوت اونينز) رابع المحررين وآخر

من بقي من العاملين بمنزلة محرر في المعجم الاول ، فأتمه وبلغت صفحاته قرابة (٨٠٠) صفحة ، وجاء نشره مكملا لاعادة نشر الطبعة الاولى في اثني عشر جزءا ، وكانت قد صدرت مجزأة في عشرة اجزاء سنة ١٩٢٨م ، فكانت اعادة الطبع هذه مع الملحق سنة ١٩٣٣م بعد انقضاء خمسة وسبعين عاما على بدء مشروع المعجم وحملت هذه الاجزاء عنوانا رئيسا لها اسم « معجم اكسفورد للانكليزية » .

وقد كرمت الدولة اثنين من محرري المعجم بمنحهما لقب (السير) : اولهما (موري) سنة ١٩٠٨م وثانيهما (كريجي) سنة ١٩٢٤م بعد وفاة (برادلي) سنة ١٩٢٣م . كما منحت الجامعات بعض العاملين فيه درجة (الدكتوراه) الفخرية .

وتلقت الصحافة في صفحاتها الادبية يكتبها كبار النقاد هذا المعجم بطبعته الاولى فأفاضت في التقدير والثناء ، وقالت عنه التايمس اللندنية في مناسبات متكررة « أعظم كتاب في الانكليزية في هذا القرن » ، « من أعظم الكتب التي طبعت منذ ظهور الطباعة » ، « انه المؤلف الذي اضفى على البريطانيين البراعة في صنعة المعجمات كبراعة السويسريين في صناعة الساعات » ، وقال عنه ملحقها التربوي : « إنه عمل بارز في البحث والاستقصاء ، ولابد ان يعد بمنزلة عالية بين انجازات العلم على الصعيد العالمي » وقالت عنه « النيويورك تايمس « انه اعظم عمل في صناعة المعجمات على سبيل الاطلاق » ، وقالت (الفاينشال تايمس) « انه سجل لا يبارى في لغتنا ، ولا يتوقع ان يضاهيه مؤلف آخر في هذا العمل » ، وقالت (الصنداي تايمس) « أعظم معجم بين ما ألف من المعجمات » .

خاتمة :

وهكذا فان هذا المعجم تصدى ليجمع بين دفتيه الالفاظ العامة المتداولة في الكتابة والمخاطبة ، وتجاوز ذلك الى الكثير من مصطلحات العلوم

والفنون وكثير من الالفاظ الحضارية التي اصبحت مشتركة بين اللغات المعاصرة ، والى الكثير من اللهجات الاقليمية والمحلية والالفاظ الفئوية ومصطلحات الحرف والصناعات في حاضر اللغة الانكليزية ، ويشمل ايضا الالفاظ التي كانت متداولة خلال القرون الثمانية الماضية واصبحت مماتة ، كما يتصدى لمتابعة هذه الالفاظ جميعها المتداولة والمماتة ، من حيث تطورها في مبانيها ومعانيها وسائر خصائصها بتسلسل تاريخ ذلك التطور خلال تلك القرون الثمانية ، معززاً ذلك بالشواهد المستقاة من المؤلفات في اللغة الانكليزية بآدابها وعلومها منذ (١٢٥٠م) حتى الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، والثلث الاول من القرن العشرين وهو يتناول مفردات اللغة بمنهجية علمية ، تصنف هذه المفردات على وفق طبيعتها ، ويفصل القول في هويتها من حيث بناؤها ونطقها ونحوها وصرفها ونوعها الذي يحدد انتماءها الى فن او علم او اقليم ومنزلتها الثقافية والاجتماعية ، فصيحة او عامية ، على تعدد صيغها وتصاريفها واشتقاقاتها ، كما يفصل القول في أصلها وفي معانيها ودلالاتها وما لها من تفرعات .

وسنأتي على ما طرأ على هذا المعجم من تطوير خلال العقود الاخيرة بصدور أربعة ملاحق وبظهور طبعة ثانية تضم هذه الملاحق الى الطبعة الاولى ، صدرت سنة (١٩٨٩م) لتثبت لهذا المعجم مكانته المتميزة بين معجمات اللغة الانكليزية شمولا لمفرداتها ومتابعة لتطوراتها التاريخية واستيفاءا لخصائصها ، حتى ليعز نظيره بين المعجمات في كل اللغات .

معجمات امريكية :

ولا يفوتنا بعد الحديث المستفيض عن معجم (اكسفورد) للانكليزية كما اصبحت تسميته بعد إكماله ، باعتباره كان ومايزال أضخم المعجمات في الانكليزية وأوفاها شمولا لمفردات الانكليزية واستقصاءا لتطور معانيها على مر السنين واستيفاء لجوانب معالجتها بضبط ودقة ، ان نشير الى الجهود

المعجمية التي بذلت خلال المرحلة الرابعة بين منتصف القرن التاسع عشر والثلث الاول من القرن العشرين ، في الولايات المتحدة الامريكية .

وإنما يستدعي الأمر تناول هذه الجهود لميل القائمين على تحريرها إلى إبراز الخصائص التي كسبتها اللغة الانكليزية في استعمالها بين المواطنين في تلك الولايات المتحدة الامريكية وما أصابته من التميز في المفردات والعبارات والأساليب ولتولي هيئات كبيرة مهمات العمل في المعجمات ووفرة الانفاق عليها، ولسعيها لاستيعاب التطورات التقنية الحديثة في الحياة المعاصرة وتأكيدها تناول اللغة كما يجري استعمالها في واقع تلك الحياة ، وهي بذلك اقرب الى الوصف منها الى إقرار ما ينبغي ان يكون عليه الحال من الاستعمالات .

ولعل من دواعي هذه الاتجاهات جميعها ما اتخذته حكومات الولايات المتحدة الامريكية قبل الحرب العالمية الاولى من سياسة العزلة ، وما بلغته في داخلها من النمو الاقتصادي واتساع الصناعة والتقنيات وانتشار الزراعة وتوافر الثروات ، وتوالي الهجرة اليها من مختلف البلاد لاسيما البلاد الاوربية على تعدد لغاتها ، كل ذلك ينطلق من حياة قومية جديدة بحاجة الى صهر المواطنين فيها من دون تاريخ طويل تستقر فيه إتجاهات المواطنة بينهم، مما اضفى عليها خصائص حضارية متميزة تختلف عن احوال البلاد الاوربية التي انشأتها وزودتها بالمهاجرين يتتابعون عليها ، كما كان لاهتمامها بنشر التعليم اداة لصهر المواطنين وسبيلا لتحقيق النمو الاقتصادي تأثير لا ينكر في تأليف المعجمات وصناعتها على نطاق واسع .

وقد جاءت الاشارة الى معجم (وبستر) وقد صدرت طبعته الاولى بجزئين سنة (١٨٢٨م) وقد سماه مؤلفه « المعجم الامريكي للغة الانكليزية » مؤكدا الميل الى تميز اللهجة الامريكية فيه ، ساعيا الى تهجئة جديدة تطرح فيها الاضافات غير الضرورية لوضوح النطق ، ومعنيا بالتعريفات الموجزة ، وقد اثنى (موري) على ما لهذه التعريفات من الدقة ، لاسيما ما يتصل منها بالمصطلحات العلمية .

وقد اشترت شركة جورج وتشارلس ميريام Merriam ما تبقى من نسخ المعجم وحقوق نشره سنة (١٨٤٣م) بعد وفاة (وبستر) ، وعهدت الى الاستاذ (كودريتش) Goodrich وكان استاذاً في جامعة (ييل) وهو صهر (وبستر) مراجعة المعجم وتنقيحه فنشر التنقيح سنة (١٨٤٧م) واعيد نشره (١٨٦٤ م) ، بالتسمية الاولى له « المعجم الاميركي للغة الانكليزية » حتى اذا كان عام (١٨٩٠م) صدر موسعا بطبعة جديدة وتسمية جديدة تحتفظ بأسم مؤلفه الاول (وبستر) وتضيف الى المعجم وصفه بالدولي « معجم وبستر الدولي » Webester,s International Dictionary وهي طبعة تولتها هيئة واسعة من المحررين ، وتكرر طبعها سنة (١٩٠٩ م) ثم صدرت بكثير من المراجعة والتنقيح وصفت بالطبعة الثانية سنة ١٩٣٤م بمجلدين أي بعد سنة واحدة من صدور مكرر الطبعة الاولى لمعجم (أكسفورد) للانكليزية في اثني عشر مجلدا مضافا اليها ملحق بمجلد كبير(٧٦) فكان معجم وبستر الدولي بهذه الطبعة الثانية ختاما للمرحلة الرابعة من مراحل تطور معجمية اللغة الانكليزية ، ومرجعا مهما يستجيب لحاجات طلبة المدارس والجامعات في الولايات المتحدة الامريكية وهي تتوسع في نشر التعليم وتسبق الدول الاخرى في هذا التوسع حتى على مستوى التعليم العالي ، وانما تتناول ما بذل من جهود في تنقيح الطبعة الثالثة منه سنة (١٩٦١م) عند الحديث عن المرحلة الخامسة من تطور المعجمية في اللغة الانكليزية ، لنلتفت الى معجميين آخرين من المعجمات الامريكية في المرحلة الرابعة من ذلك التطور .

وأول هذين المعجمين « معجم القرن » The Century Dictionary وقد صدر سنة (١٨٨٩م) والحق به سنة (١٨٩٤م) ملحق لتراجم الاعلام كما الحق به سنة (١٨٩٧م) أطلس جغرافي للعالم ، واعيد اصداره سنة (١٩١١م) في اثنى عشر مجلدا خصصت عشرة منها للمعجم ، وكان الحادي عشر ملحق

تراجم الاعلام والثاني عشر ملحقاً للأطلس ، فكان كبر حجمه وتعدد مجلداته معطلا لانتشاره غير ان له مكانة على المستوى الفكري والعلمي ، وهو معني باللغة المعاصرة دون عناية كبيرة بالتطور التاريخي ، خلافا للنهج الذي اتخذه معجم (أكسفورد) للانكليزية . (٧٧) The Standard Dictionary

وثاني هذين المعجمين هو « المعجم المعيار »

صدر جزؤه الاول سنة (١٨٩٣م) وصدر الثاني سنة (١٨٩٤م) وتعددت طبعاته مع بعض التنقيحات والاضافات في سعته ومحتواه ، مع احتفاظه بطابعه الاصلي ، وهو يقع وسطاً مثله مثل معجم القرن ، يسبقهما معجم (وبستر الدولي) في الدقة والشمول وفي السمعة والانتشار ، والمعجمات الثلاثة جميعها تضع بهذه الطبعات حدا لعهد الجهود الفردية بالولايات المتحدة الاميريكية في تأليف المعجمات ، وتستند الى جهود الهيئات والى صناعة الطباعة والنشر في أوسع المجالات . (٧٨) .

المرحلة الخامسة (١٩٣٤ ـ ...)

وهي تشمل تطور المعجمية الانكليزية في هذه المرحلة الخامسة والاخيرة والتي تبدأ بعد صدور (معجم اكسفورد) للانكليزية في طبعته الاولى سنة (١٩٢٨م) وسنة (١٩٣٣م) مع ملحقها وصدور (معجم وبستر الدولي) بطبعته الثانية سنة (١٩٣٤م) وتمتد الى الوقت الحاضر في العقد الاخير من القرن العشرين ، ونجمل فيها بعض الاتجاهات الرئيسة في ذلك التطور ونختمها بعرض أكثر تفصيلا لما طرأ على المعجمين (أكسفورد) و (وبستر) من تطور ملحوظ خلالها ، فأما الاتجاهات الرئيسة فأبرزها ما يأتي :

ـ المعجمات المتخصصة بمصطلحات العلوم والفنون :

فقد شهد العالم خلال القرن العشرين تنامي الحركة العلمية في سائر فروع المعرفة لاسيما في العلوم الطبيعية الخالصة والتطبيقية ، وشملت

الفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة والفلك والرياضيات ، وما يترتب عليها من تطبيقات في ميادين الهندسة والطب والزراعة والصناعات ، وتعددت فروع هذه العلوم وتداخلت بعضها ببعض في صورتها الخالصة وصورتها التطبيقية ، وأخذت المعرفة فيها تتكاثر ، حتى أصبحت خلال النصف الثاني من القرن العشرين تتضاعف كل بضع سنوات وحتى قيل ان العالم احتضن خلال القرن العشرين اكثر من ٩٠٪ من العلماء ـ بالمعنى المحدد للعلم ـ الذين عرفتهم الانسانية على مر العصور .

وتبعتها العلوم الاجتماعية والنفسية واللغوية والفلسفية ، كما تبعتها الفنون والصناعات في نمو مطرد في المعرفة وتخصص في مجالاتها وتفرع في مساراتها وتعمق في محتواها ، وأصبحت للعلم توجهات عالمية لا تنحصر في بلاد بعينها وانما تنطلق في سائر القارات ، تأخذ البلاد المتنامية نصيبها منه ، مهما تسلطت على امتلاك ناصيته البلاد الصناعية دون غيرها .

واشتملت هذه الحركة العلمية خلال النصف الثاني من القرن العشرين على الثورات الثلاث : ثورة المعرفة وثورة التقنية وثورة المعلومات ، فكان من الطبيعي ان تتولد عنها ثورة المصطلحات التي أصبحت تتكاثر في عداد الأيام والأسابيع قبل عداد الشهور والسنوات ، وأخذت هذه المصطلحات لاسيما بين اللغات الاوربية لما بينها من التشابه ، تأخذ سمات الشمول والعالمية ، وتعددت الاتجاهات في وضعها فمنها ما كان اللجوء فيه الى اللغات القديمة كالاغريقية واللاتينية تقتبس منها بعض كلماتها فتدخل مع كلمات في اللغات القومية المعاصرة في تجمعات وتركيبات ومنها ما نشأت له كلمات جديدة ولاسيما في أسماء المواد الكيميائية وما يتولد عنها من الصناعات، ولهذه المصطلحات العلمية والتقنية تعريفاتها الدقيقة المستندة الى منطق تخصصاتها العلمية، فتعددت هذه المعجمات في كل تخصص حتى لتبلغ في بعضها المئات ، وسرى هذا الاتجاه في وضع المعجمات الى الفنون الجميلة والى حركات الآداب والثقافات وألفاظ الحضارة والحياة العامة ، فكانت لها

معجماتها ، ومن جميع ذلك ظفرت الانكليزيـة بوصفها لغة للعلم والتقنيات وذات امتداد عالمي بفيض غامر من هذه المعجمات ، ساعد على الاستكشار منها توسع الأنظمة التربوية في اسـتقبال الطلبة في سائر مراحل الدراسة ، وارتفاع مستويات العاملين في المهن والصناعات • فاحتاج الطلبة في مختلف المستوياتالى المعجمات لا اللغوية العامة فحسب ، بل الى معجمات المصطلحات في العلوم والفنون ايضا كما احتاج اليها المواطنون عامة في ممارسة اعمالهم او في شؤونهم الثقافية والتربوية ونشـأت لوضع هذه المصطلحات بنوعيهـا اللغوية والعلمية هيئات بتخصصاتها العلمية والفنية وتجاربها وباساليب صناعتها ومنها ما تعهد بطبعها ونشرها وتوزيعها ، أخذت بعضها أبعادا عالمية في جميع هذه المهمات •

ـ والاتجاه الثاني في تطور المعجمية في القرن العشرين انماهو فـي تعدد المعجمات الوسيطة والوجيزة التي تستجيب لحاجات مستويات أعداد وفيرة من طلبة المدارس والكليـات ، ومن المواطنين عامة فتخدم أغراضـا عملية تتسم بسهولة التناول ويسر التداول •

وأعلى من قيمة بعض المعجمات الوسيطة تفرعها عن معجمات أكبـر أتيح لها الدقة والوفاء بالمسـتوى العلمي وجـودة التحرير فصـدرت في مستويات متوالية في الحجم والمحتويات ، من أبرز هذه المعجمات الوسـيطة والوجيزة ، ما صدر مستندا الى معجم (أكسفورد) الشهير ، فكان منهـا المعجم الأصغر او الوسيط بمجلدين ، Oxford Shorter Dictionary والمعجم الوجيز Oxford Concise Dictionary ومعجم المتعلم المتقـدم Oxford Advanced Learner's Dictionary ومعجـم أكسـفورد للجيب Oxford Pocket Dictionary وكذلك المعجمات الوسيطة التي صدرت عن معجم وبستر : ومنها Webester,s Collgiate Dictionary ممـا يصـلح لطلبة المدارس الثانوية ولطلبة الكليات وينتسب اليها في عنوانه ويتيسـر

الرجوع اليه في حجمه فضلا عما فيه من الدقة المستمدة من دقة مصدره لاسيما في التعريفات وفي ألفاظ اللهجة الامريكية نفسها ، وتتجلى فيه المعاصرة والعناية بالمصطلحات العلمية والتقنية .

والاتجاه الثالث في معجمات الانكليزية في القرن العشرين ظهور معجمات متخصصة في اللهجات لاسيما اللهجة الامريكية ، واللهجات الانكليزية داخل الجزر البريطانية ومنها اللهجة الاسكتلندية وفي الدول التي تتكلم الانكليزية مثل كندا واستراليا ونيوزيلاندا ومثل الهند وباكستان ، او معجمات متخصصة في جوانب لغوية معينة مثل النطق ، او تأصيل الكلمات او استعمالاتها او متخصصة في مرحلة من مراحل تطور اللغة الانكليزية ، مثل الانكليزية في مرحلتها القديمة والانكليزية في مرحلتها الوسيطة او الانكليزية في مرحلتها الحديثة الاولى او في مرحلتها المعاصرة او متخصصة في اللهجات الفئوية او اللهجات الضيقة وحظي بعض الشعراء والكتاب بمعجمات خاصة بهم لاسيما شكسبير ، فتعددت المسارد والمعجمات التي تتناول الالفاظ التي استخدمها في رواياته وقصائده .ـ

والاتجاه الرابع في معجمات اللغة الانكليزية انما هو في ميل الكثير منها الى إضافة المعارف العلمية والثقافية لاسيما تلك المتصلة بشؤون الحضارة والحياة العامة ، إلى موادها اللغوية ، ومن تلك المعارف ما يتصل بتراجم الأعلام في الآداب والعلوم وفي السياسة والعسكرية ، وبالأحوال الجغرافية والتاريخية والدينية لاسيما ذات الصفة القومية او العالمية ، وبالمقاييس والأوزان والمكاييل ، على تفاوت بينها في إدراج تلك المعارف وبالتوسع فيها .

وتجلى الاتجاه الخامس في مراجعة المعجمات الكبيرة وإصدار طبعات منقحة وموسعة فيها تأكيداً لما يطرأ على اللغات الحديثة من تطورات بين جيل وآخر ، وهذا مما تتناوله في الصفحات التالية في المعجمين الرئيسين (وبستر) و (اكسفورد) على التوالي .

مشروعان ضخمان في تطور المعجمية :

غير أن أضخم المشروعات المعجمية التي حدثت في هذه المرحلة الخامسة من تطورها إنما هما مشروعان : مشروع مراجعة (معجم وبستر الدولي) الامريكي في الولايات المتحدة وإصدار طبعته الثالثة (١٩٦١ ، م) ومشروع مراجعة (معجم أكسفورد) في بريطانيا واصدار طبعته الثانية (١٩٨٩م) ومن وراء كل منهما جهود ضخمة قامت بها هيئة بتخصصات متعددة وكفايات رفيعة ونفقات كبيرة امتدت على مدى عقود من السنين .

معجم وبستر بطبعته الثالثة سنة ١٩٦١م :

فأما « معجم وبستر » فقد سبقت الاشارة الى تولي شركة (ميريام) للنشر تملك حقوق نشره منذ سنة (١٨٤٣ م) ، وقد أصدرت الطبعة الاولى لصيغته التي اسمتها « معجم وبستر الدولي » سنة ١٩٠٩ ، ثم أصدرت طبعته الثانية بهذه التسمية سنة ١٩٣٤ ، ومنذ سنة (١٩٣٦ م) أخذت هيئة تحرير المعجم بالقراءة المنظمة للمنشورات في الانكليزية ، وقد شملت الكتب والدوريات العلمية والمجلات الشهرية والاسبوعية والصحف اليومية ، كما شملت ما ظهر من المعجمات بعد تلك الطبعة ولاسيما « معجم أكسفورد » الضخم بمجلداته الاثني عشر وملحقه الكبير كما صدر سنة ١٩٣٣ م ، ومعجم (وليام كريجي) (وقد كان أحد محرري معجم أكسفورد) وقد أصدره بعد انتقاله الى جامعة (شيكاغو) وخصه بالانكليزية الأمريكية ، وسماه (معجم الانكليزية الامريكية) وشمل أربعة مجلدات ومعجم (ماثيوز) وسماه « (معجم الامريكية) بمجلدين ، وغيرها من الكتب الدينية ومؤلفات الأدباء الامريكيين ، وهي قراءة يقصد منهاانتخالها لاقتباس الشواهد عن الكلمات وتحديد دلالاتها من سياق استعمالها فيها، ولاسيما تلك الشواهد عن الاستعمالات التي جاءت بعد صدور الطبعة الثانية ، ايمانا بان تعريف الكلمات تعريفا دقيقا يجب أن يستند بالدرجة الاولى الى أستعمالاتها المعاصرة على وجه التحديد واستيعاب ما يستجد عليها من التغييرات وما ينشأ لها

من المعاني والتفرعات فضلا عن إبراز الجديد من المفردات . وقد تجمع من الشواهد الجديدة مايقرب من أربعة ملايين ونصف المليون ، تضاف الى ما سبق جمعه في طبعات المعجم السابقة وهي تربو على مايون وستمائة وخمسة وستين ألفا من الشواهد ، وتضاف اليها الشواهد التي وردت في المعجمات الاخرى التي جاء ذكرها آنفا .

وكان الهدف الرئيس لهذه المراجعة الشاملة للمعجم في طبعاته السابقة إنما هو الاستجابة لحاجات المتعلمين في معاهد الدراسة وقد اخذت أعدادهم تتزايد باستمرار وبلغت نسبا عالية في سائر الاعمار ، تكاد تبلغ حد التمام في مرحلة الدراسة الثانوية ، وتبلغ نسبة ٥٠٪ في مرحلة التعليم العالي نفسها، فامتلأت بهم مقاعد الدراسةفيها وتعددت تخصصاتهم فيمجالاتها، مما يستدعي فهمهم لدقائق معانيها والوقوف على دلالات الكلمات المعبرة عنها واستعمالاتها بدقة وكفاية ونفاذ ، والاستجابة لحاجات المواطنين عامة وهم يمارسون أعمالهم في مستويات يزداد تعقيدها في ما تستدعيه من إلمام بالعلوم الحديثة وتقنياتها ويعالجون شؤون الحضارة المعاصرة بتطبيقاتها ، وبذلك يكون المعجم مرآة صادقة لتطور الحياة في القرن العشرين وغناها الحضاري في جميع المجالات ،بعبارة أخرى كان الهدف البارز من المراجعة هو مواكبة المعاصرة في الانكليزية واستيعاب مفرداتها بما لها من دلالات متداولة دارجة في حاضرها .(٧٩)

وقد وصف المعجم في تصديره بأنه معجم جديد كل الجدة ، تتحقق له الجدة في كل سطر من سطوره ، فكل تعريفاته لم تنقل محض نقل من معجم آخر ، باستثناء الطبعات السابقة لهذا المعجم نفسه ، وانما اتبع فيها أسلوب موحد في الصياغة يتسم بالضبط والايجاز ويتجنب اللبس والايحاءات ، والتزم المحررون بالفضائل الثلاث : الدقة والوضوح والشمول ، وحيثما تعارضت هذه المزايا كان التفضيل من بينها للدقة . فأما الدقة فمن متطلباتها الخلاص من الخطأ والتقيد بالموضوعية والصدق وتحديد المعاني بكلمات

يحصل الاجماع على دلالتها من غير تخصيص لاجتهاد المحرر بشانها . وأما الوضوح فيتحرى فيه يسر العبارات وانطباق الالفاظ على معانيها وانفتاحها على فهم القارىء المعني بها ويظل الامر مستندا الى مالديه من سابق المعرفة في ميدان التعريف . وأما الشمول فيقتضى أقصى التوسع في المفردات في حدود الهدف الرئيس للمعجم وهو الاحاطة بالمفردات المتداولة من لغة الكتابة الفصيحة ولغة المخاطبة الدارجة، مع عناية بالتوسع بالمصطلحات لملاحقة ماهو حاصل في تطور المعرفة العلمية في العلوم الطبيعية وتطبيقاتها (مثل الكهربيات، والفيزياء النووية والاحصاء وعلم التربة وغيرها من التقنيات وفي الطب وتطور العلوم التجريبية عامة .(٨٠)

واستدعى الحجم المختار للمعجم مراجعة كثير من الالفاظ القديمة وحذفها لتفسح المجال للكلمات الجديدة ، ولما يستجد من معاني الكلمات المتداولة اعتمادا على الشواهد المستخلصة من قراءة المؤلفات الحديثة التي صدرت في النصف الثاني من القرن العشرين خاصة ومن بينها الصحف اليومية ، واسقطت كثير من الشواهد المستمدة من أعمال كثير من الكتاب القدامى ، فكان الانحياز واضحا نحو المعاصرة ، مع إثبات ما يناسب بعض الكلمات من الرسوم والصور التي استحدثت لهذه الطبعة الثالثة فاستوفي فيهما البيان والوضوح عن دلالاتها .

فقد استمد محررو المعجم من الشواهد الحديثة اكثر من خمسين ألف كلمة جديدة ، أضافوها الى الطبعة الثالثة لم تكن موجودة في الطبعة الثانية ، كما أضافوا ما يقرب من خمسين ألف معنى جديد لكلمات سابقة ، فبلغت الاضافات بنوعيها نحو مائة الف كلمة جديدة او معنى جديد ، واقتضت هذه الاضافة للمحافظة على حجم مقبول للمعجم استبعاد كثير من كلمات الطبعة الثانية وفي ذلك تأكيد من الناحيتين للمعاصرة ورصد للاستعمالات المتداولة ومنها ما هو مستمد من شواهد الصحافة اليومية . وبينما بلغ عدد مواد معجم الطبعة الثانية ستمائة ألف مادة ، فقد بلغ عدد

مواد الطبعة الثالثة من المعجم أربعمائة وخمسين ألف مادة ،و يعني ذلك اضافة نحو مائة ألف كلمة جديدة أو معنى جديد ، وإسقاط قرابة ربع مليون مادة من مواد الطبعة الثانية • (٨١)

وبين المواد التي أسقطت كثير من المعارف العامة كأسماء الأعلام والمعلومات التاريخية والجغرافية والثقافية ، ويقابل ذلك الاسقاط إضافة مزيد من مصطلحات العلوم والتقنيات ، وفي هذا سعي لاستيعاب ثورة المعرفة العلمية والتقنية في الثلث الثاني من القرن العشرين واخذ بعض النقاد على الطبعة الثالثة حظا من الترخص في التمييز بين المستويات الثقافية والاجتماعية للكلمات ، ويرى هؤلاء ان الطبعة الثانية كانت اكثر تحديدا في التمييز بين الكلمات الفصيحة والكلمات العامية وفي بيان ما في بعض الكلمات من اخطاء التهجئة او نقص الدقة في الدلالة وفي انتمائها الى الامية دون لغة المتعلمين • وإنما كثر في هذه الطبعة الثالثة استعمال عبارات Sub — Standard ; non Standard وتعنيان على التوالي دون الفصيحة وغير الفصيحة، وهما وصفان أقرب الى الموضوعية العلمية ولكنهما اقل وضوحا في تمييز مستويات الفصاحة •

وقد تناولت الصحافة اليومية في صفحاتها الادبية « معجم وبستر الدولي » بطبعته الثالثة ، وتفاوتت الأراء بشأنه أشد التفاوت بين القدح والمدح ، ولعل ما ورد في مقال — كتبه القس (ريتشارد امريتش) R. Emerich نشرته جريدة (أنباء ديترويت) في ١٠ شباط ١٩٦٢م — يمثل أشد القدح فقد وصف المعجم بأنه غث وفاسد Cheap and Corrupt وانه خان أمانة الحفاظ على صحة اللغة ونقائها ونعى عليه مجانبته للتقاليد المعجمية وتخليه عن واجبه في الحفاظ على سلامة اللغة ، ولم يبذل جهدا في التفريق بين ماهو صواب وماهو خطأ ، فجمع مفردات اللغة على صعيد واحد ، ولم يبال بالتمييز بين مراتبها الثقافية والاجتماعية ، وهو أمر أولاه المعجم بطبعته

الثانية عناية ملحوظة ، فالمعجم بطبعته الثالثة أقرب الى المسارد أو الادلـــة (الكاتلوجات) لمفردات اللغة من دون تمايز واف بين منازلها في الصحـــة والفصاحة ، ويرد الكاتب على رئيس التحـــرير الذي يقول إن اللغـــة أداة يستعملها الناس وليس هو عليها رقيباً مقدساً ، بالتساؤل عن مدى نظافة هذه الأداة ونقائها ، فهي يجب أن تكون أداة نظيفة ومصقولة لتؤدي وظيفتهـــا على وجه سليم • وينعى الكاتب على المحررين فرط حيادهم إزاء اللغـــة ، ويرى ان التنافس على أشده اليوم بين اللغة الجيدة واللغة الركيكة ، ومايزال المدرسون والمحامون وغيرهـــم يبحثون عن الكلمـــة الدقيقة لتؤدي المعاني وتعين على الفهم والافهام •(٨٢)

ويُهَوِّن نقاد آخرون من نقص التمييز بين استعمال الكلمات بالاحتجاج بعدم وجود معايير ثابتة يقاس عليها استعمال الكلمات من حيث فصاحتهـــا ، وبما يطرأ على دلالاتها من تبديل بين جيل وجيل ، وبأن من الصعوبة بمكان إصدار أحكام فاصلة في كثير من الحالات •

والامر يؤلف خلافا بين اتجاهين رئيسين إزاء اللغة ، إتجاه يتمثل في الحرص على نقائها والحفاظ على الفصاحة فيها والتمييز بين مستوياتها ، وان تكون للمعجمات وظيفة الارشـــاد والتوجيه الى الصـــحيح من مفرداتهـــا وأساليبها ، واتجاه يتمثل بالتعويل على الاستعمالات السائدة بين المتكلمين بها ومراعاة ما يطرأ عليها من تغيير في دلالاتها بين جيل وآخر وان تكـــون وظيفة المعجمات الوصف الموضوعي لواقعها • ويقل الخلاف حول ما يتميز به المعجم من جودة التعريفات للكلمات من حيث دقتها وضبطها ، ومن حيث نفعها ومن حيث جدتها واشتقاقها من الشواهد الواقعية في اســـتعمالاتهـــا الحاضرة ، مهما كان فهمها معتمداً على إلمام القارىء بموضوعها لاسيما فـــي المصطلحات العلمية والتقنية •

ولقد كان وراء وضع هذه الطبعة الثالثة هيئة تحرير ضمت حشدا مـــن الكفايات متعددة التخصصات، يأتي على رأسها المحرر الرئيس Editor - in - chif

ويعاونه ثلاثة عشر محررا مشاركا Associate Editor وستة وستون محررا مساعدا Assistant Editor وجميعهم من أساتذة الجامعات ومن حملة لقب (الدكتوراه) في التخصصات المختلفة ، يعاونهم ستة وستون مساعد تحرير Editorial Assistants وضمت هيئة التحرير متخصصين في العلوم الطبيعية وفي تقنياتها وفي العلوم الاجتماعية والنفسية وتطبيقاتها وفي الرياضيات والاحصاء والفلسفة لهم وظائف ثابتة فيها .

وقد جمعت ساعات العمل التي قضتها هيئة التحرير هذه على مدى السنوات فبلغ مجموعها (٧٥٧) سنة !.

ويساعد هؤلاء جماعة من المستشارين بلغ عددهم مائتين من اساتذة جامعيين من المتخصصين ، وغيرهم من مواقع العمل في الصناعة والزراعة وفي المهن المختلفة . وإلى جانب هؤلاء وأولئك هناك ثلاث وثلاثون من المؤتمنات (السكرتيرات) ومساعدات لهن ، وقد بلغت كلفة إصدار المعجم ثلاثة ملايين ونصف المليون من الدولارات ، فهو مشروع ضخم بكل القياسات .

معجم أكسفورد بطبعته الثانية سنة ١٩٨٩ :

وأما معجم أكسفورد للانكليزية فقد أنفضت هيئة تحريره بعد إصدار طبعته الاولى باثني عشر مجلدا مزيدة بملحق لها سنة (١٩٣٤م) وحفظت جزازات الشواهد التي جمعت لها في خزاناتها ، ثم أعير الكثير منها الى مشروعات معجمات يجري العمل فيها معنية باللغة الانكليزية في مرحلتها الوسيطة ومرحلتها القديمة ، فلما كانت نهاية الحرب العالمية الثانية سنة (١٩٤٥م) وأخذت الحركات الفكرية تنشط وبرزت الثورة العلمية وما صاحبها من تفجر المعرفة وتفجر المعلومات ، تجدد اهتمام دار (أكسفورد) باستئناف مشروع معجمها ، ولاسيما أن الملحق الذي أضيف اليه سنة (١٩٣٣م) لم يستوعب جميع ما كان مقدرا له من الكلمات الجديدة والمعاني الجديدة ولم

يستثمر جميع الأسانيد التي يتطلبها التحرير، وكانت الانطلاقة في المشروع تقتصر على تجديد الملحق الاول نفسه وتحقيق ماكان مقصودا منه في ابتداء التفكير فيه في مرحلة مبكرة من تحرير المعجم في طبعته الاولى ، وعند وضع خطته مفصلة في مطلع العشرينيات بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، وكان مقدرا أن العمل يتطلب إصدار ملحق واحد يصدر في قرابة (١٢٥٠) صفحة من الصفحات المعهودة في الطبعة الاولى ، فاتفقت (دار اكسفورد) سنة (١٩٥٧م) مع الأستاذ (برجفيلد) R. W. Burchfield وهو من (نيوزيلاند) وكان محاضرا في جامعة (اكسفورد) في اللغة الانكليزية وآدابها ، ان يتولى تحرير ذلك الملحق الجديد ، وكان وجود الاستاذ اونينز Dr. C. T. Onions في جامعة اكسفورد وهو آخر من بقي من المحررين الاربعة الذين تولوا تحرير المعجم الاول مجتمعين في العقد الثاني من القرن العشرين ، معينا على وصل المشروع الجديد بالمشروع القديم استثمارا للتوجهات والخبرات الاولى ، فضلا عن معونة فريق آخر ممن سبق لهم الاسهام في المعجم بطبعته الاولى وقدر لاكمال الملحق المجدد الموسع ما يقرب من سبع سنوات (٨٤).

وتأيد ذلك بصورة قاطعة بعد صدور الطبعة الثالثة لمعجم (وبستر) سنة (١٩٦١م) وما اشتملت عليه من إضافات ، بما فيها تفجر المصطلحات العلمية بالألاف عاما بعد عام ، ومنها الكثير مما أصبح متداولا على الألسنة والأقلام مما يستدعي تجاوز تقديرات دار النشر وتقديرات المحرر ومساعديه عند التخطيط للمشروع ، فأرتفع التقدير من ملحق في مجلد واحد الى ثلاثة ملاحق في ثلاثة مجلدات ، وأكدت مسيرة العمل الحاجة الى مجلد رابع من الملحقات ، توالى صدورها في السنوات : (١٩٧٢م ، ١٩٧٦م ، ١٩٨٢م ، ١٩٨٦م) فتواصلت الجهود في تحرير هذه المجلدات وامتدت الى قرابة ثلاثين عاما بدلا من سبعة اعوام ، واستوعبت ما جاء في الملحق الأول الذي صدر سنة (١٩٣٤م) وجددته ، فأبطلته ونسخته فكانت تحقيقا لخطة مفصلة مستوفاة

لاغناء الطبعة الأولى بما حصل من تطور للغة الانكليزية خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر وخلال القرن العشرين .

وأرسيت تلك الجهود على أساس متين من البحوث والدراسات ، في نطاق ما اجتمع لهيئة التحرير من مساعدين ومستشارين ومن قراء متطوعين ، وقد اتخذت مقرها في (اكسفورد) كالشأن في هيئة تحرير المعجم بطبعته الاولى بين ١٨٨٥ م و ١٩٣٤ م ، وأصبحت لها امتدادات خارج ذلك النطاق في لندن وواشنطن وما في العاصمتين من مكتبات غنية بذخائرها من المؤلفات وسائر المنشورات ، وفي مراكز اخرى في مدن متفرقة بين القارات ، تعنى بالانكليزية لغة للتأليف والحديث بين مواطنيها وبتطوير الدراسات في مجالاتها ، وعمرت تلك الامتدادات بباحثين متخصصين في شؤون اللغة الانكليزية ومعجماتها ، واستعانت هيئة التحرير سواء في (اكسفورد) او خارجها بمتخصصين بالعلوم الطبيعية والاجتماعية وبالتقنيات يُعنون بالمصطلحات العلمية وصياغة تعريفاتها ، وهو إجراء لم يعهد بهذا الاتساع في تحرير الطبعة الاولى من المعجم ، استدعاه تطور المعرفة العلمية وتنامي مصطلحاتها ، واقتداء بما استنه معجم (وبستر) من حشد لكفايات على تعدد تخصصاتها ، واصطنعت هيئة التحرير فريقين من المستشارين المتخصصين يعهد اليهم على التوالي النظر في مسودات طباعة المواد المحررة فيعنى الفريق الاول بتحرير المفردات متفرقة وتدقيقها ، ويعنى الفريق الثاني بالمفردات متواصلة على مدى أوسع ويتولى نقدها وتقويمها بجملتها .(٨٥)

غير ان انقضاء قرابة ربع قرن على الانتهاء من إصدار الملحق الاول وانفضاض هيئة التحرير ، استدعى تكوين فريق جديد من مساعدي التحرير مع ما يقتضيه ذلك من حسن الاختيار وحسن التدريب ، مما واجهه المحرر الرئيس (موري) بنجاح عند توليه مهمات التحرير سنة (١٨٧٩م). وقد تغلب على الصعوبات الأولى في تكوين الفريق وأخذ العمل ينشط في الاعداد

للمشروع وكان أول متطلباته مراعاة مبدأ التطور التاريخي وجمع الشواهد عن استعمالات الكلمات بمطالعة المؤلفات والتوسع في تنويعها مما اقتضاه تشعب الحركات الفكرية في القرن العشرين وتنوعها وتخصصها ، فشملت الأعمال الأدبية والفنية في مختلف مستوياتها والأعمال العلمية والتقنية، على تعدد تخصصاتها ، في الكتب والمجلات والدوريات المتخصصة وفي الصحف اليومية وفي غيرها من المنشورات ، بما فيها ما يصدر من « العالم السفلي » وما فيه من الفساد لتضاف جزازات الشواهد المستخلصة من هذه القراءات جميعها الى ما بقي من جزازات شواهد المعجم في طبعته الاولى ، ولتدعم بما يستمد من المعجمات التي صدرت في السنوات الاخيرة لاسيما تلك التي مالت الى التخصص في اللهجات كاللهجة الامريكية والاسكتلندية والكندية ، وإلى التخصص في المصطلحات العلمية ، وبما يستمد من مباحث المتخصصين في اللغة ، سواء ما يتعلق بالمفردات او بمنهجيات الدراسات اللغوية ومباحث الالسنيات واغنائها للمعجمية الانكليزية علما وفنا على السواء ، واستدعى الأمر تكوين مكتبة متنوعة التخصصات تنتفع منها هيئة التحرير .

وما أسرع ما كشف عرض الشواهد وهي تتجمع أن تقدير نطاق المشروع جاء ضيقا لا يفي بما طرأ على اللغة الانكليزية من تطور سريع واغناء وفير في الكلمات الجديدة وفي المعاني الجديدة ، مما جاءت الاشارة اليه آنفا .(٨٦)

وقد حظي المجلد الاول عند صدوره سنة (١٩٧٢م) باهتمام عام ورسخت له مكانة عالية بين المعنيين بالمعجمات تجعله خير خلف لخير سلف ، وكرم محرره (برنسفيلد) بوسام عال على مستوى الدولة لاسهامه في تطور البحوث اللغوية ، وعني بنقده في الدوريات المتخصصة عدد من الباحثين ، فكانت تلك النقود وما فيها من براعة وإحاطة ونفاذ سبيلا لاكتشاف مواهب بعض النقاد وبراعاتهم في المعجمية علما وفنا وجذبهم الى الاسهام في التحرير،

وازداد عدد العاملين في الهيئة على ذلك المستوى العالي حتى بلغ في منتصف السبعينيات خمسة وعشرين ، يتوزعون على المهمات بين إعداد مسودات المدخلات ومراجعة نتاج مساعدي التحرير ، والتحقق من فهرسة الشواهد والقيام ببحوث ودراسات في تقويم المراجع من الكتب والدوريات . واضيف الى مهمات رئيس التحرير مهمات الاشراف على المعجمات المتفرعة عن المعجم الكبير حيث تتولى مراجعتها بقصد إصدار طبعات جديدة تستوعب التطورات المستجدة على اللغة الانكليزية.[٨٧]، وقد جاءت الاشارة الى قيمتها وأهميتها.

وكان الغرض الرئيس للملاحق إنما هو متابعة ما حصل من تطور في اللغة الانكليزية منذ البدء بتحرير الطبعة الألى للمعجم في الربع الاخير من القرن التاسع عشر وخلال القرن العشرين بما في ذلك ما يلي صدور تلك الطبعة سنة (١٩٣٤م) ، والتزم بالمنهجية المتبعة في وضع الطريقة الأولى من حيث الشمول والتطور التاريخي والارساء على مبادىء علمية في التحقيق والاستقصاء للجوانب المختلفة للمفردات واستدعت العناية بالمبدأ التاريخي متابعة سوابق الاستعمالات للكلمات سواء الجديدة او تلك التي تجددت معانيها ، وشمل ذلك مفردات وردت في الطبعة الاولى توافرت عنها مادة جديدة من الشواهد امتدت الى سنة (١٧٥٠م) وهو تاريخ قريب من صدور معجم (جونسون) المعهود ، كما استدعت العناية بالشمول رصد ما طرأ على اللغة الانكليزية من تطورات في الولايات المتحدة الامريكية وفي بلاد الرابطة البريطانية ، مثل كندا واستراليا والهند وباكستان وغيرها ، وشمول لهجاتها في الملحقات الأربعة ، فكان مدد الكلمات الفصيحة التي عني بها المعجم في طبعته الاولى ، يتواصل في بريطانيا وفي غيرها سواء في صيغة كلمات جديدة او معاني جديدة لكلمات موجودة ، ثم كان هناك مدد آخر من المصطلحات العلمية والتقنية ومن اللهجات الفئوية والاقليمية ، عنيت الشواهد برصدها .

وكان هناك بعض الحرج في إدخال المفردات التي توصف بالبذاءة

وتتجاوز الحشمة ، وتلك التي توصف باستفزاز بعض الجماعات العرقية والدينية ، وتغلب التوجه نحو شمول المعجم لواقع اللغة وصفا لتطوراتها ، وإن ساءت تلك المفردات ، في معجم يراد له ان يكون سجلا للغة يعنى به المتخصصون ، دون ان يستتبع ذلك بالضرورة إباحة هذا الترخص لغيره من معجمات يراد لها استعمالات مُعَيَّنَة بين الطلبة وسائر المواطنين . وحيثما كانت الكلمات الجديدة مما يمكن ان يخضع لبراءة حقوق الشؤون الفكرية ، بذلت جهود للتحقق من ذلك وأشير الى هذه الحقوق .» (٨٨)

ويخضع تحرير المواد الى عدة عمليات تبدأ من جمع الشواهد بحظ من الشمول وعرضها في مجموعاتها والتحقق من فهرسة شواهدها ، وتصنيفها وفرزها في رزم تشمل بين ثلاثين واربعين مفردة ، تعهد الى احد مساعدي التحرير لتحرير مسوداتها ، بما يشمل الجوانب المختلفة لها بما في ذلك ترتيب تطور معانيها واختيار الشواهد لها وتعريفها تعريفا مستندا الى استعمالاتها ، وتحال المصطلحات العلمية الى المتخصصين بها ، وتعرض بعدها على المشاركين في التحرير ، ثم يتولى الفريقان من المستشارين اللذان جاءت الاشارة الى الاستعانة بهما تدقيقها على مستوى المفردات متفرقة وعلى مستواها متواصلة بجملتها واخضاعها للنقد والتقويم ، ويتولى المحرر الرئيس مزيدا من المراجعة والنقد والتقويم وتعديل التحرير ، بوصفه المسؤول الرئيس والاخير عن عمليات التحرير .» (٨٩)

وقد تقرر سنة (١٩٨٢م) ــ والمجلدان الاخيران من الملحقات في المراحل الاخيرة من عملية تحريرهما ــ إصدار طبعة جديدة للمعجم بتمامه في طبعة ثانية ، فصحت العزيمة على تحقيق ذلك بضم الملحقات الاربعة الى نصوص الطبعة الاولى وتحقيق التكامل بينها ، واقتضى ذلك التفكير في الأسلوب السليم لتحقيق التكامل من ناحية ، وفي الاستعانة بهيئات معنية بمشروع المعجم على المستويات الفكرية والتقنية والتمويلية من ناحية ثانية . واعتمد لتحقيق التكامل على تطور الحسّابات واستخدامها في الطباعة ، واحتاج

الامر الى مشاركة عدد من هيئاتها وتنظيم التعاون بينهـا ، في بريطانيا وفي الولايات المتحدة الامريكية وفي كندا • وشاركت في المستويات الفكريـة بعض الجامعات كما شاركت في التمويل الحكومـة البريطانية وبعـض الشركات •

وروعيت الحاجة الى ارساء المشروع على تنظيم يكفل تواصله علـى مدى بعيد ، فتألف فريق يعنى بجمع الشواهد عن الكلمات الجديدة وعـن تجدد معاني الكلمات السابقة ، وكان من حصيلة جهوده ان جمع قرابة خمسة ألاف كلمة جديدة ، فوق ما اشتملت عليه الملحقات الاربعة منها ، لتضـاف الى المعجم بطبعته الجديدة ، على أن يظل العمل في رصد الجديد بشـواهده متواصلا لمشروع طويل الامد في المستقبل •

واقتضت عملية التكامل للطبعة الجديدة مراجعة وافية للمعجم ، تكفـل إدماج المادة الجديدة من الملحقات ومن الاضـافات في مواطنها الصحيحة ، واعادة ترتيب المدخلات ، ومنها ما ارتفع من مستوى الكلمات الثانويـة المجمعة المشتقة الى مستوى الكلمات الاساسية ، ومنها ما اضيفت إليـه الشواهد الجديدة من الاستعمالات السابقة التي اكتشفت له ، فضلا عن بعض التصويبات • وكان من أهم التعديلات اعتماد نظام النطق الدولي بدلا مـن النظام الذى أجتهد (موري) المحرر الـرئيس للمعجم في وضعه عند أول عمله في تحريره ــ وقد تحقق إنجاز مشروع الطبعة الثانية بإدماج المـادة الجديدة ــ من الكلمات التي اشتملت عليها الملحقات الاربعة وما تلاها ومن الاضافات والتعديلات بمحتويات المتن ــ بالمادة القديمة كما اشتملت عليها الطبعة الأولى بفضل استعمال الحسّابات ، ولولاها لاستدعى العمـل بالأساليب والوسائل التقليدية في الطباعة العديد من السـنوات •(٩٠)

وقد صدرت هذه الطبعة الثانية من معجـم أكسـفورد في عشـرين مجلدا بحظ من التساوي في حجومها وبصورة تيسر استعمالها، فكانت فتحاً في ميدان المعجمية رسخت للمعجم المعهود مكانته المتميزة لا في لغته الانكليزية

حسب ، بل في سائر اللغات واشتملت هذه الطبعة الثانية « لمعجم أكسفورد للانكليزية » على ما يقرب من (٥٠٠ و٢٩٠) مائتين وتسعين ألف وخمسمائة كلمة أساسية، وذلك بإضافة مايقرب من (٣٨ر٠٠٠) ثمانية وثلاثين ألف كلمة اساسية الى مااحتوته الطبعة الاولى أي بزيادة تقدر بأكثر من ١٥ ٪ خمسة عشر بالمائة من تلك الطبعة ، كما اشتملت الطبعة الثانية على (١٥٧ر٠٠٠) كلمة مجمعة ومشتقة وعلى قرابة (١٦٩ر٠٠٠) من العبارات فاصبحت الكلمات باشكالها المختلفة تقرب من (٦١٦ر٥٠٠) ستمائة وستة عشر ألف وخمسمائة شكلا من صيغ الكلمات وازدادا متن المعجم بما ضم من مقالات جديدة وإضافات الى المقالات السابقة باكثر من الثلث (٣٤٪).[٩١]

فلا جرم أن يعده النقاد أشمل المعجمات الانكليزية في مفرداته ، وأوفاها في معالجاته ، وأكثرها عناية بتطبيق مبدأ التطور التاريخي للكلمات ولتطور دلالاتها .

* * *

- المراجع -

(١) English Language : Encyclopeadia Britanica PP. 537-547 vol. 8 Ed. 14-1965
ويختصر على الصورة الاتية Ency. Brit

(٢) English Language : Ency. Brit. OP. Cit.

(٣) English Language : OP. Cit.

(٤) English Language : OP. Cit.

(٥) English History OP. Cit.

(٦) English Language : OP. Cit.

(٧) English Language : OP. Cit.

(٨) Renaissance, the:Ency. Brit. vol. 19 14th. Ed. 14. PP. 122-135

(٩) Renaissance, Renaissance, OP. Cit.

(١٠) Renaissance, the. OP. Cit.

(١١) Renaissance, OP. Cit.

١٢) Renaissance, the. OP. Cit.

(١٣) Renaissance, the. OP. Cit.

(١٤) English Language OP. Cit.

(١٥) English Language : OP. Cit.

(١٦) Brodmer, Frederick : the Loom of Language P. 16 G. Allen and unwin Ltd. Lond. 1946.

(١٧) السيد ، داود حلمي (ا . د) المعجم الانجليزي ص ١٠٠ ط ١/١٩٧٨/ الكويت .

(١٨) English Language : OP. Cit.

(١٩) Language of the World, Ency. Brit. 15th edition 1990.

(٢٠) English Language : OP. Cit.

(٢١) الخطيب ، عدنان : المعجم العربي ونظرات في المعجم الوسيط /دمشق ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .

(٢٢) الخطيب ، عدنان : المرجع السابق .

(٢٣) Oxford Shorter English Dictionery Vol. 1, oxford.

(٢٤) Webester's International Dictionary Preface, 3rd. Ed. 1961
وسوف يشار اليه Webester 3rd. Ed.

(٢٥) Dictionary, Ency. Brit. Vol. 7 14th Ed. 1965 PP. 386-389.
(٢٦) Dictionary, OP. Cit.
(٢٧) Dictionary, OP. Cit.
(٢٨) Dictionary, OP. Cit.
(٢٩) Dictionary, OP. Cit.
(٣٠)
(٣١) وانظر : السيد ، داود حلمي ، مرجع سابق ص ٢٣ .
(٣٢) Dictionary, OP. Cit.
(٣٣) Dictionary, OP. Cit.
(٣٤) Dictionary, OP. Cit.
(٣٥) Dictionary, OP. Cit.
(٣٦)
(٣٧) السيد ، داود حلمي / مرجع سابق ص ٢٦ ــ ٢٧
(٣٨) وانظر ايضا : Dictionary, OP. Cit.
(٣٩) Johnson, Samuel, Ency. Brit. Vol. 13 14th Ed. PP. 44-52.
(٤٠) Johnson, Samuel, OP. Cit
وانظر ايضا ، السيد ، داود حلمي / مرجع سابق .
(٤١) Academies, Ency. Brit. Vol. 1. 14th ed. PP. 54-59.
(٤٢) Academies, OP. Cit.
(٤٣) السيد ، داود حلمي / مرجع سابق ض ٣١ــ٧٣ .
(٤٤) السيد ، داود حلمي / مرجع سابق .
(٤٥) السيد ، داود حلمي / مرجع سابق .
(٤٦) السيد ، داود حلمي / مرجع سابق .
(٤٧) وانظر السيد ، داود حلمي / مرجع سابق . Dictionary, OP. Cit.
(٤٨) وانظر السيد ، داود حلمي / مرجع سابق . Dictionary, OP. Cit.
(٤٩) Dictionary, OP. Cit.
(٥٠) السيد ، داود حلمي / مرجع سابق .
Dictionary, OP. Cit.
(٥٢) Dictionary, OP. Cit.
(٥٣) السيد ، داود حلمي ، مرجع سابق ص ٢٨ .

(٥٤) السيد ، داود حلمي / مرجع سابق ص ١٦٣ .
(٥٥) السيد ، داود حلمي / مرجع سابق .
وانظر ايضا Dictionary, OP. Cit.
(٥٦) السيد ، داود حلمي / مرجع سابق وانظر ايضا Dictionary, OP. Cit.
(٥٧) السيد ، داود حلمي / مرجع سابق .
(٥٨) السيد ، داود حلمي / مرجع سابق .
(٥٩) وافي ، علي عبدالواحد (أ.د) : علم اللغة القاهرة ١٩٤٧ .
(٦٠) The History of Oxford English Dictionary 1 st Ed. 1933
History of O. E. D.
وسوف يرمز له بـ
(٦١) The History of O. E. D. Op. Cit.

(٦٣) The History of O. E. D. Op. Cit.
(٦٤) The History of O. E. D. Op. Cit.
(٦٥) The History of O. E. OP. Cit.
The History of O. E. OP. Cit.
(٦٧) The History of O. E. D. Op. Cit.
(٦٨) The History of O. E. D. Op. Cit.
(٦٩) The History of O. E. D. Op. Cit.
(٧٠) The History of O. E. D. Op. Cit.
(٧١) The History of O. E. D. Op. Cit.
(٧٢) The History of O. E. OP. Cit.
(٧٣) General Explanation, Oxford English Dictionary 15th. Ed. 1933
Explanation
وسيرمز الى هذا المصدر بـ
Explanation OP. Cit.
(٧٤) Explanation OP. Cit.
(٧٥) Webester International Dictionary 3rd. Ed. 1961
Webester 3rd. Ed.

وسيرمز اليه بـ
(٧٧) السيد ، داود حلمي / مرجع سابق .
(٧٨) السيد ، داود حلمي / مرجع سابق .

Webester 3rd. ed. OP. cit,

(٧٩) Webester 3rd. ed. OP. cit,

(٨٠) Webester 3rd. ed. OP. cit,

(٨١) السيد ، داود حلمي / مرجع سابق .

(٨٢) السيد ، داود حلمي / مرجع سابق وانظر ايضا مقدمة Webester 3rd. ed. OP. cit,

(٨٣) Introduction, Oxford English Dictionary 2ed Ed. 1989

(٨٤) Intro. O. E. D.

وسوف يشار الى هذا المرجع بالمختصر الآتي

Intro. O. E. D. OP. Cit.

(٨٥) Intro. O. E. D. OP. Cit.

(٨٦) Intro. O. E. D. OP. Cit.

(٨٧) Intro. O. E. D. OP. Cit.

(٨٨) Intro. O. E. D. OP. Cit.

(٨٩) Intro. O. E. D. OP. Cit.

(٩٠)

(٩١)

تعقيب الاستاذ علاء الدين حمودي

على بحث الدكتور عبدالعزيز البسام / عضو المجمع

الموسوم بـ (المعجمية الانكليزية ـ نشأتها وتطورها)

لقد جاءت الدراسة التي تفضل بها الدكتور عبدالعزيز البسام جامعة شاملة أحاطت بالمعجمية الانكليزية إحاطة تامة فلم يعد ثمة مجال للمعقب أن يضيف شيئا يستحق الذكر ، ما عدا بعض الملاحظات الهامشية التي قد تؤكد ناحية ما او توضح ناحية اخرى ولا تتعلق هذه الملاحظات بجوهر موضوع البحث القيم الذي استمعنا اليه ذلك ان المحاضر الكريم قد اوفى الموضوع ما يستحقه من عناية وشمولية .

يتناول الجزء الاول من الدراسة تطور اللغة الانكليزية نفسها تاريخيا ، فيقسم مراحلها الى ثلاث فترات : المرحلة القديمة والوسيطة والحديثة ، وهو أمر اتفق قليه علماء اللغة ومؤرخو اللغة الانكليزية . ثم يذكر المحاضر بعض التواريخ التي تحدد كل فترة موضحاً ان هذه التواريخ قد اختيرت لوقوعها على مقربة من تطورات أو احداث تاريخية هامة كاختراع الطباعة وظهور عصر النهضة الى غير ذلك . وأظن أن من الافضل لو تم استبدال هذه السنين المحددة بالقرون فيقال مثلا ان الفترة القديمةامتدت من القرن الثامن حتىالقرن الثاني عشر بدلا من قولنا من (٧٠٠ الى ١١٥٠) ، وتقول ان مرحلة الانكليزية الوسيطة امتدت من القرن الثالث عشر وحتى القرن السادس عشر بدلا من ١١٥٠ ـ ١٥٠٠ وهكذا . ذلك أن التطورات التاريخية واللغوية منها على وجه الخصوص لا يمكن حصرها بسنين محددة فنلجأ الى القرون بدلا عن ذلك

ينتقل المحاضر الكريم بعد ذلك الى تناول نشأة المعاجم وتطورها فيبدأ

أول الأمر بتعريف المعجمية وتطوراتها ثم يقسم التطورات التي مرت بها الى خمس مراحل متناولا السمات الرئيسية لكل مرحلة ومدى ما قطعته من تطور بالنسبة للمرحلة التي سبقتها •

وبالنسبة لهذا الجزء المهم من المحاضرة ليس لدي ما اريد قوله حول المرحلتين الاولى والثانية بل سأقتصر على بعض الامور التي تناولها الاستاذ المحاضر في المرحلة الثالثة بصورة وافية مؤيدا ما جاء في الدراسة كل التأييد ولاسيما ما يتعلق بمكانة معجم (بيلي) ومضيفاً بعض الايضاحات المتواضعة حول جونسون وقاموسه الشهير •

ذلك ان الفترة الثالثة هذه ، التي ظهر فيهما هذان المعجمان وهي فترة القرن الثامن عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر تعتبر فترة رائدة في مجال إعداد المعاجم وفق المفاهيم التي اصبحت فيما بعد نواة للمعجمية الحديثة ومنهجية كتابة المعاجم وأصولها • فمعجم بيلي كما ذكر الاستاذ المحاضر كان أول معجم لا يقتصر على تفسير معاني الكلمات وردّها الى اصولها ، وانما استخدم الشواهد المقتبسة من كبار الكتاب والادباء دون ان يخلو قاموسه من روح الدعابة والفكاهة • وقد كان لهذا المعجم الفضل الكبير على ما كتب من معاجم تالية ولاسيما منها معجم جونسن الشهير الذي أود إبداء بضعة ملاحظات مقتضبة بشأنه ، لما لهذا المعجم من شأن كبير ولما لمؤلفه من مكانة مرموقة في الأدب الانكليزي ، حتى ان مؤرخي الأدب الانكليزي قد اصطلحوا على تسمية النصف الثاني من القرن الثامن عشر بعصر جونسن •

يعتبر الدكتور (جونسن) بحق أب المعجمية الانكليزية اذ ان معجمه الشهير Dictionary of the English Language الذي ظهر عام ١٧٥٥ هو أهم معجم صدر في اللغة الانكليزية قبل ظهور الطبعة الاولى لمعجم اكسفورد للغة الانكليزية في عام ١٩٢٨ ، ثم طبعة عام ١٩٣٣ باضافة الملحق الاول •

كان معجم (جونسن) عملا كبيرا بكل المعايير ، فهو نتاج أو ثمرة من رجل واحد عاونه ستة من النساخ وحسب ؛ وعن هذه الناحية يشير مؤلف سيرة الدكتور (جونسن) في كتابه عنه انه استفسر منه يوما عن كيفية انجاز مثل هذه المهمة الصعبة في مدى ثماني سنوات ، في الوقت الذي استنفد انجاز المعجم الفرنسي أربعين عاما من جهود المجمع العلمي الفرنسي المؤلف من أربعين عضوا؟ فأجاب الدكتور جونسن مداعبا : هكذا ياسيدي فالفرد الانكليزي مقارنة بالفرنسي تكون جهوده بنسبة ثمانية الى ٤٠ × ٤٠ أي ثمانية الى ألف وستمائة !

اعتمد (جونسن) أسلوب التسلسل التاريخي لضرب الامثلة وإبراز الشواهد لمعاني الكلمات وتطورها فابتدأ بالاقتباس من كتاب العصر الاليزابيثي ومن الشاعر (سدني) على وجه الخصوص أي منذ عام ١٥٨٠ ، وانتهى بالاستشهاد بكتاب عصره . فكان يقرأ قراءة واسعة في الكتب المتاحة له ، ويضع خطاً تحت الكلمات المراد تعريفها أو شرحها وإشارة بالحروف الاولى في الهامش الجانبي ؛ فينقل النساخ الكلمات مع الجمل التي وردت فيها على قصاصات من الورق ويجمعونها ويصنفونها بموجب التسلسل الابجدي للحروف الانكليزية . ومن الجدير بالذكر ان هذا الاسلوب من العمل المعجمي مازال مستعملا حتى يومنا هذا بعد ان تم توسيعه وتحسينه .

لم يمتنع (جونسن) عن إدخال أي صنف أو لون من الكلمات الى معجمه ، فاستعان بالمؤلفات العلمية والقانونية والطبية وغيرها وأفاد كذلك من محاضر الجمعية الملكية . بيد أن بعض المصطلحات والعبارات التي استخدمها (جونسن) قد تصلح مفردات أو مواد للموسوعات اكثر من ملاءمتها للمعاجم .

كان (جونسن) يعارض بشدة فكرة إنشاء مجمع بريطاني على نمط المجمع الفرنسي تكون من مهامه تحديد مفاهيم الكلمات وقد تجددت معانيها

بالرغم من تمسكه بضرورة الحفاظ ـ قدر المستطاع ـ على الاصول الانكلوسكسونية للكلمات الانكليزية ، والابتعاد عن الكلمات ذات الاصول اللاتينية ، وبخاصة تلك الكلمات الفرنسية التي استعملها بعض الكتاب دون مبرر أو حاجة الى ذلك . وقد أدرك حينما قارب العمل في المعجم نهايته، أن اللغة كائن حي يتغير ويتطور باستمرار ولاسيما في المدن الكبرى والمراكز التجارية الرئيسة ، بينما تبقى اللغة منعزلة قليلة التغيير في المناطق النائية المنزوية .

ولما كان معجم (جونسن) يمثل في الاساس مجهودات رجل واحد ، فقد اتسم بطابع شخصي يعكس خصائص الكاتب ونزعاته ، فغدا يكثر من الأمثلة والمقتبسات من أعمال الكتاب والشعراء الأثيرين لديه من أمثال (شكسبير) و (ملتون) و (درايدن) دون أن يبدي تحمسا لغيرهم من كبار الكتاب والشعراء من أمثال (سوفت) و (سبنسر) وقد أدى ذلك الى أن تكون بعض التعاريف والشروح ذات طابع متميز أو غريب أحيانا ، كبعض الكلمات التي تخص الاسكتلديين أو تتناول بعض جوانب حياته الخاصة ، دون أن تخلو تناولاته من روح الدعابة أو الفكاهة .

وأما من حيث حجمه ومحتوياته فان معجم (جونسن) هو أكبر المعاجم الانكليزية التي ظهرت قبل نشره عام ١٧٥٥ ، فقد اشتمل على ٢٣٠٠ صفحة من القطع الكبير وعلى مقدمة استعرض فيها المؤلف تاريخ اللغة الانكليزية وتطورها . وكمثال على دقة معجم (جونسن) وتوسعه في المعاني والشروح بالقياس الى المعاجم التي سبقته نجد أن معجم (كوكرمان) الذي ظهر عام ١٦٢٣ لم يورد أي تعريف للفعل (take) بينما أورد معجم (بيلي) ثمانية عشر تعريفا له ، وحينما ظهر معجم (جونسن) نجد أنه اشتمل على (١٣٤) تعريفا واستعمالا للفعل . وقد نالت الاصول التاريخية للكلمات حظاً أوفر مما نالته في المعاجم السابقة مما أدى الى انتقادات كبيرة وجهها له بعض كتاب عصره .. هذا وقد اضطر (جونسن) الى الحذف والاختصار حينما ازداد عدد

الشواهد والمقتبسات من مختلف العصور ومن سائر ألوان المعرفة والاختصاص.

واما فيما يتعلق بمعجم (اوكسفورد) للغة الانكليزية بطبعتيه لعام ١٩٣٣ و١٩٨٩ فليست لدي اية ملاحظات على ما جاء في هذه الدراسة الشاملة الوافية ، ولكنني اود ان أقول كلمة عاجلة حول ما جاء بخصوص معجم (وبستر) في طبعته الثالثة ، ذلك المعجم الذي تفاوتت آراء النقاد بشأنه بين قادح ومحبذ . فهذا المعجم الذي ظهر في الستينات ، وبالرغم مما جاء فيه من هفوات واتهامات ، وهي أمور تناولها عدد كبير من النقاد والكتاب ورجال الصحافة بالنقد القاسي بتهمة ان هذا المعجم قد عمل على إفساد اللغة الانكليزية وأعان على التدني بمستواها وغير ذلك من الادعاءات والدعاوى الا انه يعكس روح العصر الذي ظهر فيه ، واعتماده في الاساس على مختلف اوجه الحضارة الامريكية الحديثة بتقنياتها وعلومها وجدّها ومباذلها ، مستندا الى شواهد من الفترة الزمنية المعاصرة التي نشر فيها دون وجل او تردد من ان تكون تلك الشواهد بعيدة عن جدية الدراسة الادبية والفنية والابحاث العلمية والتاريخية والسياسية ، فهنالك مقتبسات من الاعلانات التجارية والصحفية ومجلات الازياء وغير ذلك من المطبوعات التي تعطي صورة اوضح وادق للعصر الذي يعيش فيه ، وفي هذا ابتعاد اساسي عن المنهج الذي اتبع في اعداد الطبعات السابقة له من حيث كون الطبعة الثانية تستند الى شواهد مقتبسة من الاعمال العلمية او الادبية الجادة في تفسير الكلمات والعبارات وشرحها ، وتبيان مختلف المعاني والمدلولات الخاصة بها ، وهذه هي السمات التي تتصف بها معاجم اكسفورد بمختلف طبعاتها واحجامها .

هذه هي بعض الملاحظات العاجلة التي وددت ذكرها وهي ملاحظات مقتضبة لا تتعارض مع ما جاء في المحاضرة القيمة من شمول واحاطة تامة بكل جوانب موضوع المعجمية ، بل تؤيدها وتتفق معها ، واسمحوا لي في النهاية ان أؤيد كل التأييد كذلك ما جاء في التمهيد للمحاضرة من امل ورجاء في ان

ينتفع من هذه الدراسة القيمة عند وضع المعاجم العربية بمختلف انواعهـا واهدافها ، أحادية اللغة ام ثنائيتها ، فهنالك حاجة حقيقية لمثل هـذا الجهـد في المرحلة الحاضرة ، التي تبذل فيها الامة العربية محاولات جادة في مجـال تعريب الدراسات الجامعية ونشر العلوم والتكنولوجيا على مقياس واسـع . ومن أجدر بالاضطلاع بهذه المهمة الجبارة من المجامع العلمية العربية وجامعاتها ومعاهدها ؟ فعسى ان تشهد الايام القادمة ذلك لتتم الافادة من الثروة الهائلة التي تجمعت لدى مختلف المؤسسات والهيئات العربية من مصطلحات معـربة ودراسات لغوية ليصار الى معجم او معاجم يرجع اليها القارىء والـدارس والباحث حين تدعو الحاجة والسلام .

* * *

المعجم السرياني
(نشأته ـ منهجيته)
(بحث مقارن)

بنيامين حداد
١٩٩١/١٢/٣

منذ ان بدأ الكتبة السريان يعنون بتفسير اسفار العهدين القديم والجديد ، ظهرت شروحهم للالفاظ الغامضة ، وتعاريفهم للمصطلحات الفلسفية واللاهوتية ، وتحاليلهم لاسماء الاعلام المركبة وتأصيلها .

وغالباً ما كانت مجاميع الشروح هـذه تلحق بدراساتهم وتفاسيرهـم (الكتابية) .

وظهرت البواكير الاولى للاعمال المعجمية عند عنانيشوع الحديابي (القرن السابع الميلادي) (١) ، فقد وضع كتاباً في التعاريف والشروح الفلسفية ، وكتب فصولاً كثيرة تنطوي على المعاني الجلية للالفاظ ، اما عمله المعجمي المتميز فهو : كتاب الالفاظ الغامضة الواردة في الكتب المقدسة (٢) .

---

(١) كان حياً سنة ٦٥٩ م . فهرس المؤلفين لعبديشوع الصوباوي ١٨٩ .

(٢) يقول توما المرجي : ان عنانيشوع نقل الينا وزودنا بتصحيح الاسماء والكلم الغامضة لكتب الاباء ، كتاب الرؤساء ، ترجمة الاب البير ابونا ، الموصل ١٩٦٦ ص ٧٤–٧٦–٨١–٨٢ . ولقد انتهت الينا من محاولة عنانيشوع هذه عدة مخطوطات اهمها المخطوطة الفاتيكانية ٤١٩ لسنة ١٥٧٢ م ، وسعرد ١٠٧ ، ١٠٨ من القرنين ١٦ ، ١٧ الميلاديين ، وفوستى (دير السيدة) ٢٩٠ ، ٢٩٢ وغيرها .

ونعرف عن عنانيشوع انه قد توغل في صعيد مصر لفترة من الزمن ، فيحتمل انه قد اخذ صناعة شرح الالفاظ الغامضة عن اصحاب المدرسة الاسكندرية .

وعمل عنانيشوع هذا يقرن دوماً بما اضاف اليه فيما بعد حنين بن اسحاق العبادي ، ويذكر تحت عنوان « كتاب الاسماء المتشابهة لعنانيشوع مع اضافات حنين » (٣) .

وجاء حنين بن اسحق العبادي المتوفى سنة ٨٧٣ م (٤) ، ووضع مؤلفه الكبير « معجم المصطلحات او العبارات المقتطعة » (٥) متخذاً من عمل عنانيشوع المذكور منطلقاً لمؤلفه الذي اعتبره الكثيرون اول معجم للغة السريانية .

واذا كان عنانيشوع قد تأثر باليونان عن طريق المدرسة الاسكندرية كما ذكرنا ، فان حنيناً – فضلاً عن تأثير اليونان هذا ، فقد تأثر بالمنهجية المعجمة عند العرب في استكمال محاولته المعجمية الناجحة .

ولحنين ايضاً مقالة في الكلمات المبهمة .

---

(٣) نشره المستشرق هوفمان في كيل سنة ١٨٨٠ م وعنوانه بالسريانية

ܟܬܒܐ ܕܟܬܦܐ ܘܡܬܬܐ ܕܚܢܝܢ ܕܐܬܕܒܪ ܥܠ ܐܝܠܝܢ ܕܐܬܐ ܒܫܡܗ ܕܥܢܢܝܫܘܥ ܕܡܫܡܫ

(٤) المجدل (صليبا) ٧٣ ، ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ١٨٤–٢٠٠ ، فهرس المؤلفين ، عبديشوع الصوباوي ، تحقيق د. يوسف حبي ص ٨٩ – ٩٠ ، ١٩٥ ، الفهرست لابن النديم ٤٠٩–٤١٠ ، ابن القفطي ، تاريخ الحكماء ١٧١ – ١٧٧ ، ادب اللغة الآرامية ، الاب البير ابونا ٣٤٩ – ٣٥٣ .

(٥) من مخطوطاته : كمبرج ٢٠١ ، منگنا ٤٢٠ أ ، فوستي (فهرس كركوك) ٣٧ . وعنوانه بالسريانية : ܟܬܒܐ ܕܡܫܬܥܐ ܘܡܬܬܐ

ثم جاء الطبيب البغدادي زكريا ابو ايوب يحيى المروزي (من القرن التاسع) وزاد على معجم حنين اشياء كثيرة (٦) .

اما ايشوع بر علي (اواخر القرن التاسع – اوائل القرن العاشر) (٧) والذي يسميه ابن البيطار عيسى بن علي في كتابه المعروف بـ « الجامع لمفردات الادوية والاغذية) ، فقد وضع معجماً متكاملاً مستفيداً من اعمال كل من عنانيشوع وحنين والمروزي .

ولقد استخدم ابن علي كلتا اللغتين السريانية والعربية في شروحه لمفردات معجمه السرياني .

والف حنانيشوع بن سروشويه اسقف الحيرة المتوفى في مطلع القرن العاشر الميلادي (٨) معجماً سريانياً اكمل فيه محاولات من سبقوه ، غير ان يد الضياع اودت بهذا المعجم ، ولا نعرفه الا من خلال الحسن بن بهلول الذي يقتبس منه ويستشهد به في كل صفحة من صفحات معجمه الشهير .

يقول ابن بهلول في مقدمة معجمه : ان حنانيشوع دقيق في شروحه ، وهو خير مكمل لمعجم حنين .

ومن اقتباسات ابن بهلول لشروح ابن سروشويه نطلع على جانب من منهجية هذا الاخير ونعرف انه استخدم في شرح مفرداته اللغتين السريانية والعربية .

---

(٦) فهرس المؤلفين ١٢٢ – ٢٢٥ ، السمعاني ١٧٦ ، ادب اللغة الآرامية ٣٥٠ .

(٧) فهرس المؤلفين ١٢٢ – ٢٢٥ ، الحسن بن البهلول ، مقدمته لمعجمه ، ابن ابي اصيبعة ١ : ٢٠٣ ، ادب اللغة الآرامية ٣٥٣ .

(٨) ابن بهلول في مقدمته لمعجمه ، السمعاني ٣ : ٢٦١ ، فهرس المؤلفين ٢٢٥ ، ادب اللغة الآرامية ٤٠٣ .

واكبر محاولة لوضع معجم سرياني بالمعنى المعروف هي للحسن بن بهاول الاواني (٩) الطيرهاني ، الذي وضع معجمه (١٠) في بغداد في اواسط القرن العاشر الميلادي ، مستفيداً من كل الذين سبقوه في هذا المجال ، مضيفاً عليهم شروحاً استقاها من الائمة السريان والادباء الكبار في العلوم الطبيعية والفلسفية وفي اللاهوت والشروح (الكتابية) ، مستشهداً بدقة بالنصوص التي نقلها عن مصادرها .

وابن بهاول كاتب موسوعي ، ومعجمه هذا اضخم موسوعة في بابها ، ولقد عرفنا له مؤخراً كتاباً موسوعياً آخر هو كتاب « الدلائل » (١١) .

وعن منهجية ابن بهاول في صناعة معجمه ، نورد ما قاله في مقدمته لهذا المعجم بنصه العربي :

« قد كنت عمات على تمييز الالفاظ ، وافراد البيعيّات عن الطبيعيات والطبيات والمنطقيات ، وتصيير كل من اليوناني والرومي والسرياني والعبراني والمستعمل من النبطي وغيرها (١٢) على حدّته ، فرأيت ما يسقط كثيراً (!) ،

---

(٩) فهرس المؤلفين ١٢١ ، ١٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، المجدل (ماري) ١٠١ ، ابن العبري ، التاريخ الكنسي ٢ : ٢٥١ ، السمعاني ٣،١ : ٢٥٧ ، ادب اللغة الآرامية ٤٠٧ .
واوانا قرية في ابرشية الطيرهان على نحو ٦٠ كيلومتراً شمالي بغداد على مجرى دجلة القديم المسمى الآن « شطيطة الزهيري » .

(١٠) عن اشهر مخطوطاته راجع مقدمة دوفال لطبعته لهذا المعجم ، باريس ١٨٨٦ – ١٩٠٣ ، وثمه مخطوطات اخرى في البطريركية الكلدانية ودير السيدة ، والمتحف السامي ببوسطن ، والمجمع العلمي العراقي– مكتبة هيئة اللغة السريانية .

(١١) كتاب الدلائل ، للحسن بن البهلول ، تحقيق د . يوسف حبي ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، الكويت ١٩٨٧ .

(١٢) في الاصل : وغير ما ، وقد يكون الصواب ما اثبتناه .

وفي الغاية غلط عظيم . . . فعملت على ايراد كل ما يبلغني من الاختلاف منسوباً الى قائله ان كان معروفاً ، وعلمت ان في شرح ذلك منفعة عظيمة ، لأن السائل يقف على قول واحدٍ واحد ، ويعلم الصحيح من السقيم ، وجعلت ذلك كتاباً واحداً ، وقصدت لترتيبه على حروف الهجاء في الابتداء والحشو ، ليقرب طلب اللفظة ، ويُستغنى عن تفتيش عدة كتب بسببها ، متى لم يُعلم من اي اللغات هي ... » .

ومصادر ابن بهلول عديـــدة ، فبالاضافة عنانيشوع الحديابي وحنين بن اسحق والمروزي وابن علي وابن سروشويه الذين مر ذكرهم ، هناك الكثير غيرهم امثال :

غريغوريوس النوسي ، وابراهيم بر دشنداد تلميذ ابن علي ، وشملي الطبيب وحنين بن سرافيون الطبيب ، ودانيال الجمري اسقف تحل ، وابن حاتم ، وحبيش ابن اخت حنين ، وجبرائيل بن بختيشوع الطبيب ، واسماء اخرى كجالينوس وديسقوريـــدس وفولوس وسرجيس وغيرهـــم . هـــذا فضلاً عن عشرات الكتب التي يرد ذكرها غفلا عن اسماء اصحابها .

وليس عمل ابن بهلول هذا معجماً لغوياً وحسب ، بل الى جانب ذلك عمل موسوعي عام ، لشرح وتعريف الالفاظ والمصطلحات في شتى العلوم والآداب والفنون ، بكلتا اللغتين السريانية والعربية .

في الكيمياء مثلاً نلقى صور عشرات الرموز (الكيمياوية ــ الفلكية) (١٣) المستخدمة في عصره .

---

(١٣) فالفضة مثلاً كانت تدعى ܣܗܪܐ (سَهرا) اي القمر (ش ــ هر) للشبه بين بريق الفضة وضوء القمر ، وكان الرمز الكيمياوي ــ الفلكي لكليهما القمر والفضة هلال صغير .
وكذلك للشبه بين بريق الذهب وضوء الشمس ، كان اهل الكيمياء =

وهو اوسع مرجع في الزراعة والنبات ، يورد النباتات باسمائها التي دخلت السريانية ثم العربية في عصر الترجمة ، مشروحة بما يقابلها في السريانية والعربية مع تبيان اوصافها وبعض منافعها الطبية والغذائية .

كما يتناول اسماء اعلام الناس ، وبخاصة المركبة منها ، ويعمد الى تحليلها وتفسير معانيها بالرجوع الى لغاتها الاصلية .

وهو الى جانب هذا كله مرجع بلداني جيد ، ومرجع للعُدد والآلات المستخدمة في زمانه .

هذا ولقد اضيفت الى معجم الحسن بن بهلول اشياء كثيرة متأخرة كنصوص ابن العبري مثلاً ، الذي هو من القرن الثالث عشر الميلادي .

وتجدر الاشارة هنا الى استخدام ابن بهلول لوسيلة الايضاح بالصورة إلى جانب اللغة في معجمه . وما اعرفه عن هذه الظاهرة ان لاسابقة لها ، فعلاوة على عشرات اشكال الرموز الكيمياوية – الفلكية التي نوهنا بها ، هناك العديد من المصورات لاشكال العُدد والآلات .

نشر المستشرق روبنس دوفال هذا المعجم في باريس سنة ١٨٨٦ – ١٩٠٣ م في جزئين كبيرين ، والحقه بجزء ثالث ادرج فيه المقدمة وفهارس مفصلة بالالفاظ اللغوية (١٤) .

ووضع ايليا برشينايا مطران نصيبين المتوفى سنة ١٠٤٦ م (١٥) كتاباً مهماً

= يسمون الذهب ﻫﺪﺧﺎ (شمشا) : الشمس ، ولقد أُستخدم اكثر من رمز واحد لعنصر الذهب او الشمس ، منها هذه الرموز

، ، .

وهكذا بالنسبة للعناصر الطبيعية الاخرى .

(١٤) انظر طبعة روبنس دوفال للمعجم في اجزائه الثلاثة ، باريس ١٩٠٣ .

(١٥) المجدل (صليبا) ٩٩ ، فهرس المؤلفين ١٢٤ ، ٢٢٧ ، السمعاني ٣، ١ : ٢٦٦ – ٢٧٤ ادب اللغة الآرامية ٤١٩ – ٤٢٠ .

في النحو السرياني الحقه بمعجم عربي – سرياني رتبه بحسب المواضيع ، ويمتاز بدقة شروحه (١٦) .

وللراهب ابدوكس من مالطة ، معجم لشرح الكلمات الغامضة في الكتاب المقدس (١٧) .

ومنذ القرن الثاني عشر وحتى القرن الثامن عشر الميلاديين ، وضعت عشرات المعاجم السريانية ، وقد وصلنا معظمها غُفلاً عن اسماء اصحابها ، نذكر منها :

معجم ايوب البشرّاني اللبناني ، من القرن السابع عشر الميلادي .

ومعجم جرجس السداني اللبناني ، من القرن الثامن عشر الميلادي ، وهو معجم ضخم ، ولا زال مخطوطاً .

ومعجم يوسف ابراهيم العينكاوي من القرن الثامن عشر الميلادي .

ووضع خدر الموصلي المتوفى سنة ١٧٥٥ م معجمين كبيرين ، الاول عربي – سرياني ، ويدعى « معدن الكنوز لكشف الرموز » (١٨)، والثاني سرياني – عربي (١٩) .

---

(١٦) طبعه المستشرق يولس دي لاكارد في روما سنة ١٨٧٩ م . وكان توما دي نافاريا قد استقى منه مواد لمعجمه المسمى « الكنز العربي..» الذي طبعه في روما سنة ١٦٣٦ م .

(١٧) عاش قبل ابن العبري المتوفى سنة ١٢٨٦ م بدليـل ان ابن العبري يورد اسمه غير مرة في كتابه « كنز الاسرار » . ولمعجم ابدوكس مخطوطات عديدة منها : برلين ٢٢٠ المكتبة الوطنية (باريس) ٢٥١، ٣٢٨ ، المتحف البريطاني ١٥٩٤ وغيرها .

(١٨) منه نسخ مخطوطة بخط المؤلف في روما ودير الشرفة والبطريركية الكلدانية .

(١٩) منه نسخة خطية في المكتبة الوطنية (باريس) برقم ٢٥٦ .

الا ان كل هذه المحاولات لم تبلغ شأو معجم الحسن بن بهلول ، لا في كمه اللغوي ولا في شموليته وتغطيته لتراث اللغة السريانية وآدابها.

اما الاعمال الجادة في هذا المجال ، والقائمة على اسس علمية في صناعة المعاجم فقد جاءت على يد ثلاثة من كبار علماء اللغة السريانية في القرن التاسع عشر الميلادي ، وهي :

كنز اللغة السريانية (٢٠) ، للمطران توما اودو الالقوشي المتوفى سنة ١٩١٨م ، ويقع في مجلدين كبيرين ، مشروحاً بالسريانية وقليلاً جداً بالعربية .

يمتاز هذا المعجم بترتيبه المحكم وبشرحه الدقيق وبكثرة استشهاده بنصوص من الترجمة البسيطة (ܦܫܝܛܬܐ = فشيطتا) ، ومن امهات كتب التراث السرياني ، وبنظامه القائم على الاصول اللغوية ، فالمادة اللغوية فيه تخضع لعملية تصريف كاملة ، وايراد كل الصيغ الناشئة عن اصلها المجرد ، القياسية منها وغير القياسية ، مما سبب في اطالة لاموجب لها .

وفي الوقت الذي نلمس فيه اهتماماً كبيراً بالدخيل وبخاصة اليوناني منه ، نراه يهمل الكثير من ا الأصول السريانية غير المأنوسة او النادرة .

والمعجم الثاني هو « الباب » (٢١) ، للاب جبرائيل القرداحي الماروني اللبناني المتوفى سنة ١٩٣٠ ، ويقع في مجلدين ، مشروحاً بالعربية .

اما المعجم الثالث فهو « دليل الراغبين في لغة الآراميين » (٢٢) ، للمطران

---

(٢٠) طبع في الموصل سنة ١٨٩٧م تحت عنوان « ܡܠܦܢܐ ܕܠܫܢܐ ܣܘܪܝܝܬܐ ».

(٢١) طبع في بيروت سنة ١٨٨٧ — ١٨٩١ م تحت عنوان « ܒܒܐ » . ولقرداحي معجم كبير سرياني — عربي — لاتيني ، نسخته المخطوطة لدى المطران بطرس صغير .

(٢٢) طبع في الموصل سنة ١٩٠٠ م تحت عنوان « ܡܘܕܥܢܐ ܕܠܫܢܐ ܐܪܡܝܐ ܘܠܫܢ ܥܡܡܐ » واعيد طبعه مع ملحق من ١٣٠ صفحة في بيروت سنة ١٩٧٥ م . ولمنّا معجم عربي — سرياني كبير لازال مخطوطاً .

يعقوب اوجين منّا المتوفى سنة ١٩٢٨ ، وهو اشهر معجم سرياني – عربي لغزارة مادته وكثرة شروحه العربية ، الاانه مقل في تناول المفردات الدخيلة .

ومنذ القرن الخامس عشر الميلادي بدأ الاهتمام الجدي للمستشرقين باللغة السريانية وآدابها ، فمنذ ذلك الحين وحتى اليوم ظهرت عشرات المعاجم الكبيرة التي قد يصل ما تناوله بعضها السبع لغات ، والسريانية في معظمها هي اللغة المفتاح . وتركز غالبية هذه المعاجم على شرح وتفسير الفاظ الكتاب المقدس .

الا ان من هذه المعاجم ما يعني بتراث السريانية عامة ، اشهرها واكثرها شمولية معجمان عظيما الشأن اولهما للمستشرق باين سميث المتوفى سنة١٨٩٥م ، ويقع معجمه « كنز السريانية » (٢٣) في مجلدين كبيرين وبما مجموعه ٢٢٥٨ صفحة من الحجم الكبير ، والحرف الدقيق .

لقد فلى باين سميث تراث اللغة السريانية لغة وادباً فلياً دقيقاً ، وتدبره واستخرج مأنوسة وغريبه ، واكثر من ايراد شواهـد من نصوصه القديمة والحديثة ، هذا اضافة الى احتوائه كل الارث المعجمي السرياني قبله ، وهو بذلك يذكرنا بابن منظور وعمله الكبير « لسان العرب » .

اما شروحه لمفردات معجمه فهي بالسريانية والعربية فضلاً عن اللاتينية ، وهو دائرة معارف كبيرة ليس بالنسبة للغة فحسب ، بل لكل ابواب العلوم التي طرقها الكتبة السريان .

ويقوم نظامه على الأصول اللغوية ، يتناول الجذر اللغوي المجرد ، ويدرس كل استخداماته بتوثيق دقيق ، ويورد كل تصاريفه وكل الصيغ الناشئة عنه مشروحة شرحاً وافياً .

الا انه وفي احيان كثيرة يعتبر الواو التي اصلها حركة (ضمة) من صلب الاصل اللغوي فيورد الاصل بموجب ذلك ، وهو لايزن الاسماء الجامدة

---

(٢٣) R. Smith, Thesaurus Syriacus, 2 voll. Oxford, 1. 1879, 2. 1901.

بقصد ايجاد باب معجمي لها كما هو الحال في معاجم اخرى ، بل يوردها بموجب تسلسل اصواتها الصامته منها والصائتة .

وفي مجال المقارنه اللغوية الاصولية يقتصر باين سميث على العربية والعبرية وبعض انماط الآرامية ، وبابتسار شديد . كما يتناول في معجمه بعض اللهجات السريانية المحكية .

وجاءت ابنته مارگليوث فاستدركت عليه بملحق من (٦٢٦) صفحة مشروح باللغة الانكليزية (٢٤) .

اما العمل الكبير الثاني في هذا المجال فهو الموسوعة اللغوية السريانية (٢٥) للمستشرق الالماني المعروف كارل بروكلمان المتوفى سنة ١٩٥٦ م .

ان من مزايا هذا المستشرق هو اطلاعه الواسع على مراجع اللغة السريانية ، كما يرتفد في مصنفه هذا من كل ينابيع الثقافات السامية ، ويرجع بسهولة ويسر الى امهات الكتب والمعجمات ليستقي منها بتركيز وتكثيف شديدين .

ومعجمه لغوي صرف يلتزم فيه بمنهجية الاصل اللغوي التزاماً دقيقاً الا انه قليل الاهتمام بالاوزان والصيغ اللغوية الناتجة عن هذا الاصل .

ولقد وسع بروكلمان دائرة مقارنته للفظة السريانية مع نظيراتها في الشقيقات الاخرى ، فبالاضافة الى العربية والعبرية والآراميات العديدة باطوارها ، اخضع للمقارنة الاكدية والفينيقية والحبشية والسبئية والمعينية وغيرها اما لغة شرح المفردات فهي اللاتينية .

هذا هو واقع المعجم السرياني ، وواقع المعجم العربي لا يختلف عنه كثيراً، فكلاهما لا يخرجان عن نطاق عملية الجمع ، وبتعبير ادق نضيف فنقول : عملية الجمع الموثق واحتواء اللاحق لسابقه .

---

(٢٤) Supplement to the Thesaurus Syricus, J. P. Margoliouth, New York, 1981.

(٢٥) K. Brockelmann, Lexicon Syriacum, Berlin 1895,

الا ان الغربيين كان لهم منحى آخر في حقل صناعة المعجم ، لقد جدّ الغربيون في الدراسات اللغوية على اسس علمية تأريخية نشأوية مقارنة منذ ما يقرب من قرنين ، ويمكن اعتبار اول محاولة ناضجة في هذا المجال تلك التي اضطلع بها اللغوي الفرنسي ليتره المتوفي سنة ١٨٨١ م ، لقد وضع هذا العالم معجماً فرنسياً جدّ في تحقيق عروق الكلمات وتطور معانيها وسرد ماتنظر اليه في اللغات الاخرى الشقيقة للفرنسية ، وكان اهتمام ليتره منصباً على تتبع معاني الالفاظ والتغييرات الطارئة عليها من خلال كتب اللغة والادب ، وراعى المراحل التأريخية في نمو اللغة ، وأشار الى تواريخ استعمال كل كلمة بالمعنى الذي تؤديه على قدر الامكان ، ذاكراً الكلمات القديمة والمتوسطة القدم والحديثة والنادرة والمندثرة والمحدثة .

ذلكم هو بحق ما تفتقر اليه شعبة اللغات السامية ، معجماً علمياً يؤرخ لمادة اللغة ، يدرس هذه المادة ككائن يولد وينشأ ويتشعب ويستحيل من طور الى طور عبر الابعاد الزمانية والمكانية .

وارثنا المعجمي الكبير سريانياً كان او عربياً ، والذي يجمع بين مادة اللغة وقوانينها وقواعدها نحواً وصرفاً ، هو تعليمي اكثر مما هو علمي ان صح التعبير ولا يشكل الا جانباً واحداً في عملية وضع المعجم الذي نحن بصدده ، وإلا فالحصيلة النهائية بالاقتصار عليه لن تخرج عن مجرد عمليـة احتواء وتكرار ، عملية قد تكون في مجالها اوسع واشمل ، إلا انها لن تأتي بجديد .

اما الجانب الأخطر في هذا العمل والذي يشكل عدته الحقيقية فهو كل اللغة مدونة وشفاهية فصحى ومحكية حية ومحنطة ، يتم التعامل معها باعتبارها وعاءاً استطاع ان يحتوي حقول التراث ومناحيه كلها .

اما الجانب الثالث في العملية والذي يتعذر تجاوزه والتغاضي عنه ما دمنا بصدد دراسة نشأة المادة اللغوية وتشعبها ومراحل تطورها عبر الزمن . هذا الجانب الذي يفرض نفسه ، هو عملية المقارنة والمناظرة اللغوية ، فأي لغة شقيقة للغة موضوعة الدرس هي وثيقة تاريخية علمية لا يمكن الاستغناء عنها اطلاقاً .

هناك محاولات كثيرة في المقارنات اللغوية ، من ضمنها ما ذكرناه عن محاولتي كل من باين سميث وبروكلمان ، ولا ننسى محاولات جدية للاب اوغسطين مرمرجي الدومنكي في هذا المجال ، والتي غلها مسبقاً بقيد الثنائية ، لقد اقتصر اسلوب الدراسة عند هؤلاء وغيرهم على المقارنة دون تناول الناحية التأريخية ،فالمقارنة بحد ذاتها تساعد على اقتفاء اثر تاريخ الاصل اللغوي ، وتعمل على اعادة البناء التاريخي للغة ، كما تقلل من مجال الحدس والتخمين في تحديد اطر معاني الاصول اللغوية في اطوارها المختلفة .

والعلماء اليوم لا ينظرون الى اللغة على انها كائن عضوي يتطور بصورة مستقلة بل كونها نتاج عقل جماعي لمجموعات لغوية ذات أرُومة واحدة.

فمن خلال المقارنة اللغوية نتمكن من الغوص الى اعماق اللغة والكشف عن جذور كثير من مفرداتها التي ترد في معاجمنا مقطوعة الجذور يتيمة .

ولكي اكون اكثر وضوحاً اسوق مثالاً : فلفظة (دُمية) في العربية مثلاً ترد في المعجم تحت باب (دَميَ) من الدم ، ولا اظنها منحدرة من هذا الاصل، ففي المعجم السرياني نلقي الاصل ܕܡܐ دْما) الذي من معانيه : شابه ، ماثل ، حاكى ، ناظر ، صوّر ، شخّص ، صور ، رسم ، شكّلَ ، ظن ، حدس ومنه (ܕܡܘܬܐ دُوْميا) بمعنى : شبهٌ ، شكل ، رسم ، صورة ، مثال ، نموذج ، خيال ، شبح ، طيف . ومثله في العبرية الاصل (داماه) بمعنى : شابه ، ماثل ، صور ... الخ .

وتصحح المقارنة اللغوية مواقع الكثير من المفردات اللغوية التي ادرجت تحت ابواب غير ابوابها . ففي العربية مثلاً نلقى لفظ (مدينة) مدرجاً تحت باب الميم ، والذي من حقه ادراجه تحت باب الدال مادة (دانَ) ، ولفظ (مكنَ) ومنه (مكان) المدرج تحت باب الميم والذي من حقه ادراجه تحت باب الكاف مادة (كونَ) وغيرها .

وبالمقارنة اللغوية نحل مشكلة التخبط في تشخيص الدخيل وتأصيله ، اقومقدمآول : ان الدخيل عندي هو الذي أُقترض من اللغات الاجنبية خارج اسرة اللغات السامية فقط .

لقد طُرق موضوع الدخيل قديماً وحديثاً ووضعت فيه مصنفات عديدة ، ولو تمحصنا ما وُضع منه في العربية مثلاً بدقة وعلى ضوء المقارنات اللغوية لوقعنا على المئات من الالفاظ التي أُعتبرت من الدخيل المقترض من اللغات الشقيقة للعربية ، في حين نلقى لها جذوراً في صلب هذه اللغة .

واهم واخطر من هذا ذلك الكم الهائل من الدخيل الذي نسب القسم الاكبر منه اجحافاً الى لغات خارج شعبة اللغات السامية ، في حين اثبتت الدراسات اللغوية المقارنة الحديثة اصالتها في شعبة لغاتنا ، واقرب مثال على ذلك محاولة المرحوم طه باقر في مصنفه « من تراثنا اللغوي القديم — مايسمى في العربية بالدخيل » والذي اثبت فيه ان الكثير من الالفاظ التي كانت تنسب الى لغات غريبة غير لغاتنا لها اصول في لغة شقيقة قديمة هي اللغة الاكدية .

بقي ان اقول ان مثل هذا المعجم الشامل المقارن والمؤرخ للمادة اللغوية يستحق من كل الاوساط المعنية ، والعربية منها بخاصة كل اهتمام ، فمثل هذا العمل الكبير ان يكون شاملاً ووافياً الا اذا كان مفتاحه ، لغته الأولى العربية .

شيئان اثنان ابرر بهما قولي هذا ، اولهما الكم الكبير من الاصول اللغوية في العربية قياساً بما للشقيقات الساميات الاخريات . لقد تعرضت لاحصائية لغوية في دراسة لي سابقة ، البكم خلاصتها :

تقول الاحصائية : ان عدد الاصول اللغوية في السريانية (١٨٠٦) اصلاً ، وفي العبرية (٢٥٧٤) اصلا ، وفي الحبشية (١١٠١) اصلاً وفي الاكدية (٤٧٠) اصلا ، ومجموع الاصول في اللغات الاربع هذه (٥٩٥١) اصلاً اما تعداد الاصول اللغوية في العربية لوحدها فيبلغ (٧٢٢٠) اصلاً .

ان من يعمد الى وضع مثل هذا المصنف اللغوي ويجعل مفتاحه غير العربية يسقط من حسابه بالنسبة لاغنى لغة شقيقة لها (٤٦٤٦) اصلا لغوياً .

والمبرر الثاني حقيقة خرجت بها من خلال معرفتي باللغات السامية هي ان بامكاننا ان نجد كل اللغات السامية في العربية ، ولكننا لانقدر ان نجد كل العربية في اي من هذه اللغات .

* * *

تعقيب على : المعجم السرياني

(نشـــأته ــ منهجيته)

للاستاذ بنيامين حداد

د. خالد اسماعيل علي
خبير الهيئة السريانية
قسم اللغة العبرية / كلية اللغات
جامعة بغداد

السيد رئيس المجمع العلمي العراقي المحترم ، السادة اعضاء المجمع المحترمين ، الزملاء والضيوف الكرام •

أجمل تحية ، وبعدُ ،

اشكر لرئاسة المجمع تكليفها إياي بالتعقيب على مقالة الاستاذ بنيامين حداد الموسومة : المعجم السرياني (نشأته ــ منهجيته) فقرأت المقال المذكور الذي عرض فيه الكاتب نشأة المعاجم السريانية والمراحل التي مرت بها حتى أيامنا هذه ، مع عرض لمنهجيتها ، ونظرة نقدية للمعاجم السريانية القديمة والحديثة • فكان عرضه شاملاً ودقيقاً • وأبدى في خاتمته عدداً من الآراء القيمة في التأليف المعجمي عامة جديرة بالدراسة • وهو بهذا العمل العلمي القيم يستحق الشكر •

لدي عدد من الاستدراكات التي آمل أن تكمل جوانب ذلك المقال ، وبعض الاراء في التأليف المعجمي عامة عسى أن تفيد الندوة في عملها المرتقب لتأليف معجم عربي شامل حديث •

★ جبرائيل بن بُختيشوع بن جوارجيس / مت • (٨٢٨م)
ألف موسوعة سريانية تعد من أقدم ما أُلّف في هذا الباب ، أشار الى ذلك عبد ايشوع الصوباوي بناء على ما ذُكر في المكتبة الشرقية واعترض على ذلك دوفال ٣/٢٧٢ •[باومشتارك ٢٢٧ (الهامش ٤)]•

★ يفهم من موسوعة حنين (مت • ٨٧٦م) أنها تفسير الاسماء اليونانية بالسريانية • وتعد في هذا الباب بمثابة معجم للدخيل من اليونانية •

★ من تلاميذ (إيشوع) عيسى بن يحيى (ق التاسع) الذي أسهم في التأليف المعجمي مع حنين أو وحده • ذكره ابن ابي أصيبعة ١/٢٠٤ وما يلي • ويعد تأليفه واحداً من أكبر مصدرين اعتمدهما بر علي في معجمه •

★ ومن الفترة نفسها على ما يبدو يوناذ الجرجاني الذي اشتُهر بالتأليف المعجمي في باب النبات • نقل عنه ابن البهول (بر بهلول) في معجمه المعروف في ٧٠٢/٧٠٤/٧٠٥/٧٥٥ • [باومشتارك ٢٣١/٣٢] •

★ ألف المفريان شمعون الطوراني في نحو سنة ١٧٢٤ قاموسا منتخبا من موسوعة ابن البهلول حذف فيه شروح هذا الاخير للالفاظ الدخيلة [باومشتارك ٢٤٢] •

★ يعد قاموس (كنز السريانية) لباين سمث أغزر قاموس سرياني حتى الان بألفاظه وشروحه • الا ان ما يؤخذ عليه انه لا يذكر مصادر ألفاظه جميعا ، واستبعد ما لم يجد مصدره ، والتزم التزاما علميا دقيقا

★ أما بروكلمان في الموسوعة السريانية فقد التزم بذكر مصادر ألفاظه جميعا وقلة ضبطه للاصول الاخرى في اللغات الشقيقة •

بالتسلسل الابجدي للاصول اللغوية ذاكرا ما يناظرها في اللغات الشقيقة

وفي هذا الباب ينبغي الاستدراك عليه بذكر الاصول الاوگاريتية وهي أقدم اللغات الكنعانية التي لم تكن قد اكتشفت في زمانه ، كما ينبغي الاستدراك عليه في ذكر عدد من الاصول الاكدية والعربية الجنوبية والآرامية والأبلية التي استظهرت مؤخرا .

★ ذكر الباحث في آخر مقالته إحصائية لغوية ، وردت في دراسة سابقة له ، ان عدد الاصول في الاكدية هو ٤٧٠ اصلا . وهذا رقم قليل جدا ، اظن من الواجب التأكد منه في معجم يضم اكثر من خمسة عشر مجلدا. وانني أحصيت عدد الاصول في ستة أحرف فوجدتها تربو على خمس مائة أصل .

مقترحات في التأليف المعجمي عامة

ألف المعجميون العرب الاوائل تآليف جليلة في شتى ميادين التأليف المعجمي منها العامة ومنها الخاصة وكانت ومازالت موضع إعجاب للعمل الشاق الذي بذل في إنجازها .

ولكن المعاجم العربية الاولى والحديثة تفتقر الى ثلاثة اسس برزت الحاجة اليها في هذه الايام .

أولا ، التسلسل التأريخي للالفاظ ومعانيها . وهذا موضوع حيوي لمعرفة نشوء اللفظة ونموها واستمرارها او موتها ، واسباب ذلك كله . وهذا يستوجب النص على المصدر الذي وردت فيه تلك اللفظة ، ان تيسر نثراً أو شعراً .

ثانياً ، وضع مقاييس معنوية للاصول ومشتقاتها ، وتبويب الالفاظ بمقتضاها ، وأنوه هنا بالعمل البارع الذي انجزه ابن فارس في كتاب (مقاييس اللغة) ، حيث يمكن الافادة منه افادة كبيرة في هذا الشأن .

ثالثاً ، ذكر الاصول القديمة المناظرة للاصول العربية ، كالاكدية والكنعانية والآرامية والعربية الجنوبية ، وذكر لهجاتها إن تطلب الامر ذلك .

اسلوب العمل

يمكن تقسيم التأريخ العربي الاسلامي الى ثلاث فترات لتسهيل ضبط المصادر :

١ ــ ما قبل الاسلام ــ نهاية المائة الثانية •

٢ ــ المائة الثالثة ــ نهاية المائة السادسة •

٣ ــ المائة السابعة ــ المائة الراهنة •

مصادر الفترة الاولى

النقوش ، الادب الجاهلي شعراً ونثراً ، القرآن الكريم ، الحديث النبوي الشريف •

مصادر الفترة الثانية والثالثة

أمهات المؤلفات العربية نثراً وشعراً •

تقسم المصادر بالاسلوب المذكور اعلاه وتوكل الى مختصين لفهرسة ألفاظها ومعانيها • وتبوب حسب مقاييسها ، أي مجموعاتها الدلالية •

يعهد الى مختصين في اللغات القديمة لوضع الاصول المناظرة للاصول العربية •

يكون بهذا قد تم للمعجم العربي الحديث عناصره الثلاثة الرئيسة وهي: التسلسل التأريخي ، التقسيم الدلالي ، الاصول القديمة المناظرة •

الامكانات

١ ــ العلمية :

عندنا في العراق وفي الوطن العربي مختصون في اللغة العربية والادب العربي يستطيعون بسهولة ان يقوموا بفهرسة الالفاظ وضبط معانيها بزمن

قصير ، اذا وزع العمل فيما بينهم حسب اختصاصاتهم اللغوية او الادبية .

وهناك ، في العراق خاصة ، مختصون باللغات القديمة كالاكدية واللغات الكنعانية والآرامية والعربية الجنوبية ، بما في هذه اللغات من لهجات ، مما لا يوجد في أي قطر عربي آخر . ويمكن لهؤلاء أن يستخرجوا الاصول المناظرة للاصول العربية من تلك اللغات .

تؤلف لجنة مصغرة للتنسيق بين مجموعات اللجان ولتوجيه العمل وتيسير المصادر وغير ذلك من الامور الادارية والفنية .

٢ ــ المادية :

أ ــ ينبغي تخصيص مكافآت للباحثين ، ونفقات للكتابة ولوازمها ، يمكن ان تقدرها لجان خاصة .

ب ــ رصد نفقات طبع المعجم بعد إنجازه .

زمن الانجاز

يمكن إنجاز العمل ابتداء في خمس سنين ، حيث يعرض نهاية كل سنة منجزات اللجان المتخصصة ودراستها وازالة العقبات التي تعترض طريقها .

التآليف المعجمية الجارية في الغرب الان في المعجم العربي ولغات الجزيرة العربية القديمة

١ ــ قاموس اللغة العربية الفصيحة . تصدره الجمعية الاستشراقية الالمانية منذ سنة ١٩٥٧ وما يلي ، ڤيسبادن ، المانيا الاتحادية .

Wörterbuch der Klassischen. Arabischen Sprache.
Hrsg. Durch die Deutsche Morgenlàndische Gesellschat Wiesbaden 1957 ff.

يذكر هذا القاموس الالفاظ العربية والمصادر التي وردت فيها ، وتجري فيه محاولة تأصيل وتقسيم دلالي ليستا بالمستوى المطلوب . ويعمل فيه

نخبة من الباحثين المستشرقين وبعض العرب • ولما يكتمل بعد •

٢ ــ قاموس جامعة شيكاغو الاشـــوري • شـــيكاغو وگلوكشـــتان ١٩٥٦ وما يلي •

The Assyrian : Dictionary of the University of Chicago : and Gluckstadt 1956 f.f.

وهو قاموس ضخم يضم الالفاظ الاكدية والمواضع التي وردت فيها • يتكون مما يربو على خمسة عشر مجلدا ، لا يُعنى بالاصول المناظرة للاكدية كثيرا ، وفيه اضطراب بشأن التقسيم الدلالي للالفاظ ، يعمل فيه نخبة مـن المستشرقين ، ولما يكتمل بعد •

٣ ــ دافيد كوهين : قاموس الاصول السامية ، باريس ١٩٧٠ وما يلي•

David Cohen : Dictionaire des Racines Semitiques, Paris 1970 f.f.

صدر منه مجلدان • وهو يعنى بالاصول السامية معتمدا القامـــوس السامي الذي عمل فيه المستشرق الفرنسي جان كانتنو خمسا وعشرين سنة ، وتخلى عنه سنة ١٩٣٠ • واضاف كوهين له اشياء جديدة • واصدر جزئين، واظن العمل قد توقف الان بسبب النقد الذي وجـه للتبويب وللتقســيم الدلالي ، أنظـر مجلة الجمعية الاستشـراقية الالمانيـة م ١٣٤/١ (١٩٨٤) ص ٢٤ ــ ٦٠ •

من كل ما سبق ذكره ، يمكن ان نقول ان الباب مازال مفتوحا لتأليف معجم تاريخي دلالي أصولي عربي يشمل جميع مراحل العربية • وهو عمل علمي وقومي بالغ الاهمية نرجو ان يضطلع به المجمع العلمي العراقي يكـون مفخرة للعراق واللغة العربية اجيالا طويلة •

المناقشات

ما أثير حول المعجم العربي وتاريخه

تعليق الدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدي
كلية التربية . جامعة بغداد

في الندوة المعجمية التي انعقدت حلقاتها في المجمع العلمي العراقي في يومي : ١٨-١٩/١/١٩٩٢ ، قدمت أبحاث ومناقشات وتعقيبات اثارت آراء ، وعرضت لمشكلات المعجم العربي ، وعالجت موضوعات حرية بالمناقشة وابداء الرأي .

ولقد شاركت ببحث عن كتاب « تهذيب اللغة » وأثره في كتاب : « لسان العرب » بعنوان : « المعجم العربي من التهذيب الى لسان العرب » عرضت فيه لتأريخ المعجم من « كتاب العين » للخليل بن أحمد الفراهيدي : (١٧٥ هـ) حتى معجمات القرن الرابع الهجري « الجمهرة » لابن دريد (٣٢١ هـ) و « تهذيب اللغة » للازهري (٣٧٠ هـ) وغيرهما ، ثم بينت أثر التهذيب في لسان العرب من حيث : التقويم اللغوي ، وكثرة المواد المفسرة ، وتصحيح الاوهام ، والزيادة في المفردات المسموعة عن العرب ، والنصوص الموثقة التي رواها الازهري من علماء اللغة او رجال البادية ، وكيفية استفادة ابن منظور : (٧١١ هـ) من جملة هذه النصوص ، وتوزيعها في معجمه : « لسان العرب » على الرغم من أن : لا صلة منهجية بين الكتابين فالتهذيب سلك طريقة الخليل ، واللسان سلك طريقة الصحاح ومن خلال الابحاث رأيت أن ثمة مشكلات وقعت في طريق المعجم العربي ، وجد لها الباحثون مخرجا ، ومشكلات تركت بلا مناقشة ولا رأي ، ومشكلات لم يخرج أحد من الباحثين فيها بطائل .

ولعل ابرز المشكلات التي أثارها الباحثون العرب اللغويون وغيرهم ، هي الشكوك التي بنوها حول أصالة المعجم العربي ، وأصالة الباحث اللغوي العربي ، وتأثير المعجمات الاجنبية في مناهج المعجميين العرب ، والشك في عمل الخليل بن أحمد لكتاب « العين » وغير ذلك مما يجعل البحث اللغوي العربي على مدى عصور الحضارة العربية موضوع شك ، وارتياب ، كما ينصّل العربي من اية بارقة ابداعية في حياته العلمية ، ويضم البحث العلمي عند العرب بالتقليدية والرتابة ، وضعف المنهج او اضطرابه .

وهذه صورة مختلة رسمها المشبوهون من المتعصبين على الحضارة العربية الاسلامية لغايات معروفة عند المنصفين ، من الغربيين والشرقيين وعند الحريصين على التراث العربي الاسلامي ، وعلوم القرآن والحديث واللسان.

والذي يهمنا ــ هنا ــ هو ما يثار حول المعجم العربي من شبهات ظالمة، ومن مشكلات تعترض طريقه ، وتسد المنافذ التي يطلع منها على العالم ليثبت أصالته ، ودقة مناهجه ، وصحة مسيرته في تاريخ الحضارات البشرية على الارض .

ولست أريد أن أقول ما ليس بحق ، ولا أزيد ما لم يكن واقعاً تاريخياً وعلمياً ، ولا ادعي شيئاً لم يعرفه المعجم العربي في تاريخه الطويل ، فلقد سبق لي أن كتبت في « اصالة البحث اللغوي للعربي » . اكثر من بحث منشور في كتب أو مجلات عربية ، أثبتّ فيها سبق العربي الى كثير من الافكار والاراء والمناهج التي يرى الغربيون ــ اليوم ــ السبق فيها ، كاللسانيات والمنهج البنيوي في اللسانيات ، وكون اللغة نسقاً من العلامات ، او نظاماً من العلاقات او ما يتصل بهذا الجانب من البحث اللغوي .[1]

وانما همّي ــ هنا ــ أن أعْني ببعض المثار من المسائل في وجه المعجم

---

(١) انظر : مجلة الورد : م / ع : ٣ : ص ٥ ــ ٢٣ ودراسات للاجيال٤/٤/ السنة : ٧ ص : ١٠١ ــ ١٢٢ . وكتاب مشكلات في التأليف اللغوي : ٢٥ فما بعد .

العربي ، لاقول فيه كلمة حق تكشف عن كثير من الخفايا التي يعتم فوقهـا المغرضون ، والحقائق التي واكبت حركة التأليف المعجمي وأهمها :

١ ــ أول معجم عربي ظهر في تاريخ التأليف اللغوي للعربي .

٢ ــ التقليدية والرتابة المزعومة .

٣ ــ المعجم العربي مسبوق بمناهجه ووضعه .

٤ ــ التكرار والاعادة في تفسير المواد .

٥ ــ الاختلاف والتباين في دلالات المفردات .

٦ ــ عدم الدقة في تمييز العربي من غيره والصحيح من الملحون ، والفصيح من المولد .

فأما الحديث عن اول معجـم عربي فقـد ذهب الباحثون الى أن كتاب « العين » هو أول معجم ظهر في القرن الثاني ، ولم يسبقه معجم لغوي آخر .

والواقع أننا لو نظرنـا الـى « العين »او منهجه وفكرته لرأيناه يمثل تطورا ونضجا علميا ، لابد أن يكون مسبوقاً ببدائية في الاتجاه ، وقـد كان الترتيب الألفبائي معروفا في القرن الأول والثاني ، وكان كتاب الجيم قد وضعه أبو عمرو الشيباني على هذا الترتيب « أعني الألفبائي » ، وقد عاش ابو عمرو بين « ٩٤ هـ و ٢١٠ هـ » وقيل : « ٢١٣ هـ » أي : ما يقرب من : « ١١٩ » سنة .فمن هذا الجانب يمكن القول بأنـه قد التزم ما كان شائعا من الترتيب لحروف العربية ، دون أن يفكر في تغيير الى ترتيب صوتي أو ما أشبه ذلك .

ثم ان هناك قرائن تاريخية وواقعية تدل على سبق الجيم وهي

١ ــ أن الجيم وضعه مؤلفه مبكرا منذ أول اشتغاله باللغة أو «الحروف» وهو « الجيم » نفسه ، اسماه بذلك ، لكون دلالة ــ الجيم ــ في اللغـة : الديباج الحسن (٢) ، فكان يعده ــ وهو على هذه الحالة البدائية مـن التأليف المعتمد على الحرف الأول دون العناية بالحرفين الثاني والثالث ــ عملا

---

(٢) القاموس المحيط : (جيم) .

حسنا منسوجا نسج الديباج لما تعنيه لفظة الديباج من حسن النسج ومتانته .

٢ ــ ولقد عرف أبو عمرو بأنه كان ضنينا بعلمه [٣] فبقى الكتاب مستورا حتى أظهره ابنه من بعده .

٣ ــ لم يؤلف الخليل كتاب العين الا في أواخر أيام حياته أي ما بعد (١٧٠ هـ) وهي ــ في الأغلب السنة التي مرض فيها ، وتوفي بعدها في (١٧٥أو ١٧٧هـ) ثم كان قد عرض منهج الكتاب على تلميذه الليث بن المظفر ، فلم يدركه ، فتركه ، وحج في ذلك العام ثم رجع فوجد الخليل قد بدأ بتأليف الكتاب ووصل فيه آخر حرف العين ، ثم مات .

وقيل ماقيل في ذلك ، فقد أدعى أنه لم يتمه وادعى أنه لم يؤلفه، بل ألفه الليث ، وقيل : انه أتمه ، ثم أحرق الكتاب ، وألفه من بعده الليث ؛ لأنه كان قد قرأه ، وعرف طريقته ، وقيل : غير ذلك [٤] .

٤ ــ لم يظهر كتاب العين الا بعد خمسين سنة من وفاة الخليل ، وكان قد تكلم فيه اللغويون كثيرا كالسجستاني والقالي والأزهري . وابن راهويه وغيرهم فكثر الشك في تاريخ وضعه .

لهذه الاسباب وغيرها ذهبت الى أن الجيم هو الكتاب الاسبق في التأليف المعجمي العربي .

أما القضية الثانية فهي الرتابة والتقليدية التي أثارها كثير من الباحثين الأوربين والعرب المستغربة في وجه التأليف اللغوي العربي ، بشكل عام ، كما اشار المستشرقون الى محاكاة المعجم العربي بعضه بعضاً ، دون التجديد والطرافة وأعادها خلفهم كثير من الباحثين العرب ، سواء

---

(٣) انظر : مشكلات في التأليف اللغوي : الدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدي الفصل (كتاب الجيم لابي عمرو الشيباني) . ط : بغداد : ١٩٨٠ .

(٤) انظر : كتابنا : مشكلات في التأليف اللغوي (موضوع : كتاب العين).

أكان ترديدهم عن وعي ، أم كان عن جهـل .

والحق أن الأصالة والتغير في الاساليب ، والابتكار في الطريقة كانت رائد المعجمي العربي ، ويمكن أن نتلمس الأصالة والابتكار والتجديد في منهجية المؤلف اللغوي العربي في :

١ ـ الاختلاف الجوهري في مناهج المعجميين العرب من معجم الى آخر ، فالمنهج الصوتي الذي ظهر في عمل الخليل بن أحمد ظهر الـى جانبـه منهج الالف باء عند أبي عمرو الشيباني ، وظهر الى جانبهما منهج الموضوعات والمعاني عند أبي عبـيد القاسم بـن سلام الهروي (٢٢٤ هـ) في « الغريب المصنف » . والمعجمـات العامـة في سـائر أمور اللغة قد خالفتها المعجمات الخاصة التي تناولت لغة الحديث أو لغة القرآن أو لغة المصطلحات العلمية ، أو أي فن من فنون المعرفة ،

ثم ان الذي يتناول تقسيم المواد وترتيبها على اساس الثناثي والثلاثـي وما فوقها ، ويرتب على الاصـوات يخالفه الأخر فياخذ التقليب ، والثنائيـة والثلاثية ، ولكنه يترك النظام الصوتي ليرفع الى النظام الالفبائي كما فعل ابن دريد في (الجمهرة) : (٣٢١ هـ) .

ومدرسة الالفباء التي بناها أبو عمرو الشيباني في كتابه الجيم كانـت تعتمد الحرف الاول فقط ، ولكن الذين جاءوا بعده تناولوا الترتيـب نفسه وخالفوه باتخاذ قافية المادة بدلا من صدرها أساسا لوضع المواد كما فعـل البندنيجي (٢٨٤ هـ) في كتابه (التقفية) ، وأخذ ابن فارس (٣٩٥ هـ) بهذا النظام ، ولكنه شذ عن اقرانه بأن اخذ الحرف وما يليه في ترتيب المواد ، تاركا ما كان قبله الى آخر الباب ، كما فعـل في كتابيه (المجمل ومقاييس اللغة) . واخذ اسماعيل بن خمـاد الجوهري (٣٩٨ هـ) بنظام البـاب والفصل ـ اي

---

(٥) انظر : الصحاح ومدارس المعجمات للعطار : ٣٣ ومقدمة الصحاح له: ٢٨ .

صدر المادة للفصل وعجزها للباب ـ وجعل الحرف ـ الحشو ـ أساسا لترتيب مواده ، فمنهم من رتب على الباب والفصل ، ومنهم من رتب على الحروف آخذاً بالحرف الاول فقط ، او الحرف الاول ثم ما يليه ثم ما يليه ، كما فعل ابن فارس ، أو التزام قافية المادة كما فعل البندنيجي .. وهكذا يختلف كل منهم بحسب اجتهاده ومنهجه الخاص دون ان يتأثر صاحبه ، مما يدل على الاصالة ، والاجتهاد الشخصي والتصرف الذاتي في عمل المعجم ، واختطاط المنهج .

ومن المشكلات التي أثيرت في وجه المعجم العربي الادعاء الباطل بأن المعجمي العربي لم يكن مبدعاً لوضع معجم في العربية ، وانما هو متأثر بمعجمات أجنبية يونانية او هندية او غيرها من المعجمات القديمة .

والذي يعرف تاريخ بدء البحث اللغوي العربي ويدرك أهمية العناية بلغة القرآن،وحرص العرب المسلمين على حماية العربية والمحافظة عليها،ودعوة النبي (ص) الى تعلم القرآن وتعليمه ، وتعلم العربية ، وخوف الصحابة ـ رضي ـ : « من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم » يدرك لماذا « سبوا الاسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه ، وتثقيفها لمن زاغت عنه »[٦] يقول الزبيدي[٧] : « ولم تزل الائمة من الصحابة الراشدين ومن تلاهم من التابعين يحضون على تعلم العربية وحفظها والرعاية لمعانيها اذ هي من الدين بالمكان المعلوم ، فبها انزل الله كتابه المهيمن على سائر كتبه ، وبها بلغ رسوله (ص) وظائف طاعته وشرائع أمره ونهيه » .[٨]

فكان لهذا الحرص ان اندفع العربي من نفسه معنيا بهذه اللغة مفكراً في كيفية الحفاظ عليها ، فكانت هناك بوادر في الطريق الى هذه الغاية ، كان ثمة

---

(٦) طبقات النحويين : الزبيدي : ١ ـ ٢ .

(٧) نفسه : ٢ . وانظر مقدمة معجم الادباء /جا التحقيق « مارجليوت». مصر .

(٨) الطبقات : ص : ٢

عمل ابن عباس يفسر مفردات القرآن ويستشهد لها بكلام العرب ، وكان ثمة عمل النصر بن عاصم الليثي في ترتيب الحروف العربية على (الالفباء) بعد ان كان على (الابجدية) الآرامية ، وكان ثمة وضع مبادىء النحو على يد جملة من العلماء الاوائل كأبي الاسود الدؤلي والنصر نفسه وعبدالرحمن بن هرمز، فهذه الاعمال وأشباهها كانت المنطلقات الاولى لبدء البحث اللغوي العربي ووضع المعجم ، وتأسيس القواعد وتأصيلها .

لقد كانت العبارات الاولى للصحابة ــ رضي ــ تدل على انهم دعوا الى « تعلم العربية » فقد روي عن عمر ــ رضي ــ انه كتب الى الجند « وهم بأذربيجان يأمرهم بأشياء وذكر فيه : تعلموا العربية »[٩] وفي حديث آخر عنه رضي ــ انه قال : « تعلموا العربية فانها تشبب العقل وتزيد في المروءة » ، وحديث آخر : « تعلموا الفرائض والسنة واللحن كما تعلمون القرآن ».[١٠] ولم يكن عمر ــ رضي ــ قد قرأ كتب الروم ولا اطلع على اعمال الهنود ، ولا علم ان غير العرب قد وضعوا نحوا[١١] او جمعوا لغة ، او صنفوا معجما . ولكنه الحرص الديني والعلمي وضرورات الحضارة التي واكبت الحياة الجديدة في ظل الدولة الاسلامية . فكان من نتائج ذلك كله ان نهضت الامة بوضع نحو لغتها ، وجمع مفردات لسانها ، ونقل دلالات الفاظها وتغييرها ، لتكون زادهم المستقبلي وهم يواجهون شعوبا وقبائل ستنضم الى الاسلام، وسيحتاجون الى تعلم العربية من أهلها العرب .

ثم ان العرب لم تطلع على ثقافات الامم ، وحضارتها العقلية والمادية

---

(٩) نفسه : ص ٣

(١٠) نفسه : ص ٤

(١١) لقد وضع بانيني نحو اللغة السنسكريتية ولكن ليس هناك مايشير الى أن الخليل من علماء العربية ممن ينسبون اليه تأسيس أصول النحو العربي قد أطلع على أعمال الهنود ، فضلا عن عمر بن الخطاب ــ رضي ــ الذي توفي قبله بمئة وخمسين عاما .

الا بعد مضي القرن الاول ودخول النصف الاول من القرن الثاني ، وامتزاج الشعوب المختلفة في الدولة العباسية . في حين كان التفكير في البحث اللغوي العربي ، جمع اللغة ، ووضع المعجم قد واكب الحياة العربية الاسلامية منذ السنوات الاولى لاستقرار المسلمين وقيام كيان الامة . والذي أثر عن ابن عباس ــ رض ــ (٦٩ هـ) أنه كان يجلس في المسجد ويسأله الناس عن دلالات الالفاظ فيفسر لهم اللفظ ويأتي بشاهد له من كلام العرب ، وهذه الصورة التي يضعها ابن عباس هي الباكورة الاولى لعملية المعجم العربي ــ ولم يكن ابن عباس قد قرأ شيئا مما يعلمه هذه الطريقة ، في تفسير اللفظ والمجيء بالشاهد له ، وقد اثمر عنه ــ أيضا ــ وضعه مفردات غريب القرآن في رسالة صغيرة [١٢] . وكان نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر من جملة من يسألونه عن تفسير مفردات القرآن والاستشهاد لها .

وكان يقول [١٣] . الشعر ديوان العرب . فاذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله ــ تعالى ــ رجعنا الى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه » . وكان يقول للناس ــ أيضا ــ : « اذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر ، فان الشعر عربي » [١٤] .

وكذلك جاء النصر بن عاصم (٨٩ هـ) بترتيب الحروف على الشكل (أبب ت ث ح خ ــ الخ) متمما لعملية تفسير المفردات فهاتان باكورتا عمل معجمي اذا أجتمعتا عند فرد من أفراد الامة . استطاع بهما أن يضع كتابا في تفسير مفردات اللغة على الالفباء وهذا هو الذي حصل لابي عمرو الشيباني : (٢١٠ هـ) حين وضع كتابه اللغات » الذي أطلق عليه اسم الجيم

---

(١٢) انظر : كتابنا : مشكلات في التأليف اللغوي : ٢٨

(١٣) تفسير الطبري : ١٧ / ١٢٩ . وكان ابن عباس يطلب من ابناء الامة ان يقرا واشعر العرب ، ويحفظوه لانه يمثل تأريخهم وعلمهم . .

(١٤) نفسه : ١٧ / ١٢٩ .

بعد ذلك ، على صورته البدائية في التأليف المعجمي [١٥] .

أما قضية « التكرار والاعادة في تفسير المواد » فهي لاتمثل مشكلة أو معضلة في تاريخ الاعمال اللغوية . ذلك أن مفردات اللغة وجذورها واحدة ، وان دلالات هذه المفردات واحدة ــ أيضا ــ فجميع العاملين في الميدان ، لابد لهم من أن يلموا بذلك كله ، ولكن الجديد هو مايضيفه المتأخر اذا ماعثر على شيء فات المتقدم . وهذا هو الذي حصل للمعجميين العرب ، حين اضافوا او استدركوا وانتقدوا ، وصححوا ، فاتسعت بذلك معجماتهم ، وانتقلت من أجزاء قليلة محدودة الى مجلدات ضخمة موعبه . واكبر دليل على هذا الذي حصل مالحق « كتاب العين »من استدراكات والحاقات واضافات ، وانتقادات، مثل كتاب التكملة للبشتي (٣١٥ هـ) ، وكتاب «الحصائل » لابن أبي الازهر البخاري (٣٢٥ هـ) وكتاب « البارع » للقالي (٣٥٦ هـ) وكتاب « الاستدراك على العين »[١٦] لابي بكر الاشبيلي الزبيدي (٣٧٩ هـ) وكتاب « المحيط » للصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ) فضلا عن كتاب : « تهذيب اللغة » للازهري (٣٧٠ هـ) الذي يعد اضخم عمل ينهج منهج العين ، وبتنفيذه في مواده وتفسيراته ، ويستدرك عليه مالا حصر من المفردات والمواد . ويقال مثل هذا في الصحاح وما حصل له من الاستدراكات عليه .[١٧]

اما موضوع « الاختلاف في دلالات المفردات » فهذا شأن اللغة التي يتكلم اهلها بلهجات مختلفة ، والعربية ذات لهجات مختلفة في الجزيرة ، ويظهر الاختلاف جليا في دلالات الالفاظ ، أو الاشتراك اللفظي ، أو كثرة الترادف ، ومن ذلك كانت ظواهر اللغة العربية الدلالية كثيرة ، تنج عنها : الاضداد

---

(١٥) مشكلات في التأليف اللغوي في القرن الثاني الهجري : د. رشيد العبيدي ص : ٢٩ .

(١٦) منه نسخ مخطوطة في مكتبات العالم ، كما ان له مختصر العين وقد اشتغل على تحقيقه الدكتور صلاح الفرطوسي .

(١٧) انظر : الصحاح ومدارس المعجمات : عطار : ٣٨ .

والمشترك اللفظي والمترادف ، ولابد لعلماء اللغة من ان يعنوا بهذه الظواهر ويسردوا لها امثلتها وشواهدها ، ويبينوا وجوه الدلالات ، واختلافها في الاستعمالات والهيئات المختلفة . ومسألة الاختلاف في دلالات الالفاظ ليست وقفا على العربية ، وانما هو ناموس طبيعي في كل لغة بشرية حيّة .

والمهم عند المعجمي ان يبين سبب هذا الاختلاف وأصوله ويرجع نسبته الى القبيلة التي تتكلم به ، والأصل الذي انحدر منه في كلامها ، ولم يأل المعجمي جهدا في ذلك ، بل كرسوا جهودهم في التمييز بين اللهجات وبيان اسباب اختلاف الدلالات .[١٨]

واما موضوع تمييز العربي من غير العربي[١٩] ، واخراج الاعجمي والمعرب والدخيل من بين مفردات اللغة ، فقد كان ذلك ديدن كل المعجميين العرب ، منذ عهد المعجميين الاول أبي عمرو الشيباني والخليل والبندنيجي وابن دريد حتى علماء المعجم العربي في القرون المتأخرة كابن فارس والجوهري وابن بري واصحاب لغة الحديث ، كالزمخشري وابن الاثير ، والمعجميين الاخرين كابن سيدة والصاغاني والفيومي والفيروز آبادي والزبيدي .. ثم الذين اشتغلوا بالمعجم المعاصر كالبستاني والشرتوني ورشيد رضا والمعلوف وغيرهم .

فانهم ــ جميعا ــ الزموا انفسهم بتمييز الدخيل من العربي والمولد من غيره الاصيل الفصيح ، والصحيح من غير الصحيح والعربي السليم من الملحون ولذلك نجد انهم ينبهون على « المولد » بوضع لفظ « مولد » الى جنب

---

(١٨) انظر : مثلا : مقاييس اللغة : لابن فارس ، كيف ميز بين الاصول الدلالية ، وارجع كل دلالة الى ما جاءت منه .

(١٩) الاعجمي والمعرب والدخيل ، وقد هذب علماء اللغة المعجميون منه ولذلك سميت كتبهم بما يدل على ذلك كـ « تهذيب اللغة » و « التكملة » و « الحصائل » و « الجمهرة » و « المحيط » و « البارع » . انظر مقدمة تهذيب اللغة للازهري ط : عبدالسلام هرون : ١٩٦٤م ، مصر .

المفردة المفسرة .[٢٠] او يشيرون الى كون المفردة دخيلة او معربة ، كما فعل المتقدمون من علماء المعجم العربي .

بل لقد تجرد لجمع مثل هذه المفردات المعربات في اللغة لغويون فجمعوها في كتاب ، كما فعل الجواليقي : (٥٤٠ هـ) في كتابه : « المعرب »[٢١] وتابعه من بعده : البشبيشي : (٨٢٠ هـ) والخفاجي : (١٠٦٩ هـ).[٢٢]

ولعل ممّا ينبغي التنبيه عليه ـ هنا ـ ان ثمة اختلافا بين اللغويين في تحقيق نسبة بعض الالفاظ الى اصلها الاعجمي ، او اختلاط الامر في كون المفردة عربية او أعجمية ، او كونها من المشتركات اللفظية بين اللغات ، او كونها عربية ، اخذتها اللغات الاعجمية او بالعكس ..

وهذه امور يقع فيها اللغويون ـ كثيرا ـ ؛ لان لكل لفظ من الفاظ اللغة تاريخا ، واصلا انحدر منه ، فاما ان وجد له جذره في اللغة ، فهو معروف ، وأما ان اختل هذا الجانب ، فهو الذي يقع فيه الشك ، وليس في استطاعة اللغويين أن يدركوا هذه المشكلات بسهولة مالم يكونوا يعرفون اصول اللغات معرفة متينة قوية ولنضرب امثلة على مثل هذه المشكلات التي تعترض سبيل المعجمي ، فـ « كفر » في العربية تعني : « غطى »[٢٣] و Cover في الانجليزية تعطي الدلالة نفسها ، فهل هي « مما وافق العربي العجمي » او ان اللفظ عربي ، انتقل الى لغات اخرى ، او ان العربية اخذته من غيرها ، ولكن المعجمي يستطيع ان يقول : ان لفظ Camal عربي انتقل الى لغات العالم ، لان الجمل عربي .

وما يقال في « كفر » يقال مثله في « أير » العربية التي تعني « الريح او

---

(٢٠) انظر : مثلا : الوسيط في مفردة : (لوحة) .
(٢١) حققه : الاستاذ احمد محمد شاكر . وطبع في : مصر
(٢٢) انظر : هدية العارفين : ١ / ١٦٠ . وقيل : انه توفي سنة : ١٧٠ هـ : ١ / ١٦١ . وانظر : ابحاث ونصوص : د. رشيد العبيدي : ص : ٥٨.
(٢٣) اساس البلاغة . (كفر) : ٨٢٧ .

الهواء » أو نوعا منهما[٢٤] ، و air الانجليزية التي تعني : الهواء ـ كذلك ـ .

فالمعجميون العرب ادركوا هذه المسألة ، وعرفوا كيف يميزون بين ما دخل الى العربية من غيرها ، وما كان اصلا عربيا ، وانما وقع الاختلال في احكامهم ، فيما كانوا يجهلون لغته التي انحدر منها ، كما قالوا في (السجلّ) ـ مثلا ـ هو بلغة الحبشة : الرجل ، وقيل هو : فارسي معرب . قال الجواليقي : « ولا التفت الى قولهم : انه فارسي معرب » .[٢٥]

وقد كثر في كلامهم : « اسماء اعجمية قد سمي بها » و : « أحسبها فارسية معربة وقد تكلموا بها قديما » و « لا أحسبه عربياً صحيحا » و « هو اسم اعجمي » ، و « وليس بعربي »[٢٦] وهي عبارات عائمة غير مستقرة ، وانما يقع مثلها لاسباب كثيرة :

١ ـ منها : أنها ألفاظ شائعة مستعملة في كلام العرب منذ اقدم عصور اللغة ، وقد وردت في أشعارهم ، ودارت على ألسنتهم . ولكنها خالفت بعض قياسات اللغة واصول ابنيتها فشكوا فيها .

٢ ـ ومنها جهل أصولها الاعجمية ، لكون اللغة قد احتكت بالرومية والفارسية ، والحبشية والهندية والآرامية ـ السريانية ـ وان كانت هذه الاخيرة من اصول عربية جزرية ، الا ان صورة النطق مختلفة .

٣ ـ ومنها شيوع مثل هذه المفردات في اكثر من لغة ، وربما كانت ممّا اتفقت فيه اللغات ، فيعسر ـ حينئذ ـ ايلولتها الى جذرها اللغوي الذي تنتمي اليه .

---

(٢٤) اللسان : (اير) .
(٢٥) المعرب : ١٩٤ .
(٢٦) انظر : الجمهرة : ٣ / ٣٧٤ و ٣ / ٣٦٣ و ٢ / ٣٢٠ والمعرب : ٢٠٥ ـ ٢٠٧ .

ولذلك كانت بعض الاحكام الرجراجة تواكب مثل هـذه الالفـاظ القريبة •

ومع هذا كله فان ما يجهله الاصمعي ـ مثلا ـ يعرفه ابو زيد ، ومـا يجهله سيبويه ، يعرفه الكسائي ، ولذلك تختلف الاقوال باختلاف مصادرها • وهذا سبب آخر يمكـن ان نضيفه الى اسـباب وجود اختلاف الاحكـام في المفردات العربية ، وقلة الدقة فيها •

ومع ذلك فان المعجمي العربي لم يترك لفظا يشك في اصالته ، الا اتبعه بالتنبيه عليه واخراجه من جمهور العربية الصحيحة ، وهذا ـ وحده ـ غايـة في الدقة ، وحسن التأليف ، والحرص على الاصللة ، وصحة العربية •

* * *

معجمات المعاني
تعقيب واستدراك

الدكتور
حاتم صالح الضامن
كلية الاداب بجامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد فقد وقفت على بحث الدكتور جميل الملائكة الموسوم بـ (حاجتنا الماسة الى معجم المعاني) الذي قدّمه الى الندوة المعجمية في المجمع العلمي العراقي .

والبحث مقصور على تعريف بخمسة كتب من معجمات المعاني القديمة هي :

١) كتاب الالفاظ : لابن السكيت ، المتوفى سنة ٢٤٤ هـ .

٢) الألفاظ الكتابية : للهمذاني المتوفى سنة ٣٢٠ هـ .

٣) جواهر الالفاظ : لقدامة بن جعفر ، المتوفى سنة ٣٣٧ هـ

٤) فقه اللغة : للثعالبي ، المتوفى سنة ٤٢٩ هـ .

٥) المخصص : لابن سيده ، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ .

وعلى كتابين حديثين هما :

١) الافصاح في فقه اللغة : لحسين يوسف وعبد الفتاح الصعيدي ، وهو تهذيب لمخصص ابن سيده .

٢) لالىء العرب : لسالم رزق ، ولم يقف الباحث الكريم على هذا الكتاب ، وانما نقل ما جاء عن هذا الكتاب في مجلة اللسان العربي .

وختم بحثه بالحديث عن معجم روجيه بالانكليزية ، ومميزات معجم المعاني الذي نحتاج اليه .. ووقع البحث في ست عشرة صفحة .

وقد بذل الباحث الفاضل جهدا كبيرا في هذا البحث ، وشارك في دراسة بعيدة عن اختصاصه ، ولكنه ، والحق يقال ، من محبي هذه اللغة ومن الحريصين عليها كل الحرص ، بل ان حرصه فاق حرص كثير من المتخصصين الذين يتساهلون في اثبات معاني مصطلحات بعيدة كل البعد عن روح العربية •

ورغبة في اغناء هذا البحث ليكون أقرب الى الكمال ، والكمال لله تعالى وحده ، أذكر الملاحظات والاستدراكات الاتية ليقف عليها المتخصصون ومحبو اللغة العربية :

أولا : المؤلفات التي فاتت الباحث في معجمات المعاني :

أ ـ الغريب المصنف : لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ •

قسم أبو عبيد الغريب المصنف على خمسة وعشرين كتابا ، يحتوي كل كتاب منها على عدة أبواب ، وبلغ عدد هذه الأبواب نحو تسع مئة باب ، تختلف طولا وقصرا •

وأبو عبيد بحق رائد التأليف في معجمات المعاني ، اذ فتح للناس بابا في التأليف اللغوي لم يكن مطروقا بجملته ، وكان كتابه نواة لمعجمات المعاني التي ألفت بعده •

وأبواب الكتاب هي :

١) خلق الانسان
٢) النساء
٣) اللباس
٤) الأطعمة
٥) الأمراض
٦) الدور والأرضين
٧) الخيل
٨) السلاح
٩) الطيور والهوام
١٠) الأواني والقدور
١١) الجبال

١٢) الشجر والنبات
١٣) المياه والقنى
١٤) النخيل
١٥) السحاب والأمطار
١٦) الأزمنة والرياح
١٧) أمثلة الأسماء
١٨) أمثلة الأفعال
١٩) الأضداد
٢٠) الأسماء المختلفة للشيء الواحد
٢١) الابل
٢٢) الغنم
٢٣) الوحوش
٢٤) السباع
٢٥) الأجناس

أما شواهد الكتاب فهي :
من القرآن الكريم ٤٤ آية
ومن الحديث الشريف ٤٨ حديثا
ومن الأمثال ١٠ أمثال
ومن الأشعار ٦٦٦ بيتا
ومن الأرجاز ٣١٣ بيتا
ومن أنصاف الأبيات ٣١٧ شطرا

وطبع جزآن من الكتـــاب في تونس ١٩٨٩ ــ ١٩٩٠ ، وجزء صغير في مصر ١٩٨٩ .

* * *

ب ــ المنتخب من غريب كلام العرب : لعلي بن الحسن الهنائي المعروف بـ (كراع النمل) المتوفى سنة ٣١٠ هـ .

وسار على نهج أبي عبيد في الغريب المصنف . وعدد أبوابه ٣٣٥ بابا ، صدره بباب (خلق الانسان) وختمه بباب (القيافة والزجر والفأل والتطير).

وبلغت شواهده :
من القرآن الكريم ٨٤ آية
ومن الحديث الشريف ٩ أحاديث
ومن الأمثال والأقوال ٥٢
ومن الأشعار والأرجاز ٥٠٧
ومن أنصاف الأبيات ٣١

وقد طبع الكتاب في جزأين بالمملكة العربية السعودية سنة ١٩٨٩ .

* * *

ج ـ الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى : لعلي بن عيسى الرماني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ، وقيل ٣٨٦ هـ .

يشتمل الكتاب على ١٤٢ فصلا ، كل فصل منها يندرج تحته عدد من الالفاظ المختلفة ذات المعنى الواحد ، وهي المسماة بالالفاظ المترادفة . فمثلا في (فصل المصائب والمحن) : المصائب ، والنوائب ، والخطوب ، والرزايا ، والفجائع ، والنوازل ، والطوارق ، والمحن ، والبلايا ، والبلوى ، والملمات .

طبع الكتاب أكثر من مرة ، آخرها بالقاهرة عام ١٩٨٨ .

* * *

د ـ متخير الألفاظ : لأحمد بن فارس ، المتوفى سنة ٣٩٥ هـ عدد أبوابه ١١٤ بابا ، بدأه بباب (متخير ألفاظ العرب في الكلام والبلاغة) ، وختمه بباب (ألفاظ مفردة مستحسنة) .

أما شواهده فهي .

آيتان من القرآن الكريم

و ١٩ حديثا

و ١٦٥ مثلا

و ١١٠ أبيات من الشعر

و ٤٠ بيتا من الرجز

و ١٥ شطراً .

وقد طبع الكتاب ببغداد عام ١٩٧٠ .

★ ★ ★

هـ ـ التلخيص في معرفة أسماء الأشياء : لأبي هلال العسكري ، المتوفى بعد سنة ٣٩٥ هـ .

قسم المؤلف الكتاب على أربعين باباً ، وجعل كل باب منها في معنى من المعاني العامة الواسعة ، ثم قسم كل باب على فصول صغيرة في الفروع الخاصة للمعنى العام الذي بنى عليه الباب .

وبدأ الكتاب بباب (أسماء أعضاء الانسان وذكر الحمل والولادة وما يجري مع ذلك) .

وانتهى بباب (في أسماء أشياء مختلفة) .

وعدد شواهد الكتاب :

من القرآن الكريم ١٤٥ آية

ومن الأمثال ٣٠

ومن الحديث الشريف ٤٩

ومن الأشعار ٧٤

ومن الأرجاز ٥٦

ومن أنصاف الأبيات وأجزائها ٦٦

وقد طبع الكتاب في جزأين ـ مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ .

* * *

و ـ مبادىء اللغة : لمحمد بن عبدالله الخطيب الاسكافي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ ، وقيل ٤٢١ هـ .

جاء الكتاب في ٥٩ باباً ، كلّ باب يستقل بموضوع من الموضوعات .

وقد بدأ بباب (السماء والكواكب) ، وانتهى بباب (في نوادر مختلفة) .

أمّا شواهد الكتاب فقد جاءت على الوجه الآتي :

القرآن الكريم ٦ آيات

الحديث الشريف ٧

الأمثال ٥

الأشعار ١٦٠
الأرجاز ٦٦
أنصاف الأبيات ٢٧
وقد طبع الكتاب بمطبعة السعادة بمصر عام ١٣٢٥ هـ .

* * *

ز ـ كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ : لأبي اسحاق ابراهيم بن اسماعيل المعروف بابن الاجدابي الطرابلسي ، المتوفى سنة ٤٧٠ هـ على أصح الأقوال .

وقد أبان المؤلف عن منهجه في مقدمته القصيرة ، قال : (هذا كتاب مختصر في اللغة ، وما يُحتاج اليه من غريب الكلام ، أودعناه كثيراً من الأسماء والصفات وجنّبناه حوشي الالفاظ واللغات ، وأعريناه من الشواهد ، ليسهل حفظه ، ويقرب تناوله ، وجعلناه مغنياً لمن اقتصد في هذا الفن ، ومعيناً لمن اراد الاتساع فيه) .

وعدد أبواب الكتاب ٣٥ باباً ، بدأها بباب (في صفات الرجال المحمودة) وختمها بباب (في الآلات وما شاكلها) .

وقد طبع الكتاب سبع مرات آخرها ببغداد عام ١٩٨٦ .

* * *

ح ـ نظام الغريب : لعيسى بن ابراهيم الربعي الوحاظي الحميري ، المتوفى سنة ٤٨٠ هـ .

جاء الكتاب في ١٠٤ أبواب ، بدأها بباب (ما جاء من الغريب في خلق الانسان) ، وختمها بـ (مما نطقت به العرب على التثنية) .

وليس للكتاب منهج معين ، شأنه في ذلك شأن الكتب التي سبقته .

ومن اللافت للنظر في هذا الكتاب كثرة الشواهد من الأشعار والأرجاز .

وقد طبع الكتاب بالقاهرة عام ١٩١٢ باعتناء الدكتور بولس برونله .

وأعاد طبعه محمد بن علي الأكوع عام ١٩٨٠ بدمشق • وعلى هذه الطبعة الأخيرة ملاحظات نفيسة للاستاذ عبدالاله نبهان نشرها في مجلة معهد المخطوطات العربية م٢٧ ج٢ ١٩٨٣ بعنوان (نظرات في كتاب الغريب في اللغة) •

* * *

ط ــ حدائق الأدب : لأبي محمد عبيدالله بن محمد بن شاهَمَردان ، المتوفى نحو ٦٠٠ هـ •

يشتمل الكتاب على ثلاثين كتاباً ، وعدها المؤلف الأصول التي يحتاج اليها المتأدّب للتعلم ، والأديب للتذكر ، وهي :

١ كتاب أسنان الحيوان
٢ ــ كتاب خلق الانسان
٣ ــ كتاب الخيل
٤ ــ كتاب الابل
٥ ــ كتاب الشاء
٦ ــ كتاب الوحوش
٧ ــ كتاب السباع
٨ ــ كتاب الحشرات
٩ ــ كتاب الطير
١٠ ــ كتاب الصفات والأسماء
١١ ــ كتاب أسماء ما في السماء والهواء
١٢ ــ كتاب الأزمنة
١٣ ــ كتاب النبات
١٤ ــ كتاب الحرث والزرع
١٥ ــ كتاب السلاح

١٦ ــ كتاب الميسر
١٧ ــ كتاب الأمثال
١٨ ــ كتاب الألفاظ المستعملة بين الناس
١٩ كتاب الألفاظ المتفقة ، المختلفة المعاني
٢٠ ــ كتاب الألفاظ المختلفة ، المتفقة المعاني
٢١ ــ كتاب المثلث
٢٢ ــ كتاب اصلاح المنطق
٢٣ ــ كتاب الاعراب
٢٤ ــ كتاب الهجاء
٢٥ ــ كتاب الممدود والمقصور
٢٦ ــ كتاب التأنيث والتذكير
٢٧ ــ كتاب الجمع والتثنية
٢٨ ــ كتاب الألفاظ الدائرة في السنن والأحكام
٢٩ ــ كتابألفاظ الديوان
٣٠ ــ كتاب العروض
وقد طبع الكتاب بالرياض عام ١٩٨٩

* * *

ي ــ تحرير الرواية في تقرير الكفاية : لمحمد بن الطيّب الفاسي المتوفى سنة ١١٧٠ هـ .

وهو شرح مطول لكتاب (كفاية المتحفظ) الذي سلف ذكره . وقد بنى المؤلف شرحه على كفاية المتحفظ ، لكنه خرج بكتاب جديد في مادته واسلوبه ، حتى يمكن عد هذا الكتاب موسوعة لغوية ، ويستحق أن يأخذ مكانة متقدمة بين كتب المعاني ومعجماتها ، فاذا استثنينا (المخصص) لابن سيده ، فاننا لانجد معجماً للموضوعات كهذا الذي ألّفه ابن الطيب ، من

حيث غزارة المادة ، وكثرة الشواهد والنقول •

وقد بلغت شواهده :
من القرآن الكريم ٥٣ آية
ومن الحديث الشريف ٣٩
ومن الأمثال ٣١
ومن الأشعار ٥٦٧
ومن الأرجاز ١٣٢
ومن الأشطار ٨
وقد طُبع الكتاب بالرياض عام ١٩٨٣ •

* * *

وبعد فهـذه عشرة كتب من معجمـات المعاني القديمـة فاتت الباحث الفاضل •

أمّا معجمات المعاني الحديثة فقد فاته منها :

أ ـ ثُجعة الرائد وشرعة الوارد : لابراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٩٠٦ • وقد طُبع سنـة ١٩٠٤ ببيروت بمطبعـة الآباء اليسوعيين ، وطبع بمطبعة المعارف بمصر سنة ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ في جزأين ، وطبعته مكتبة لبنـان ببيروت ١٩٧٠ ، والكتاب في ثلاثة أجزاء ، ولكن لم يطبع منه سـوى جزأين •
ويقع الكتاب في اثني عشر باباً •

ب ـ نجدة اليراع : لسعيد الشرتوني ، المتوفى سنة ١٩١٢ وقد طُبع بلبنان سنة ١٩٠٥ • وعدد أبوابه نحو ٩٨ باباً •

ج ـ معجم المعاني : لنجيب اسكندر ، وقد نشر ببغداد عام ١٩٧١ •

ثانيا : **الملاحظات**

١) في الصفحة الثانية أثبت الباحث الفاضل سنة وفـاة الهمذاني مؤلف (الألفاظ الكتابية) ٣٢٧ هـ وفاتـه أنْ يشير الى أن سنة وفاته هي ٣٢٠ هـ عند جمهرة الباحثين •

٢) في الصفحة الثالثة أشار الباحث الفاضل الى أنّ ألفاظ كتاب ابـن السكيت مصنفة تحـت ١٤٨ باباً • وفاته أنْ يشير الى ١٦ باباً ألحقها المحقق في خاتمة الكتاب وقف عليهـا في نسخ مخطوطـة أخرى ، وقد جاءت في ص ٤١١ ـ ٤٢٣ •

٣) في الصفحة الخامسة ذكر الباحث أنّ عدد أبواب كتاب (الألفـاظ الكتابية) للهمذاني ٢٨٠ باباً • والصواب ٣٦٦ باباً •

٤) في الصفحة الثامنة ذكر الباحث أن سنة وفاة أبي عبيد القاسم بـن سلام هي ٢٢٣ هـ •

أقول : هي راوية ، ولكن سنة ٢٢٤ هـ أكثر صحة ، لأنّ الامام البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ، وهو تلميذ أبي عبيد ، وعلي بن عبدالعزيز المتوفى سنة ٢٨٧ هـ ، وهو تلميذ أبي عبيد وراوي كتبه ، نقلا هذه الرواية وهي سنـة ٢٢٤ هـ ، وكذلك أجمعت جمهرة من المصادر على ذلك •

٥) جاء في الصفحة الثامنة أيضاً أنّ سنة وفاة سيبويه هي (١٥٣ هـ) • والصواب (١٨٠ هـ) ، وقيل : (١٧٧ هـ) •

وبعد فهذه الملاحظات لاتقلل من قيمة البحث ولكن تقرّبه الى الكمال ، والكمال لله تعالى وحده •

والحمدُ لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله •

مراجع البحث(*) :

- اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي : د. رياض قاسم، بيروت ، ١٩٢٨ .
- علم اللغة : د. حاتم صالح الضامن ، الموصل ١٩٨٩ .
- المعجم العربي في لبنان : د. حكمت كشلي ، بيروت ١٩٨٢ .
- المكتبة : د. حاتم صالح الضامن (ضمن كتاب البحث والمكتبة) ، الموصل ١٩٨٨ .
- المكتبة العربية : د. عزة حسن ، بيروت ١٩٧٠ .
- نظرة تاريخيـــة في حركة التأليف عند العرب : د. أمجد الطرابلسي ، سورية ١٩٥٦ .

(★) لم نذكر المصادر المتحدث عنها في هذا البحث .

آراء وتعليقـات

خصصت الجلسـة الرابعة للتعليقـات والمناقشـات ، فعقب الاسـتاذ عبدالامير الورد على محاضرة الاستاذ الاثري ، فذكـر ان القرآن الكريـم اضاف لفظتي الرهبانية والجاهلية مصدرين من المصادر الصناعية ، واستشهد بنص قرآني • ثم دعا الى افراد معجم العين بندوة خاصـة لدراسته بتفصـيل أوفى ، وعلّق على طلب الاسـتاذ جميل الملائكة تجنب حوشي الالفـاظ من المعجم الحديث ، فقال : ان الحضارة المعاصرة تدفع الينـا مئات المصطلحات ، ولابد ان نستنجد بالموروث اللفظي المدون في المعاجم ثم اشار الى غنى اللغـة العربية عن اللغات الأخر • وانه لا مانع من ان تنقل الى العربية ما تثق بـه ونطمئن اليه • وان غنى العربية بالمفردات ييسر النقل السليم • ثم اشـار الى ثوابت العربية وهي القرآن الكريم وتأريخها ، ودعا الى زيادة العناية بِنَشْر اللغة العربية السليمة بين الناس واشار الى المعجم التاريخي ، فذكر انه لا يمكن تحقيقه دون استكمال احصاء لغوي ، ثم عقب الاستاذ حكمـة الاوسي فاطرى محاضرة الاستاذ محمود شيت خطاب في عرضه للعقبات التي واجهت اعـداد المعجم العسكري فاشار الى ان فائدة العمل العربي القطري محدودة بقطـره لا تفي بتحقيق الاهداف القومية ، ودعا الى العمل الجماعي في اعداد المعاجم •

ثم تحدث الاستاذ عبدالحسين مبارك فدعا الى اعادة النظر في جميـع المفردات العربية التي شذّت بعض استعمالاتها عن المعجمات العربية نتيجـة التزمت في وضع الضوابط عند علماء اللغة الى بعد عصر الاحتجاج لان المتنبىء وغيره ابعدوا عن عصر الاحتجاج ودعا الى الافادة من المفردات التي استعملها الشعراء بعد هذا العصر وابعاد مالا يقبـل في معاييرنا ثم اشار الى الاسـماء

المنحوتة والمشتقات وغيرها من المصطلحات الحديثة والتي لابد ان تأخذ دورها في المعجم العربي الحديث • ثم عقب الاستاذ يوسف حبي فسأل عن اسباب نشوء المعاجم ، وعن كيفية ظهورها ، وهل هي امور حتمية ؟ ثم دعا الى اعداد المعجم التراثي للاصول الحضارية بتأليف لجنة علمية تضع اسسا منهجية •

ثم علّق الاستاذ صلاح الفرطوسي فأشار الى اهمية معاجم المعاني ومن ابرزها (الغريب المصنف لابي عبيد القاسم بن سلاّم) و (السماء والعالم) و (كتاب المخصص لابن سيدة) واشار الى انه لا مسوّغ لتأليف معجم جديد في العراق وطالب بفهرسة كتاب المخصص لابن سيدة الذي هو اوسع معجم عربي ينسب المادة اللغوية الى رواتها ، ثم اشار الى أن المعجم التاريخي عمل علمي ، اما معجم المعاني فان له فوائد علمية وعملية •

وعلّق الاستاذ هادي نهر على مصطلح الدلالة فقال ان الدلالة المعجمية والدلالة التأويلية والدلالة الزمانية متداخلة وموحدة في المعجم وتساءل عن كيفية صنع المعجم الشامل قبل ان توحد المصطلحات بمعزل عن الترجمة والتعريب واكد ضرورة وضع خطة قومية موحدة لتلافي الازدواجية • ثم اشار الى الصعوبات في المعجم التاريخي والمعجم الشامل بسبب غياب المنهجية في ثقافتنا العامة وفي الندوات المعجمية نتيجة الرؤية الحالمة بصنع مثل هذا المعجم ودعا الى الاحصاء اللغوي كمستلزم لصياغة المعجم التاريخي •

وتحدث الاستاذ فاروق الراوي فحبذ اشراك الآثاريين والمتخصصين باللغات القديمة في الاسهام في بيان تاريخ بدء المعاجم لاسيما بعد أن تم اعداد معاجم للالفاظ والاصوات الاكدية ومعاجم متخصصة بمعاني الكلمات السومرية وما يقابلها في اللغة الاكدية وكذلك معاجم متخصصة بالنواحي العلمية •

وعلق الاستاذ عبدالرزاق الانباري فأشار الى ان الامة العربية تجدد حياتها وحضارتها من خلال الفاظها والى قلة دراساتنا عن لسان العرب وتاج

العروس والمخصص ودعا الى الاهتمام باللفظ القرآني وتطوره التاريخي العلمي من خلال كتب التفسير • ثم سأل هل رَسَمَ المفهوم القرآني لبعض الفاظ الفلسفة السياسية للمسلمين ؟ واشار الى الحاجة الى معجم قرآني ينسجم مع روح العصر •

وتحدث الاستاذ ضياء شيت خطاب فأشار الى ان الضرورة تقتضي وضع معجم حديث في تفكيره وتعاريفه وفي اختيار الالفاظ وتحديد معانيها تحديداً دقيقاً ثم اجاب الاستاذ جميل الملائكة على الملاحظات التي أُبديت على بحثه واشار الى ان الهدف من معجم المعاني هو اعانة المنشىء والباحث في ما يكتبه وان يحسن ابعاد الالفاظ المهجورة من هذا المعجم ، وان توضع فيه الالفاظ بمعناها الحالي لان الهدف هو افادة المثقف المعاصر في تلبية حاجته بيسر وسهولة ، لذلك فان معجم المعاني استغنى حتى عن المدخول في التطور اللغوي للالفاظ لان هذا يأخذ مكاناً وليس هو المقصود • وذكر ان (الافصاح ! هو اعادة لتنظيم (المخصص) ولكنه يعتمد تحنيط الالفاظ القديمة الموجودة ، فهو لم يضف كلمة واحدة من الالفاظ الحديثة وهذا عكس ما نريده الان •

وفي نهاية هذه المناقشات تحدث الدكتور الجليلي مدافعاً عن رأي المجمع في مسألة تكوين المعجم الحضاري والمعجم التاريخي مشيراً الى بحثه المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي قبل سنوات والموسوم « المعجم اللغوي الحضاري » تضمن خطة لاعداد مثل هذا المعجم وبمقدور الاساتذة الاطلاع عليه ان رغبوا في ذلك •

وفي ختام الندوة رفعت برقية الى السيد الرئيس القائد حفظه الله •

توصيات عامة

ـ اشتملت الدراسات التي تناولت المعجمات العربية التراثية والحديثة ملاحظات قيمة في وصفها وابراز مزاياها والمقارنة بينها وتقويمها ، ومن تلك الدراسات ما دعا الى وضع معجمات جديدة في مختلف مستوياتها بين الشمول والتخصيص ، وتناولت بعضها عناصر من المنهجية العلمية اللازمة لوضعها • لقد كشفت الندوة الحاجة الى وضع منهجيات وافية تتناول كل نوع من انواعها وكل مستوى من مستوياتها ونرى بأن يسعى المجمع العلمي العراقي الى دعوة الباحثين افراداً وجماعات الى وضع هذه المنهجيات ودراستها والاخذ بها على الصعيد القطري والصعيد القومي •

ـ ومما نحتاج اليه الاتفاق على جملة الاجراءات الفعالة لدعم حركة المعجمية العربية وتيسير وضع معجماتها • وأن تكون لهذه الاجراءات اسسها الفكرية ودواعيها في تيسير العمل والتنفيذ • وأول ما يتطلبه ذلك الوضع العمل الجماعي المشترك ، لا على الصعيد القطري المحدود ، وانما ايضاً على الصعيد القومي بالدرجة الاولى • فلم يعد وضع المعجمات الوافية مما يتيسر أن ينهض به الأفراد متفرقين وحدهم ، ولا في جماعات صغيرة ، بل في هيئات تشارك فيها المؤسسات لاسيما المجامع والجامعات • ولا غنى في وضع المعجمات العربية من أن تكون هذه المشاركة على الصعيد القومي ، اغتناماً لمزيد من الكفايات وتنويعاً فيها ، وضماناً للدعم والتأييد والاسهام الجاد في سائر متطلبات العمل ، ولذلك فنحن نوصي بأن يسعى المجمع العلمي العراقي في أي مشروع واف لوضع المعجمات ان يتحرى فيها تلك المشاركة على الصعيد القومي •

ـ ويبدو أن الدراسات والتعقيبات التي تلت بعضها والمناقشات الختامية ، خلت من إشارات محددة إلى استعمال الحسّابات في العمل المجمعي • علماً ان استعمالها قد اصبح أمراً لازماً لا غنى فيه ، في مختلف

مراحل العمل ،ييسره ويتيح له الكفاية والسرعة في الانجاز ، وتلك من التوصيات التي ينبغي التشديد عليها •

وعلى المجمع العلمي العراقي ان يوسع اهتمامه باعداد المعجمات ويقوم بما يمهد لذلك وييسره ومن ذلك :

١ ــ اعداد سجل شامل بالمصنفات العربية المعجمية ، وتشمل جرداً شاملا لما يلي :

أ ــ المعجمات المطبوعة مع ذكر سنوات ومكان طبعها مع ذكر لعدد اجزائها وصفحاتها والقائمين باعدادها •

ب ــ المعجمات المخطوطة ، مع الاشارة الى اماكن وجودها ووصف لكل منها •

ج ــ الكتب والرسائل الجامعية والأبحاث المنشورة عن المعاجم مع ذكر مؤلفيها والتعريف بها ، وسنوات وأماكن طبعها •

د ــ الرسائل الجامعية التي لم تطبع عن المعجمات ، مع الاشارة الى مؤلفيها وأماكن وجودها •

هـ ــ المؤسسات المعنية بإعداد المعاجم والمصطلحات •

و ــ إعداد قوائم بالابحاث المعتمدة عن الالفاظ والمعجمية •

ز ــ اعداد مجموعة القوائم المنشورة في المعجمات •

ح ــ إعداد دراسات عن مكانة دراسات المعجمات في الدراسات الجامعية •

ط ــ تشجيع تعريب الدراسات المكتوبة باللغات الاجنبية عن المعجمات والمعجمية •

ومما ييسر هذا العمل جرد فهارس المكتبات العامة ، وفهارس المجلات والدوريات وجرد الكتب المطبوعة المعنية بالفهارس ، وقوائم الرسائل الجامعية ، ومتابعة الفهارس التي تعدها بعض المؤسسات العالمية •

المحتـــوى

الصفحة

تمهيـــد ٣

تقـديـم

الدكتور صالح احمد العلي ٥

اصالة المعجمية العربية

الاستاذ محمد بهجة الاثري ٩

المعجم الذي نطمح اليه

الشيخ محمد حسن آل ياسين ٢٧

تعقيب الدكتور احمـد نصيف الجنابي ٧١

آفاق نمو المعجم العربي الحديث

الدكتور احمـد مطلوب ٧٩

المعاجم العربية والتطور الحضاري (تعقيب)

الدكتور حسام سعيد النعيمي ١٠٧

المعجم الذي نريد

الدكتور فاضل صـالح السامرائي ١١٧

المعجم العربي من التهذيب الى لسان العرب

الدكتور رشـيد العبيـدي ١٢٥

تعقيب الدكتور هاشم طـه شلاش ١٥٦

منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين

الدكتور احمـد نصيف الجنابي ١٦١

تعقيب الدكتور صـلاح الفرطوسي ٢٠٥

منهج ابن منظور في لسان العرب

الدكتور نوري حمودي القيسي ٢١٥

منهجية ابن منظور في اللسان (تعقيب)

الدكتور عدنان عبدالرحمن الدوري ٢٢٧

تاج العروس من جواهر القاموس

الدكتور هاشم طـه شلاش ٢٣٧

تعقيب الدكتور عبدالمنعم احمـد صالح ٢٥٧

الصفحة

معجمات دلالية لالفاظ القرآن الكريم
الدكتور حاتم صـــالح الضامن ٢٦٣

نظرات نقدية في المعجم الوسيط
الدكتور حكمـــة علي الاوسي ٢٧١

حاجتنا العامة الى معجم المعاني
الدكتور جميل الملائكـــة ٢٨٣

الفاظ الحضارة العربية (اهميتها ووضع معجمها)
الدكتور صالح احمـــد العلي ٢٩٩

توحيد المصطلحات العسكرية العربية في الجيوش العربية (التجربة والعبرة)
اللواء الركن محمود شيت خطـــاب ٣٢٩

تعقيب اللواء الطبيب راجي عباس التكريتي ٣٥٣

المعجمية الانكليزية (نشأتها وتطورها)
الدكتور عبدالعزيز البسام ٣٦٥

تعقيب الاستاذ علاء الدين حمودي ٤٥٧

المعجم السرياني (نشأته ـ منهجيته)
الأستاذ بنيامين حـــداد ٤٦٣

تعقيب الدكتور خالد اسماعيل علي ٤٧٧

المناقشـــــات ٤٨٣

ما أثير حول المعجم العربي وتاريخه
تعليق الدكتور رشيد العبيدي ٤٨٥

معجمات المعاني (تعقيب واستدراك)
الدكتور حاتم صالح الضامن ٤٩٨

توصيات عامـــة ٥١٢

٤٠٣
ن ٤٩٢ النـــدوة المجمع العلمـــي العـــراقي (١٩٩٢ : بغـــداد)
المعجمية العربية : ابحاث النـــدوة التي عقدها المجمع
العلمي العراقي ــ بغداد : المجمع العلمي العراقي ، ١٩٩٢ .
ص ؛ ٢٤ سم .
١ ــ اللغة ــ معاجم ــ دراسات أ . العنوان
م . و
١٩٩٢/١٧٩

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٧٩ لسنة ١٩٩٢

السعر (٧) دنانير